



من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

ملوك الأول

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: تفسير ملوك الأول.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

المطبعة:

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرس بسبورتج.

المطبعة:

رقم الإيداع:

مقدمة في

سفري ملوك الأول والثاني

الكتاب المقدس ليس سجلاً تاريخياً يعرض أحداثاً خاصة بأمة معينة أو بأشخاص معينين، إنما هو حديث يمس ملكوت الله وسط شعبه، وملكوته داخل كل نفسٍ بشرية. لهذا فإنه وإن استعرض تاريخ إسرائيل قبل الانقسام وبعده، إنما يستعرض معاملات الله معنا، ويكشف لنا عن حقيقة تمس أعماقنا، وهي أن نقبل الله مخلصنا ملكاً على قلوبنا، يدير كل حياتنا حتى نبلغ شركة أمجاده. لقد أوضح لنا في سفر التكوين (٣٦: ٣١) وجود ملوك لأدوم قبل قيام إسرائيل، لكن مجد هذا العالم يزول كالعشب، أما مملكة الله فتبقى إلى الأبد، إذ جاء السيد المسيح ابن داود يملك أبدياً، ويقوم من مؤمنيه ملوكاً يتمتعون بشركة مجده.

سفر صموئيل الأول والثاني أشبه بمقدمة لسفري الملوك، حيث يرويا أصل الحكومة الملكية في شاول وأصل العائلة الملكية في داود. وقد اهتم السفران "ملوك الأول والثاني" على وجه الخصوص ببيت داود الذي منه يأتي كلمة الله متجسداً.

موضوع السفريين

سفر ملوك الأول والثاني اللذان في الأصل هما سفر واحد يرويان قصة أسرة داود الملوكية. لقد تحقق الوعد الإلهي لداود بقيام سليمان ابنه ملكاً وبنائه لهيكل الرب. لكن عدم أمانة سليمان وغباوة ابنه رجبام قادا المملكة إلى الانقسام.

يعالج هذان السفران فترة تبلغ حوالي ٤٥٥ عاماً، من عام ١٠١٥ إلى ٥٦٠ ق.م، أي من اعتلاء سليمان الحكم حتى ملك أويل مردوخ البابلي^١. ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى (١٠١٥-٩٧٥ ق.م): وهي فترة حكم سليمان، حيث المملكة غير المنقسمة التي تضم الاثني عشر سبطاً لإسرائيل، تحوي هذه المرحلة وصفاً لحكم سليمان (١ مل ١-١١):
أ. بداية الحكم، أي توليه العرش وسلطانه (١-٢).

ب. تزايد قوته ومجده (٣: ١؛ ٥: ١٤)، وبناء الهيكل وحبه للتعمير وتدشين الهيكل (٥: ١٥؛ ٩:

^١ Keil and Delitzsch: *Comm. On the O.T.*, vol. 3, p.1.

هو ابن نبوخذنصر وخليفته (٥٦٢-٥٦٠ ق.م)، أخرج يهوياكين من السجن، وكان يعطيه نصيباً يومياً من الطعام (٢ مل ٢٥: ٢٧-٣٠).

٩)، واهتمامه بالأسطول التجارى والبحرى (٢٨: ٩-١٠) وانتشار شهرة حكمته على مستوى عالمى فائق وتزايد ثروته (ص ١٠).

ج. بداية انحداره بسبب تعدد الزوجات والعبادة الوثنية (ص ١١)، فتمرد سليمان على الله بسبب زواجه من الوثنيات أدى إلى تمرد عشرة أسباط ضد بيت داود.

المرحلة الثانية (٩٧٥-٧٢٢ ق.م): تبدأ بانقسام المملكة إلى مملكتين، يعيشان جنباً إلى جنب تارة في خصومة وصراع بينهما وأخرى في تحالف. انتهت هذه الفترة بتحطيم مملكة إسرائيل، العشرة أسباط، على أيدي الآشوريين.

تبدأ هذه المرحلة بتمرد العشرة أسباط على أسرة داود الملكية وإقامة مملكة مستقلة، وقد مرت المملكتان (إسرائيل ويهوذا) في ثلاثة أدوار:

أ. **عداوة بين المملكتين** من أيام يربعام إلى عمري ملك إسرائيل (١٢: ١-٢٨: ١٦).

ب. **تكوين صداقة والتزواج بين الأُسرتين الملكيتين** في أيام أخاب وأولاده حتى هلاك يورام ملك إسرائيل وأخزيا ملك يهوذا بواسطة ياهو (١٦: ٢٩؛ ٢ مل ١٠).

ج. **تجديد العداوة بين المملكتين** منذ تولي ياهو الملك على إسرائيل وعتليا ملكة يهوذا حتى تدمير مملكة إسرائيل في السنة السادسة من حزقيا ملك يهوذا (ص ١١- ص ١٧).

المرحلة الثالثة (٧٢٢-٥٦٠ ق.م): وهي تحتضن فترة استمرار مملكة يهوذا حتى تدمرت تماماً على أيدي البابليين الذين حملوا الشعب إلى بابل، أرض السبي. وتستمر حتى السنة الـ ٣٧ من سجن يهوياكين في السبي (ص ١٨- ص ٢٥).

أحداث تاريخية هامة

الأربعة قرون التي غطاها سفر ملوك الأول والثاني كانت فترة تغيير مستمر وقلق في العالم القديم، وتحول في القوى العالمية.

كان التهديد الآشوري غاية في العنف خلال الخمسين السنة الأخيرة من مملكة إسرائيل (الشمالية). قامت الدولة الآشورية في عهد تغلاث فلاسر الثالث *Tiglath Pileser* بثلاث هجمات مدمرة ضد إسرائيل أعوام ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤ ق.م. سقطت مملكة إسرائيل تماماً تحت السبي الآشوري بعد ١٠ سنوات عام ٧٢٢ ق.م في أيام سرجون الثاني.

أما بالنسبة ليهوذا فمع أن سوريا وأشور كانا يهددانها من وقت إلى آخر، لكن العدو العنيف

والمدمر هو بابل. لقد أسرها في ثلاث مراحل للسبي أعوام ٦٠٥، ٥٩٧، ٥٨٨ ق.م، دام الحصار الأخير عامين حيث سقطت أورشليم تمامًا عام ٥٨٧ ق.م، ودمر الهيكل وأقتيد الألوف من يهوذا إلى السبي البابلي.

سفر الملوك

١. يبدأ سفر الملوك الأول بداود الملك، وينتهي سفر الملوك الثانى بإقامة ملك بابل.
٢. يفتح ملوك الأول بإنشاء هيكل الرب، وينتهي ملوك الثانى بحرقه.
٣. يفتح السفر بأول خلف لداود الملك، سليمان، وينتهي بأخر خلف، يهوياكين، الذى سقط تحت السبي البابلي.

العمل النبوي في عصر الملوك

سفر ملوك الأول والثانى هما في الواقع عرض لمعاملات الله مع الشعب على مستوى القيادات كما على المستوى الشعبي. يرى البعض أن سفرى الملوك الأول والثانى في أعماقهما هما سفران نبويان تعليميان. فإن كانا هما سفرين تاريخيين، إلا أن غايتهما هو تقديم النبوة والتعليم خلال التاريخ. هما الخميرة الروحية التى قدّمت في عصر الملوك منذ بدايته حتى النهاية. فمع أن هذه الفترة هي "فترة المملكة" سواء المتّحدة أو المنقسمة، لكن الأنبياء يوضّحون أنّها فترة حكم الله نفسه خلال الملوك؛ هي فترة الحكم الإلهي.

نظام ملكي ثيوقراطي

الله هو الملك الحقيقي غير المنظور لشعب تمنّع بالعهد وكان يجب أن يلتزم به. الله هو الذى وجّه صموئيل النبي ليمسح شاول أول ملك على إسرائيل، ويمسح داود الملك الذى قلبه حسب قلب الله. كما بعث الله ناثان النبي لداود الملك ليقدم له الوعد الإلهي باستمرار عرشه (٢ صم ٧: ١٣). وعندما أخطأ داود مؤخرًا (٢ صم ١١، ٢٤) جاء إليه ناثان يهدّده بالعقوبة من قِبَل الله. وعند اعترافه بخطيئته وتوبته أعلن غفرانها وتقديم بركات إلهية (٢ صم ١٢: ١-١٥؛ ٢٤: ١١-١٩). خلال ناثان النبي عُيّن سليمان خلفًا لداود أبيه على العرش (٢ صم ١٢: ٢٥)، وكان له دوره في مقاومة أدونيّا الذى حاول اغتصاب الملك (١ مل ١).

"الرب ملك إلى الدهر والأبد، بادت الأمم من أرضه" (مز ١٠: ١٦).

"لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأمم" (مز ٢٢: ٢٨).

"ارفعن أَيْتَهَا الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أَيْتَهَا الأبواب الدهريّات، فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال، من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد. سلاه" (مز ٢٤: ٧-١٠).

"يجلس الرب ملكًا إلى الأبد" (مز ٢٩: ١٠).

"أنت هو ملكي يا الله، فأمر بخلاص يعقوب" (مز ٤٤: ٤).

"لأن الرب عليّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض" (مز ٤٧: ٢).

"ملك الله على الأمم، الله جلس على كرسيّ قدسه" (مز ٤٧: ٨).

هكذا يوجّه الله أنظارنا نحو مملكته التي في داخلنا، فنرى كل الأجناس تتعبّد له.

❖ ستتعبّد له كل أجناس المسكونة داخل قلوبهم، "لأن للرب المُلْك، وهو المتسلّط على الأمم". المملكة هي للرب لا للإنسان المتكبر، وهو يتسلّط على الأمم.

القديس أغسطينوس

تزايد دور الأنبياء

قام الأنبياء بدور حيوي ورئيسي في حياة الملوك الصالحين والأشرار. فكانوا يسندون الصالحين، ويقاومون الأشرار بكل جسارة وقوّة، معلنين لهم كما للشعب إرادة الله، لذا قيل عن إيليا وأليشع "مركبة إسرائيل وفرسانها":

"وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي، مركبة إسرائيل وفرسانها، ولم يره بعد" (٢ مل ٢: ١٢).

"ومرض أليشع مرضه الذي مات به، فنزل إليه يوأش ملك إسرائيل وبكى على وجهه، وقال يا أبي يا أبي، يا مركبة إسرائيل وفرسانها" (٢ مل ١٣: ١٤).

عندما كان سليمان الملك مقدّسًا للرب، ظهر الله نفسه له في حلم بجبعون بعد تولّيه العرش مباشرة، كما ظهر له مرة أخرى بعد تدشين الهيكل ووعده بالاستجابة لصلواته واستمرار مجد مملكته أبدًا بشرط الإخلاص في حفظ وصاياها الإلهية (١ مل ٣: ٥ الخ؛ ٩: ١ الخ). وإذ انحرف سليمان لم يظهر له الرب ليهدّده، بل أرسل له نبيًا (١ مل ١١: ١١ الخ)، ربّما أخيرًا الذي وعد يريعام باستلامه الحكم على عشرة أسباط (١١: ٢٩ الخ). بعد انقسام المملكة ظهر عمل الأنبياء بقوّة في مقاومة الارتداد والتنبؤ عن الخراب الذي يحل بالمملكتين.

ظهر إيليا النبي كالنار، كلماته تحرق كالشمع. "وقام إيليا النبي كالنار وتوقّد كلامه كالشمع"

(سى ٤٨: ١)، عندما كرس أخاب بن عمري وزوجته إيزابل ابنة ملك صيدون طاقتهما لتحطيم عبادة الله ونشر عبادة البعل الفينيقية. حقاً لقد انحرف يهوذا بمزج العبادة الإلهية بالعبادة الوثنية، لكن مملكة إسرائيل كانت أكثر احتياجاً إلى أنبياء ناريين يحدرون القادة والشعب، ويحاربون الوثنية منذ نشأة المملكة حتى يوم دمارها!

دور النبي الرئيسي هو تأكيد أن حياة المملكة كلها تقوم على مدى الإخلاص أو كسر العهد مع الله. لذا جاء الأنبياء يقدمون الوعود الإلهية والتحذيرات والتهديدات، مؤكدين أن مستقبل المملكة كلها يتوقف على اتجاهات الملك ورجاله وشعبه وتصرفاتهم. يؤكد السفران أن كلمة الله لن تعود فارغة. تظهر قوة الله في تحقيق كلمته التي يعلنها خلال أنبيائه لتشكّل تاريخ شعبه.

الميثاق الداودي *Davidic Covenant*

يكشف الكتاب المقدس عن شوق الله إلى إقامة ميثاق مع كل نفسٍ بشرية كما مع الجماعة المقدسة ككل. منذ سقوط آدم نرى الله في كل جيلٍ يُقيم عهداً مع أحبائه، حتى أعلن "قد أكمل" على الصليب. خلال هذين السفرين يمكننا اكتشاف بعض أبعاد الميثاق مع الله.

١. يحمل هذا الميثاق جانبين متكاملين، هما **العلاقة الشخصية** بين المؤمن المخلص في حياته والله، و**العلاقة الكنسية الجماعية**، يكون المؤمن عضواً في بيت الله الواحد، الكنيسة الجامعة المقدسة.
٢. **ليس عند الله محاباة**، فإن كان الله قد أقام عهداً مع داود، كعلاقة خاصة بينهما كما جاء في (٢ صم ٧)، ذلك لأن داود هو "عبد الرب"، رجل "قلبه مثل قلب الرب". يحمل داود ضعفات، لكنه يعرف كيف يتوب بروح التواضع، ويعوم كل ليلة سريره بدموعه، ويضع خطيئته أمامه في كل حين، طالباً من الله أن يرد له بهجة خلاصه. لقد صار داود مثلاً حياً لمن يسلك في طريق الرب.
٣. **يعتزّ الله بهذا الميثاق**، ويبقى أميناً له حتى بعد موت المؤمن كما يظهر من حديثه مع سليمان ابنه وبعض ملوك يهوذا. كان داود مخلصاً في علاقته بالله، فردّ له الرب هذا الإخلاص في حياته وحياة أحفاده من بعده.

٤. مع إخلاص الله لداود حتى في معاملته مع أحفاده، يلتزم المؤمنون بالرغبة الجادة أن يحفظوا العهد ما استطاعوا. ويلاحظ في هذين السفرين عندما يتحدثون عن أحد ملوك يهوذا ويكون صالحاً يُقال عنه أنه "مثل داود أبيه" في طاعته للوصايا وأمانته مع الرب. أمّا الملك الشرير، فيقال

عنه إنَّه لم يسلك كداود. كان الله يطيل أناته على سليمان بن داود، وعلى الملوك أحفاد داود ليس محابة لداود ونسله، وإنَّما ليهبهم فرصة التوبة والافتداء بالعظيم في حياته مع الرب "داود". كان يؤجِّل التأديب منتظرًا عودة الساقطين.

٥. حسب وعد الله لداود امتدَّت أسرة داود الملكيّة عبر الأجيال ولم تُبتر تمامًا كما حدث مع أول ملك على إسرائيل، شاول بن قيس. لقد حقَّق الله وعده لداود. وقد أبرز السفرين ثمار الإخلاص أو كسر العهد مع الله. فإخلاص سليمان قاده إلى الحكمة السماويّة، وكسره للعهد أدى إلى انقسام المملكة في عهد ابنه رحبعام. يقدِّم السفران صورة مؤلمة للغاية لبعض ملوك يهوذا، إلاَّ أنَّهما يحملان خطأ واضحًا يؤكِّد اهتمام الله بتحقيق ما سبق فوعده به داود الملك بواسطة ناثن الملك (٢ صم ٧: ١٦-١٢). لقد أدب نسل سليمان بسبب شرورهم لكنَّه أبقى نصيبًا من الأسباط (من يهوذا وبنيامين) تحت حكم أسرة داود، مع بقاء مدينة أورشليم المختارة. ووُجد أبناء لداود من جيل إلى جيل حتى تم السبي البابلي بسبب فساد أبنائه. أخيرًا لم يُحرم نسل داود من التمتع باستمراريّة الأسرة الملكيّة، إذ جاء ابن داود، يسوع المسيح، يملك على القلوب ويحمل شعبه إلى حضن الأب، بكونه ملك الملوك الذي يقيم خيمة داود الساقطة ويبقى ملكًا إلى الأبد. حقًا لقد وعد الله يربعام أن يقيم له بيتًا دائمًا إن سار بأمانة في طرق الرب (١ مل ١١: ٣٧-٣٨)، لكن يربعام لم يحقِّق هذا الشرط، ولم يتمم أي ملك من بعده هذا الشرط. ومع هذا فقد أطل الله أناته على ملوك إسرائيل والأسباط المنشقّة محدِّرًا ومهدِّدًا إياهم بأنبيائه بالتأديبات التي تحل على الملوك والشعب، كما كان يقدِّم لهم امتيازات من حين إلى آخر من أجل عهده مع إبراهيم (٢ مل ١٣: ٢٣).

الناموس

جاء السفران يقدِّمان مقياسًا للأحداث والتاريخ خلال طاعة الملك وشعبه أو عدم الطاعة للشرعية الإلهيّة. قبول الوصيّة والطاعة لها أو رفضها وعصيانها هو ما يقيم حياة المملكة.

المشاكل الرئيسيّة

واجه شعب إسرائيل في أرض الموعد مشاكل كثيرة، أهمها الآتي:

١. **الخط بين عبادة الله (يهوه) وآلهة الكنعانيّين:** لقد اختبر الشعب اليهودي يد الله القويّة في خروجهم من مصر، والاهتمام بهم وسط البريّة، ونصرتهم على الشعوب القاطنة في أرض الموعد. لكن إذ امتلك الشعب الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا، وهي لا تعتمد على مياه نهر عظيم كنهر النيل

بل على الأمطار، لهذا كان تسألهم: هل يقدر يهوه أن يهب خصوبة للمزروعات وفيضًا من المحاصيل؟ لقد عبد الكنعانيون آلهة الأمطار والخصوبة. لهذا أراد الإسرائيليون أن يخطوا بين عبادة يهوه وعبادة الآلهة الوثنيّة لينتفعوا من الكل!

٢. الزواج بالأجنبيّات الوثنيّات: قامت النساء الوثنيّات التي تزوّج بهن رجال إسرائيليون بدورٍ خطيرٍ. فقد دفعن رجالهن للارتباط بالآلهة والإلاهات الخاصة بالخصوبة، وبالتالي دفعن الشعب تدريجيًّا نحو العبادة الوثنيّة ورجاساتها.

هاتان المشكلتان هما مشكلتا كل عصر. وراء الإلحاد الفكري أو العملي أو وراء الهروب من الالتقاء مع الله أمران: الأول الارتباك بالأمر الماديّة مع عدم الثقة في الله ضابط الكل وواهب الخيرات. والأمر الثاني الشهوات الجسديّة التي تدفع إلى عدم تقدّيس الزواج كعطيّة إلهيّة.

النساء في سفرَي الملوك

يركز بعض الدارسين على الشخصيّات القياديّة، خاصة الملوك، سواء كانوا صالحين أو أشراؤا مثل سليمان ورحبعام ويربعام وأخاب ومنسى ويوشيا وآسا الخ. ويركز آخرون على الشخصيّات الروحيّة الفعّالة خاصة إيليا النبي وأليشع النبي. لكن قلّة قليلة تدرك اهتمام السّفرين بإبراز دور المرأة في المجتمع. فقد أبرز السّفر كيف جذبت إيزابل الشريرة رجلها ورجال الدولة بل والشعب نحو الوثنيّة والفساد بتكريس طاقات الدولة كلّها لحساب الشرّ. كما أبرز السّفران أهميّة دور الكثيرات مثل بثّشبع التي لعبت دورًا في استلام سليمان الحكم، وأيضا ملكة سبأ وزوجة يربعام والأرملة التي بارك أليشع النبي دقيقتها وزينتها والفتاة الإسرائيليّة المسبية التي شهدت لإلهها أمام سادتها وامرأة نعمان السرياني الخ.

الأسفار التاريخية في عصر الملوك

السفر	موضوع السفر	السيد المسيح في السفر
١ صموئيل	الاختيار البشري "شاول"	❖ الممسوح نبياً وكاهناً وملكاً وشفيعاً. ❖ الجالس على كرسي داود أبيه، يملك أبدياً (لو ١: ٣٢).
٢ صموئيل	الاختيار الإلهي "داود"	الميثاق مع داود (٧) رمز للميثاق المسياني للعالم كله.
١ ملوك	سليمان وإسرائيل	❖ المسيح ملك السلام والمجد وهو حكمة الله (١ كو ١: ٣٠)، ❖ باني بيت الله (أف ٢: ٢٠-٢٢). ❖ ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٦).
٢ ملوك	ملوك إسرائيل	المسيح ضابط التاريخ الذي يعلن عن خطته وغايته من نحو شعبه.
١ أخبار الأيام	سليمان والهيكل	المسيح الملك أعظم من داود.
٢ أخبار الأيام	الملوك والهيكل	المهتم بتطهير هيكله، وإصلاح وشفاء كل ضعفٍ.

إسرائيل والنظام الملكي

القلب لا النظام

ليس المكان ولا النظام يخلق قديسين، بل الشركة مع الله:

أ. في ظل النظام الثيوقراطي، حيث يملك الله على شعبه خلال رجال الدين، وُجدت قيادات روحية حكيمة تقيّة، مثل موسى النبي ويشوع بن نون والقضاة الأتقياء خاصة صموئيل النبي. ووجدت فترات حالكة الظلمة، فكان كل إنسان يفعل ما يحسن في عينيه (قض ٢١: ٢٥).

ب. في ظل النظام الملكي، سبق فتنبأ موسى النبي ما سيشتاق إليه الشعب في أرض الموعد، وهو التشبّه بالأمم المحيطة بهم، وأن يكون لهم ملك (تث ١٧: ١٤). وقد تمّ ذلك، فأصروا على إقامة ملك، الأمر الذي أحزن قلب صموئيل النبي (١ صم ٨: ٦). طلب الله من نبيه صموئيل أن يسمع لهم ويُقيم لهم ملكاً (١ صم ٨: ٧).

في ظل هذا النظام وُجد ملوك باتجاهات مختلفة:

١. شاول: أُقيم حسب الهوى البشري، بسببه هلك الكثيرون.
٢. داود: جاء ثمره صلوات صموئيل النبي، أُقيم حسب إرادة الله. بالرغم من ضعفاته اُسم بالقلب النقي، فجاء من نسله "ملك الملوك" كلمة الله متجسداً.
٣. سليمان: طلب من الله الحكمة لقيادة شعبه، فوهبه الله معها مجداً وغنى، ولم يعوزه شيء. بنى هيكل الرب في أورشليم. لكنّه إذ تهاون وتزوّج بوثنيات انحرف إلى العبادة الوثنية.
٤. رحبعام: هو ابن سليمان الحكيم، لكن في جهالة لم يقبل مشورة الشيوخ الحكماء، فانقسمت المملكة في عهده إلى مملكتين:
مملكة يهوذا، تضم سبطي يهوذا وبنيامين، عاصمتها أورشليم حيث هيكل الرب، ملوكها الـ ١٩ من عائلة داود ماعدا الملكة عثليا. دامت المملكة ١٣٥ سنة.
مملكة إسرائيل، تُسمى أحياناً أفرايم من أجل أنّه أكبر الأسباط عدداً ومساحة أرض، تضم العشرة أسباط الأخرى.

ج. في ظل انقسام المملكة وُجد إيليا النبي وأليشع وغيرهما من الأنبياء، وأيضاً بعض الملوك الصالحين، مثل يوشيا وحزقيا.

د. في أرض السبي: ظهر أنبياء عظماء مثل حزقيال ودانيال، وقادة عظماء مثل نحemia وزرُبابل اللذان قادا العائدين إلى أورشليم.

سبنيان في عصر الملوك: كان أغلب ملوك إسرائيل أشرارًا، بينما كان بعض ملوك يهوذا صالحين، لهذا سمح بتأديب إسرائيل، فسباه آشور. عوض أن تأخذ مملكة يهوذا درسًا من أختها إسرائيل صنعت شرورًا أبشع، فسقطت تحت السبي البابلي على ثلاث مراحل. هناك في السبي التقى الشعبان معًا: يهوذا وإسرائيل كشعب واحد تحت التأديب.

هـ. العودة من السبي: في أيام كورش الفارسي عاد اليهود إلى إسرائيل، لكنهم لم يعرفوا الاستقلال، بل خضعوا للاستعمار الفارسي ثم اليوناني وأخيرًا الروماني. كانوا يتوقعون مجيء المسيح الملك لكي يقيم خيمة داود الساقطة، ويسيطرون على العالم، وإذ جاء ابن داود ليقوم مملكته الروحية رفضوه وصلبوه. في ظل الاستعمار وُجد المكابيون شهود حقيقيون وسط الاضطهاد المرّ. ولعلّ أهم ما تؤكدُه الأسفار التاريخية بوجه عام، والأسفار الخاصة بحقبة النظام الملكي بوجه خاص، هو أن التاريخ في يد الله. هو العامل لتحقيق وعوده للبشر بالرغم من عدم أمانة الإنسان.

ملوك إسرائيل

ق . م	
١٠٥٠ شاول	
١٠١٠ داود	
٩٧٠ سليمان	
يهودا (مملكة الجنوب)	إسرائيل (الشمال)
٩٣١ رجبام ٩٣١-٩١٥	٩٣١-٩١٠ بيرعام الأول
٩١٥ أبيام ٩١٥-٩١٢	
٩١٢ آسا ٩١٢-٨٧١	
٩١٠	٩٠٩-٩١٠ ناداب
٩٠٩	٨٨٦-٩٠٩ بعشا
٨٨٦	٨٨٥-٨٨٦ أيلة
٨٨٥	٨٨٦-٨٨١ تبني وعمري
٨٨١	٨٨١-٨٧٤ عمري
٨٧٥ يهوشافاط ٨٧٥-٨٥٠	
٨٧٤	٨٧٤-٨٥٢ أخاب
٨٥٢	٨٥٠-٨٥٢ أخزيا
٨٥٠ يهورام ٨٤٣-٨٥٠	٨٤٢-٨٥٠ يهورام
٨٤٣	٨٤٢-٨٤٣ أخزيا
٨٤٢	٨٣٦-٨٤٢ عتليا
٨٣٦ يهواش (يوآش) ٧٩٧-٨٣٦	
٨١٦	٨١٦-٨٠٠ يهواحاز
٨٠٠	٧٨٥-٨٠٠ يهواش
٧٩٩ أمصيا ٧٧١-٧٩٩	
٧٨٥ عزريا (عزيا) ٧٨٥-٨٣٤	٧٨٥-٧٤٥ بيرعام الثانى
٧٥١ يوثام ٧٣٦-٧٥١	

زكرياً ٧٤٥-٧٤٤ ٧٤٥

شلوم ٧٤٤ ٧٤٤

منحيم ٧٤٤-٧٣٥ ٧٤٤

٧٣٦ آحاز ٧٣٦-٧٢١

فقحيا ٧٣٥-٧٣٤ ٧٣٥

٧٣٤ فقح ١٦ سنّة مع آخرين ٧٣٤

ويفرده ٤ سنوات

٧٣٤-٧٣٠

هوشع ٧٣٠-٧٢٢ ٧٣٠

٧٢١ حزقيا ٧٢١-٦٩٣ (إشعيا)

٧٢٢ سقوط السامرة

٦٩٣ منسى ٦٩٣-٦٣٩

٦٣٩ آمون ٦٣٩-٦٣٨

٦٣٨ يوشيا ٦٣٨-٦٠٨ صفنيا

٦٣٩ يهوآحاز (شلوم) ٦٠٨ إرميا

٦٠٨ يهوياقيم (ألياقيم) ٦٠٨-٥٩٧

٥٩٧ يهوياكين (بكنيا) ٥٩٧ حزقيال

٥٩٧ صدقيا (متنيا) ٥٩٧-٥٨٧

٥٨٧ سقوط أورشليم.

سفران مقدّمان لك!

ليست غاية هذين السفرين هو العرض التاريخي لمملكة قديمة ولملوك عبروا، وإنما هو حديث شخصي موجه لكل إنسان ليحيا بالإيمان، في طاعة لوصية الله وفي إخلاص للعهد الذي قدّمه ربنا يسوع المسيح بدمه على الصليب.

يقدم لنا السفران عينات من ملوك صالحين وأشرار، فنتعلم من الإيجابيات كما من السلبيات:

داود الملك التقى، وسليمان الحكيم، ورحبعام الغبي، وأبيام الشجاع، وآسا المستقيم، ويهوشافاط المتدين، ويهورام الشرير، وأخزيا المدّس للمقدّسات، ويهوآش المرتدّ وأمصيا المتهور، وعزريا غير

مقدمة في سفرى ملوك الأول والثانى

الكامل فى نقاوة قلبه، وىوثام المحب للسلام، وآحاز عابد الأوثان، وحزقيا المصلح، ومنسى النائب، وآمون الغامض، وىوشيا اللطيف، وىهوآحاز وىهوىاقىم وىهوىاكىن وصدقىا جمىعهم كانوا أشرارا دفعا مملكة يهوذا إلى السبى البابلى بشرهم.

مقدّمة في سفر ملوك الأول

كان سفر الملوك الأول والثاني في الأصل العبري سفرًا واحدًا، انقسم إلى سفرين عند ترجمته إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)، لأن الترجمة تشمل حيزًا أكبر بالثلث. ويعتبر السفران معًا امتدادًا لسفري صموئيل الأول والثاني. قام على المملكة الجنوبية عشرين ملكًا وعلى المملكة الشمالية ١٩ ملكًا، وقد أظهر كيف يُحطّم الارتداد شعب الله، ويفقده وحدته وسلامه. يبقى الله أمينًا فهو يؤدّب لكي يُخلّص.

غاية السفر

١. تؤكّد الأسفار التاريخية أنّه ليس شيء جديدًا تحت الشمس. "ما كان فهو ما يكون والذي صنع فهو الذي يصنع فليس تحت الشمس جديد" (جا ١ : ٩). النفس التي ترتبط بالسيّد المسيح شمس البرّ عريسًا لها يسحبها الروح القدس من تحت الشمس إلى التجديد المستمر في الفكر الداخلي، فلا تشعر بمملٍ أو ضجرٍ، بل تحيا مهلّلة بالروح كما في السماء، لا تمسّها الشيوخة ولا يصيبها قَدَم.

❖ يكون الله كاملاً صار إنسانًا كاملاً، ودخل بكل ما هو جديد إلى الكمال؛ هذا هو الأمر الجديد الوحيد تحت الشمس، خلاله أعلن غنى قدرة الله الفائقة!^١

الأب يوحنا الدمشقي

٢. التاريخ في قبضة الله، وأن كل الأحداث، خاصة التي تمس شعب الله تُفسّر لاهوتيًا. متى حفظ الشعب العهد مع الله تمتّع بالأمان مع الخير، وإن كسر العهد وانحرف عن الإيمان يدخل تحت ضغوط شديدة. تكون المملكة قويّة متى ثبتت في الملك الحقيقي (مي ٤ : ١٣)، يهبها رحمة وعودًا ومجدًا، أمّا إذا انحرفت عنه تنهار وتسقط تحت التأديب. وراء الانقسام خطيّة رابضة في القلب. الخط الرئيسي في سفرَي ملوك الأول والثاني هو تأكيد حقيقة أن سلام إسرائيل ويهوذا ازدهارهما يقومان على أمانة الشعب والملك وإخلاصهم في تحقيق العهد مع الله.

٣. يحفظ لنا نسب السيّد المسيح الحقيقي مؤكّدًا النسب الوارد في الإنجيل بحسب القديس متى البشير.

٤. سليماننا (السيّد المسيح) يقود كل مؤمن إلى التمتع بكمال البركات السماوية مادام له القلب الكامل مع الله غير المنقسم.

¹ Exposition of the Orthodox Faith, 3:1.

٥. حقق سليمان ما عجز داود عن أن يفعله، أي بناء الهيكل، ذلك لأن يد داود قد امتدّت إلى الحروب، ولم يكن لديه إمكانيّة تكريس وقته للبناء. لكن إذ لم يكن قلب سليمان كاملاً كقلب أبيه (١١: ٤، ٦، ٣٣، ٣٨) انقسمت المملكة في أيّام ابنه رحبعام.

٦. نرى في مملكة سليمان، في مجدها وفي انهيارها، ظلّاً لإقامة مملكة المسيح أو تدميرها في داخلنا.

٧. صار تقييم الملوك مرتبطاً بشخصيّتين: داود الملك الصالح (٩: ٤؛ ١١: ٤، ٣٣، ٣٨؛ ١٤: ٨؛ ١٥: ٣؛ ١٥: ١١)، ويريعام الملك الشرير. تكرّر تعبير "خطايا يريعام" أو "طريق يريعام" ٨ مرات (راجع ١ مل ١٥: ٣٤؛ ١٦: ٢، ١٩، ٢٦؛ ٢٢: ٥٢).

٨. في هذا السفر يظهر دور المذبح في حلّ كل المشاكل.

٩. يقدّم لنا سفر الملوك درساً خطيراً عن الإيمان الجماعي، فمع التزام المؤمن بالعلاقة الشخصية بينه وبين الله، فإنّه كعضوٍ في شعب الله يلزم أن يعمل مع إخوته لحساب مملكة الله. فالبرّ الإلهي يسند النفس ويقدّس الإنسان بكلّيته وبارك الشعب ويهبه نصره ونجاحاً، كما أن الخطيّة تُحطّم الشعوب.

الكاتب

رماً عزرا الكاتب، وبحسب التقليد اليهودي إرميا النبي. وهو تجميع من مصادر تاريخيّة مثل سفر أمور سليمان (١١: ٤١)؛ وسفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل (١٤: ١٩؛ ١٦: ٥، ١٤؛ ٢٢: ٣٩)، وسفر أخبار الأيام لملوك يهوذا (١٤: ٢٩؛ ١٥: ٧، ٢٣؛ ٢٢: ٤٥). واضح أنّه وُجدت سجلات تاريخيّة وفيرة استخدمها الكاتب واسترشد بها تحت قيادة الروح القدس^١.

تاريخ ومكان الكتابة

كُتِب سفر الملوك الأول والثاني في إحدى بلاد فلسطين، رماً في أورشليم، وكان لازال الهيكل الأول قائماً.

مفتاح السفر

يُعتبر الأصحاح ١٢ هو نقطة التحوّل في السفر، حيث انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى

^١ Halley's Bible Handbook, 1965, p 189.

مملكيتين. أمّا مفتاح السفر فهو القول الإلهي: "وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب كل ما أوصيتك، وحفظت فرائضي وأحكامي، فإنّي أقيم كرسي ملكك على إلى الأبد كما كلّمت داود أباك قائلاً: لا يُعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل" (٩: ٤-٥).
 "من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإنّي أفرّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك، إلّا إنّي لا أفعل ذلك في أيّامك من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها" (١١: ١١-١٢).

المسيح في سفر الملوك الأول

❖ يرى السيّد المسيح كملك الملوك ورب الأرباب.

❖ سليمان الرجل الحكيم (٣: ١٦-٢٨)، واضع أمثال وكاتب تسابيح وأشعار. أمّا السيّد المسيح فهو حكمة الله (لو ١١: ٣١؛ ١ كو ١: ٣٠). يقول القديس كيرلس الكبير: [هذه المرأة (ملكة النمين) مع أنّها من المتبريرين، لكنّها طلبت بشغف أن تسمع سليمان... أمّا أنتم فحاضر بينكم "الحكمة" ذاته الذي جاء إليكم ليحدثكم عن الأمور السماوية غير المنظورة، مؤكّداً ما يقوله بالأعمال والعجائب، وإذ بكم تتركون الكلمة وتجتازون بغير مبالاة طبيعة تعاليمه العجيبة^١].

❖ بنى سليمان الهيكل مسكن الله عوض خيمة الاجتماع، وذلك كرمز لجسد المسيح (يو ٢: ١٩-٢٢)، وللكنيسة جسد المسيح وهيكله (١ كو ٣: ١٦-١٧؛ ٦: ١٩-٢٠).

❖ تمتع سليمان بغاية في المجد:

من جهة بناء الهيكل بأثاثاته يقدر البعض تكلفته سنة ١٩٨٠م بـ ٢٤٠ بليون دولاراً.

مجيد في بناء قصره (٧: ١-١٢؛ يو ١٤: ١-٣).

وفي مملكته (٢: ١٢؛ ١ كو ١: ١٣؛ ٢ بط ١: ١١).

وفي حكمته (٣: ١٢؛ ٤: ٢٩-٣٤؛ ١ كو ١: ٣٠).

مع كل هذا المجد يقول السيّد المسيح وقد أمسك بزنبقة حقل: "ولا سليمان في كل مجده يلبس كواحدةٍ منها" (مت ٢٩: ٦). مع أن سليمان كملكٍ ممجّدٍ يلبس ثياباً أرجوانيةً وبيضاء، وكان بهيّا جداً في قصره، لكن كل مجده لا يُقارن بالمجد الذي يهبه الله لزنبقة حقل. هكذا يُقدّم لنا السيّد المسيح هنا الحقيقة لنذكر أنّه "لا يفتخر كل ذي جسد أمامه" (١ كو ١: ٢٩).

¹ In Luc Serm. 82.

مملكة سليمان ومملكة المسيح

- ❖ مملكة متسعة وممتدة (٤: ٢٠-٢١)؛ مع (مز ٧١: ٩، ٩١).
- ❖ مملكة سلام (٤: ٢٤-٢٥؛ ٥: ٤)؛ مع (مز ٧٢: ٧).
- ❖ مملكة نظام (٤: ٢٩-٣١)؛ مع (مز ٧٢: ١١-١٦).
- ❖ مملكة عدل (١٠: ٨-٩)؛ مع (مز ٧٢: ١-٤، ١٢-١٤).
- ❖ مملكة غنى وخير (١٠: ١٣، ٢٧)؛ مع (مز ٧٢: ١٠، ١٦).

الكنيسة في سفر ملوك الأول

أعدَّ داود الملك كل المواد لبناء الهيكل وقام ابنه سليمان بالبناء. هكذا أعدَّ الآب كل شيء للخلاص وقام الابن الوحيد بالعمل الخلاصي، فبنى كنيسة الله، هيكله المقدَّس، أقامها على نفسه الصخرة والأساس، فجاءت بناءً روحياً حياً (يو ٦: ٣٧، ٤٤؛ مت ١٦: ١٨؛ أف ٢: ٢٠-٢٢).

العلامة أوريجينوس هو أول من أعلن عن الكنيسة كمدينة الله هنا على الأرض^١، تعيش إلى حين جنباً إلى جنب مع الدولة المدنيَّة^٢.

❖ من الواضح أن المسيح يصف الكنيسة كبيتٍ روحي، وكبيت الله. ويعلم بولس الرسول قائلًا: فإن كنت أمكث فيها كثيرًا، فهذا حتى تعرفوا كيفية السلوك في بيت الرب، الذي هو كنيسته، عمود الحق وأساسه. فإذا كانت الكنيسة هي بيت الله، ولأن كل ما للآب هو أيضًا للابن، فالكنيسة بالتالي هي بيت ابن الله^٣.

العلامة أوريجينوس

في رسالته إلى أهل أفسس، يصور القديس بولس الكنيسة كبناء المسيح، الذي ينمو ليصبح "هيكلًا مقدَّسًا للرب" (أف ٢: ٢١ الخ.)، ويتكلم أوريجينوس عن الكنيسة كهيكل الله الروحي، فيقول:

❖ يسكن روح المسيح في من يحملون شبهه، أقول، من جهة الشكل والسمات، حتى أن كلمة الله، تود توضيح هذا الأمر لنا بجلاء، فيقدِّم الله في عودته للأبرار: "إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (٢ كو ٦: ١٦؛ لا ٢٦: ١٢؛ إر ٣: ٣٣؛ ٣٢: ٣٨؛ زك ٨: ٨). ويقول المخلص: "إن أحببني أحد يحفظ كلامي، ويحبُّه أبي، وإليه تأتي، وعنده نصنع

¹ In Jer. Hom. 9:2; In Jos. Hom. 8:7.

² Quasten: Patrology, volume 2, p. 82.

³ Comm. On the Song of Songs, Book 3:3.

منزلاً" (يو ١٤: ٢٣)...

وفي أجزاء أخرى من الكتاب المقدس يتحدث عن سرّ القيامة، للذين قد فتحت آذانهم إلهياً، ويقول إن الهيكل الذي تمّ تدميره يُعاد بناؤه من جديد من أحجار حيّة وثمانية. هذا يجعلنا نفهم أن كل من تقودهم كلمة الله إلى الكفاح معاً في طريق التقوى، يكون حجراً ثميناً في هيكل الله العظيم الواحد. لذلك يقول بطرس الرسول: "كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حيّة، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدّساً، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله، بيسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥). ويقول أيضاً بولس الرسول: "مبنين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه، حجر الزاوية" (أف ٢٠). كما يوجد ما يشبه ذلك بتلميخ خفي في تلك الفقرة من إشعيا التي يُخاطب فيها أورشليم: "هأنذا أبني بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أوسّسك، وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تحومك حجارة كريمة، وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً" (إش ٥٤: ١١-١٤).
 إذن يوجد بين الأبرار من هم أثمد، ومن هم ياقوت أزرق، وآخرون بهرمان، أو حجارة كريمة، أي فيهم كل الأنواع للاختيار^١.

العلامة أوريجينوس

هيكل الرب

- ❖ كشف هذان السفران عن دور هيكل الرب في حياة شعب الله.
- ❖ مع كل ما امتاز به داود الملك من إخلاص في علاقته بالرب، مُنع من إقامة بيت الرب لأنه كان رجل حروب، وسمح لابنه سليمان أن يقيمه كهبة سماوية وعطيّة إلهية مقدّمة لرجل الحكمة سليمان.
- ❖ خصّص سفر الملوك الأول ثلاثة أصحاحات لوصف إنشاء الهيكل وأخيراً خصّص الأصحاح الثامن لتدشينه.
- ❖ كانت خطية يربعام الكبرى أنه بنى هيكلين في بيت إيل ودان ليمنع الشعب من الصعود إلى بيت الرب في أورشليم للعبادة.
- ❖ من أهم سمات ملوك يهوذا الصالحين في عينيّ الرب أنّهم كانوا يعبدون الرب في هيكله،

^١ Contra Celsus 8:28,29.

ويحملون إليه تقدمات، ويهتُمون بإصلاحاته، وينزعون كل عبادة وثنية عنه أدخلها ملوك أشرار سلفاء لهم.

❖ عندما كان الرب يعلن تأديباته لشعبه يسمح لأمم غريبة أن تدخل بيته وتتهب أنيته وكنوزه وتُنَجِّسه. وأخيراً إذ أراد أن يكشف عن مدى غضبه لشعبه سمح بدمار الهيكل بواسطة بابل.

الموضوعات الرئيسية

- الملك: قوّته في حفظه للعهد الإلهي. لديه الكلمة الإلهية، والكاهن، والنبى، والمشيرون.
- الهيكل: قدسيته تكمن في سكنى الله في القلب.
- المشورة: لا يوجد إنسان لا يحتاج إلى مشورة الحكماء.
- آلهة أخرى: تشكل العابدين على صورتها.
- رسالة النبى: يعبر عن صوت الله الذي لا يجامل.

الأشخاص الرئيسيون

١. داود: اهتمامه بالوصية الإلهية.
٢. سليمان: حكيم وعالم، لكنّه انحرف.
٣. رحبعام: لا يقبل المشورة (أم ١١ : ١٤ ؛ ١٥ : ٢٢ ؛ ٢٤ : ٦).
٤. يربعام: يسيء استخدام الحق.
٥. إيليا: يُقيم الله شهوداً له أماناً.
٦. أخاب: ملك تسيطر عليه زوجته.
٧. إيزابيل: تركز طاقتها للشر.

المدن الرئيسية

١. شكيم: اجتمع فيها الأسباط العشرة (١١ : ٢٦ ؛ ١٢ : ١٩)، توجوا رحبعام ملكاً، وصارت عاصمة إسرائيل.
٢. دان: أحد مركزين للعبادة حيث وُضع عجل في كل منهما، ليكون المركزان بديلاً لأورشليم (١١ : ٢٨-٢٩)، أحدهما في الشمال والثاني في الجنوب.
٣. بيت إيل: بالقرب من أورشليم، وضع فيه يربعام العجل الثاني.
٤. ترصة: أصبح بعشا ملكاً على إسرائيل بعد أن اغتال ناداب، ونقل العاصمة من شكيم إلى

ترصة (١٥: ٢٧؛ ١٦: ٢٢).

٥. السامرة: عندما أصبح عمري ملكاً اشترى تلاً بنى عليه عاصمة جديدة. وكان ابنه أخاب أشر ملوك إسرائيل. وكانت زوجته إيزابل تعبد البعل (١٦: ٢٣-٣٤).

٦. جبل الكرمل: تحدّى إيليا النبي أنبياء البعل وعشتاروت على جبل الكرمل، وهناك أخذهم وقتلهم (١٧: ١؛ ١٨: ٤٦).

٧. يزرعيل: بعد قتل أنبياء البعل رجع إيليا النبي إلى يزرعيل، فأقسمت إيزابل أن تقتله، فهرب لحياته. لكن الله اعتنى به وشجّعه. وفي أثناء رحلاته مسح الملكين القادمين لأرام (سوريا) ولإسرائيل، كما مسح أليشع نبياً ليخلفه (١٩: ١-٢١).

٨. راموت جلعاد: أعلن ملك أرام (سوريا) الحرب على المملكة الشماليّة، لكنّه هُزم في موقعتين. احتل الأراميون راموت جلعاد، فاتّحد أخاب ويهوشافاط لاستعادة المدينة. غير أن أخاب قُتل في المعركة، ثم مات يهوشافاط (٢٠: ١؛ ٢٢: ٥٣).

أقسام السفر

يتحدّث هذا السفر عن: ملك سليمان، بناء الهيكل، سمو بلاط سليمان الملكي، العصر الذهبي في التاريخ العبري، انقسام المملكة وانحطاطها، ارتداد مملكة الشمال، ظهور إيليا النبي.

القسم الأول: المملكة المتّحدة [ص ١ - ص ١١].

أولاً: سليمان في مجده:

١. إقامة سليمان ملكاً واستقراره [١-٢].
٢. سليمان يطلب الحكمة [٣].
٣. سليمان كمدبر للمملكة [٤].
٤. بناء الهيكل وتدشينه [٥-٨].

ثانياً: انحدار سليمان:

١. عصيانه للعهد [٨: ٩-١١].
٢. تأديب سليمان [١١: ٩-٤٠].
٣. موت سليمان [١١: ٤١-٤٣].

القسم الثاني: المملكة المنقسمة [ص ١٢ - ص ٢٢].

أولاً: تمزيق المملكة:

رحبعام ويريعام

ثانياً: انهيار المملكة:

١. يريعام

٢. ملكان في يهوذا

٣. خمسة ملوك في إسرائيل

٤. أخاب ملك إسرائيل

٥. يهوشافاط في يهوذا

٦. آحاز في إسرائيل

[١٢].

[١٣-١٤].

[١٥ : ١-٢٤].

[١٥ : ٢٥ ؛ ١٦ : ٢٨].

[١٦ : ٢٩ ؛ ٢٢ : ٤٠].

[٢٢ : ٤١-٥٠].

[٢٢ : ٥١-٥٣].

سليمان في ضعفه	سليمان العظيم
١. على خلاف والده قتل أخاه (٢): (٢٤).	١. دعاه ناثان "يديديا" = محبوب الرب (٢) صم ١٢: ٢٥).
٢. مثل شاول سقط في الكبرياء (١٠: ١٨-٢٩).	٢. كرسيه أعظم من كرسي أبيه (١: ٤٦).
٣. أغوته نساؤه نحو الوثنيّة (١١).	٣. تمّتع ببركة أبيه قبل موته (٢: ١).
٤. فقد سلامه مع الله إلى حين (سفر الجامعة).	٤. طلب الحكمة السماويّة (٣).
	٥. اتّسعت تخوم مملكته ٦٠٠٠٠ ميلاً مرّعباً (٤: ٢١) [عشر أضعاف مملكة أبيه].
	٦. بنى هيكل الرب (٦).
	٧. بُهرت ملكة سبأ بشخصه وخدماته، وبإلهه، فلم يبقَ فيها روح (١٠: ٥).
	٨. قدّم أعذب أنشودة حبّ لله (سفر النشيد).
	٩. بدأ حياته الملوكيّة بالصلاة [٣] وختمها بالتوبة.

ملحق خاص عن انقسام المملكة

المملكة المتّحدة

عند قرب نياحة داود الملك حاول أدونيا أن يستولى على الحكم، لكن ناتان النبي أخبر الملك وقام بتتويج سليمان ملكاً (ص ١). استلم سليمان الحكم، وسار في خوف الله وتمنّع بالحكمة السماوية. اتّسعت في أيامه رقعة إسرائيل وبلغت أوج عظمتها، وكادت أن تكون أعظم إمبراطورية في ذلك الحين. وتحقّق الوعد الإلهي حيث امتدّت من حدود مصر حتى حدود بابلونيا، وسادت المملكة السلام مع الغنى والمجد. لقد كانت موضع احترام وتقدير الدول المحيطة بها، وجاءت ملكة سبأ لتسمع حكمة سليمان. من الجانب الديني قام سليمان ببناء الهيكل الذي حُسب أحد عجائب الدنيا. ووضع تابوت العهد فيه، وامتلاً الهيكل بمجد الله، وقدم سليمان صلاة تدشين رائعة. لكن زواجه بالوثنيّات دفعه نحو العبادة الوثنيّة.

المملكة المنقسمة

بموت سليمان اختار ابنه رحبعام المشورة الغيبية حيث نادى بزيادة الضرائب بطريقة مملوءة عنفاً وكبرياء، فقاد يربعام حركة تمرد وانشق عن رحبعام عشرة أسباط، وأقاموا منه ملكاً. انقسمت المملكة. كان هذا بداية فترة من الفوضى والصراع بين مملكتين ومجموعتين من الملوك.

سرّ الانقسام

يرى بعض الدارسين أن هذا الانقسام ليس وليد يومه، بل تمتد جذوره إلى أجيال قديمة. **وُجد في إسرائيل فريقان:**

الفريق الأول يطلب النظام الملكي كتطورٍ ضروريٍّ وطبيعيٍّ لأمةٍ مستقرّةٍ ومتّسعةٍ بعد أن كانت أمةً صغيرةً في أرض العبوديّة وخرجت إلى البريّة في رحيل مستمر، أشبه بحياة البدو وليس حياة الحضرة.

لعلّه رأت بعض القيادات أن وجود أسباط متعدّدة بغير ملك قد فتح الباب لدخول بعض الدول الأخرى في وسطهم والسيطرة عليهم. فواضح ممّا جاء في صموئيل الأول: "بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين" (١٠: ٥)، فقد سيطر الفلسطينيون على الأسباط التي في الوسط، وأقاموا ولاة كما في جبعة. وأيضاً منع الفلسطينيون جميع إسرائيل من ممارسة مهنة الحدادة "لأن الفلسطينيين قالوا لنلّا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً" (١ صم ١٣: ١٩).

لقد وُجِدَت إسرائيل وهي مجموعة من الأسباط أشبه بقبائل ريفية في حاجة إلى الدخول في نظام ملكي مستقر له نظامه وقوانينه وجيشه الواحد المنظم، يُحسب جيش الملك، وليس كما في فترة القضاة يظهر من وقت إلى آخر قائد حربي مخلص لمجموعات من الأسباط، حياتهم أشبه بحياة البدو وليس حياة الحضر. في ذلك الوقت أيضًا تطوّرت حياة بعض البلاد المحيطة بهم وتكوّنت ممالك مثل العمونيين والموابيين والأراميين. لذا رأى إسرائيل أن يسير على خطى أبناء عمّهم، فيتبع التطور العادي.

هذا وأن ضعف الممالك الكبرى مثل مصر لم يقف عائقًا عن تحقيق هذا التطور.

لقد أُثير موضوع الملكية في أيام القضاة قبل صموئيل النبي. فقد أراد الإسرائيليون أن يقيموا جدعون ملكًا، إذ قالوا له: "تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك خلصتنا من يد مديان" (قض ٨: ٢٢) لكنّه رفض. وقد حاول أبيمالك أن يقيم نفسه ملكًا (قض ٩: ١)، فأقامه بنو شكيم ملكًا (قض ٩: ٦)، لكن غدر به بنو شكيم (قض ٩: ٢٣)، ولم تتجح فكرة إقامة مملكة.

فريق آخر يرى في النظام الملكي خطورة على المزارعين الذي غالبًا ما يحتكرهم الملك وماشيتهم ويسيء استغلال إمكانيات الشعب. هؤلاء يغارون على حقوقهم وحرّيتهم وتصطدم مصالحهم مع "حق الملك" في استغلالهم (١ صم ٨: ١١-١٧). لا يقف الأمر عند الملك، وإنما يمتد إلى حاشيته. لقد أدرك البعض أن الملك غالبًا ما ينحاز لسبطه، وهذا ما حدث مع شاول إذ نرى حاشية للملك منها هيئة أركان مؤلفة من يونانان ابنه، وأبنير ابن عمه وقائد الجيش. نراه يريد أن يربح ولاء قواد الجيش عبيده فوزع عليهم الحقول والكروم ويقول لهم: "اسمعوا يا بنيامينيون، هل يعطيكم جميعكم ابن يسّ حقولًا وكرومًا، وهل يجعلكم جميعًا رؤساء ألوف ورؤساء مئات؟!" (١ صم ٢٢: ٧). لم يذكر الكتاب المقدس على حساب من تم هذا السخاء الملكي.

لعلّ من أسباب المعارضة للنظام الملكي أيضًا المنازعات بين الأسباط، ففي قصة اللاوي وسرّيته الواردة في قضاة (١٩-٢١) نرى كيف كان كل الأسباط ضد بنيامين حتى كاد أن يُفقد السبط كلّهُ، إذ "جاء الشعب إلى بيت إيل وأقاموا هناك إلى المساء أمام الله ورفعوا صوتهم وبكوا بكاءً عظيمًا، وقالوا: لماذا يا رب إله إسرائيل حدثت هذه في إسرائيل حتى يفقد اليوم من إسرائيل سبط؟!" (قض ٢١: ٢-٣). هذا السبط الذي جاء منه شاول أول ملك على إسرائيل في أيام صموئيل النبي.

ظهر هذا الانشقاق حتى بعد مسح داود ملكًا، فقد ملك على يهوذا أولاً لمدة سبع سنوات ورفضته أسباط الشمال، حتى شعر أبنير رئيس جيش شاول بضرورة ضم الأسباط تحت لواء داود الملك، وقد نال داود نعمة في أعين كل الأسباط حيث ملك ٣٣ سنة على كل الأسباط.

ظهر نوع من التحيز لسليمان فيبدو أنه فرض ضرائب عالية على الأسباط ماعدا يهوذا لبناء الهيكل وقصره والمنشآت الضخمة في أرض يهوذا، ممّا أحدث ثورة نفسية داخلية في الأسباط الأخرى، لم يستطيعوا أن يعبروا عنها بأي نوع من التمرد. ولعلّ ما تنبأ به أخياً النبي ليربعام عن استلامه عشرة أسباط ليملك عليها يكشف عن شعور عام من السخط بسبب ما تتحمّله الأسباط من التزامات مادية وسخرة لحساب الملك ووسطه. هذه الخلفية هيأت العشرة أسباط للثورة ووجدت في يربعام الفرصة للتمرد على السبط الملكي (يهوذا) ولم ينضم إلى السبط الملكي سوى سبط بنيامين المجاور له.

يظن البعض أنه حتى قبل قيام النظام الملكي وجد انشقاق بين الأسباط، أسباط تميل بالأكثر إلى التقليد الأدوناي حيث يتطلعون إلى الله القدير الذي يخلص بقدرته (منه تكونت مملكة الشمال). والفرق الآخر يميل بالأكثر إلى التقليد اليهودي يتطلعون إلى الله "يهوه" الكائن وسط شعبه يحميهم بسكناه ووسطهم وحنوه. لا يوجد خط فاصل بين التقليدين، فإنّه وإن مال أحد إلى تقليد لا يتجاهل التقليد الآخر. تميل مملكة الشمال بالأكثر نحو التقليد الأدوناي بينما تميل مملكة الجنوب بالأكثر نحو التقليد اليهودي.

المملكة المنقسمة وسلسلة الخطايا

إن كان سليمان قد أخطأ وأيضاً ابنه ربعام، لكن انقسام المملكة على يد يربعام دفع إسرائيل إلى سلسلة من الخطايا لم تتوقف حتى تم السبي الآشوري:

❖ عودة إلى عبادة العجل الذهبي، إذ صنع يربعام عجلين، وضع أحدهما في بيت إيل والآخر في دان [١٢].

❖ أقام عيداً من عندياته يقابل ما يحدث في يهوذا [١٢].

❖ استخدم كهنة المرتفعات يقدّمون وقائد [١٢].

❖ تسرب الغش والخداع حتى بين الشيوخ، ف جذب شيخ نبي رجل الله القادم من يهوذا لينذرهم إلى العصيان، وافترس أسد الرجل الأخير [٣].

❖ أخبر أخياً النبي امرأة يربعام بموت ابنها، ونزع الملك من يربعام [٤].

❖ جاء خلفاؤه أشراراً، من بينهم أخاب الذي تزوج إيزابل ابنة كاهن البعل، فكرست طاقاتها لنشر

عبادة البعل بصورة واسعة جدًا.

❖ انتهت المملكة بالسيبي إلى أشور لتأكيد أن التاريخ كله في يد الله الذي يؤدّب ليخلص. ولتأكيد أن الارتداد عن الإيمان دودة قاتلة تُحطم الشجرة تمامًا. بدون الشمس لا توجد حياة على الأرض، وبدون الله تتحطم البشرية.

❖ جلبت الخطيئة انقسامًا وحروبًا أهلية، وجلب الانقسام خطايا.

❖ لا نجد ملكًا واحدًا في إسرائيل صالحًا، أمّا في يهوذا فوجد ملوك أشرار، ووجد ملوك أتقياء ومصلحون.

إقامة مملكة الشمال

كانت مملكة الشمال أوسع من مملكة الجنوب وأكثر غنى وسكانًا من مملكة الجنوب. واعتبرت نفسها الوراثة الكاملة للتقاليد الوطنية والدينية. ولهذا فأهميتها تضاهي أهمية مملكة الجنوب بالنسبة إلى التاريخ البيبلي (الكتابي). ولكن وجب عليها منذ البداية أن تحل بعض المسائل الشائكة.

من يكون الحاكم؟

اتخذ إسرائيل ملكًا له قائدًا مشهورًا عاش في المنفى، اسمه يريعام. كان قد حاول القيام بانقلاب ضد سليمان، ولما فشل لجأ إلى مصر (١ مل ١١: ٢٦-٤٠). وعده النبي أخيا بسلالة ثابتة مثل سلالة داود (١ مل ١١: ٣٨) مع وضع شرط يلتزم به هو ونسله. في الواقع خلفه ابنه، لكن مؤامرة أطاحت به بعد سنة من الحكم فخلال مائتي سنة تقريبًا عرفت مملكة الشمال ١٤٠ سنة من الاستقرار السياسي: بين ٨٨٦، ٧٤٧ ق.م تسلّمت أسرطان الحكم: أسرة عمري وأسرة ياهو. وفصل السلالتين انقلاب دموي مخيف. ولكن حدث ثلاثة انقلابات قبل سنة ٨٨٦ ق.م وأربعة بعد سنة ٧٤٧ ق.م. ومهما يكن من أمر، لم يكن يومًا لملوك الشمال الطابع القدسي الذي كان لملوك الجنوب المنحدرين من داود وحاملي الهالة المرتبطة بوعد ناتان لداود.

حكم مملكة إسرائيل تسع عشر ملكًا، أشهرهم عمري (٨٨٦-٨٧٥ ق.م) وأخاب ابنه (٨٧٥-٨٥٣) ويريعام الثاني (٧٨٧-٧٤٧ ق.م).

حافظت الملكية الجديدة بشكل إجمالي على البنية السياسية والإدارية التي وضعها سليمان. ولكنها احتاجت إلى عاصمة. فبعد بديلات عديدة، اشترى عمري هضبة وبنى عليها مدينة محصنة وسماها السامرة. وقعت في قلب المملكة على ملتقى الطرق، فأشرفت على ما يحيط بها. ونمت نموًا سريعًا،

فظلت مركزًا هامًا بعد زوال مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م.

البنية الدينيّة

تستند البنية السياسيّة إلى البنية الدينيّة. كانت المملكتان تعبدان ذات الإله الواحد، ديانة واحدة، لكن مملكة الشمال شعرت بالحاجة إلى عاصمة وإلى هيكل عام ومذبح عام للشعب. أراد يربعام الأول أن يزاحم هيكل أورشليم الذي بناه سليمان، فأختار معبدتين مشهورين: دان في الشمال وبيت إيل في الجنوب، وجعل فيهما "عجلين ذهبيين" (١ مل ١٢: ٢٦-٣٣). لقد صنعوا العجلين الذهبيين، ولكن للتعبير عن عبادة الله الخفي. وأقاما مذبحين، واحد في دان والآخر في بيت إيل، حتى لا يحن الشعب إلى هيكل سليمان والذهاب إلى أورشليم ممّا قد يدفع إلى ثورة الشعب ضد ملوك إسرائيل والرغبة في الخضوع لملوك يهوذا. يرى البعض أن هذين التمثالين اللذين يرمزان إلى القوّة والخصب، يكوّنان موطنًا للإله الخفي الذي يتصوّرونه واقفًا على حيوان. ولكن وُجدت حيوانات مشابهة في هيكل الكنعانيين الكثيرة في مملكة الشمال. وكانت الديانات الوثنيّة تجتذب السكان الذين اعتبروا أنّهم يحتاجون إلى هؤلاء الآلهة: فالهة الطبيعة والزراعة يقدّمون وفرة المحصولات والصحة والخصب للقطعان. هؤلاء الآلهة يقدّمون الأمان في الحياة اليوميّة للناس.

لقد خاطر يربعام حين أدخل الصور الكنعانيّة إلى شعائر عبادة الرب، فخلط الناس بين الرب والآلهة، وجعلوا إله إسرائيل على مستوى الآلهة الوثنيّة. بعد خمسين سنة تطوّر الوضع بصورة أخطر حين تزوّج الملك أخاب إيزابيل، ابنة ملك صور الوثني، فشجّعت ديانة البعل الشبيهة بالديانات الكنعانيّة.

كانت خطيّة إسرائيل تميل بالأكثر إلى العبادة الوثنيّة، أي الزنا الروحي، بينما كانت خطيّة يهوذا هي بالأكثر العصيان للوصيّة وتجاهل كلمة الرب. صارت عبادة العجل علامة استقلال مملكة الشمال عن يهوذا وأسرة داود، وقد وضع يربعام الجذور بطريقة بها لم تنزع هذه العبادة حتى سقطت المملكة بالسبي الأشوري.

دخلت عبادة البعل بواسطة إيزابيل زوجة أخاب الملك واستطاع إيليا وأليشع وياهو أن يقتلعوها. كل الملوك الـ ١٩ للشمال عبدوا العجل، بعضهم عبد البعل لكن لم يحاول أحد أن يرد الشعب إلى عبادة الله.

بالرغم من أن أغلب ملوك الجنوب كانوا يعبدون الأوثان وسلكوا في طرق ملوك إسرائيل الشريرة لكن بعضهم خدم الله ووُجد بينهم مصلحون عظاماء. انحرفت مملكة يهوذا شيئًا فشيئًا نحو ممارسة

عبادة البعل المرعبة وبعض الديانات الكنعانية حتى صار الجرح خطيرًا والمرض عديم الشفاء.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي

لم تكن هذه الحقبة أفضل ما يكون بالنسبة إلى صغار القوم في المملكة. فعدم الاستقرار السياسي والجفاف خلق وضعًا من الضيق العظيم (١ مل ١٧ : ١٢ ؛ ٢ مل ٦ : ٢٥-٢٩). ولكن حتى القرن التاسع لم تظهر الفوارق الاجتماعية إلا قليلاً. فأخاب يبدو كملك مزارع لا يستطيع إلا بصعوبة أن يضع يده على كرم نابوت جاره (١ مل ٢١). وخلال حصار السامرة لم يكن الملك يورام أيسر من سائر الناس (٢ مل ٦ : ٢٧) رغم ما تقدّمه التجارة غير المشروعة من طعام للطبقات الميسورة. في القرن الثامن تطوّر الوضع تطورًا سريعًا. فكانت أيّام يربعام الثاني حقبة من الازدهار والتوسع. لكن لم يستفد من هذه الحالة إلا فئة قليلة بفضل التجارة الدولية التي كانت في يد الملك وحاشيته. وهكذا وُلدت طبقة غنيّة عاشت في ترفٍ يشكك الناس. أمّا الآخرون فاقترضوا من الأغنياء، ولما لم يستطيعوا أن يردّوا المال باعوا نفوسهم عبيدًا. وأمّا القضاة الذين أقيموا لينصفوا المساكين فباعوا نفوسهم إلى الأغنياء الذين استمروا يستغلّون الناس بكل طمأنينة.

السياسة الخارجية

بعد موت سليمان، توقّفت سياسة التوسّع والامتداد التي قام بها داود. واستعادت الشعوب استقلالها شيئًا فشيئًا. فلم نعد أمام دولة موحّدة بين مصر وبلاد الرافدين، بل سلسلة من "الدول" الصغيرة التي تتحدّ يومًا وتتحارب يومًا آخر. فأراميو دمشق تحالفوا بعض الوقت مع إسرائيل ضد يهوذا (إش ٧). ولكنهم خاصموهم مرارًا: حاصروا السامرة مرّتين (١ مل ٢٠ : ١ ؛ ٢ مل ٦ : ٢٤)، وقُتل أخاب وهو يحاربهم (١ مل ٢٢ : ٣٤-٣٥). وخسر يوآحاز كل جيشه بعد أن أباده ملك أرام (٢ مل ١٣ : ٧). أحسّ الجميع أن الخطر الأكبر يأتي من بلاد الرافدين حيث صارت أشور إمبراطورية عظيمة ذات تنظيم حربي قوي جدًّا، سياستها القمع والقتل. فضلّت الشعوب أن تخضع لها وتدفع جزية كبيرة لتتجو من الكارثة.

حاول إسرائيل في البداية أن يقاوم. فأرسل أخاب ٢٠٠٠ مركبة و ١٠٠٠٠ جندي إلى الحرب، وتحالف مع ملوك آخرين. فقُهرروا جميعًا ونجا بنفسه حين دفع الجزية كما فعل بعده ياهو (سنة ٨٤١ ق.م) ويوآش (سنة ٨٠٣ ق.م) ومحنائيم (سنة ٧٣٧ ق.م). كيف نعرف هذه الأخبار؟ من الوثائق الآشوريين.

وُجدت أوقات راحة خفّف فيها الآشوريون من قبضتهم، فاستفاد يربعام الثاني من الوضع ليستعيد

دمشق. ولكن الخطر الآشوري بدأ من جديد في الأفق مع تغلث فلاسر الثالث (٧٤٧-٧٢٧)، ففي سنة ٧٣٢ ق.م تغلث على حلف أرامي إسرائيلي وضمَّ مملكة دمشق وثلاث مقاطعات إسرائيلية.

مملكة الشمال ٩٣٣-٧٢١ ق.م

- ال ٥٠ سنة الأولى في صراع مع يهوذا وسوريا.
- ال ٤٠ سنة التالية ازدهار تحت بيت عمري.
- ال ٤٠ سنة التالية انحدرت تحت يهو ويهوآحاز.
- ال ٥٠ سنة التالية بلغت أقصى اتساعها بواسطة يربعام الثاني.
- ال ٣٠ سنة الأخيرة صارت في عارٍ وسُبيت.

مملكة الجنوب ٩٣٣-٦٠٦ ق.م

- ال ٨٠ السنة الأولى ازدهار ونمو في القوة.
- ال ٧٠ السنة التالية كارثة دخول عبادة البعل.
- ال ٥٠ السنة التالية بلغت أقصى اتساعها تحت عزيا.
- ال ١٥ السنة التالية خضعت للجزية لأشور في عهد آحاز.
- ال ٣٠ السنة التالية استعادت استقلالها في عهد حزقيا.
- ال ١٠٠ السنة الأخيرة أغلب المدّة تابعة لأشور.

العلاقة بين المملكتين

- ال ٨٠ سنة الأولى في حروب مستمرة.
- ال ٨٠ سنة التالية في سلام.
- ال ٥٠ سنة حرب متقطّعة.

<p>المملكة المنقسمة</p> <p>٢٢-١٢</p>	<p>المملكة المتّحدة</p> <p>١١-١</p>
<p>١. انقسمت المملكة بسبب فساد سليمان بزواجه من الوثنيّات، وبسبب تصلّف ابنه رحبعام الذي سمع لمشورة الشبان العنيفة ورفض حكمة الشيوخ (١٢).</p> <p>٢. انقسمت المملكة إلى:</p> <p>أ. مملكة يهوذا (وبنيامين)، ملكها رحبعام بن سليمان.</p> <p>ب. مملكة إسرائيل، ملكها يرعام.</p> <p>٣. اتّسم ملوك المملكتين بالفساد، عدا قلة من ملوك يهوذا.</p> <p>٤. لم يترك الله نفسه بلا شاهد، فأرسل إيليا النبي الناري يقف أمام أخاب الشرير ملك إسرائيل وزوجته إيزابل.</p> <p>إيليا الغيور يوقف المطر (١٧).</p> <p>إيليا الشجاع والنار التي التهمت الذبيحة (١٨).</p> <p>إيليا والشعور بالعزلة (١٩).</p> <p>٥. نصره الشرّ إلى حين.</p> <p>أعطى الله لأخاب فرصاً كثيرة ليرجع إلى نفسه، لكنّه تمادى في الشرّ وقتل نابوت اليزرعيلي ليرث قفله فانهار الملك وزوجته الشريرة (٢٠-٢٢).</p>	<p>نشأة مملكة سليمان:</p> <p>تقوم مملكة الله فينا على أساسين:</p> <p>١. كتحقيق لوعده الله لأبائنا. نال سليمان ما وعد الله به داود (٢: ١٥؛ ١ أي ٢٢: ٩).</p> <p>٢. طلب الحكمة السماويّة (٣)</p> <p>عظمة مملكة سليمان:</p> <p>يكن سرّ عظمة مملكة الله فينا في ثلاثة أمور:</p> <p>١. الثقة في الله واهب الغنى والسلام والمجد (٤).</p> <p>٢. إقامة هيكل الله الداخلي، سكنى الله فينا (٥-٩).</p> <p>٣. الالتصاق بحكمة الله. اشتهدت ملكة سبأ أن تسمع سليمان (١٠).</p> <p>انهيار سليمان:</p> <p>الاتّحاد بالشرّ (الزوجات الوثنيّات) يؤدي حتماً إلى الانحدار (١١).</p>

من وحي سفر الملوك الأول

أقمني ملكًا حكيمًا وتقياً

يا ملك الملوك

- ❖ أنت هو ملك الملوك، يا ابن داود.
تشتهي أن تُقيم منِّي ملكًا حكيمًا وتقياً.
تقيم خيمة داود الساقطة في داخلي.
- ❖ سليمان طلب منك الحكمة، فوهبت له كل شيء.
لأقتنيك، فأنت هو الحكمة الإلهي.
أقتنيك فلا يكون للجهالة ولا الفقر والعار موضع فيَّ.
لأُتحد بحكمتك وحدها كعريس نفسي،
فلا أتحد مع وثنيات أجنبيات كسليمان.
- ❖ هب لي مع سليمان أن أقيم لك بيتًا مقدسًا.
روحك القدوس هو الذي يُدشّنه.
يسكنه الآب السماوي، وحوله السمايون.
- ❖ هب لي مع سليمان نجاحًا في كل عمل،
فأنت سرّ حياتي ونجاحي وغناي وفرحي.
- ❖ لتطرد من داخلي غباوة رجبعام وشرّ يربعام.
فلا يحل في داخلي انقسام.
ولا أقيم في داخلي عبادة العجلين.
- ❖ لا تسمح لي أن أتحد مع أخاب بإيزابل الشريرة.
فتتسلّل عبادة البعل والعشتاروت إليَّ.
- ❖ هب لي قلب إيليا الناري،
يذبح كل سيّد احتل مذبحك فيَّ،
يبعث في أعماقي شوقًا للتوبة.

ملوك الأول - المقدمة

أتمتع بك وبنار روحك القدوس.

فأصير بالحق ملكاً، موضع سرورك، يا ملك الملوك.

الباب الأول

المملكة المتحدة

[ص ١ - ص ١١]

- ❖ استقرار مملكة سليمان [١-٢].
- ❖ حكمة سليمان وغناه [٣-٤].
- ❖ أعمال سليمان ونشاطه [٥-٩].
- ❖ عصر سليمان الذهبي [١٠].
- ❖ انحدار سليمان وموته [١١].

الأصحاحان ١-٢

استقرار مملكة سليمان

في هذين الأصحاحين نرى سليمان بن داود المولود من بثشبع التي لم يكن يحق لداود أن يتزوجها، ولم يكن البكر الذي له أن يخلف أباه على العرش، أختير للملك بواسطة أبيه، بناء على دعوة إلهية. إذ قيل له: "هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة، وأريحه من جميع أعدائه حوالیه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلامًا وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني بيتًا لاسمي، وهو يكون لي ابنًا وأنا له أبًا، وأثبتت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد" (١ أي ٢٢: ٩).

يبدو أنه كان من المتوقع أن يتسلم العرش أدونيا، الابن الرابع لداود، (١ مل ٢: ١٥، ٢٢)، إذ مات الأبناء الثلاثة السابقون: أمنون وأبشالوم (٢ صم ٣: ٢-٥) وكيلاب.

إذ شاخ داود جدًا خطط أدونيا لاستلام الملك، لكن ناثان النبي أطاح بالخطئة، وتسلم سليمان المملكة، وكان سليمان كريمًا في معاملته مع أخيه. لكن إذ صمم أدونيا على استلام المملكة قتله سليمان.

الأصحاح الأول

إقامة سليمان ملكاً

اختيار خليفة لداود الملك كان بالأمر الذي يحتاج إلى تدخّل إلهي، إذ لم يكن في ذلك الوقت قد وُجد نظام ثابت. كان النظام الملكي حديثاً بالنسبة لإسرائيل، لم يمارسه سوى ملكان هما شاول من سبط بنيامين، وداود من سبط يهوذا. لم يخلف شاول أحد أبنائه، ولا أحد أفراد أسرته أو عشيرته أو سبطه، بل ورثه داود كرجل الله المعين منه مباشرة. وقد سبق هذا نظام القضاة لفترة تبلغ حوالي ثلاثة قرون، لم يعتمد هذا النظام على الخلافة، بل يتمتع كل منهم بالقيادة متى دُعي من الله ونال بركة منه (مع استثناء أحدهم)، هذه الدعوة هي عطية شخصية لا تورث. لقد وعد داود الملك زوجته بثشبع أن ابنهما سليمان يرثه الملك، لكن أدونيا ابن حبيث خطط لاستلام الملك.

١. شيخوخة داود ٤-١.
٢. أدونيا يخطط لاستلام الحكم ١٠-٥.
٣. ناتان النبي وبثشبع ١٤-١١.
٤. بثشبع تدخل إلى داود ٢١-١٥.
٥. دخول ناتان إلى داود ٣١-٢٢.
٦. إقامة سليمان ملكاً ٤٨-٣٢.
٧. أدونيا يسجد أمام سليمان ٥٣-٤٩.

١. شيخوخة داود

مات شاول أول ملك على إسرائيل في معركة في خزي وعار، وانتهت أسرته الملوكية. أمّا داود الملك البار فقد شاخ وفقد طاقاته الجسدية، لكنّه مات متهلّ النفس، بعد أن استراح قلبه بإقامة ابنه سليمان ملكاً ليكمل ما لم يستطع هو أن يفعله.

"وشاخ الملك داود.

تقدّم في الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يذفاً.

فقال له عبيده:

ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك،

ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك،

فيدفأ سيدنا الملك.

ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل،

فوجدوا أبيضج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك.

وكانت الفتاة جميلة جدًا فكانت حاضنة الملك،

وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها" [١-٤].

شاخ داود الملك ولم تكن ثياب نومه قادرة أن تهبه دفنًا، فتشاور عبيده فيما بينهم للعمل لأجل

راحته. يتساءل البعض: لماذا يروي الكتاب المقدس هذه القصة التي تبدو تافهة؟

١. لتظهر أن داود الملك صار ضعيفًا جدًا بسبب شيخوخته، غير قادرٍ على تدبير أمور مملكته،

فكان لا بد من مسح خليفته ليمارس العمل الرعوي الملكي في حياة داود.

٢. لكي يروى فيما بعد خطة أدونيًا لاستلام الحكم بطريقة غير مباشرة برغبته في الزواج بأبيضج

حاضنة الملك داود.

٣. الحياة الشاقة التي لحقت بداود النبي والمتاعب جعلته في شيخوخة مبكرة. فقد عانى الأمرين

من الملك شاول الذي كرس طاقاته وطاقات رجاله للتخلص من داود. هذا وقد واجه صعوبات لا

حصر لها بعد توليه العرش، خاصة مشاكل أسرته، مثل اعتداء ابنه أمنون على أخته تامار، وتمرد

ابنه أبشالوم (٢ صم ١٠: ١٥-١٩). فإن الوصف المذكور هنا لا يناسب إنسان في السبعين من

عمره، بل أكثر بكثير. مع هذا فإن الله لم يسمح لهذا الضعف الشديد غير الطبيعي أن يحطم نفسيّة

داود النبي، بل فرح قلبه حتى اللحظات الأخيرة من عمره.

٤. يرى بعض الدارسين أن ما حلّ بداود من شيخوخة مبكرة هو تأديب إلهي من أجل اغتصابه

بشبع واعتيال زوجها أوريا الحثي. فإنه متى حرّم الإنسان نفسه من دفء البرّ الإلهي لا تستطيع

ثياب العالم، حتى وإن كانت ملكيّة أن تدفئ قلبه. في حديث ألبهو مع أيوب قال له: "أندرك... كيف

تسخن ثيابك؟" (أي ٣٧: ١٧). ويويخ الرب شعبه المنشغل بمصالحه الخاصة لا يبيت الرب قائلاً:

"تكتسون ولا تدفأون" (حج ١: ٦).

٥. لعلّ الله أراد أن يقدم لنا صورة داود صاحب القلب الناري، والذي لم يتوقّف عن العمل

الإيجابي لحساب مملكة الله منذ صبوته، إذ نراه في شيخوخة مبكرة لكنّها سعيدة. فنحن لا ندري ما

يحلّ بنا في الغد، لذا يلبق بنا أن نهتم برصيد حياتنا وشركتنا مع الله قبل أن تحلّ بنا الشيوخة أو نُطلب نفوسنا.

٦. ذُكر أن "داود لم يعرفها"، لا ليعلن عن عجزه عن ممارسة العلاقة الزوجية، أو لكي يوضّح أنّها ليست من سراريه، وإنما ليوضّح لماذا طلبها أدونيًا زوجة له بعد وفاة داود أبيه (٢: ١٧).
كان داود في الثلاثين من عمره عندما أقيم ملكًا في حبرون (٢ صم ٥: ٤)؛ وملك ٧ سنوات وستة أشهر هناك (٢ صم ١١، ١ أي ٣: ٤)، وملك ٣٣ سنة في أورشليم (٢ صم ٥: ٥)، وكأنّه كان عمره في ذلك الحين (قبل نياحته بعام) تسعة وستين سنة. لم يعيش اليهود في ذلك الوقت لمدد طويلة، فلا نجد ملكًا بعد داود عاش أكثر من ستين عامًا سوى سليمان ومنسى.
جاءت كلمة "عبيده" [٢] هنا بالمعنى العام، وقد وردت في سفرَي الملوك الأول والثاني لتعني إحدى أربع فئات:

❖ العبيد *slaves*.

❖ الذين ينالون أرضًا كهبة مقابل خدمتهم للشخص كخدّام في بيته.

❖ العاملون في القصر الملكي.

❖ المشيرون الخصوصيون. فقد قيل عن نعمان السرياني رئيس الجيش أنّه عبد للملك (٢ مل ٥: ٦) وعسايا (٢٢: ١٢)، ونبوزرادان رئيس الشرط الذي حطّم أورشليم (٢ مل ٢٥: ٨).

أما العبارة التي بين أيدينا [٢] فيقصد بالعبيد الفئة الثالثة، أي الذين يعملون في القصر الملكي ويهتمون بمخدع الملك^١.

أما عن تفكيرهم في اختيار فتاة عذراء تقف أمام الملك وتكون حاضنة له، فيقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي^٢ بأن هذا الأمر كان مستخدمًا كعلاج طبيّ للشيوخ، وهو أن تنام بجوار الشيخ ممرّضة دون الارتباط به كزوجة، وأن هذا كان معروفًا كدواء يوناني مصرّح به بواسطة جالين *Galen*.

فنشّوا عن فتاة عذراء فوجدوا أبيضج الشونمية.

أبيضج: اسم عبري معناه "أبي تانه". كلمة "أبيضج" مشتقة من *sāgā*، وتعني "يخطئ" أو "يضل"، لذا يظن البعض أن والدتها قد دعته هكذا لأن أباهما كان قد هجر البيت وضلّ. ويرى آخرون أنّه

¹ John Gray: 1,2 Kings, SCM 1970, p. 77.

² Antiq. 8:19:2.

اسم إله محليّ متجولّ كان يتعبّد له أهل شونيم، لا نعرفه حتى الآن¹.

لقد وردت كلمة "شونميث" في سفر نشيد الأناشيد (٦: ١٣)، سفر العرس بين سليمان وبينها، وهو اسم رمزي للكنيسة ملكة السلام كعريسها، لأن الاسم هو مؤنث كلمة "سليمان" في العبريّة. أمّا هنا فيرى^٢ H.H. Rowley بأنّها قرية عربيّة تسمّى "سولم" *Sulem* جنوب غربي جبل الدحي، تبعد حوالي سبعة أميال جنوب شرقي الناصرة، وردت في (٢ مل ٤: ٢١ الخ)، كموطن المرأة التي أقام أليشع النبي ابنها. تبعد حوالي ثلاثة أميال ونصف شمال يزرعيل، وخمسة أميال شمالي غرب جبل جلبوع، وعلى بعد ١٦ ميلاً من جبل الكرمل. وهذه القرية محاطة ببساتين وحقول وبها عين ماء. يرى البعض أن الكلمة مشتقة من *sākan* وتعني "في الخدمة"، فإنّها تمثّل الإنسان الذي يعمل لخدمة الغير.

قدّم لنا القديس جيروم في رسالته إلى نيبوتيان *Nepotian* كاهن *Altinum* عند خاله الأسقف *Heliodorus* تفسيراً رمزيّاً لقصة أبيشع الشونميّة اقتطف منها بعض العبارات:

❖ إذ يشعر الشيخ بالبرد يلتحف بالبطاطين، لكنّه يجد دفئه فقط في احتضان فتاة له! كانت بثّشبع لا تزال حيّة، وأيضاً أبيجايل، وبقية الزوجات والسراي اللواتي أشار الكتاب المقدّس إلى أسمائهن. ومع ذلك رُفضت هؤلاء جميعهن بكونهم باردات، لم يجد الشيخ دفئه إلاّ في حضن فتاة صغيرة. إبراهيم شاخ وكان أكبر سنّاً من داود، ومع هذا لم يشعر قط بالبرد مع رفقة مع كونها مسنة... وموسى قائد الإسرائيليين عاش ١٢٠ عامًا ولم يطلب تغيير صفويرة.

من إذن هذه الشونميّة، الزوجة والحاضنة، التي تشع بالحرارة وتعطي دفئاً لمن هو بارد، وهي مقدّسة ولا تثير الشهوة فيمن تدفئه؟ لندع سليمان، أحكم الرجال يخبرنا عن أبيه المحبوب. لندع رجل السلام يخبرنا عن أحضان رجل الحرب (داود). لقد كتب: "اقتن الحكمة. اقتن الفهم. لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي. لا تتركها فتحفظك، أحببها فتصونك. الحكمة هي الرأس. فاقتن الحكمة ويكل مقتناك اقتن الفهم. ارفعها فثعلبك. تمجّدك إذا اعتقتها. تُغطّي رأسك إكليل نعمة، تاج جمال تمنحك" (أم ٤: ٥-٩).

غالباً كل الفضائل التي يمارسها الجسد تتغيّر مع الزمن وتفسد، كالصوم والسهر والعباء، إذ تصير ممارستها صعبة. أيضاً الرقاد على الأرض والتحرّك من موضع إلى آخر، واستضافة

¹ John Gray: 1,2 Kings, SCM 1970, p. 77.

² The meaning of Shulamite, American Journal of Semitic Languages and Literature, Chicago, LVI, 1939, p.89.

المسافرين والمثابرة على الصلاة، وافتقاد المرضى، والعمل اليدوي لجلب مال للعتاء. باختصار كل الأعمال التي يمارسها الجسد تتحل... بينما الحكمة وحدها تزداد (مع الزمن).

اسم "أبيشج" نفسه له معنى رمزي يُشير إلى الحكمة العظيمة التي الشيوخ. فإن معناه هو: "أبي فوق وأعلى" أو "زئير أبي". تعبير "فوق وأعلى" غامض، لكنّه يشير في هذه العبارة إلى السمو، ويعني أن الشيخ له رصيد ضخم من الحكمة يفيض بسبب كثرتة...

علاوة على هذا فإن "أبيشج" تعني "زئيراً"، تستخدم عن الصوت غير الواضح الذي تحدثه الأمواج والضجيج الصادر عن البحر. من هنا يتضح أن الرعد الذي للصوت الإلهي يسكن في أذني الشيخ. مرة أخرى فإن كلمة "الشونميّة" في لغتنا معناها "أرجوان"، توحى بأن محبة الحكمة تهب دافئاً وتشتع بهاءً. فإن كان اللون (الأرجواني) قد يُشير إلى سرّ دم المسيح، فإنّه يصدر إشعاعاً بهياً للحكمة¹.

القديس جيروم

بمعنى آخر فإن كل مؤمن يحتاج أن تحتضنه الحكمة العلوية النازلة من السماء، تنزع عنه كل برودٍ روحي، وتهبه قلباً ملتهباً بنار الحب الإلهي، يتمتع بها خلال دم المسيح!

جاء في سفر الحكمة:

"الحكمة خير من القوة، والحكيم أفضل من الجبار" (حك ٦ : ١).

"فإن الحكمة ذات بهاء ونضرة لا تدبل، ومشاهدتها متيسرة للذين يحبونها، ووجدانها سهل على الذين يلتمسونها" (حك ٦ : ١٣).

"فابتغاء الحكمة يبلغ إلى الملكوت" (حك ٦ : ٢١).

"هب لي الحكمة الجالسة إلى عرشك ولا ترذلني من بين بنيك" (حك ٩ : ٤).

يكمل القديس جيروم حديثه موضحاً أن هذه الحكمة العلوية تهب دفئاً عوض البرودة، وهو دفء النار التي جاء السيد المسيح ليلقيها (لو ١٢ : ٤٠). ألقاها في تلميذيه اللذين كانا في الطريق إلى عمواس فقالا: "ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟!!" (لو ٢٤ : ٣٢). هذا الدفء تمتع به القينيون الخارجون من دفء بيت أب ركاب.

هكذا من يلتصق بالحكمة يحول الروح القدس الناري واهب الحكمة حياته إلى دفءٍ روحي لا يقدر العالم أن ينتزعه من أعماقه.

¹ St. Jerome: Letters, 52:3.

٢. أدونيّا يخطّط لاستلام الحكم

كان أدونيّا الابن الرابع لداود (٢ صم ٣: ٤؛ ١ أي ٣: ٢) لكن بعد موت أبشالوم وأمنون وكيلاب صار أدونيّا هو أكبر أبناء داود الأحياء في ذلك الحين، فحسب نفسه الوارث للعرش (٢: ١٥)، وقد أراد أن يطمئن لذلك قبل موت والده. لكن الله، الملك غير المنظور، احتفظ بحقه في اختيار الملك الأرضي (تث ١٧: ١٥) الذي يمثّله في إسرائيل.

لم يشته داود النبي المُلْك قط، ولم يجر وراء العرش. وحين اختاره الرب ومسحه صموئيل النبي لم يسع ليحقّق ذلك، ولا حسب ذلك سماحاً إلهياً ليقا تل شاول ويحتل مركزه. على العكس كان شاول يطلب نفسه، مكرّساً طاقته لهذا العمل، وحين سقط شاول بين يديه أكثر من مرّة لم يمسه بأذى. وحين قُتل شاول بكاه داود ورثاه بحب قلبي صادق. لكن جاء بعض أولاده يتكالبون على العرش، كما فعل قبلاً أبشالوم الذي لم يطلب العرش وحده بل وطلب رقبة أبيه. وها هو أدونيّا الآن يندفع ليغتصب العرش. لقد أعد المركبات والخيول، لا ليحارب عن بلده، وإنما لكي يغتصب المركز بالمظهر. ويلقي الكتاب باللوم على والده الذي لم يكن حازماً في تربيته.

في كبرياء قلبه لم يشته المُلْك لكي يخدم الآخرين، ويعمل لصالح شعبه، ولمجد الله، وإنما لكي يحقّق الأنا، في تشامخ وأنانية وحب السلطة والسيطرة.

ثم أن أدونيّا ابن حجيث ترفع قائلاً: أنا أملك،

وعدّ لنفسه عجلات وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه" [٥].

❖ لا شيء يجعل الرجل تزل إلا الكبرياء!

المحبة تحرك الرجل للسير والتقدم والصعود، أما الكبرياء فتدفع الرجل إلى السقوط.^١

القديس أغسطينوس

وُلد أدونيّا في حبرون حين كان داود ملكاً على يهوذا. حسب في نفسه أنه الوارث الشرعي لكرسي أبيه، تسانده العناصر المحافظة مثل يوباب رئيس جيش إسرائيل وأحد أقرباء الملك (١ أي ٢: ١٦)، وأبيئثار الكاهن الذي نجا من المذبحة التي ارتكبها شاول الملك لكهنة نوب، وكان مرافقاً لداود حين كان هارباً من وجه شاول في بريّة يهوذا (١ صم ٢٢: ٢٠). كما سانده "رجال يهوذا" الذين كانوا في أورشليم.

اعتمد أدونيّا على القوّة الشعبية مثل أخيه أبشالوم، وفشل الاثنان في تحقيق شهوة قلوبهما، مع أن

^١ On Ps. 21.

أدونيًا كانت تسنده القوة العسكرية (يوآب) ورجال الدين (أبياتار الكاهن).

بلا شك كان أدونيًا يعلم بالقسم الذي نطق به والده أمام بثشبع بأن ابنها سليمان يكون وارثًا له على كرسيه، لهذا عندما خطط للملك لم يدع سليمان ولا ناثان النبي وبناياهو والجبابرة الذين سمعوا بالقسم وكانوا متحالفين مع داود على إقامة سليمان ملكًا.

لكي يقيم أدونيًا نفسه ملكًا استخدم وسائل بشرية. لقد خطط وتحرك لاستلام الملك. **اتكل على المركبات والخيول: "وعد لنفسه عجلات وفرسانًا وخمسين رجلًا يجرّون أمامه" [٥].** لم يتجاوب مع تسبحة موسى النبي القائل: "الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوّتي ونشيدي، وقد صار لي خلاصًا" (تك ١٥: ١-٢).

"ولم يغضبه أبوه قط قائلًا: لماذا فعلت هكذا.

وهو أيضًا جميل الصورة جدًا، وقد ولدته أمه بعد أبسالوم" [٦].

ولعل من الأخطاء الخطيرة التي سقط فيها داود العظيم في الأنبياء تهاونه في تربية أولاده؛ وتغاضيه عن أخطائهم، فلم يكن ينتهرهم ويؤدّبهم على أخطائهم الجسيمة. لقد تحقّق في داود الملك العظيم القول: "من لا يؤدّب أولاده يؤدّب أولاده". حقًا كان داود النبي رقيقًا حتى مع شاول مضطهده، لكنّه كان يلبق به أن يكون حازمًا في تربية أولاده.

"ولم يغضبه أبوه قط قائلًا لماذا فعلت هكذا؟" [٦]. فابنه أمنون اغتصب أخته ثامار. لقد اغتاز

داود جدًا (٢ صم ٣: ٢١) لكنّه لم يكن حازمًا في معاقبته. وأبسالوم ابنه تمرد عليه (٢ صم ١٥)، ولم يكتفِ باغتصاب كرسيه بل طلب رأسه، وحين قُتل أبسالوم المتمرد تأسف على ابنه فوبّخه يوآب (٢ صم ١٩: ٥-٨).

الأطفال الذين يتسلّمهم الآباء هم وديعة ثمينة، أثنى من العالم كلّهُ، يعهد بهم الله إليهم لا لكي يمتلكوهم أو يشكّلوهم حسب أهوائهم، ولا للسيطرة عليهم أو للاقتحار بهم، إنّما أولاً وقبل كل شيء كأشخاص مات المسيح لأجلهم، لكي ينشأوا أعضاء حيّة في جسد المسيح، هياكل مقدّسة للروح القدس، أبناء الله، ورثة الله ووارثون مع المسيح، صورة الله التي تمجّده.

بمعنى آخر يتطلّع الوالدان إلى طفلهم لا كقيمة ثمينة، وإنّما ككائن حي له ذات قيمتهما لدى الله،

يشاركهما ذات النصيب. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

[إن كان البعض من أجل صنعهم التماثيل وطلاء صور الملوك ينالون كرامة عظيمة، فكم بالأكثر نتقبّل نحن الذين نزيّن صورة ملك الملوك، إذ الإنسان صورة الله، ربوات البركات، إذ نقيم

مثالاً حقيقياً؟ لأن المثال الحقيقي هو في فضيلة الروح، عندما ندرّب أولادنا أن يكونوا صالحين وودعاء ومسامحين ومحسنين ورفقاء، وعندما نربيهم أن ينظروا إلى العالم الحاضر كلا شيء¹.
 هكذا يرى القديس ذهبي الفم أن الوالدين لا يقدّمان تمثالاً لله بل صورة حيّة له في ابنهما، يقدّمانه حاملاً مثال الرب في شركة سماته للسيد المسيح، وأيقونة للسماء باستخفافه بارتباكات العالم واغراءاته. وكأن الوالدين اللذين يحملان صورة الله ويتمتعان بشركة الطبيعة الإلهية، ويتهلّلان بالحياة السماوية في أعماقهما وفي بيتهما، إنّما يقدّمان جيلاً مقدّساً في الرب، لا يقل في الشهادة للرب عن الجيل السابق له، إنّما يكمل عمله!

لا يقف الأمر عند استلامنا أطفالنا من يد الله كوديعة حيّة، يقومون بتكملة مسيرتنا كما نكمل نحن مسيرة الأجيال السابقة، لتلتحم الأجيال معاً كجسد واحد يكمل عمل السيد المسيح رأس الكل، وإنّما يلزمنا أن ندرك إنّنا مطالبون بتقديمهم للرب تقدمة حب، بأن نبعث فيهم روح الجهاد كجنود صالحين روحيين يحملون الصليب معنا بفرح.

اتّكل أدونيّا على المظهر الخارجي: "وهو أيضاً جميل الصورة جداً" [٦]. كان كأخيه أبشالوم ليس فقط في جمال صورته، وإنّما في إساءة استخدام هذا الجمال، حيث ربط جمال الجسد بفتح النفس التي تتمرّد حتى على الوالدين.

"وكان كلامه مع يوباب ابن صرويّة ومع أبياتار الكاهن، فأعانا أدونيّا" [٧].

اتّكل على ذراع بشري وتخطيط بشري، إذ جذب إليه رئيس الجيش يوباب والكاهن أبياتار، ليكونا له سنداً عسكرياً ودينيّاً، متجاهلاً الإرادة الإلهية والعون السماوي. ممّا يجدر ملاحظته أن الذين أخذوا موقفاً مسانداً لأدونيّا لم يكن ذلك إيماناً منهم بأنّه صاحب الحق في استلام العرش كابن بكر، ولا دفاعاً عن مبدأ في حياتهم وإنّما لمصالح شخصية ومنافع.

يوباب بكر أولاد صرويّة أخت داود الملك، وأخ أبيشاي وعسائيل. يبدو أنّه كان مقيماً في بيت لحم. وكرئيس جيش داود أثبت بجدارة قدرته العسكرية وشجاعته في المعارك، وإن كان قد سقط في الغدر والعنف مرّتين، فقد سفك دم أبير (٢ صم ٣: ٢٧) وعماسا (٢ صم ٢٠: ١٠) بلا سبب. ظن يوباب أنّه بمساندته لأدونيّا في تمرّده يضمن بقاءه كرئيس للجيش لديه.

أبياتار الكاهن: كان هو الكاهن الوحيد الذي نجا من وحشية شاول في قتله للكهنة في نوب لمساندتهم لداود (١ صم ٢٢: ٢٠-٢٣). وإذ التجأ إلى داود صار المشير الروحي والصديق الحميم

¹ In Eph. hom.20.

لذلك المحارب الطريد. كان مخلصاً لداود بصفة شخصية حتى انضم إلى أدونيا المتمرد والمغتصب للعرش، متجاهلاً إرادة الله ووعده لداود بأن يخلفه سليمان على العرش. لقد تركه الله يعمل هو ويوآب معاً في هذا العمل الشرير وسلمهما لأنفسهما، حتى يمتلئ كأس كل منهما فينالاً تأديباً على ما فعلاه قبلاً. أراد أبياتار الكاهن أن يطمئن أن يكون له دوره الفعّال في حياة الملك الجديد. وربما أخذ هذا الموقف بسبب غيرته من صادوق، كما خشي أن يتجاهله سليمان إن استلم الحكم أكثر من والده. فمع أن صادوق كان رئيس كهنة في خيمة الاجتماع جبعون لكن يبدو أنه كان هو القائد كما يظهر ذلك من الإشارة إليه قبل أبياتار (٢ صم ١٥: ٢٤؛ ٢٥: ٢٠؛ ١٥: ٢٤ الخ).

يرى البعض أن الكلمة العبرية المقابلة لـ "أعانا" تحمل أيضاً معنى "ارتعبا أمامه"، ولعلّه يعني هنا أنّهما أعاناه مرتعبين منه.

"وأما صادوق الكاهن وبناياهو بن يهوئاداع وناثان النبي وشمعي وريعي والجبابرة الذين لداود فلم يكونوا مع أدونيا" [٨].

بينما كان أدونيا يتحرّك من واقع كبرياء قلبه، معتمداً على جمال مظهره وقدرته وفرسانه وقدرته على التخطيط البشري واجتذاب رئيس الجيش وأحد الكهنة إلى صفّه، كان الله يعمل ليقيم سليمان ملكاً كما سبق فوعده داود بذلك. كان صادوق الكاهن وبناياهو وناثان النبي وشمعي وريعي وجبابرة داود في الجانب الآخر، إذ لم يستريحوا لتصرفات أدونيا.

صادوق الكاهن: غالباً ما يُذكر مرتبطاً بخيمة الاجتماع في جبعون في أيام شاول (١ أي ١٦: ٣٩)، ممّا يشير إلى أنّه من سبط لاوي. رافق داود الملك في حبرون بعد موت شاول مباشرة (١ أي ١٢: ٢٨)، كما رافقه في هروبه من أورشليم أثناء تمرد أبشالوم وعمل كجاسوس للملك (٢ صم ١٥: ٢٤-٢٩؛ ١٧: ١٥). بعد استلام داود الملك صار مع أبياتار يمارسان رئاسة الكهنوت (٢ صم ٨: ١٧؛ ١٥: ٢٤؛ ٢٩: ٣٥). هذا ربّما أثار شيئاً من الغيرة بينهما، فكان كل منهما يأخذ اتّجهاً مضاداً للآخر.

من الصعب أن نفهم وجود رئيسين كهنة في وقت واحد، وندرك علاقتهما ببعضهما البعض. ربّما كان أبياتار هو رئيس الكهنة الحقيقي وكان المسئول عن المقدّس الذي فيه تابوت العهد في صهيون، أمّا صادوق فكان يمارس أعمال رئيس الكهنة في خيمة الشهادة في جبعون (١ أي ١٦: ٣٩).

بناياهو: أقامه داود الملك قائداً جديداً مديراً للجلادين والسعاة (٢ صم ٨: ١٨) عُرف بشجاعته (١ صم ٢٣: ٢٠)، وكان يعتبره يوآب منافساً له.

ناثان النبي: كان مرافقاً للملك (٢ صم ٧: ٢). ريثماً كان عمله هو الكشف عن الإرادة الإلهية للملك، لكي لا يعمل حسب فكره البشري بل حسب إرادة الله، فيرى الملك في نفسه أنه ليس إلاً وكيلاً للملك الحقيقي، الله نفسه. حينما أخطأ داود مع بثشبع قام ناثان بتبكيته، وإذ أعلن الملك توبته سمع من النبي: "الرب نقل عنك خطيئتك" (٢ صم ١٢). كان له تقديره الخاص لدى داود الملك، وله علاقة حميمة بالعائلة المالكة (٢ صم ١٢: ٢٥).

شمعي: هو صديق الملك الذي أدرجه سليمان بين عظماء رجاله (١٤: ١٨).

ريعي: اسم عبري معناه "ودود". ريثماً هو نفسه عبرا اليائيري المذكور في (٢ صم ٢٠: ٢٦).

الجبابرة: في العبرية لا تعني مجرد جبابرة في القامة، وإنما الذين لهم كيان قوي، لذا فهنا تعني أصحاب السلاطين العاملين تحت قيادة داود الملك، أي رجال الدولة العظماء. ريثماً كانوا الستمائة رجل الذين رافقوا داود الملك في تحركاته الأولى (١ صم ٢٥: ١٣؛ ٢٧: ٢)، والذين صاروا النواة لجيشه.

"فذبج أدونيًا غنمًا وبقراً ومعلوفات عند حجر الزاحفة الذي بجانب عين روجل،

ودعا جميع إخوته بني الملك، وجميع رجال يهوذا عبيد الملك" [٩].

بدأ أدونيًا اغتصابه للعرش بتقديم ذبيحة كما فعل أبشالوم من قبله (٢ صم ١٥: ٧). كان ذبج حيوانات واشتراك الجماعة في الأكل معاً يُمارس كطقسٍ يمثّل نوعاً من العهد الجماعي للعمل معاً بروح الإخلاص كما في قدسية خاصة. أراد أن يمسح عمله بصبغة دينية، متظاهراً بأنه قد استلم السلطة من الله نفسه، وأن رئيس الكهنة يشهد بذلك ويقدم ذبائح لله. وكأنه يمارس شره تحت اسم "الله"، مستخدماً العبادة لحساب مصالحه الشخصية. أقام مؤامراته خارج أورشليم عند حجر الزاحفة الذي بجانب عين روجل [٩].

حجر الزاحفة: أي حجر إحدى الزواحف أو "حجر الحية" (الزاحفة) أو "حجر الدودة" الزاحفة، وتعرف باسم وادي الرياب. وهو اسم حجر قري عين روجل جنوب غربي أورشليم. ولعلّه حجر قدسه الكنعانيون لوجوده قرب عين ماء. إذ كانوا يرون في عيون الماء مصادر الحياة، قدسوها كأن إليها حالاً فيها.

عين روجل: وتعني "عين القصار" أو "ينبوع الكمال Fuller" أو "عين الجاسوس"، أو "عين جدول المياه". وهي على حدود تخوم بنيامين ويهوذا (يش ٥: ٧؛ ١٨: ١٦). غالباً ما تعني "عين

التَّئِينِ" التي وردت في سفر نحemia (٢: ١٣)^١. كان يُظن أن موقعها هو بير أيوب، جنوب القدس في وادي قدرون. يرى البعض أن عين روجل الآن احتلتها صخرة نتيجة أحد الزلازل.

"وَأَمَّا نَاتَانُ النَّبِيُّ وَبِنَايَاهُ وَالْجَبَابِرَةُ وَسَلِيمَانُ أَخُوهُ فَلَمْ يَدْعُهُمْ" [١٠].

دعوة أدونيا لكل إخوته ورجال يهوذا فيما عدا أخوه سليمان وناتان النبي وصادوق الكاهن وبنائاهو تكشف عن معرفة أدونيا باختيار الله لسليمان ملكاً، وإدراكه موقف ناتان الداخلي كرجل الله يحقّق الإرادة الإلهية. هذا ما يؤكّده عدم تشاوره مع والده في استلام الحكم. فلو أن أدونيا يعرف بأنّه الوارث الحقيقي للعرش لطلب من والده أن يسنده في قيامه بهذا العمل. تجاهله لوالده فيه تأكيد أنّه كان يدرك أنّه يمارس عملاً ضد إرادة والده.

شأن ما بين داود الملك وابنه أدونيا، فإن الابن لم يرث روح أبيه الوديع الخادم للكثيرين، الذي يطلب مجد الله وبنيان الشعب لا مجد نفسه، والذي لم يركب قط المركبات والخيل بل جاء إلى جلبات يهاجمه باسم رب الجنود، ولا خطّط بطرق بشرية لاستلام الحكم، بل طلب تحقيق الإرادة الإلهية. عدم دعوة ناتان النبي وبنائاهو والعاملين معه وسليمان للاشتراك في الطعام الذي هيأه أدونيا يشير إلى أنّه لم يكن مستعداً للسلام، بل كان يتهيأ للدخول في صراع عنيف معهم. لم يحدث هذا عن بُخل ولا عن مجرّد تجاهل متعمّد، بل عن وجود فريقين متعارضين في أورشليم يمثلان خطراً لوجود انقسام!

يقدم لنا أدونيا صورة مؤلمة للنفس التي تستخف بالله الملك الحقيقي وخدامه العاملين لحسابه، سواء كانوا الوالدين أو الكهنة أو المرشدين. لم يبالي أدونيا بالأمر الإلهي الخاص بإقامة سليمان ملكاً، ولم يسأل والده إذ في نظره هو شيخ عاجز عن تدبير الأمور، كما حسب أخاه سليمان صبيّاً صغيراً لا يصلح كملك. يرى في نفسه أنّه وحده القادر أن يحكم ويدبّر حسب حكمته البشرية وقدراته وإمكانياته البشرية. هكذا إذ تتسلّل الخطية إلى القلب تعميه عن رؤية الحق، فلا يقبل الإرادة الإلهية، ولا يطلب مشورة حكيمة بناءة! في عجرفة يظن أنّه ملك قادر أن يدبّر ويحكم وينقذ، يتكل على حكمته الذاتية وخبراته وإمكانياته.

٣. ناتان النبي وبثشبع

كان ناتان النبي الرجل المتحدّث باسم الله لدى داود الملك، خاصة في الأمور التي تخص خلاص نفسه وخلص شعبه، مثل الوعد الإلهي لداود بدوام أسرته الملوكية (٢ صم ٧)، وحثّه على

¹ J. Simons: Jerusalem in the Old Testament, 1952, p. 158-162.

التوبة عندما أخطأ مع بَشْبَع (٢ صم ١٢)، وهنا يتدخَّل في إقامة سليمان ملكًا. مع كون داود نبيًا وملكًا وله خبراته المباشرة مع الله، إلاَّ أنه كان بروح التواضع يتقبَّل كلمات الرب على لسان ناثان النبي بجديَّة.

تدخَّل ناثان في الأمر من واقع شعوره بالالتزام بتحقيق إرادة الله. لقد سبق فأعلن عن أقامه سليمان ملكًا، فأراد مساعدة داود على تحقيق القسم الذي حلف به لبَشْبَع. وتعاطف مع بَشْبَع التي وُضعت في موقف مؤلم بعد اغتصابها وقتل أوريا الحثي زوجها، فكان لا بد من تعويضها، وأيضًا لإتقاذ حياتها وحياة سليمان ابنها من يد أدونيَّا الذي ما كان يمكنه أن يبقيهما حيَّين حتى يضمن بقاءه على العرش (٤: ٢).

"فكلم ناثان بَشْبَع أم سليمان قائلاً:

أما سمعت أن أدونيَّا ابن حجيث قد ملك، وسيدينا داود لا يعلم" [١١].

كثًا نتوقَّع من ناثان النبي الذي لعب دورًا خطيرًا في تبييت داود النبي على ما ارتكبه مع بَشْبَع وقتله زوجها أوريا (٢ صم ١١: ١-٧) أن يأخذ صف جماعة المحافظين، فما الذي دفعه إلى ذلك؟

أ. كرجل الله يعرف إرادة الله، فقد وعد الله داود النبي أنه سيقوم سليمان ملكًا على كرسية.

ب. ربَّما رأى أنه يجب تعويض بَشْبَع على ما فعله معها داود بتكريم ابنها.

ج. لأنَّه كان معلمًا للصبي سليمان (٢ صم ١٢: ٢٥) شعر بأنَّه يصلح للمملكة أكثر من أدونيَّا أو غيره من اخوته الأكبر منه.

بَشْبَع: ابنة اليعام (٢ صم ١: ٣) ويدعى أيضًا عميثيل (١ أي ٣: ٥)، ربَّما حفيده أختينوفل أحد المشيرين المقربين جدًّا لداود النبي (٢ صم ٢٣: ٣٤)؛ وزوجة أوريا الحثي (٢ صم ١١: ٣). شغف بها داود الملك وأخطأ معها واحتال على زوجها فقتل (٢ صم ١١). تزوجها داود الملك وأنجب منها شمعي وشوياب وناثان وسليمان.

"فالآن تعالي أشير عليك مشورة،

فتنجي نفسك ونفس ابنك سليمان" [١٢].

واضح أيضًا من كلمات ناثان النبي مع بَشْبَع والدة سليمان أن أدونيَّا كان يعلم بأن أباه يود أن يُسلم الملك لسليمان، وأنه قد وضع في قلبه أن يقتل سليمان وأمه بعد استيلائه على العرش [١٢]. الفعل "malleti" هنا يعني "فيه أمان"، وقد دعيّت "مالطة" لتعني أنها ميناء أمان للأسطول

البحري الفينيقي في البحر الكبير، ويُفضل أن ترسو فيه السفن في آمان¹. هكذا يقدّم النبي مشورة آمنة لسليمان ووالدته حتى لا يقتلها أدونيا.

"أذهبى وادخلي إلى الملك داود وقولي له:

أما حلفت أنت يا سيدي الملك لأمتك قائلاً أن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على

كرسيي،

فلماذا ملك أدونيا؟".

"وفيما أنت متكلمة هناك مع الملك أدخل أنا وراءك وأكمل كلامك" [١٣-١٤].

يتحدّث ناثن النبي بأدب شديد مع بثشبع، فهو يعلم أن ابنها سيصير ملكاً حسب وعد الله.

٤ . بثشبع تدخل إلى داود

"فدخلت بثشبع إلى الملك إلى المخدع،

وكان الملك قد شاخ جداً،

وكانت أبيشح الشونميّة تخدم الملك" [١٥].

ذهبت بثشبع إلى داود في حجرته إذ لم يكن قادراً على الخروج بسبب شيخوخته وضعفه. كان لبثشبع مكانة خاصة لدى الملك داود، لعلّه كان يشعر بالذنب ويريد دوماً تعويضها. هذا وللاسّم ذاته معنى رمزي هام، إذ يعني "بيت السبت"، وكأنّها تمثّل البيت الذي فيه يجد الله والإنسان راحتها، لأن "السبت" تعني الراحة لله والإنسان، يستريح الله في قلب المؤمن الأمين، ويستريح الإنسان بالتصاقه وتكريس قلبه لله.

"فخرّت بثشبع وسجدت للملك،

فقال الملك: ما لك.

فقالت له: أنت يا سيدي حلفت بالرب إلهك لأمتك قائلاً إن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس

على كرسيي.

والآن هوذا أدونيا قد ملك،

والآن أنت يا سيدي الملك لا تعلم ذلك،

وقد ذبح ثيراناً ومعلوفات وغنماً بكثرة،

¹ John Grey, p.87.

ودعا جميع بني الملك وأبيآثار الكاهن ويوآب رئيس الجيش، ولم يدع سليمان عبدك.
وأنت يا سيدي الملك أعين جميع إسرائيل نحوك، لكي تخبرهم من يجلس على كرسي سيدي
الملك بعده.

فيكون إذا اضطجع سيدي الملك مع آباهه إني أنا وابني سليمان نحسب مذنبين" [١٦-٢١].
كلمة *hattâim* [٢١] تعني "خاطئين"، أو "الذين تعدوا الحدود" (قض ٢٠: ١٦)؛ فباعتلاء أدونيا
العرش يفدّم بثشبع وابنها سليمان كمتعديين حدودهما فيحاكمهما ويحكم عليهما ظلماً.

٥. دخول ناثان إلى داود

"وبينما هي متكئة مع الملك إذا ناثان النبي داخل.

فأخبروا الملك قائلين:

هوذا ناثان النبي.

فدخل إلى أمام الملك، وسجد للملك على وجهه إلى الأرض.

وقال ناثان: يا سيدي الملك أنت قلت أن أدونيا يملك بعدي، وهو يجلس على كرسي.

لأنه نزل اليوم وذبح ثيراناً ومعلوفات وغنماً بكثرة،

ودعا جميع بني الملك ورؤساء الجيش وأبيآثار الكاهن،

وها هم يأكلون ويشربون أمامه، ويقولون ليحي الملك أدونيا" [٢٢-٢٥].

"ليحيا الملك" [٢٥] لم يكن يقصد بها طول العمر، أو تمتع الإنسان بالحياة الزمنية، لكنه كان
ينظر إلى الملك كوكيل الله واهب الحيوية الفائقة، وكأنها تقول له "ليت الحيوية الإلهية تكون على
وجه الخصوص في الملك، وبالتالي في نسلك إلى الأبد".¹

"وأما أنا عبدك وصادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياذاع وسليمان عبدك فلم يدعنا.

هل من قبل سيدي الملك كان هذا الأمر ولم تعلم عبدك من يجلس على كرسي سيدي الملك

بعده؟

فأجاب الملك داود وقال:

ادع لي بثشبع.

فدخلت إلى أمام الملك ووقفت بين يدي الملك" [٢٦-٢٨].

كانت العادة لدى الملوك أنه إذا التقى بزوجه أو بأحد مشيريه لا يسمح لثالث أن يكون حاضراً

¹ John Gray, p. 89.

إلاً بأذن من الملك، لهذا لم يكن ممكناً لبشّبع وناثان أن يدخلوا معاً ويكونا في حضرة الملك. دخلت
بشّبع أولاً ثم أخبر الملك بوجود ناثان فاستدعاه الملك فتركته بشّبع.

"فحلف الملك وقال: حيّ هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيقة.
أنه كما حلفتُ لكِ بالرب إله إسرائيل قائلاً إن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيّ
عوضاً عنّي كذلك أفعل هذا اليوم.

فخرّت بشّبع على وجهها إلى الأرض وسجدت للملك وقالت:
ليحي سيدي الملك داود إلى الأبد" [٢٩-٣١].

٦ . إقامة سليمان ملكاً

"وقال الملك داود:

ادع لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبنياهو بن يهوئاداع.
فدخلوا إلى أمام الملك.

فقال الملك لهم:

خذوا معكم عبيد سيّدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي،
وانزلوا به إلى جيحون" [٣٢-٣٣].

يرى *Mowinckel* أن في هذا إشارة إلى ركوب المسيا على أتان كما جاء في (زك ٩ : ٩؛ مت
٢١ : ٥) عند دخوله أورشليم كملك.

تم ذلك في جيحون، وهو اسم عبري معناه "تبع متدفّق". حالياً عين أم الدرج في الجزء العلوي من
وادي قدرون تحت الجانب الشمالي من المنطقة المحصّنة بأورشليم التي كان يشغلها داود في جنوب
شرقي التل. هذه العين تُشير إلى القناة التي تحمل مياهها إلى حوائط بركة سلوام. غالباً قام اليبوسيون
بحفر هذا الينبوع عام ٢٠٠٠ ق.م، طمّه حزقيا وجرّ مياهه بأقنية تحت الأرض إلى أورشليم خوفاً من
الأعداء لئلاً يجدوا مياهاً غزيرة (٢ أي ٣٢ : ٣، ٤، ٣٠).

"وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل،

واضربوا بالبوق وقولوا:

ليحيا الملك سليمان" [٣٤].

كان الملوك يُمسحون بزيت مقدّس يُحفظ في الهيكل، بهذا العمل يشعر الملك أنّه قد كرّس كل

حياته لله بخدمته لشعبه. هذه المسحة تبدو أنَّها قديمة، يرجع أصلها إلى تقليد قديم أخذت عنه الشعوب بطرق مختلفة. نحن نعرف أن يعقوب مسح حجرًا بالزيت لتدشين الموضع في بيت إيل كبيت الرب. عرفت مصر المسحة، فكان سلطان فرعون يقدّم لمندوبيه خلال المسحة، وأيضًا للملوك الغزاة في سوريا في القرن الخامس عشر ق.م، وكان ذلك يحمل رمزًا أن الممسوح ينال إمكانية خاصة بالمسحة.

كانت المسحة تستخدم في الخطبة والزواج عند المصريين وبنو حنّي، وفي القرن الثامن عشر استخدمها الأموريون في ماري *Mari* في المعاملات التجارية، ونقل الملكيات. وكانت تستخدم في طقس تحرير العبيد.

استخدمت أيضًا في مسح الكاهن الذي يترك كل شيء ويتفرغ لخدمة الله. وصارت المسحة تعادل "التقديس" (خر ٢٨: ٤١؛ ٣٠: ٣٠؛ ٤٠: ١٣)، أي نقل الإنسان أو الشيء من العمل العالمي إلى العمل الإلهي الخاص بالله القدوس.

هكذا مسح الملك معناه تركه كل ما هو عالمي ليعمل لحساب الله وسط شعبه. يصير معيّنًا من قبل الله للخدمة.

"وتصعدون وراءه،

فيأتي ويجلس على كرسيي،

وهو يملك عوضًا عني،

وأيّاه قد أوصيت أن يكون رئيسًا على إسرائيل ويهوذا.

فأجاب بناياهو بن يهوياح الملك وقال:

آمين. هكذا يقول الرب إله سيدي الملك.

كما كان الرب مع سيدي الملك كذلك ليكن مع سليمان.

ويجعل كرسيه أعظم من كرسي سيدي الملك داود.

فنزل صادوق الكاهن وناتان النبي وبنياهو بن يهوياح والجلادون والسعاة.

وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود، وذهبوا به إلى جيحون.

فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان،

وضربوا بالبوق،

وقال جميع الشعب: ليحيي الملك سليمان" [٣٥-٣٩].

الخيمة هنا ليست خيمة الاجتماع في جبعون، وإنما الخيمة التي أقامها داود لتابوت العهد على جبل صهيون (٢ صم ٦: ١٧). كان صادوق معيّنًا رئيس كهنة على خيمة الاجتماع في جبعون بينما أبيآثار على تابوت العهد، ولم تكن هناك عداوة بين رئيسي الكهنة لذا استطاع صادوق أن يأخذ المسحة من تابوت العهد في غياب أبيآثار.

"وصعد جميع الشعب وراءه.

وكان الشعب يضربون بالناي، ويفرحون فرحًا عظيمًا حتى انشقت الأرض من أصواتهم" [٤٠].

جاء تعبير "يرقصون" في العبرية بمعنى "يضربون بالمزمار"، وهو تعبير يكشف عن الفرح وليس بالضرورة أن يزمّرون بالمزمار. فلا يعني هذا أن كل الشعب يجيدون الضرب على المزمار، ولا أن جميعهم كان يزمّرون، إنّما كان الكل فرحين متهلّلين. وذلك كما حدث عندما دخل داود بتابوت العهد إلى أورشليم (٢ صم ٦: ١٤).

إلى يومنا هذا نجد في قرى مصر يعبرون عن فرحهم باستخدام المزمار أو التصفيق، وكأنّهم يرقصون وهم يفعلون ذلك، لكنّه ليس بالضرورة يمارسون الرقص كما نفهمه سواء في الشرق أو الغرب.

"فسمع أدونيًا وجميع المدعوّين الذين عنده بعدما انتهوا من الأكل.

وسمع يوباب صوت البوق فقال:

لماذا صوت القرية مضطرب؟" [٤١]

كانت أذنًا يوباب مرهفتين لسماع البوق فهو قائد حرب.

الكلمة العبرية هنا ربّما لا تعني قرية أو مدينة بل حصنًا أو قلعة.

"وفيما هو يتكلّم إذا بيوناتان بن أبيآثار الكاهن قد جاء.

فقال أدونيًا: تعال لأنك ذو بأس وتبشّر بالخير" [٤٢].

لقد برهن يوناتان بن أبيآثار عن إخلاصه لداود النبي حينما تحرّك بسرعة عند تمرّد أبشالوم (٢ صم ١٥-١٧)، والذي أشار إليه دون شك أدوناوي بدعوته حامل الأخبار الطيبة.

حسب يوناتان أنّه "رجل موثوق فيه"، بسبب مركزه الاجتماعي لدى الملك، كما كان له استقلاله الفكري.

"فأجاب يوناتان وقال لأدونيًا: بل سيّدنا الملك داود قد ملك سليمان.

وأرسل الملك معه صادق الكاهن وناثان النبي وبنياهو بن يهوئاداع والجلادين والسعاة وقد أركبوه على بغلة الملك.

ومسحه صادق الكاهن وناثان النبي ملكًا في جيحون.

وصعدوا من هناك فرحين حتى اضطربت القرية.

هذا هو الصوت الذي سمعتموه" [٤٣-٤٥].

مسح سليمان ملكًا وتجليسه في حياة أبيه داود كان أمرًا لازمًا بعد محاولة أدونيّا اغتصاب العرش، حتى لا يرتبك أحد ويتشكك.

وصفه المدينة أو القرية أنّها في صخب يُشير إلى صوت شعب معبأ بالمشاعر المثيرة، أو حشد مندفع كالنحل.

"وأيضًا قد جلس سليمان على كرسي المملكة.

وأيضًا جاء عبيد الملك ليباركوا سيّدنا الملك داود قائلين:

يجعل إلهك اسم سليمان أحسن من اسمك.

وكرسيه أعظم من كرسيك.

فَسَجِدَ الْمَلِكُ عَلَى سُريره" [٤٦-٤٧].

جاءوا يهنئونه أو يباركون له، وهنا تعني العبارة أنّهم يطلبون بركة الله المعلنّة في داود أن تحل على ابنه سليمان.

"وأيضًا هكذا قال الملك:

مبارك الرب إله إسرائيل الذي أعطاني اليوم من يجلس على كرسيي، وعيناي تبصران" [٤٨].

مع شيخوخة داود وشعوره بأن أيامه قد اقتربت، ومع ترك الكرسي لابنه سليمان ما كان يشغل ذهنه هو تسبيح الله وتقديم الشكر له، هذا الذي يحقّ وعده الإلهي له بأن يقيم من نسله ملكًا (٢ صم ٢٣: ٥؛ مز ٨٩: ٣؛ الخ؛ ١٢٣: ١١؛ الخ؛ إش ٥٥: ٣).

كثيرًا ما يكرّر القديس أغسطينوس "لثغنّ وكملّ رحلتك!"، "لثغنّ وتسير"، "لثغنّ وجاهد كجندي!"

❖ لنسبح الآن يا إخوتي لا لكي نفرح بالراحة بل بتعبنا.

وذلك كالمسافرين الذين يغنّون ويسبّحون وهم سائرون في رحلتهم...

إن كنت تحقّق تقدّمًا، فأنت تسير إلى الأمام، ليكن لك تقدّم في الصلاح، تقدّم في الإيمان الحق، تقدّم في الحياة المستقيمة... غنّ وأكمل رحلتك.

القديس أعسطينوس

٧. أدونيّا يسجد أمام سليمان

'فارتعد وقام جميع مدعوّي أدونيّا، وذهبوا كل واحد في طريقه.
وخاف أدونيّا من قبّل سليمان،
وقام وانطلق وتمسّك بقرون المذبح" [٤٩-٥٠].

كان المذبح عند كل الأمم موضع لحماية للمجرمين المستحقّين الموت، أمّا في إسرائيل فيحسب الشريعة يحمي الذين سبّبوا قتلاً عن غير عمدٍ (خر ٢١: ١٤)، وقد حملت مدن الملجأ نفس الفكرة (عد ٣٥). لا يعرف على وجه التحديد هل التجأ أدونيّا إلى المذبح الذي في تابوت العهد في صهيون، أم في الخيمة في جبعون، أم المذبح الذي بناه داود بأرونة أو أرونان *Araunah* (٢ صم ٢٤: ١٨-٢٥). غالباً الأول، لأنّه لم يُذكر أنّه هرب بعيداً إلى جبعون كما أن المذبح الثالث بلا قرون.

كان يُنظر إلى موضع العبادة كموضع لتحقيق العدالة. لهذا إذ يمسك أحد بقرون المذبح لا يعني هذا عدم محاكمته، وإنّما عدم قتله حتى تتم محاكمة عادلة، يستطيع خلالها أن يدافع الإنسان عن نفسه ليكشف عن تبرئته من الجريمة. لنفس الغرض أقام الله مدن الملجأ في الضفتين الشرقيّة والغربيّة حتى يهرب إليها كل قاتل غير متعمّد للقتل (عد ٣٥).

ما فعله أدونيّا يكشف عما في قلبه، خوفه الشديد من سليمان. وتمسّكه بقرون المذبح إنّما هو ردّ فعل لما في أعماقه، وما كان يود أن يفعله بسليمان وأمه لو أن خطّته قد نجحت واستلم العرش.

فأخبر سليمان وقيل له:

هوذا أدونيّا خائف من الملك سليمان.

وهوذا قد تمسّك بقرون المذبح قائلاً ليحلف لي اليوم الملك سليمان إنّه لا يقتل عبده بالسيف.

فقال سليمان:

إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره إلى الأرض.

ولكن إن وُجد به شرٌّ فإنّه يموت" [٥١-٥٢].

لم يرد سليمان أن يبدأ حكمه بفرض عقوبة قتل لذلك وهب الغادر عفواً مشروطاً.

'فأرسل الملك سليمان فأنزلوه عن المذبح.

ملوك الأول - الأصحاح الأول

فأتى وسجد للملك سليمان،

فقال له سليمان: اذهب إلى بيتك " [٥٣].

من وحي ١ مل ١

لأرث أبي داود مع سليمان،
ولتبتل خطة أدونيًا المعتصب!

❖ مالي أرى داود الشيخ في حزن أبيض الجميلة.
هب لي الحكمة تحتضني فتهبني دفناً روحياً.
تبقى يا رب حكمتك كفتاة لا تشيخ ترافقني حتى شيخوختي.

❖ هوذا أدونيًا يظن أنه صاحب حق ليملك.
يقاومني بحكمته البشرية، وقوته العسكرية، وصدقاته.
يخدع الكثيرين ليغتصب مني حقي أن ارث داود أبي.
يحرمني من العرش، ويخطط لقتلي.

❖ أنت تعمل في قلوب رجالك كما عملت في قلب ناثان.
أنت تعطيني نعمة، فتبتد خطة المقاومين لي.
تحطم المعتصب، وتحقق وعدك لي.
فأرث مع سليمان عرش أبي داود!
بك أصير ملكاً يا ملك الملوك.
بك أتمتع بالعرش، عرش الحب والبذل والخدمة!

❖ ليفرح قلب داود في الفردوس،
وليردد ما قاله حين جلس سليمان على عرشه:
مبارك الرب إله إسرائيل،
الذي أعطاني اليوم من يجلس على كرسي وعيناى تبصران.
لك المجد يا من أقمتني من المذيلة،
لأجلس مع أشرف أشرف شعبيك.

الأصحاح الثاني

وصية داود الملك لابنه

كشفت اللحظات الأخيرة من حياة داود عمًا يحمله في قلبه. فأبته كان يهتم أن يتم مشيئة الرب من جهة إقامة سليمان ملكًا، وأيضًا في تحقيق العدالة الإلهية سواء بالنسبة لمن أساءوا إلى الناموس أو الذين قدّموا عمل محبة.

من عادة الآباء أن يقدموا النصائح الوداعية حينما يشعرون بقرب رحيلهم من العالم، يقدمونها مع البركة، خاصة للابن البكر. والسيد المسيح نفسه قبيل صلبه قدّم لنا حديثه الوداعي الرائع، كما قدّم صلاة وداعية.

جاءت تدابير داود لابنه لتولي العرش في (١ أي ٢٨-٢٩)، تتلخّص في الآتي:

١. عرّف رجال القصر بابنه كملك خلفه على العرش، مختار من قبل الله.

٢. أوصاهم بالطاعة للوصايا الإلهية.

٣. حثّ سليمان والشعب على بناء الهيكل مقدّمًا له نموذجًا للمبنى مع المواد التي جمعها لتحقيق هذا الهدف.

٤. حث العظماء على المساهمة في هذا العمل.

٥. قدّم تسيبًا وشكرًا لله، كما أقام احتفالاً دينيًا.

٦. مسح في حضرة الرب أمام الشعب (١ أي ٢٩ : ٢٢) للمرة الثانية، كما حدث مع شاول (١

صم ١١)، وداود (٢ صم ٢ : ٤ ؛ ٥ : ٣)، غايتها هو الاطمئنان ألا يحدث تمرد على سليمان بعد موته.

تكشف وصيته الوداعية عن شوق داود النبي أن يلتزم خلفاؤه أن يخافوا الرب ويكونوا مخلصين للعهد حتى يتحقّق الوعد الإلهي بأن تستمر عائلة داود الملوكية على العرش. هذا هو الضمان الوحيد لنجاحهم في كل عمل تمتد إليه أيديهم.

١. وصايا روحية ١-٤.

٢. وصية خاصة ببواب ٥-٦.

٣. وصية تخص بني برزلاي ٧.

٤. وصية تخص شمعي ٨-٩.

٥. ثبوت مُلك سليمان ١٠-١٢.
٦. أدونيَّا يحطّم نفسه ١٣-٢٥.
٧. استبعاد أبياتاار ٢٦-٢٧.
٨. قتل يواب ٢٨-٣٥.
٩. معاقبة شمعي ٣٦-٤٦.

١. وصايا رُوحِيَّة

في وقارٍ شديدٍ وجِدِيَّةٍ قَدَّمَ داود الملك وهو على فراش الموت وصيَّته لابنه سليمان. وقد جاءت وصية داود الوداعيَّة نموذجًا حيًّا لما يليق بالآباء أن يقدِّموا لأبنائهم:

أ. نظرتَه نحو الموت كانطلاق للنفس في موكب جماعي وخروجها مع نفوس آباءه إلى مسكنها الأخير:

"ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلاً:
أنا ذاهب في طريق الأرض كلها،
فتشدّد وكن رجلاً" [١-٢].

إنه لم يخشَ أن يسمع عن الموت أو يتحدّث عنه، بل عبّر عنه بأسلوب رائع. حسبته طريق الأرض كلها. البشريَّة التي خرجت من الأرض تلتزم بالعودة إليها. الموت هو انطلاق من وادي الدموع (مز ٢٣: ٤)، كما في موكب يضم الجميع حتى الأنبياء العظماء والمؤمنين الأبرار، والملوك، لكن بروح الرجاء حيث يعبرون إلى ما وراء الزمن.

❖ الموت بالنسبة للذين يفهمونه خلود، أمّا بالنسبة للبلهاء الذين لا يفهمونه فهو موت. يجب علينا ألا نخاف هذا الموت، بل نخاف هلاك النفس الذي هو عدم معرفة الله. هذا هو ما يرعب النفس بحق!

❖ يستحيل علينا أن نهرب من الموت بأيَّة وسيلة. إذ يعرف العقلاء هذا بحق يمارسون الفضائل ويفكِّرون في حب الله، ويواجهون الموت بلا تنهّدات أو خوف أو دموع، مفكِّرين في أن الموت أمرٌ محتم من جهة، ومن جهة أخرى أنّه يحرِّرنا من الأمراض التي نخضع لها في هذه الحياة.

القديس أنطونيوس الكبير

ب. حثّ الجيل الجديد على العمل بروح القوة والالتزام والشعور بالمسئولية:

"تشدّد وكن رجلاً" [٢].

تحمل هذه الوصية الأبوية انعكاساً للوصية الإلهية لكل قائد، بل ولكل مؤمن، إذ يود الله أن يرى في كل أولاده قادة واثقين من الحضرة الإلهية والتمتع بالوجود الإلهية وبالقوة السماوية. فمهما بلغ عمرنا نشعر أننا أطفال، لكن بالرب نصير ناضجين، نحمل روح القوة.

"تشدّدوا وتشجّعوا، لا تخافوا ولا ترهبوا وجوههم، لأن الرب إلهك سائر معك، لا يهلك ولا يتركك" (تث ٣١: ٦).

"تشدّد وتشجّع، لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لأبائهم أن أعطيهم" (يش ١: ٦).
"إنما كن متشدداً وتشجّع جداً لكي تتحقّق للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي، لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تفلح حيثما تذهب" (يش ١: ٧).

"أما أمرتك تشدّد وتشجّع؟! لا ترهب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" (يش ١: ٩).
"انتظر الرب ليتشدّد ولينشجّع قلبك وانتظر الرب" (مز ٢٧: ١٤).
"لنتشدّد ولنتشجّع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب" (مز ٣١: ٢٤).
"اسهروا اثبتوا في الإيمان، كونوا رجالاً تقووا" (١ كو ١٦: ١٣).

❖ تحمّل برجولة النيران التي تُطهر شهواتك، وفي شجاعة تلك التي تُطهر قلبك. لا تظن أن ما لم تتله بعد لا تحصل عليه. ولا تخور يائساً مادمت تتأمل الكلمات: "انتظر الرب".

القديس أغسطينوس

ج. الالتزام بالإخلاص للعهد الإلهي والطاعة لوصاياهم.

"احفظ شعائر الرب إلهك،

إذ تسير في طريقه وتحفظ فرائضه وصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى، لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت.

لكي يقيم الرب كلامه الذي تكلم به عنّي قانلاً:

إذا حفظ بنوك طريقهم وسلخوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم

قال لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل" [٣-٤].

ما هو السير في طريق الرب إلا التمتع بالحضرة الإلهية والاتكاء على الذراع الإلهي وحفظ

الوصية عوض السير حسب الفكر البشري والاتكاء على القوة العسكرية والذهب والفضة والمظاهر الخارجية.

إن أراد المؤمن أن يكون ملكاً حقيقياً، صاحب سلطان على أفكاره ومشاعره وكلماته وتصرفاته، قادر أن يطأ كل قوات الظلمة يلتزم أن يحفظ فرائض الرب ووصاياه وأحكامه وشهاداته. فإنه إذ يحفظها تحفظه هي، وتهبه من سماتها الفداسة والحكمة مع القوة والفرح.

في تفسيرنا لسفر المزامير سبق أن عرضنا التمييز بين الفرائض والوصايا والأحكام والشهادات. إذ يقدم الله لنا **الفرائض المقدسة** يودّ منا أن نسلك بروح التدبير والنظام لنحمل حياته المقدسة فينا، فلا يكون للتشويش موضع فينا. و**وصاياه** يشتهي أن نحمل روح الطاعة، فنشارك مسيحا المطيع لأب سماته الفاتقة. و**يحفظنا لأحكامه** نعلن ثقتنا في أبوته الحكيمة الحانية وقبولنا لإرادته الإلهية حتى في لحظات تأديبنا المرة. و**بتمسكنا بشهاداته** نشهد أمام أنفسنا كما أمام اخوتنا يقينا بالحق الإلهي، وترقبنا لما وعدنا به في الحياة العتيدة.

هكذا يدعو داود النبي ابنه سليمان أن يلتزم كملك بالآتي:

إن كان كملك يطلب خضوع الكل للنظام الذي يضعه من أجل سلام البلد، يلتزم هو بالخضوع للتدبير الإلهي فلا يسلك حسب هواه الشخصي. فإن في داخله مملكة الله التي تشغل السماء كلها!

يلتزم الملك بالطاعة لله ولوصيته، فيطيعه شعبه ويقبل قوانينه.

يقبل أحكام الله العادلة، فيحمل روح العدالة في أحكامه الخاصة بالدولة.

يشهد الله الأمين في مواعيده، فيصير هو نفسه موضع ثقة شعبه.

هكذا يقدم لنا داود النبي مفهوماً حياً عملياً للنجاح، وهو أن ما نمارسه في علاقتنا بالله أبينا يرتد علينا حتى في علاقات اخوتنا بنا. وكما قيل: "كما فعلت يفعل بك؛ عملك يرتد على رأسك" (عز ١٥). إن صرنا موضع سرور الله، ننال نعمة حتى أمام أعدائنا إن وجدوا.

أما بخصوص الوعد الإلهي لداود أن لا يُعَدَم له رجل على كرسي إسرائيل، فقد قدّمه له الرب في (٢ صم ٧: ١١-١٦)، وثبّته لابنه سليمان بعد ذلك (١ مل ٩: ٥). وكان هذا الوعد مشروطاً، ولأسف لم يوفّ أبناء داود بالشروط، فنزعت المملكة منهم تدريجياً خلال السبي الآشوري ثم البابلي. أمّا الوعد الإلهي بمجيء المسيح من نسله فلم يكن مشروطاً وقد جاء ربنا يسوع المسيح ابن داود. بمجيئه تنبّت الوعد الأوّل بمفهوم روحي جديد تحدّث عنه إرميا النبي (٣٣: ١٤-١٨). فقد جاء المسيح "الرب بَرْنَا"، ووهبنا ذاته بَرّاً أمام الآب، وصرنا ملوكاً روحيين، جلس على كرسي بيت إسرائيل، نُحَسب أبناء لداود الملك، أو بالأحرى لابن داود ملك الملوك.

لعلّه يشير هنا إلى الشرائع الخاصة بالملك كما قدّمها موسى النبي: "لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر لكي يكثر الخيل والرب قال لكم لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق أيضاً، ولا يكثر له نساء لئلاً يزيغ قلبه، وفضّة وذهباً لا يكثر له كثيراً. وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين. فتكون معه ويقرأ فيها كل أيّام حياته، لكي يتعلّم أن يبقّي الرب إلهه ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلاً يرتفع قلبه على اخوته ولئلاً يحيد عن الوصيّة يميناً أو شمالاً، لكي يطيل الأيّام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل" (تث ١٧: ١٦-٢٠).

لم يُمنع الملك من أن يركب خيلاً، وإن كان ملك الملوك في تواضعه دخل أورشليم راكباً على أتان وجحش ابن أتان. لقد مُنع من المبالغة في استخدام الخيول كنوع من المجد الباطل، أو لأنّه مع كثرة الخيل يعطي أناساً غير مستحقّين للكرامة أن يستغلّوا موقعهم في القصر الملكي. قيل: "قد رأيت عبيداً على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد" (جا ٧: ١٠).

يرى العلامة أوريجينوس أن الخيل تُشير إلى الشياطين التي سقطت من السماء بسبب كبريائها، هؤلاء الذين تبعوا القائل: "أصعد فوق مرتفعات الرب وأصير مثل العليّ" (إش ١٤: ١٤).

❖ كُتِبَ في سفر المزامير: "باطل هو الفرس لأجل الخلاص" (مز ٣٣: ١٧)؛ وجاء في موضع آخر في الكتاب المقدّس: "الفرس والمركبة طرحهما في البحر" (خر ١٥: ١). كانت الوصيّة الصادرة لملك إسرائيل ألاّ يمتطي خيلاً (تث ١٧: ١٦)...

أظن أن الخيول هي البشر الخاطئة، وراكبيها هم الشياطين التي تمتطي الأشرار... الذي تحوّل إلى مُضطهد هو فرس، والشيطان هو قائده الذي يرشقنا برمح. الخيل يجري والشيطان يرشق بالرمح. الخيل مسوق في حالة هياج بمن يثيره ويهيجّه بجنون بغير إرادته^١.

القديس جيروم

❖ يمكننا أن نأخذ الفرس رمزاً لآيّة ممتلكات في هذا العالم، أو لأي نوع من الكرامة نتكل عليها في كبرياء، حاسبين خطأ أنّكم كلّما ارتفعتم يزداد أمانكم وعلوكم. ألا تدركون بأي عنفٍ سوف تلقون؟! كلّما ارتفعتم إلى أعلى يكون سقوطكم بأكثر ثقل... فكيف إذن يتحقّق الأمان؟ فإنّه لا يتحقّق بالقوّة ولا بالسلطة ولا بالكرامة ولا بالمجد ولا بالفرس^٢.

¹ On Ps. hom. 56.

² On Ps. 33 (32).

القديس أغسطينوس

٢. وصية خاصة بيوآب

"وأنت أيضًا تعلم ما فعل بي يوآب ابن صروية.
ما فعل لرئيسي جيوش إسرائيل أبنير بن نير وعماسا بن يثر،
إذ قتلها وسفك دم الحرب في الصلح،
وجعل دم الحرب في منطقتها التي على حقوقه وفي نعليه اللتين برجليه.
فأفعل حسب حكمتك، ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية" [٦-٥].

السلوك بروح العدالة

استحق يوآب الموت مرتين بقتله القائد العظيم أبنير (٢ صم ٣: ٢٧) وعماسا (٢ صم ٢٠: ١٠) حسدًا، بغدرٍ وخداع. هذا الأمر لم يحزن داود فحسب، وإنما تشكك البعض ظانين أن داود هو الذي قتل أبنير (٢ صم ٣: ٢٨، ٣٧). لقد سفك دمًا في وقت السلم، الأمر الذي ما كان يجب أن يحدث، فإنهما لم يكونا عدوين له يحاربانه.

بقوله "جعل دم الحرب في منطقتها التي على حقوقه وفي نعليه اللتين برجليه" يكشف عن روح الغدر والخداع. ففي المعارك يتقابل المحاربون من أجل سلامة دولتهم، فيسيل دم كل قتيلى على جسده وثيابه، أمّا يوآب فقد تظاهر باحتضان أبنير وعماسا، وإذ هما في حضنه قتلها، فسال الدم على منطقتها ونزل إلى نعليه. وكأن هذا الدم البريء قد التصق به.

لقد حسب داود قتل القائد العظيم خسارة كبيرة لحقت به هو شخصيًا، وكان ما فعله يوآب بهما إنما فعله بداود نفسه. فما يلحق بمحبوبيه كأنه يلحق به، وما أصاب شعبه بفقدانه القائد كأنما أصابه هو. إنّه كملك ومسئول عن أمة دخلت في عهد مع الله لا يليق به أن يترك جريمتين كهاتين دون معاقبة المجرم. لقد أجل العقاب إلى الوقت المناسب، بعد الانتهاء من الحروب في أيامه لتتحقق العدالة في أيام ابنه سليمان. معاقبة قائد حرب مثل يوآب تطلبت الحكمة واختيار الوقت المناسب، حتى لا يحدث تدمر في الجيش الذي كان البعض، دون شك، معجبين بالقائد.

٣. وصية تخص بني برزلاي

"وأفعل معروفًا لبني برزلاي الجلعاوي،
فيكونوا بين الآكلين على مائدتك،

لأنهم هكذا تقدّموا إليّ عند هربي من وجه أبشالوم أخيك" [٧].

في (٢ صم ١٧ : ٢٧) ذُكر برزلاي الجلعادي وحده، هذا الذي أظهر لطفًا لداود عندما هرب من وجه ابنه أبشالوم وقدّم له طعامًا. وإذ كان قد بلغ الثمانين من عمره، فبلاشك قام أولاده بمساعدته في تحقيق ذلك. غالبًا ما كان برزلاي قد مات، لذا لم يُشر داود الملك إليه بل إلى أبنائه. بنفس الروح صلى الرسول بولس إلى بيت أنسيفورس: "ليُعط الرب رحمة لبيت أنسيفورس، لأنّه مرارًا كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي..." (١ تي ١ : ١٦-١٨).

٤. وصيّة تخص شمعي

"وهوذا معك شمعي بن جيرا البنياميني من بحوريم، وهو لعني لعنة شديدة يوم انطلقت إلى محنايم، وقد نزل للقائي إلى الأردن، فحلفت له بالرب قاتلاً: إنّي لا أميتك بالسيف. والآن فلا تبرّره، لأنك أنت رجل حكيم، فاعلم ما تفعل به، وأحذر شببته بالدم إلى الهاوية" [٨-٩].

أظهر شمعي البنياميني نوعًا من الكراهية لداود (٢ صم ١٦ : ٥-٨)، إذ لعنه لعنة مرّة. وعندما عاد داود إلى أورشليم سقط شمعي عند قدميه ووعده الملك بأنّه لن يقتله، إذ لم يرد أن يمزج فرح الشعب بعودته إلى عرشه بممارسة أيّة عقوبة (٢ صم ١٩ : ١٩-٢٤). لقد غفر له فيما يخصّه شخصيًا كداود، أمّا كونه قد أخطأ في حق مسيح الرب والملك ممثّل الله، فليس من حق داود التهاون في هذا الحق. لقد جاءت وصيّة داود الملك لابنه: "لا تبرّره"، بمعنى ألاّ تعاقبه عن رغبة شخصيّة في الانتقام لي ولك، وإنّما تحكم عليه كقاضٍ عادلٍ لا يبرّر المذنب. لقد أكّد داود أنّساع قلبه بالحب لمقاوميه، فلم يمس شمعي بأذى كل أيام حياته، وأكّد أيضًا خطورة التسيّب في معاقبة المجرمين لذا طلب من ابنه ممارسة الحق الإلهي.

بقوله "لا تبرّره" يعني لا تحسبه بارًا لأنّي حلفت له إنّي لا أقتله بالسيف، بكونك حكميًا تصرّف معه لأنّه يمثّل خطورة على المملكة، فهو رجل مخادع وليس بريئًا. إنّه قد يستغلّ حادثة سنك فيخطّط ضدك.

٥. ثبوت ملك سليمان

"واضطجع داود مع آبائه، ودفن في مدينة داود" [١٠].

لم يكن يُسمح بإقامة مقابر داخل المدن؛ كانت أورشليم مستنثاة من أجل العائلة الملكية. دُفن داود في مدينة داود، أي على جبل صهيون، وكان قبره هناك ولا يزال قائماً حتى أيام السيد المسيح (أع ٢: ٢٩).

يقول يوسيفوس المؤرخ بأن سليمان أودع كنوزاً كثيرة مع جثمان أبيه في القبر، وقد بقيت محفوظة ١٣ قرناً حتى فتح رئيس الكهنة هيراقانوس *Hyracanus* المقبرة وأخرج ٣٠٠٠ وزنة قدّمها لأنطيوخوس لكي يرفع الحصار عن أورشليم. كما يقول إنّه فيما بعد اعتدى هيرودس الكبير على المقبرة واستولى على كنوز كثيرة.

تحدّث القديس جيروم عن مقبرة داود بكونها كانت لا تزال قائمة في أيامه.

"وكان الزمان الذي ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة في حبرون،

ملك سبع سنين، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة".

"وجلس سليمان على كرسي داود أبيه، وتثبّت ملكه جداً" [١١-١٢].

كانت حياة داود النبي سلسلة لا تنقطع من الآلام، خاصة أثناء الأربعين عاماً من الحكم، فقد جاهد لتثبيت المملكة، لا لمجد ذاتي، وإنما لأجل الله. وقد امتزجت آلامه بروح البهجة والتسبيح غير المنقطع. الآن يتسلّم ابنه سليمان الحكم، فيجد مملكة مستقرّة إلى حدٍ كبير. إنّها ثمرة تعب والده، فما انتهى إليه والده من جهاد حسن تسلّمه الابن الصغير ليتحقّق الاستقرار في فترة وجيزة.

٦. أدونيا يُحطّم نفسه

"ثم جاء أدونيا بن حجيث إلى بثشبع أم سليمان فقالت:

أللسلام جئت؟ فقال: للسلام" [١٣].

سؤال بثشبع لأدونيا إن كان قد جاء للسلام يكشف عن توقّعها أنّه جاء إليها بنية شريرة.

"ثم قال: لي معك كلمة.

فقالت: تكلم.

فقال: أنت تعلمين أن الملك كان لي،

وقد جعل جميع إسرائيل وجوههم نحوي لأملك،

فدار الملك وصار لأخي، لأنّه من قبل الرب صار له". [١٤-١٥].

في حديث أدونيا لبثشبع كشف أنّه من حقّه أن يستلم الملك بكونه أكبر أبناء داود الأحياء، وأن

كل الشعب كان مترقبًا تحقيق ذلك، ورئيس الكهنة أيضًا كان يتَّجه إلى ذلك، لكن بقي الرب وحده الذي من حقه أن يُقيم من يشاء فاختار سليمان [١٥].

ما نطق به مع أم الملك كان بلا شك امتدادًا لما كان بينه في وسط القصر وبين العظماء، مُعلنًا حقه في استلام المملكة. ربّما لم يكن يُشير إليهم بأن الرب اختار أخاه سليمان.

"والآن أسألك سؤالاً واحداً، فلا تردني فيه.

فقالت له: تكلم.

فقال: قل لي لسليمان الملك لأنه لا يردك أن يعطيني أبيشج الشونمية امرأة.

فقالت بثشبع: حسناً أنا أتكلّم عنك إلى الملك.

فدخلت بثشبع إلى الملك سليمان لتكلّمه عن أدونيا،

فقام الملك للقائها، وسجد لها، وجلس على كرسيه،

ووضع كرسياً لأم الملك، فجلست عن يمينه" [١٦-١٩].

اتّسم سليمان بروح التواضع، فعند دخول والدته قام من على كرسيه وذهب إليها ولم ينتظر حتى تصل إليه، وانحنى أمامها، وسألها أن تجلس عن يمينه، علامة تكريمه لها. الجلوس عن يمين الملك كان علامة التكريم كما جاء في المزمور (١١٠: ١)، وكما كانت العادة لدى ملوك العرب^١ واليونان والرومان^٢.

بعمله هذا تمّ الوصية الخامسة التي تسلّمها موسى النبي، والخاصة بإكرام الوالدين. وإذ كان والده قد توفّي لذا كانت الوالدة تجلس عن يمين ابنها تكريماً لها كأه، وكمن تمثّل الوالدين معاً. مع تكريمه العظيم لها أخذ موقفاً حازماً من أخيه ومعاونيه الذين كانوا لا يزالون يخطّون لاستيلاء أدونيا الحكم.

"وقالت إنّما أسألك سؤالاً واحداً صغيراً، لا تردني.

فقال لها الملك: أسألي يا أمي لأنّي لا أردك.

فقالت: لتعطِ أبيشج الشونمية لأدونيا أخيك امرأة". [٢٠-٢١].

مع أن أبيشج كانت ممرّضة لكنّها في نظر الشعب كانت كإحدى السراي. وكان لدى الإسرائيليين كما لدى الفارسيين^٣ أن من يقتني نساء الملك الميّت يكون كمن تولّى عرشه (٢ صم ١٢: ٨؛ ٣:

¹ Eichhorn: *Moumen. Antiq. Hist. Arab.*, p. 220.

² Keil, p. 32.

³ Herodot 3:68.

طلبت بثبوع ذلك ليس جهلاً منها أن من يقتني نساء الملك يُحسب مستحقاً لنوال العرش، وإنما ربّما لأن أدونيّا استطاع بكلماته المعسولة أن يقنعها أنّه لا يعني هذا، أو ربّما لأنّها حسبت أبيضج مجرد ممرّضة وليست واحدة من السراري. كانت شفتا أدونيّا أنعم من الدّهن، أمّا قلبه فكان يستعد لحرب داخلية مزرّة. ولعلّها حسبت أن استجابة هذه الطلبة لأدونيّا تهدي من نفسه نحو أخيه الأصغر الذي استلم الحكم، فيخضع له. حسبت ذلك ترويضاً له حتى لا يمارس العنف.

فأجاب الملك سليمان وقال لأمه:

ولماذا أنت تسألين أبيضج الشونمية لأدونيّا،

فأسألي له الملك، لأنّه أخي الأكبر مني،

له ولأبياتار الكاهن وليوآب ابن صروية.

وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً:

هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد أنّه قد تكلم أدونيّا بهذا الكلام ضدّ نفسه.

والآن حيّ هو الرب الذي تثبّنتي، وأجلسني على كرسي داود أبي، والذي صنع لي بيتاً كما تكلم،

إنّه اليوم يُقتل أدونيّا.

فأرسل الملك سليمان بيد بنيياهو بن يهوئاداع فبطش به فمات [٢٢-٢٥].

أشار سليمان إلى أبياتار الكاهن ويوآب مع أدونيّا لأنّهما كانا المحرّضين له لاستلام العرش لكي

يحكما من خلاله.

لست أظن أن سليمان يُحسب كاسراً للوعد الذي قدّمه لأمه أنّه يهبها طلبتها. فاهتمام سليمان

بسلاّم المملكة والحفاظ عليها أهم من إيفاء الوعد الخاطيء الذي قدّمه لأمه. يرى البعض لو أن

هيرودس لم يقتل القديس يوحنا المعمدان ليقدم رأسه لهيروديا لما حُسب كاسراً للعهد. فإن التراجع مع

الحق أفضل من تحقيق وعد فيه دمار له أو لغيره.

٧. استبعاد أبياتار

يبدو أن سليمان قد عرف بأن أبياتار الكاهن ويوآب وراء طلب أبيضج زوجة لأدونيّا، وأنّهما لا

يزالان يخططان لحركة تمرد جديدة يقوم بها أدونيّا [٢٢]. هذا العمل فيه تمرد، خاصة وأن الاثنين في

مركزين خطيرين ويمثّلان نموذجين للقادة كما للشعب. إنهما يمارسان خيانة خطيرة متخفية!

"وقال الملك لأبياتار الكاهن: اذهب إلى عناثوث إلى حقولك،

لأنك مستوجب الموت ولست أقتلك في هذا اليوم،

لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي،

ولأنك تذللّت بكل ما تذللّ به أبي.

وظرد سليمان أبيآثار عن أن يكون كاهنًا للرب،

لإتمام كلام الرب الذي تكلم به على بيت عالي في شيلوه" [٢٦-٢٧].

موقف سليمان الحكيم من أبيآثار يكشف عن تحرّره من كل رغبة للانتقام الشخصي ومن استخدام العنف. اشتراكه في مؤامرة أدونيّا لاغتصاب العرش يستوجب الموت. لكنّه اكتفى باستبعاده إلى عناثوث، حيث توجد حقوله. هكذا أعاده في خزي إلى قريته. لم يحكم عليه بالموت من أجل كرامته كرئيس كهنة، ولأنّه حمل تابوت العهد، واشترك مع والده في آلامه أثناء اضطهاد شاول لداود أبيه (١ صم ٢٢: ٢٠؛ ٢٣: ٨)، وثورة أبشالوم (٢ صم ١٥: ٢٤ الخ).

ما فعله كان تحقيقًا لقول الرب عن بيت عالي الكاهن (١ صم ٢: ٣٠-٣٣). بهذا انتقلت رئاسة الكهنوت من بيت عالي إلى صادوق. كان صادوق من عائلة أليعازار، بهذا التغيير عاد الكهنوت إلى قناته الأولى.

٨. قتل يوأب

فأتى الخبر إلى يوأب، لأن يوأب مال وراء أدونيّا ولم يمل وراء أبشالوم،

فهرب يوأب إلى خيمة الرب، وتمسك بقرون المذبح.

فأخبر الملك سليمان بأن يوأب قد هرب إلى خيمة الرب،

وها هو بجانب المذبح.

فأرسل سليمان بناياهو بن يهوئاداع قائلاً: اذهب ابطش به.

فدخل بناياهو إلى خيمة الرب، وقال له:

هكذا يقول الملك: أخرج.

فقال: كلا، ولكنني هنا أموت.

فرد بناياهو الجواب على الملك قائلاً: هكذا تكلم يوأب وهكذا جاؤيني.

فقال له الملك: افعل كما تكلم وابطش به وادفنه،

وأزل عني وعن بيت أبي الدم الذكي الذي سفكه يوأب.

فيرد الرب دمه على رأسه،

لأنه بطش برجلين بريئين وخير منه وقتلها بالسيف،
وأبي داود لا يعلم.

وهما أبنير بن نير رئيس جيش إسرائيل، وعماسا بن يثر رئيس جيش يهوذا.
فبرتد دمهما على رأس يواب، ورأس نسله إلى الأبد،
ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب.
فصعد بناياهو بن يهوئادع وبتش به وقتله، فدُفن في بيته في البرية.
وجعل الملك بناياهو بن يهوئادع مكانه على الجيش،
وجعل الملك صادوق الكاهن مكان أبياتار" [٢٨-٣٥].

هرب يواب إلى خيمة الرب لا إلى خيمة الشهادة، إنما الخيمة المقدسة في صهيون لكي يحتمي بالمذبح. لماذا هرب إلى المذبح؟

- ❖ ربّما لأنّه قد علم بأن سليمان قد عرف أنّه هو وأبياتار وراء فكرة طلب أبيشج زوجة لأدونيا.
- ❖ لعلّه سمع من رجال الدولة المحيطين بالملك بوصية داود الملك لابنه سليمان، فأدرك أن الوقت قد حان لكي يصدر الحكم.
- ❖ أدرك خطورة الموقف بعد قتل أدونيا وطرد أبياتار الكاهن إلى قريته.
- ❖ ربّما أراد أن يضع سليمان في موقف حرج، فإنّه إذ يصرّ على قتله يحسبه البعض أنّه قد دسّ الهيكل بالدم.
- ❖ لعلّه شعر بالذنب وأدرك أنّه يستحقّ القتل، فلجأ إلى المذبح لكي يموت في بيت الرب، كمن يستظل تحت جناحيّ الله لكي يجد رحمة.
- لم يذكر الكتاب أن يواب أشار على أدونيا أن يأخذ أبيشج زوجة، لكن سليمان أصدر حكمه من أجل جريمتي الغدر والقتل للقائدين أبنير وعماسا.
- ظنّ يواب أن جريمتيه قد نُسيتا مع الزمن وأن ثورة سليمان ضدّه هي من أجل طلب أدونيا أبيشج زوجة له، لذلك التجأ إلى المذبح، واثقاً أنّه يدافع عن نفسه بأنّه لم يُحرّض أدونيا على ذلك. حسب ما ورد في (خر ٢١: ١٣-١٤) لا يحمي المذبح قاتلاً متعمداً وبغدر.
- لقد نزع سليمان عن أبيه وبيته سفك الدم البريء، حتى ينزع عن الأرض الدنس كما قيل: "لا تدنّسوا الأرض التي أنتم فيها، لأنّ الدم يُدنّس الأرض؛ وعن الأرض لا يُكفّر لأجل الدم الذي سُفك فيها إلاّ بدم سافكه" (عد ٣٥: ٣٣)، "وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي

تأخذه للموت" (خر ٢١: ١٤).

لم يرد بناياهو أن يتحمّل مسئولية قتل إنسان في موضع مقدّس، فلجأ إلى الملك الذي أشار بتطبيق الشريعة: "لا تشفق عينك عليه، فتنزع دم البريء من إثمه فيكون لك خير" (تث ١٩: ١٣). ما كان يمكن لبيت داود أن يثبت ما لم يمارس نسله البرّ والعدل كأمر الرب. لقد أمر سليمان بقتل يوباب ودفنه، فلا يترك جثمانه في عارٍ وخزي، لأنّه حارب مع والده. دُفن يوباب في بيته شرق بيت لحم في بريّة اليهوديّة. كان دفن الإنسان في أرضه أو بيته يحمل نوعاً من التكريم كما حدث مع صموئيل النبي (١ صم ٢٥: ١) وغيره. هكذا لم ينتقم سليمان لنفسه بل أمر بالقتل طاعة للوصيّة ولأبيه. وتحقّق بذلك القول: "أزل الشرير من قدام الملك فيثبت كرسيه بالعدل" (أم ٢٥: ٥).

٩. معاقبة شمعي

"ثم أرسل الملك ودعا شمعي،
وقال له: ابن لنفسك بيتاً في اورشليم،
وأقم هناك، ولا تخرج من هناك إلى هنا أو هنالك.
فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون أعلمن بأنك موتاً تموت،
ويكون دمك على رأسك.
فقال شمعي للملك: حسن الأمر كما تكلم سيدي الملك،

كذلك يصنع عبدك فأقام شمعي في اورشليم أياماً كثيرة" [٣٦-٣٨].

استدعى شمعي ربّما من بحوريم *Bahurim* حيث كان منزله (٢ صم ١٦: ٥) وأمر أن يبني لنفسه بيتاً في اورشليم يسكن فيه، ولا يفارق المدينة تحت أي ظرف وإلاّ تعرّض للموت، وأقسم بالرب أنّه يطيع. عندما استدعى الملك سليمان شمعي من مدينته وقد عرف ما حلّ بأدونيا ويوباب وأبياتار ربّما ظنّ أنّه قد دُعي لكي يُقتل، خاصة إن كان قد سمع ما أوصى به داود ابنه سليمان. لكن سليمان عرف كيف يميّز بين الجرائم، فما حكم به على يوباب القاتل غير ما حكم به على شمعي.

استدعاه وحكم عليه بتحديد إقامته لا في منزل بل في المدينة كلّها، ليست أيّة مدينة، بل اورشليم التي امتازت بجمال موقعها، مصدر فرح العالم كلّ في ذلك الحين، المدينة الملوكية، المدينة المقدّسة. كأنّه قد سمح له بتحديد إقامته في فردوس أرضي! لقد أراد أن يستبعده عن سبطه حتى لا يخطّط شيئاً ضدّ الملك. حقاً لقد أعطاه شيئاً من الحرّيّة مع وضعه تحت عينيه، إذ يعلم مدى

خطورته. لقد كان الحكم عادلاً يحمل اختباراً لمدى طاعة شمعي له وأمانته في عودته.

"وفي نهاية ثلاث سنين هرب عبدان لشمعي إلى أخيش بن معكة ملك جتّ،

فأخبروا شمعي قائلين: هوذا عبداك في جتّ.

فقام شمعي وشدّ على حماره، وذهب إلى جتّ إلى أخيش،

ليفتّش على عبديه،

فانطلق شمعي وأتى بعبديه من جتّ.

فأخبر سليمان بأن شمعي قد انطلق من أورشليم إلى جتّ ورجع.

فأرسل الملك ودعا شمعي وقال له:

أما استحلقتك بالرب وأشهدت عليك قانلاً أنّك يوم تخرج وتذهب إلى هنا وهناك إعلمن بأنك

موتاً تموت؟

فقلت لي حسن الأمر قد سمعت.

فلماذا لم تحفظ يمين الرب والوصية التي أوصيتك بها؟

ثم قال الملك لشمعي: أنت عرفت كل الشرّ الذي عمله قلبك الذي فعلته لداود أبي فليرد الرب

شركّ على رأسك.

والملك سليمان يبارك وكرسي داود يكون ثابتاً أمام الرب إلى الأبد.

وأمر الملك بنياهو بن يهوئاداع،

فخرج وبطش به، فمات وتثبّت الملك بيد سليمان" [٣٩-٤٦].

عندما غادر المدينة ليُحضر عبديه الهاريين إلى جتّ حسب شمعي كاسراً للقسم بالرب، وأصدر

سليمان حكمه بموته.

انتقد بعض الدارسين موقف سليمان، وحسبوه عنيفاً. لكن البعض يرى أن شمعي قد أخطأ، فإنّه

وإن كان من حقّه أن يستردّ عبديه، إلاّ أنّه ما دام أقسم بالرب أن يُطيع كان يجب أن يُبلغ الملك

بهروب عبديه وبطلب ردّ العبيدين إليه منتظراً قرار الملك، وليس من حقّه كسر القسم بالرب مهما تكن

الظروف.

تحقّق استقرار مملكة سليمان بالكامل بعد ثلاث سنوات [٣٩].

بقوله "شدّ على حماره" [٤٠] يكشف أنّه خرج ليلاً دون أن يخبر أحداً حتى من أهل بيته، إذ لم

يُعد أحد عبديه الحمار. غالباً ما خرج ليلاً وسط الظلام حتى لا يكتشف أحد أمره.

فَنَشَّ شَمْعِي عَنْ عِبْدِيهِ وَرَدَّهُمَا إِلَى بَيْتِهِ، لَكِنَّهُ فَقَدَ حَيَاتِهِ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُ، لِأَنَّهُ خَانَ الْعَهْدَ. هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْكَثِيرُونَ حِينَ يَكْسِرُونَ الْوَصِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ مِنْ أَجْلِ خَيْرَاتٍ زَمْنِيَّةٍ هِيَ عَبِيدٌ لخدمَتِنَا، فَتَفْقَدُ حَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةَ وَتَهْلِكُ نَفُوسُنَا!

كَانَتْ حَيْثِيَّاتِ الْحُكْمِ الَّذِي نَطَقَ بِهِ الْمَلِكُ سَلِيمَانَ هِيَ أَنَّ شَمْعِي يَعْرِفُ الشَّرَّ الْكَامِنَ فِي قَلْبِهِ مِنْذُ أَيَّامِ وَالِدِهِ دَاوُدَ حِينَ سَبَّ مَسِيحَ الرَّبِّ وَقَذَفَهُ بِالْحِجَارَةِ. هُوَ لَعَنَ مَسِيحَ الرَّبِّ، فَارْتَدَّتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ، أَمَّا دَاوُدُ وَنَسْلُهُ فَيُنَالُونَ الْبَرَكَةَ، وَيَثْبُتُ كُرْسِيُّ دَاوُدَ أَمَامَ الرَّبِّ لَا النَّاسِ.

من وحي ١ مل ٢

لتثبت مملكتك في أعماقي!

❖ داود قدّم وصيّته الوداعيّة لابنه سليمان.
وها أنت يا ابن داود تهبني وصيّتك الوداعيّة،
لا لتحبس حرّيتي، بل لتثبت مملكتك في أعماقي،
وتقيم منّي ملكاً اتّحد بك يا ملك الملوك!

❖ إذ كان داود سالماً في طريق الأرض كلّها،
سند ابنه قائلاً: تشدّد وكن رجلاً!
أراك يا ابن داود سالماً في طريق فريد،
من أجلي تجتاز المعصرة وحدك،
تصرخ: تشدّد وكن لي ابناً ورفيقاً!
من يهبني القوّة والنضوج إلاّ روحك القدّوس؟!
هب لي روحك الذي يُقيم من الموت،
يبعث فيّ روح القوّة والنصرة والحياة!

❖ بك أتشدّد واحفظ وصيّتك.
بك تتحطّم كل قوى الشرّ!
ليدوي صوت وصيّة أبي داود في أذنيّ:
تشدّد وكن رجلاً.
احفظ شعائر الرب لكي تفلح في كل ما تفعل.

❖ روحك يقودني في طريق الوصيّة،
فأحفظ فرائضك لكي أحيأ بطقس السماء.
وأُنحني أمام أحكامك فأدرك أسرار خطّتك.
وأفرح بشهادتك، شاهداً بعملك الفائق معي.

❖ ليُقْتل يوأب سافك الدماء؛
فلا يحلّ الدنس بأرض قلبي.

لَتَقْتُلْ كلَّ عَنفٍ قَائِمٍ فِي أَعْمَاقِي.
فَلَا أَحْمَلُ سَمَاتِ إِبْلِيسَ الْغَادِرِ،
بَلْ سَمَاتِكَ يَا أَيُّهَا الْحَبِّ الْحَقِيقِي!
لَيَقْتُلْ كلَّ فِكْرٍ غَدَرَ فِيَّ، كَمَا قَتَلَ سَلِيمَانَ يُوَآبَ.
فَإِنَّهُ قَائِدٌ غَادِرٌ سَافِكٌ دِمَاءَ بَرِيئَةٍ.
لَيْتَهُ لَا يَجِدُ الْغَدْرَ لَهُ مَوْضِعًا فِي أَعْمَاقِي،
وَلَا يَحْتَلُّ عَجَلَةَ قِيَادَةِ إِرَادَتِي!

❖ لِأَرْدَ لِبْنِي بَرَزَلَايَ مَعْرُوفَهُمْ مَعِي.

فَلَا أَكُونُ مَدِينًا لِأَحَدٍ بَشِيءٍ،
إِلَّا بِالْحَبِّ وَاللِّطْفِ الْمُسْتَمِرِّ!
عَلَّمَنِي أَلَّا اسْتَعْلَ مَحَبَّةَ اخْوَتِي،
وَلَا أَطْلُبُ خِدْمَاتَهُمْ فِي أَنَانِيَّةٍ.
بَلْ أَشْتَهِي الْعَطَاءَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَخْذِ.

❖ لَتَهْلِكْ شَمْعِي لِأَعْنِ مَسِيحِ الرَّبِّ.

فَلَا أَجْرِي مَعَهُ وَرَاءَ الْعَبِيدِ فَأَفْقِدَ عَهْدِي مَعَكَ.
لَا أَجْرِي وَرَاءَ الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ لخدمَتِي،
وَأُخْسِرُ نَفْسِي الَّتِي خَلَقْتَهَا تُشَارِكُ مَجْدَكَ أَبَدِيًّا!
بِرُوحِكَ تَحْجُمُ طَاقَاتُ شَمْعِي مِثْلَ الْفَتْنَةِ وَمَهْدِدُ السَّلَامِ.
مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْبِسَ طَاقَاتِ الْفَسَادِ وَيَهْلِكُهَا سِوَاكَ؟

❖ لِيُطْرَدَ أَيْبَاثَارُ الْكَاهِنِ الشَّكْلِيِّ فِي عِبَادَتِهِ،

وَلِيَقُمْ صَادُوقُ الْكَاهِنِ الرُّوحِيِّ!

لَتَنْزِعَ عَنِّي كُلَّ شَكْلِيَّةٍ فَأَحْيَا بِالرُّوحِ!
لَأُطْرِدَ كُلَّ فِكْرٍ غَرِيبٍ، حَتَّىٰ إِنْ بَدَأَ مَقْدَسًا.
لَأُطْرِدَهُ مَعَ أَيْبَاثَارِ الْكَاهِنِ مِنَ أُورُشَلِيمَ إِلَىٰ عَنَاثُوتَ.
فَلَا يَحْتَلُّ الْفِكْرَ مَكَانًا فِي مَذْبَحِكَ دَاخِلِي.

❖ هوذا أدونيًا يتحرّك ليغتصب مملكتي!

يطلب أبيشح زوجة ليسحب منّي عرشي!
هب لي بروح الحكمة أن احتفظ بالحكمة عروسًا لي!
هب لي بروح الحزم أن أحطّم إبليس المخادع!
ليتحطّم إبليس وليقم عرشك فيّ!

❖ هب لي ألاّ أنخدع بحيل أدونيًا مغتصب الحكم.
فإن عدوّ الخير ينطق بكلمات معسولة، لكنّها قاتلة.
هب لي حكمة فلا يسحب العدوّ عرشك من قلبي.
لا يحرمني من مملكتي، ويهلك نفسي!

❖ بروحك يا رب أتشدّد ولا أخف.
هو حافظي من أدونيًا وأبياثار ويوآب وشمعي.
حافظي من الأفكار التي تودّ أن تخدعني بصورتها المعسولة.
لتنزع عنّي كل خداع ومكر!
أنت محطّم كل قوى الشرّ.
أنت واهب السلام لمملكتك في داخلي.

"وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير لا يُحصى ولا يُعد من الكثرة.
فأعطِ عبدك قلباً فهِيمًا لأحكم على شعبك،
وأُمَيِّز بين الخير والشرِّ،
لأنَّه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟"

(١ ملوك ٣ : ٨-٩)

حكمة سليمان وغناه

[ص ٣ - ص ٤]

الأصحاح الثالث

اختيار سليمان للحكمة

حدّثنا الأصحاح السابق عن استقرار الحكم بين يديّ سليمان. والآن يبدأ تاريخه كملك بزواجه من أميرة مصريّة، مع تقديم ملاحظة عن حال المملكة في بداية حكمه [١-٣]. يلي هذا تقديم ذبائح ممتزجة بالصلاة في جبعون كنوع من تقديس الحكم، وطلب عون الرب وبركته [٤]. ظهر الرب له وسأله عمّا يطلبه [٥-٨]، فاختار سليمان الحكمة ولم يسأل مجداً أو غنى [٩-١٠]. أعطاه الله ما سأله وما لم يسأله [١١-١٥]. ولكي يقدّم دليلاً عملياً على روح الحكمة أصدر حكماً عادلاً أمام كل الشعب [١٦-٢٨].

في جبعون حيث كانت خيمة العهد والمذبح النحاسي في ذلك الحين (١ أي ٢١: ٢٩)، وهي تبعد حوالي عشرة أميال شمال غرب أورشليم، ومع كون التابوت في أورشليم [١٥]، اختار سليمان الحكمة لكي يحكم شعب. سر الله بذلك وكافأه بسخاء.

١. زواجه من أميرة مصريّة ١-٣.
٢. ظهور الرب لسليمان ٤-٧.
٣. اختيار سليمان للحكمة ٨-١٥.
٤. حكمة سليمان ١٦-٢٨.

١. زواجه من أميرة مصريّة

إذ استقرّ الحكم في يديه لم يضيّع سليمان وقته في إقامة تحالف مع مصر، أخطر قوّة عسكريّة في ذلك الحين، لكنّه استطاع أن يحقّق ذلك بزواجه بابنة فرعون التي يبدو أنّها قبلت عبادة الله الحيّ. وقد رحّبت مصر بذلك، حيث شعرت بتزايد قوى إسرائيل، فكان من الجانب السياسي هذا الزواج يعطي استقراراً للمملكتين.

يرى البعض أن سليمان قد أخطأ، وأنّه لم يسمع للوصايا التالية: "احترز من أن تأخذ من بناتهم لبنيك، فترني بناتهم وراء آلهتهنّ، ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهنّ" (خر ٣٤: ١٦). "ولا تصاهرهم. ابنتك لا تُعطِ لابنه، وابنته لا تأخذ لابنك، لأنّه يرد ابنك من ورائي، فيعبد آلهة أخرى، فيحمي غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً" (تث ٧: ٣-٤). وعندما قام نحميا بإصلاح الشعب خاصم المتزوّجين

بالأشوديين والعمونيّات والموآبيّات (نح ١٣ : ٢٣): هؤلاء الذين بسببهم فقدوا قدرتهم حتى على التكلّم باللغة اليهوديّة كما يجب. وقال لهم: "أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل، ولم يكن في أمم كثيرة ملك مثله، وكان محبوبًا إلى إلهه، فجعله الله ملكًا على كل إسرائيل؟ هو أيضًا جعلته النساء الأجنبيّات يخطئ، فهل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشرّ العظيم بالخيانة ضدّ إلهنا بمساكنة نساء أجنبيّات؟" (نح ١٣ : ٢٦-٢٧).

غير أنّه لم يكن الزواج بمصريّة أمرًا يُخالف الشريعة التي تمنع الزواج من الكنعانيّات (خر ٣٤ : ١٦؛ تث ٧ : ٣)، بينما يسمح بزواج الأسيرة في الحرب (تث ٢١ : ١٠ الخ). لكن لكي يتحقّق الزواج بروح الشريعة تلتزم العروس بجحد الأوثان والدخول في الإيمان بيهوه. واضح أن ابنة فرعون فعلت هكذا، إذ نجد سليمان في السنوات الأولى من حكمه يجحد الأوثان، كما لم نسمع عن دخول أيّة عبادة مصريّة وثنيّة في أيّام سليمان. وقد ميّزت هذه الزوجة عن بقيّة الزوجات الأجنبيّات اللواتي جذبن سليمان إلى آلهتهن (١ : ١١).

لقد تمّ زواجه السياسي ليتقرّع لبناء هيكل الرب وقصره وأسوار أورشليم وكل منشآته.

"وصاهر سليمان فرعون ملك مصر،

وأخذ بنت فرعون،

وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها" [١].

أخطأ المؤرّخ يوسيفوس اليهودي حيث كتب بأن ملك مصر هذا هو آخر ملك حمل لقب "فرعون"^١.

جاءت ابنة فرعون إلى مدينة داود، أورشليم، قبل الانتهاء من بناء الهيكل الذي كان في السنة الحادية عشرة من ملكه (١ مل ٦ : ١، ٣٧-٣٨). مدينة داود قائمة على الجبل الشرقي أو صهيون الحقيقيّة حيث أقيم الهيكل عليه فيما بعد. وقد أقام لها بيتًا، إذ قيل: "وأما بنت فرعون فأصعدها سليمان من مدينة داود إلى البيت الذي بناه لها، لأنّه قال لا تسكن امرأة لي في بيت داود ملك إسرائيل، لأن الأماكن التي دخل إليها تابوت الرب إنّما هي مقدّسة" (٢ أي ٨ : ١١).

"إلّا أن الشعب كانوا يذبحون في المرتفعات،

لأنّه لم يُبنَ بيت لاسم الرب إلى تلك الأيام" [٢].

المرتفعات: كانت الوصيّة الإلهيّة التي قدّمها الرب بواسطة موسى النبي قبل دخولهم أرض الموعد

¹ Antiquities b viii, ch vi.

هي: "تُخْرَبُونَ جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي تراثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء... لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم. بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه تطلبون، وإلى هناك تأتون، وتقدمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم" (تث ١٢: ٢-٧). جاءت الوصية تؤكد ألا يقدموا ذبائح إلا عند باب الخيمة (لا ١٧: ٣-٥). فهل كان ذلك خطية على الشعب أنه ذبح في المرتفعات؟

يرى البعض أن هذه الوصايا كانت إعداداً لهم لكي يمارسوا العبادة المركزة في مكان معين (هيكل سليمان) بعد بنائه، وأنه لا تحسب خطية ممارسة العبادة الجماعية وتقديم الذبائح في أي موضع قبل بناء الهيكل. الدليل على هذا عبادة يهوه في المرتفعات بعد أيام القضاة (قض ٦: ٢٥؛ ١٣: ١٦؛ ١ صم ٧: ١٠؛ ١٣: ٩؛ ١٤: ٣٥؛ ١٦: ٥؛ ١ أي ٢١: ٢٦) دون الشعور بأيّة خطأ من جانب من قدّم الذبائح.

- لقد قدّم الآباء البطارقة والأنبياء والقضاة والملوك ذبائح على المرتفعات إلى أيام سليمان إذ لم يكن بعد قد بُني الهيكل.
- يرى البعض أن تعبير "المرتفعات" لا يعني جبلاً أو تلاً عالياً، وإنما يُلقَّب به كل موضع تُقدّم فيه الذبائح سواء كان جبلاً أو سهلاً.
- ذبح سليمان ألف محرقة على المذبح في المرتفعة العظمى [٤]، وقد ظهر له الرب يسأله أن يطلب شيئاً دون أن يعلن غضبه على هذا التصرف.
- أنشأ إبراهيم أب الآباء مذابح على الجبال (تك ١٢: ٨؛ ٢٢: ٢).
- ما كان يشغل ذهن داود الملك هو ممارسة العبادة أمام تابوت العهد الذي لم يكن بعد قد استقرّ في موضع معين، دون الارتباط بجبل أو مكان مرتفع.

"وأحبّ سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه،

إلا أنه كان يذبح ويوقد في المرتفعات" [٣].

دُعي سليمان "بيديا" (٢ صم ١٢: ٢٤)، أي محبوب الرب، الآن نراه يرد الحب بالحب. كما أنه محبوب الرب فالرب محبوب جداً لديه. وقد ترجم هذا الحب بسيره في فرائض الرب كما سلك أبوه فيها وأوصاه بحفظها (١ مل ٢: ٢-٣؛ ١ أي ٢٨: ٩-١٠).

مع محبة سليمان الملك لله لكنّه أخطأ بتقديمه ذبائح وإيقاد بخور في المرتفعات. لقد ارتبطت

العبادة الوثنيّة بالمرتفعات لذلك منعت الشريعة ذلك (لا ١٧: ٣-٤؛ تث ١٢: ١٣-١٤؛ إر ٧: ٣١؛ حز ٦: ٣-٤؛ هو ١٠: ٨).

طلب سليمان من الرب أن يهبه قلبًا مطيعًا وحكمة ليقود شعب الله، معترفًا بأنّه شاب قليل الخبرة بينما كانت مسؤوليات الحكم عظيمة وخطيرة، لكي يقدر أن يُميّز بين ما هو صالح وما هو شرير.

❖ إن كان داود صديق الله، وسليمان الذي أحب الله [٣] قد غلبوا كسائر البشر، فإن سقوطهم يعني تحذيرنا، وتوبتهم تقودنا إلى الخلاص، فمن في هذه الحياة المخادعة يقدر أن يؤكّد عدم سقوطه؟!¹

القديس جيروم

٢. ظهور الرب لسليمان

"وذهب الملك إلى جبعون ليذبح هناك،

لأنّها هي المرتفعة العظمى،

وأصعد سليمان ألف محرقة على ذلك المذبح" [٤].

إذ قدّم الله الكثير لسليمان ردًّا له من الكثير القليل، وهو ألف محرقة.

ربّما يتساءل: أليس في هذا تبديد للموارد الحيوانية؟

أما كان يمكن تقديم هذه الذبائح للفقراء؟

هذا هو المنطق البشري المادي، الذي يرى في الصلاة ضياعًا للوقت، وفي العبادة تبديدًا للموارد.

إنّهم لا يدركون قيمة الحب المشترك المتبادل بين الله والإنسان. هذا الحب لا يمكن تقديره بثمنٍ ما!

تقديم ألف محرقة على مذبح واحد في يومٍ واحدٍ يحمل معاني كثيرة:

- رقم ١٠٠٠ يُشير إلى الروحيّات والسماويّات، فالألف محرقة تُشير إلى تقديم ذبيحة القلب الروحاني السالك في السماويّات.
- حرق كل هذا العدد في يومٍ واحدٍ يُشير إلى عمل الله النار الآكلة. إنّه يحل علينا كمذبحٍ خاصٍ به ليلتهم بناره تقدمات الحب المرضية والمقبولة لديه.
- إن كانت ذبيحة المحرقة تُشير إلى إتهاب القلب كلّ بنار المحبة، فإن كثرة هذه الذبائح تُشير إلى عطش الله إلى محبّتنا المستمرّة.

¹ St. Jerome: Letters, 79:7.

قدّم سليمان الحيوانات، وقام الكهنة بذبحها وتقديمها على المذبح (١ مل ٨: ٥). يرى البعض أن تقديم ألف محرقة على مذبح واحد وهو مذبح موسى النبي، وكان لابد من ترك الذبيحة تُحرق بالكامل، هذا يتطلب عدّة أيام. قدّم الملك الحيوانات واستمرّ الذبح أكثر من يوم والنار حسب الشريعة لا تنطفئ قط، بل تبقى مستمرّة نهارًا وليلاً.

جبعون

مدينة قائمة على تل، نالت شهرتها من إقامة خيمة الاجتماع القديمة ووضع المذبح النحاسي الذي صنعه موسى النبي في البرية فيها (١ أي ١٦: ٣٩؛ ٢١: ٢٩؛ ٢ أي ١: ٣-٦)، حيث نُقل من نوب ووضع في المرتفعات، هناك دعيت "نوب"، وأقيم على المرتفعات المدعّوة مصفاة النبي صموئيل. يبلغ ارتفاع هذا التل حوالي ٥٠٠ إلى ٦٠٠ قدمًا، وهو أعلى نقطة في المنطقة المحيطة به، يبعد حوالي ميل واحد من جبعون.

"في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً.

وقال الله: اسأل ماذا أعطيك" [٥].

كنا نتوقّع من استلام شاب صغير كسليمان للمملكة أن يجمع بعض رجال الدولة المحيطين به ويبدأ بالعمل التنظيمي لتدبير كل الأمور. لكن سليمان جعل الله أولاً قبل أن يفكر في شؤون دولته ويمد يده للعمل. انطلق إلى حيث مذبح الرب ليقتضي نهاره وليله هناك، يتعبّد لله ويقدم ذبائح ويسأله بكل غيرة وحماس الحكمة الإلهية، لهذا تأهّل سليمان لرؤية الرب في حلم.

في جبعون حيث المرتفع العالي، وحيث توجد خيمة الاجتماع والمذبح النحاسي (٢ أي ١: ٣). هناك حيث قدّم سليمان محرقات كثيرة، ظهر له الرب. يشناق الله أن يتراءى لكل شخص، فمن جانبه هو مستعد لإعلان حضرته لمؤمنيه. بقي علينا من جانبنا أن نُعطي الله الأولوية في حياتنا، فلا ترتبك بشؤوننا اليومية، إنّما نصعد أولاً كما إلى جبعون لنقتضي نهارنا وليلنا معه! نجده نازلاً إلينا ليتجلّى في قلوبنا، ويتحدّث معنا، معلناً سخاءه العجيب وشوقه أن يهبنا ذاته.

لنصعد بروح الله القدّوس إلى جبعون الروحية، فترتفع قلوبنا إلى السماء، ولا يستطيع وحل هذا العالم أن يطمس عيوننا فلا تعانين ذلك الذي يتنازل ليتجلّى أمامنا.

في جبعون حيث المرتفعات العالية قدّم محرقات ثمينّة في عينيّ الله. فكما قدّم مسيحنا ذبيحة حب من أجلنا ليصالحنا مع أبيه السماوي، ننعم بكرامة تقديم حياتنا ذبيحة عقلية مرضية أمامه (رو ١٢: ١). نشتهي أن يلتهم كيانتنا كلّها بالنار الإلهية كما على مذبح سماوي، فنصير محرقة حب

مفرحة للسماويين!

إذ ننشغل طول النهار بحب الله الفائق، أينما وجدنا، حيث يكون قلبنا مرتفعاً في جبعون يتراءى الله لنا ليلاً. في وسط هدوء الليل وسكونه ينطلع الله إلى القلب المؤمن ويقدّسه ببرّه الإلهي. فيقول المؤمن مع داود النبي: "عيناك تنظران المستقيمات. جرّبت قلبي، تعهّدته ليلاً، محصّنتي. لا تجد فيّ ذمّواً. لا يتعدّى فمي" (مز ١٧: ٢-٣).

في هدوء الليل تصمت حواس الإنسان وتهدأ ليتراءى الله للعقل ويتحدّث معه. يقدم لنا مار إسحق خبرته الحية فيقول: [سكّنت لسانك فينكلم قلبك، وسكّنت قلبك فينكلم الله].

ظهر الرب لسليمان في حلم... وكما يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص عن أنواع الأحلام المختلفة: [إن أعضاءنا والمخ أشبه بألة موسيقية وثريّة. أثناء ساعات النهار يلعب العقل على هذه الأوتار فتقدّم لنا سيمفونية متناسقة رائعة. وإذ ننام لا تعود هذه الآلة قادرة على إصدار صوتٍ ما، اللهم إلاّ إذا عادت ذكريات اليوم وقدمت ذاتها للعقل ونحن نيام، فتخرج حلماً. وذلك كما تصدر الأوتار أصواتاً هادئة بعد أن تتوقّف يد الموسيقار عن لمس الأوتار مباشرة¹].

"قال الله: اسأل ماذا أعطيك" [٥]. إن كان سليمان قد انشغل طوال يومه بالصلاة مع تقديم الذبائح، وكان يطلب من الله الحكمة، فلماذا يسأله الله: "اسأل، ماذا أعطيك؟" كان سليمان طوال يومه يقدم أوانيهِ الفارغة لكي يملأها الله من زيت السماء، وها هو يسأله قبل العطاء مباشرة ليؤكد له حرية إرادته، نعم بما يطلبه قلبه، وليس قهراً من قبل الرب. لهذا يقول السيّد المسيح: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً" (يو ١٦: ٢٤). ويقول يوحنا الرسول: "وهذه هي النقة التي لنا عنده إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا" (١ يو ٥: ١٤).

ليس من موضوع يشغل ذهن أولاد الله الذين التهبت قلوبهم بالحب الإلهي مثل التمتع برؤية الله. فقد بدأ موسى في العهد القديم خدمته برؤية الله خلال العليقة الملتهبة ناراً، كما كان يرى الله عملياً خلال معاملاته معه كل يوم في حياته الشخصية وفي خدمته وسط الشعب. تمتع بالمجد الإلهي الذي أشرق على وجهه فصار مضيئاً ولم يحتمل الشعب أن ينظر إليه، فطلب منه أن يضع برقعاً على وجهه حين يتحدّث معهم، وينزعه حين يدخل الخيمة ويلتقي مع الله. تمتع موسى باللقاء مع الله على جبل سيناء، ومع هذا كانت طلبته الأخيرة: "أرني وجهك". هذه الطلبة التي تحققت له بصورة رائعة بعد حوالي ألفين عاماً حين ظهر إيليا مع موسى ليعاينا السيّد المسيح المتجلّي على جبل تابور

¹ St. Gregory of Nyssa: De opificio hominis cap xii, p.77.

ويتحدّثان معه.

تمتّع أيضًا سليمان الحكيم برؤية الله مرّتين: بعد تجليسه ملكاً وعند تدشين الهيكل.

هكذا لن يتوقّف عطش المؤمن الحقيقي عن رؤية الله بكل وسيلة ليمتّع باللقاء مع محبوبه السماوي وجهًا لوجه. هذه الرؤية وهذا اللقاء لن يحدث في الحياة العتيدة فحسب، بل هي امتداد لحياة مُعاشة يختبرها المؤمن كل يوم.

يميّز القديس إيريناؤس بين ثلاثة أنواع من الرؤى، وإن كانت كل منها مشتملة في الأخيرين.

١. الرؤية النبوية خلال الروح القدس. كالرؤية التي تقبّلها موسى النبي على الصخرة إشارة إلى رؤيته خلال التجسّد (صخرة مجيئه البشري). وهي رؤيا رمزية، لا يرى وجه الله الحقيقي بل يظهر لهم بطريقة سرّائية حيث يبدأ الإنسان يرى الله. لقد طلب موسى النبي رؤية أوضح، تحقّقت له حين ظهر مع إيليا على جبل تابور^١. التي تحقّق كمال الرؤية التي على جبل سيناء على جبل تابور.

٢. رؤية التبنّي خلال الابن المتجسّد.

٣. رؤية الآب في ملكوت السموات، في الحياة الأخرى، أو الرؤية الإسخاتولوجية.

فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة،

حسبما سار أمامك بأمانة وبرز واستقامة قلب معك،

فحفظت له هذه الرحمة العظيمة،

وأعطيته ابنًا يجلس على كرسيه كهذا اليوم" [٦].

إذ طلب منه الرب أن يسأل فيعطيه بدأ بتقديم الشكر لله على عطاياه لأبيه، حاسبًا ما قدّمه الله لسليمان إنّما هو عطية إلهية مقدّمة لداود أبيه صاحب القلب المستقيم. لقد ورث سليمان عن أبيه الفم المبارك لله على عطاياه. فنسمع داود النبي يقول: "مبارك الرب إله إسرائيل الذي أعطاني اليوم من يجلس على كرسي، وعيناوي تبصران" (١ مل ١: ٤٨). صارت تجري في عروقه مباركة الرب على عطاياه. فيباركه ليس فقط في ساعات النهار، وإنّما يبيض قلبه بالبركة وهو في أحلامه ليلاً. يقول مع أبيه داود: "أبارك الرب الذي نصحني، وأيضًا بالليل تنذرني كليتي" (مز ١٦: ٧).

في وقارٍ شديدٍ تحدّث سليمان مع الله عن أبيه، سائرًا على أخطائه مثل سيّده، قائلاً: "سار أمامك بأمانة وبرز واستقامة قلب معك". وتحدّث بقلب يفيض شكرًا وحمدًا لله الذي أظهر رحمته العظيمة مع عبده داود. هكذا يليق بنا أن نشكره ونسبّحه من أجل معاملته مع آبائنا وأمّهاتنا وكل الأجيال

¹ Adv. Haer. 4:20:9.

"والآن أيها الرب الهى، أنت ملكت عبدك مكان داود أبى،

وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول" [٧].

بعد أن بارك الله على عطاياه لأبيه بأن أقام ابنه ملكاً في تواضعٍ شديدٍ أعلن أنه كطفلٍ صغيرٍ لا يقدر أن يخرج أو يدخل دون معونة. إنّه كمن يتدرب على المشي يحتاج إلى يدٍ تمسك بيده وتقوده. حسب نفسه طفلاً بلا فهم ولا خبرة هذا الذي دعاه والده حكيمًا (١ مل ٢ : ٩).

٣. اختيار سليمان للحكمة

"وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته،

شعب كثير لا يحصى ولا يُعد من الكثرة.

فأعطِ عبدك قلبًا فهيمًا لأحكم على شعبك،

وأميز بين الخير والشر،

لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟" [٨-٩].

لم يقل سليمان "شعبي" بل "شعبك"، فهو ليس بالملك الحقيقي، وإنما ممثل له. إنّه سفير لملك الملوك يعمل وسط شعب الله، لا شعبه هو. إن كان هذا الشعب قد اختاره الرب، والملك اختاره الرب، إذن فالعامل هو الرب نفسه المهتم بشعبه كما بعبده الذي أقامه لخدمتهم. إنّه عبد الرب المحتاج إلى فهم وحكمة لخدمة شعب سيّده. لقد أدرك أن "الرب يُعطي حكمة، من فمه المعرفة والفهم" (أم ٢ : ٦). وكما يقول الرسول: "إن كان أحدكم تُعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يُعطي الجميع بسخاء ولا يُعير فسُيعطى له" (يع ١ : ٥).

الله هو ينبوع كل حكمة ومعرفة وفهم. والحكماء والفهماء الحقيقيون هم قنوات يفيض خلالها الله بالحكمة على كثيرين كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم^١: [الحكمة الإلهية هي مجاناً لأناس الله الذين يسلكون باستقامة، أو معين لهم لنوال النصر. فإننا إذ نتمسك بالحكمة ونحفظها، نتمسك هي بنا وتحفظنا]. ويقول القديس إكليمنضس السكندري: [بالنسبة للذين يتبررون بالفلسفة، تقودهم المعرفة إلى التقوى كمعين لهم^٢].

لم يطلب الحكمة بوجه عام لكي يفخر بها أو يفوق الآخرين، وإنما لخدمة شعب سيّده بروح

^١ St. John Chrysostom: Homilies on St. John, 15.

^٢ St. Clement of Alexandria: Stromata 1:4.

التقوى، ويقضي بينهم بروح العدالة. كان الملك في القديم قاضياً للشعب، خاصة في الأمور الكبيرة.

❖ الإيمان الحقيقي والتعليم الصادق يُعلنان أن كلاً من النعمتين هي من الله. يقول الكتاب المقدس:

"من وجهه المعرفة والفهم"، وفي سفر آخر يقول: "المحبة هي من الله" (١ يو ٤: ٧).^١

❖ "الرب يُعطي حكمة، من فمه المعرفة والفهم" (أم ٣: ٦). منه ينالون الرغبة ذاتها نحو المعرفة،

إذا ما تلاحمت (تزوجت) بالتقوى.^٢

القديس أغسطينوس

"فحسُن الكلام في عيني الرب،

لأن سليمان سأل هذا الأمر" [١٠].

جاءت طلبه سليمان من الله في حلم، كشفت عمًا في أعماق قلبه من روح الشكر لله، والوقار لوالده، والتواضع، وشهوة خدمة شعب الله بأمانة وحكمة. لهذا سرّ الله به، وبما يحمله من إرادة مقدّسة. وجد الله مسرّته في قلب سليمان وفكره وإرادته. سرّ بتقدماته الصادرة عن نقاوة قلبه، وصلواته نهارًا، وطلباته ليلاً حتى في أحلامه.

نال سليمان عطية القلب الحكيم، وتجلّت حكمته في الآتي:

❖ سأل الله ليعطيه فهم قلب يحكم به الشعب (٣: ٩).

❖ حمل بصيرة داخلية بروح التمييز (٣: ١٦-٢٨).

❖ فاق غيره من الحكماء (٤: ٢٩-٣١).

❖ نطق بأمثال وحكم، وضع ٣٠٠٠ مثلاً (٤: ٣٢)، و ١٠٠٥ نشيدًا (٤: ٣٢) من بينها المزموران

(٧٢، ١٢٧). جاء إليه البعض من أنحاء العالم ليسمعوا حكمته، من بينهم ملكة سبأ (١٠: ١-٩).

❖ كثير من الأمثال القديمة في إسرائيل وإثيوبيا والعربية يرجع أصلها إلى سليمان الحكيم.

❖ بحكمة وقف أمام الهيكل (٥-٦).

❖ بحكمة قدّم صلاة التدشين (٨: ٢٢-٥٣).

❖ وضع بإعلان الروح القدس أسفار الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد.

❖ أوضح أنه صاحب معرفة في أمور علمية كثيرة، مثل علم النباتات والحيوان والأسماك (٤: ٣٣؛

أم ٣٠: ٢٤-٣١؛ جا ٢: ٤-٦).

¹ St. Augustine: On Grace and Free Will, 40 (19).

² St. Augustine: On Christian Doctrine, 3:37 (55).

❖ في القضاء حكم في قضية السيدتين اللتين ادعتا أنّهما والدتان لطفلٍ ما (٣: ١٦-٢٨).

لكن ما أفسد حكمته هو:

١. الحياة المدلّلة المبالغ فيها (٤: ٢٢، ٣٢؛ ١٠: ٢١).

٢. تزوجه الوثنيّات (١١: ١-٢؛ نح ١٣: ٢٣-٢٦).

٣. حساسيته المبالغ فيها (١١: ٣).

٤. انحرافه إلى الوثنيّة (١١: ٤-١٠).

٥. كان يصنع ما يحسن في عينه (١١: ٣٣).

٦. ظلّمه للشعب (١٢: ٤).

'فقال له الله:

من أجل أنّك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أيّاما كثيرة،

ولا سألت لنفسك غنى،

ولا سألت أنفس أعدائك،

بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم.

هوذا قد فعلت حسب كلامك،

هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميّزاً حتى أنّه لم يكن مثلك قبلك،

ولا يقوم بعدك نظيرك [١١-١٢].

سأل سليمان لنفسه الحكمة أو التمييز ليفهم الحكم، أي طلب الحكمة العمليّة التي خلالها يمارس الحياة اللائقة بالمؤمن. وهبه الله الحكمة العقليّة والعمليّة، حتى لم يكن من هو مثل سليمان، ولا من يأتي بعده مثله، حتى يأتي من هو أعظم من سليمان (مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٣١).

❖ الآن إذ كان الابن الحكيم لأب حكيم، لهذا أضيف اسم داود الذي ولد منه سليمان وهو طفل تعلّم

في الكتب المقدّسة، ونال سلطانه لا بالقرعة ولا بالقوّة بل بحكم الروح وقانون الله.

لمعرفة حكمة وأدب (أم ١: ٢) من يعرف حكمة الله يتقبّل منه أيضاً الأدب. ويتعلّم بها أسرار

الكلمة. ومن يعرفون الحكمة السماويّة الحقّة بسهولة يفهمون كلمات هذه الأسرار. لذلك يقول: "لإدراك

صعوبة الكلمات" (أم ١: ٢). فإن الأمور التي ينطق بها بلغة غريبة بالروح القدس تصير مدركة

للذين لهم قلوب مستقيمة بالرب^١.

القديس هيبوليتس

"وقد أعطيتك أيضًا ما لم تسأله غنى وكرامة،

حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك" [١٣].

إذ نطلب ملكوت الله ويزداد عليها كل البركات الزمنية من أمور مادية وكرامة حقيقية (مت ٦: ٣٣). إذ نطلب من الله نعمته الفائقة يهبنا مع النعمة السماوية احتياجاتنا الزمنية. فإننا إذ ننعم بالنعمة الإلهية تصير كل الخيرات الأرضية لخيرنا، أمّا بدون النعمة فإن هذه الخيرات تستعبد نفوسنا.

"فإن سلكت في طريقي وحفظت فرائضي ووصاياي كما سلك داود أبوك،

فإنني أطيل أيامك" [١٤].

وعده الله بإطالة أيامه بشرط السلوك في طريقه وحفظ فرائضه ووصاياها كما فعل أبوه داود. لم يحقّ سليمان الشرط، فمات قرابة التسعة وخمسين عامًا أو بالأكثر في الستين من عمره.

❖ إذ طلب سليمان ما يجب طلبه أنظر كيف نال بسرعة. أمران يجب أن يكونا في من يصلّي: أن يطلب بغيرة، ويسأل ما يجب طلبه^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فاستيقظ سليمان

وإذا هو حلم.

وجاء إلى أورشليم،

ووقف أمام تابوت عهد الرب، وأصعد محرقات وقرّب ذبائح سلامة،

وعمل وليمة لكل عبده" [١٥].

إذ أتم سليمان الخدمة الروحية في جبعون حيث توجد خيمة الاجتماع انطلق إلى المركز الثاني للعبادة، أورشليم، حيث تابوت العهد في جبل صهيون (٢ صم ٦: ١٣). لقد أقام وليمة عظيمة مع تقديم ذبائح سلامة. مع المحرقات التي قدّمت في جبعون قدّمت الذبائح لتستهلك كلها بالنار علامة تكريس القلب كله لله. وفي ذبائح السلامة يُعطى نصيب من اللحم للراعيين والغرباء والأيتام والأرامل (تث ١٤: ٢٩). علامة الارتباط بالحياة الكنسية العملية والعطاء والاهتمام بالمحتاجين.

¹ St. Hippolytus: *Fragments from Commentaries, On Proverbs*.

² St. John Chrysostom: *Homilies on St. Mathew, Hom 23:5*.

استيقظ سليمان وقد رأى حلمًا من قِبَل الله، تَمَنَّعَ بإعلانِ إلهي من قِبَل الله، أو بظهور إلهي في حلم. قام سليمان من نومه متَهَلِّلاً بالروح فقد رأى الرب، وتلامس مع محبَّته وحنانه. اشتهى سليمان أن يتمنَّع كل الشعب بهذا الفرح الداخلي، فأقام لهم وليمة روحية عظيمة. القائد الحيّ هو الذي يتمنَّع بالفرح بالرب ويبيت روح الفرح في إخوته.

بدأ سليمان يمارس القضاء بالقلب الحكيم الذي وهبه الله، فنال مخافة لدى الشعب، هي انعكاس للمجد الذي وعده الله به.

٤. حكمة سليمان

"حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه.

فقالَت المرأة الواحدة:

استمع يا سيدي، إنِّي أنا وهذه المرأة ساكنتان في بيت واحد، وقد ولدتُ معها في البيت.

وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ولدت هذه المرأة أيضًا،

وكنا معًا ولم يكن معنا غريب في البيت غيرنا نحن كلتينا في البيت" [١٦-١٨].

بناء على طلب روفينوس الكاهن الروماني (بخلاف روفينوس أسقف *Aquileia* وروفينوس السرياني) بعث القديس جيروم إليه رسالة يشرح في شيء من الإطالة هذه القصة بمفهومها الرمزي بكونها أشبه بمثل يميّز بين المجمع اليهودي والكنيسة^١.

"قامت ابن هذه في الليل لأنها اضطجعت عليه.

فقامت في وسط الليل، وأخذت ابني من جانبي وأمتك نائمة،

وأضجعت في حضنها وأضجعت ابنها الميت في حضني.

فلما قامت صباحًا لأرضع ابني إذا هو ميت،

ولمّا تأملتُ فيه في الصباح إذا هو ليس ابني الذي ولدتَه.

وكانت المرأة الأخرى تقول: كلاً بل ابني الحيّ وابنك الميت.

وهذه تقول: لا بل ابنك الميت وابني الحيّ،

وتكلّمتا أمام الملك.

فقال الملك "هذه تقول هذا ابني الحيّ وابنك الميت،

¹ St. Jerome: Letters, 74.

وتلك تقول لا بل ابنك الميت وابني الحيّ" [١٩-٢٣].

كانت كل الأنظار تتطّلع إلى سليمان لترى كيف يحكم، ربّما توقّعوا أنّه يُلقِي قرعة ليعرف من هي الأم الحقيقيّة.

"فقال الملك آتوني بسيف،

فأتوا بسيف بين يديّ الملك" [٢٤].

يرى القديس أمبروسيوس أن سليمان الحقيقي هو السيّد المسيح الذي بسيف كلمته يقسم، يعزل الشرّ عن الخير^١. يرى أنّه من حق السيّد المسيح وحده، يشوع الحقيقي، أن يقسم أرض الموعد على الأسباط، وأنّه وحده، سليمان الحقيقي، أن يفصل الكلمة بسيف الروح ويقسمها، فيقول: [كان حق التقسيم خاص بالرب وحده، ويُعبّر عن هذا عبارات الكلمة، أي بالسيف الروحي الذي لسليمان الحقيقي^٢.]

"فقال الملك: اشطروا الولد الحيّ اثنين،

وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى.

فتكلّمت المرأة التي ابنها الحيّ إلى الملك،

لأن أحشاءها اضطرت على ابنها،

وقالت: استمع يا سيّدي أعطوها الولد الحيّ ولا تميّتوه.

وأما تلك فقالت: لا يكون لي ولا لك، اشطروه".

"فأجاب الملك وقال: أعطوها الولد الحيّ ولا تميّتوه فإنّها أمّه" [٢٥-٢٧].

حينما أمر الملك بشرط الطفل غالبًا ما اضطرب كثيرون في داخلهم وحسبوا قراره غريبًا وغير حكيم، يحمل وحشيّة، إذ يُقتل طفل لا ذنب له. وربّما تساءلوا في أعماقهم: هل هذه هي حكمة الملك الجديد المختار من الله؟ هل هذا ما تسلّمه من الله عندما ظهر له في حلم؟ لقد جاء في الشريعة: "إذا نطح ثور إنسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحيّ ويققسمان ثمنه، والميّت أيضًا يقسمانه" (خر ٢١: ٣٥). إن كان هذا بالنسبة للثور النطّاح، فكيف يأمر الملك ببتير الطفل الحيّ فيموت ولا تناله هذه ولا تلك؟ لكنّه إذ أصدر الحكم بعد أن أعلن عن الأم الحقيقيّة أدرك الكل حكمته، وأن قلوب الملوك لا تُفحص" (أم ٢٥: ٣).

¹ The Prayer of Job and David, Book 4, 4:15.

² The Prayer of Job and David, Book 4, 4:15.

لقد التهب قلب الأم الحقيقيَّة على ابنها وطلبت تسليم ابنها للسيدة الأخرى المقاومة لها ولا تراه مقتولاً، كأنها تقول له: "أود أن أراه ابنها عن أن لا أراه. وكأنه كان لديها رجاء أن تتمتع به. وكما قيل: "يوجد رجاء لآخرتك يقول الرب، فيرجع الأبناء إلى تخمهم" (إر ٣١: ١٧).

يرى القديس أمبروسيو أن سليمان الحقيقي اختار الكنيسة التي حمل لها حباً حقيقياً بروح التمييز^١. وأن هذه السيدة التي لها الابن هي القديسة مريم التي اجتاز في نفسها سيف الله^٢.

"ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك،

لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم" [٢٨].

ينقل لنا الأب فيصريوس أسقف آرل تفسيراً آباءياً لقصة سليمان الحكيم والزانيتين، قائلاً:

[الآن إن أردتم أن تتصتوا باختياركم فإنني أود أن أشير إلى آذان محبتكم ما أوضحه الآباء القديسون في هذا الشأن.

المرأة التي صرخت بأن يبقى الطفل حياً تمثل الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة)، والمرأة الأخرى القاسية الشريرة التي صرخت أنه يجب أن يقسم الطفل تشير إلى البدعة الأريوسية.

الكنيسة الكاثوليكية تشبه أماً تقيَّة للغاية تصرخ أمام كل الهرطقة:

لا تجعلوا المسيح أقل من الأب، لا تقسموا وحدته، لا تقسموا الله الواحد إلى درجات مختلفة وأشكال متفاوتة...

احتفظوا به معكم بالكامل.

إن أردتم سلاماً، فلا تقسموا وحدته.

إن كان لكم الكل يبقى كل شيء لكم.

عظيمة هي كلفة قدرته، إذ الجميع يملكونه بالكامل، وكل واحد يملكه.

على أي الأحوال فإن الهرطقة الشريرة القاسية تصرخ: "لا، اشطروه" [٢٦] ماذا يعني هذا:

"اشطروه"، إلا أن الابن غير مساوٍ للأب؟ إن نزع أحد مساواة الابن ينكر أن الأب صالح وكلي القدرة.

إن كان الله الأب قادر أن يلد الابن مثله ولم يرد فهو ليس بصالح، وإن أراد ولم يستطع فهو غير قدير. تأكدوا يا إخوة أنه ليس أحد من الأريوسيين يقدر أن يجيب على هذه العبارة، لكن عندما

¹ The Prayer of Job and David, Book 4, 4:16.

² St. Ambrose: The Prayer of Job and David, 4:4:16.

يحصرون بالمنطق الحقيقي يلجأون كحيّة مراوغة إلى نوع من التساؤلات البارعة والملتوية^١.

[لتخجلي في عار أيتها البدعة الأريوسية العنيفة والشريرة...
إنكم أشرار لأنكم لستم أما.
إنكم تشطرون المولود وتجمعون ما لم تجلبوه.
صار قلبكم قاسياً^٢...]

من وحي ١ مل ٣

هيني ذاتك يا حكمة الله!

- ❖ في جبعون ذبح لك سليمان ألف محرقة.
هب لي أن أقدم لك كل حياتي محرقة حب لا تتقطع.
لتظهر لي كما ترأيت لسليمان.
في انضاع شعر أنه فتى صغير،
محتاج إلى حكمتك السماوية ليدبر أمور شعبك.
ماذا اطلب منك إلا أن أقتنيك يا حكمة الله؟
- ❖ بك أعرف كيف أحكم على الشعب في قلبي.
بك أعرف كيف أخدم كل إنسان.
بك أميز بين الخير والشر.
ليس لي بعد أن أطلب شيئاً سواك؟
أنت هو الحكمة الإلهي، بك أحمي وأتقدم في كل شيء.
- ❖ بحكمتك عرف سليمان كيف يقدم الرضيع لأمه.
ميّز بين الأم الحقيقية والمخادعة.
هب لي روح التمييز فأعرف الكنيسة الأم الصادقة.
أميز من لها روح الحق ممّا لها روح الخداع!

¹ Fr. Calsarius of Arles: Sermon 123:1.

² Fr. Caesarius of Arles: Sermon 123:3.

الأصحاح الرابع

سلطان سليمان وغناه وحكمته

إذ تولَّى سليمان العرش بدأ عمله بالالتقاء مع الله ملك الملوك، الذي اختاره ملكاً على شعبه. وكأنه بالوكيل الذي يلجأ إلى موكله قبل أن يبدأ العمل، حتى يتمَّ إرادته. قدَّم سليمان محرقات وذبائح سلامة ليعلن عن حبه لمن أقامه ويشكره، كما قدَّم صلوات طوال النهار يسأله فيها أن يهبه الحكمة السماوية، وإذ تراءى له الرب لم يطلب شيئاً سوى الحكمة.

الآن يبدأ عمله بإقامة مجلسٍ يشبه مجلس الوزراء لكي يعمل من خلالهم. فقد اتَّسعت مملكة سليمان، وتحققت الوعود الإلهية المقدَّمة للأباء البطارقة، خاصة إبراهيم. وأعطاه الله نعمة في أعين الملوك المحيطين به. اتَّسم عهده بالسلام والخير الوفير. ودخل في مشروعات ضخمة، وصارت له شهرة بسبب حكمته وإنتاجه الأدبي، فقد كتب ٣٠٠٠ مثلاً، ١٠٠٥ أغنية، وأعمالاً علمية عن النباتات والحيوانات (٤: ٣٣) كما وضع بعض الأسفار المقدَّسة بإعلان الروح القدس، وبنى أيضاً الهيكل.

١. مجلس وزراء سليمان ٢٠-١.
٢. التدبير المادي للدولة ٢٨-٢١.
٣. شهرة سليمان الفائقة ٣٤-٢٩.

١. مجلس وزراء سليمان

أقام سليمان الحكيم أشبه بمجلس وزراء، إن صحَّ التعبير، يدير شئون الدولة تحت رعايته، ومعهم اثنا عشر وكيلاً على جميع إسرائيل [٧]. تكوَّن مجلس وزراء سليمان من الآتي:

- ❖ عزرياهو بن صادوق الكاهن رئيس لمجلس الوزراء.
- ❖ أليحورف وأخيا سكرتيران لشئون الدولة.
- ❖ يهوشافاط المسئول عن سجلات التاريخ الخاصة بالأحداث الملكية.
- ❖ بناياهو رئيس للجيش المسئول عن الدفاع عن الدولة.
- ❖ صادوق وأبياثار كاهنان يشرفان على الأمور الدينية وحفظ الشريعة.
- ❖ عزرياهو الرئيس العام على الاثني عشر وكيلاً أو محافظاً.
- ❖ زابود أمين سرَّ الملك، ومشيره في أموره الخاصة.

- ❖ أخيشار مدير القصر الملكي، يهتم باحتياجات الجناح الملكي.
- ❖ أدونيرام مدير القوى العاملة.

ظهرت حكمة سليمان في وضع نظامٍ دقيقٍ لتدبير أمور المملكة في كل جوانبها. ويلاحظ إنّه لم يُعطِ الأولوية للعمل العسكري كما في أيام أبيه داود.

"وكان الملك سليمان ملكاً على جميع إسرائيل" [١].

لم يكن مثل والده داود النبي الذي صار ملكاً على يهوذا وحدها لمدة سبع سنوات ونصف.

"وهؤلاء هم الرؤساء الذين له: عزرياهو بن صادوق الكاهن" [٢].

عزريا أو عزرياهو، اسم عبري معناه "من أعانه يهوه". وهو أخو أخيمعص. يرى البعض إنّه لا يمكن أن يكون حفيداً لصادوق رئيس الكهنة معضد سليمان، وإنّما صادوق هنا آخر غير رئيس الكهنة.

كلمة "الكاهن" *hakoheen* هنا تعني كاهناً، وأيضاً تعادل كلمة "أمير"، وجاءت ترجمتها في النسخة الكلدانية *Chaldee version* "أمير".

واضح إنّه وُجد كهنة في مجلس الوزراء يمارسون عملهم الكهنوتي، وفي نفس الوقت يمارسون دورهم كأصدقاء ومشيرين للملك، كما كان يحدث مع بعض الأنبياء والكهنة في العصور المتأخرة. يرى البعض أن وضعه في رأس القائمة يُشير إلى اختياره رئيساً لمجلس الوزراء، كما كان رئيساً للكهنة (١ أي ٦: ١٠)، وأن كلمة "الكاهن" في النص تُشير إلى عزريا لا صادوق.

"وأليحورف وأخيا ابنا شيشا كاتبان،

ويهوشافاط بن أخيلود المسجل" [٣].

أليحورف اسم عبري ربّما يعني "الله يُعطي الخريف المثمر".

أخيا اسم عبري معناه "أخ أو صديق يهوه".

شيشا اسم آرامي ربّما معناه "الشمس"، يدعى أيضاً شوشا (١ أي ١٨: ١٦)، وربّما هو نفسه

شيشا (١ مل ٤: ٣)، وسراريا (٢ صم ٨: ١٧)، وشيوا (٢ صم ٢٠: ٢٥).

أقيما كاتبين، أشبه بالسكترتيرين لشئون الدولة. ينشران قوانين الملك، ويكتبان رسائله، وربّما يديران شؤنه الماليّة (١ مل ١٢: ١٠)، يعتبران من أهم مشيريه، أصحاب نفوذ. في أيام داود الملك كان كاتب واحد. أمّا وقد اتّسعت شئون المملكة فصارت الحاجة إلى عدد أكبر لإقامة قسم خاص بالسكترتارية العامة لشئون الدولة.

يهوشافاط اسم عبري معناه "يهوه يقضي". **يهوشافاط** بن أخيلود المسجل، الذي عضد داود (٢ صم ٨: ١٦؛ ٢٠: ٢٤). كان مسئولاً عن سجلات التاريخ الخاصة بالأحداث الملكية. خدم يهوشافاط المسجل داود وسليمان (٢ صم ٨: ١٦-١٨). عمله أن يذكر الملك بالأحداث السابقة، ويحتفظ بقرارات الملك والأحداث السابقة والأحداث المعاصرة كسجل للتاريخ تنتفع بها الأجيال المقبلة. وهو في هذا يشبه السكرتير العمومي في مجالس الحكومة والقضاة، والمؤرخ الرسمي.

"وبناياهو بن يهوئاداع على الجيش،

وصادوق وأبياثار كاهنان" [٤].

بناياهو اسم عبري معناه "من بناء يهوه". سند **بناياهو بن يهوئاداع** سليمان في اعتلاء العرش (١ مل ١: ٨). اشتهر بشجاعته وإقدامه مرارًا كثيرة (٢ صم ٢٣: ٢٠-٢٣). صار رئيسًا للجيش، احتل مركز يوأب. وهو مسئول عن الدفاع عن الدولة. يهتم بالعدة الحربية من مركبات وخيول، وتنظيم الجيش وتحركاته، كما هو مسئول عن حماية القصر الملكي وملحقاته.

صادوق وأبياثار كاهنان، يشرفان على الأمور الدينية وحفظ الشريعة. **صادوق** اسم عبري معناه "صادق" أو "عادل" أو "بار". وهو ابن أخيطوب من نسل اليعازر ابن هرون (١ أي ٢٤: ٣). على الأرجح هو الغلام الذي جاء إلى داود في حبرون مع رؤساء بني إسرائيل ليحولوا مملكة شاول إلى داود (١ أي ١٢: ٢٧-٢٨). كان مع **أبياثار بن أخيمالك**، هربا مع داود من أورشليم وهما يحملان تابوت العهد، لكن الملك رغب أن يعودا بالتابوت إلى العاصمة ويقميا فيها حتى ينتهي النزاع (٢ صم ١٥: ٢٤-٢٩). وبعد موت أبشالوم أرسل داود إليهما طالبًا منهما أن يقنعا شيوخ يهوذا بإرجاعه إلى الحكم (٢ صم ١٩: ١١).

كيف يرد اسم **أبياثار كرئيس كهنة مع صادوق** وقد استبعده سليمان إلى قرية **عناوث** ليبقى في حقوله (١ مل ٢: ٢٧)؟ تفسير ذلك أن سليمان منعه من ممارسة العمل الكهنوتي لكنه لم يحرمه من كرامة الكهنوت ولقبه. يرى كثير من الدارسين أن سليمان ترك **أبياثار** اللقب دون العمل. ويرى بعض اليهود أن **صادوق** كان رئيسًا للكهنة و**أبياثار** نائبًا عنه، كما كان **حنانيا** مع قيافا في أيام السيد المسيح. الرأي السائد هو أن شاول أقام **صادوق** رئيس كهنة و**أبياثار** أقامه داود، وأنه من الجانب السياسي استحسن وجود الاثنين معًا.

أبياثار اسم عبري معناه "أبو الفضل" أو "أبو التفوق" أو "الأب الفاضل". أشار إليه السيد المسيح بقوله: "كيف دخل (داود) بيت الله في أيام **أبياثار** رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله

إلَّا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضاً؟" (مر ٢: ٢٦). بقي أميناً لداود أثناء عصيان ابنه أبشالوم عليه، لكنّه اشترك مع يوباب وشمعي في تمرد أدونيا ومحاولته الاستيلاء على الحكم.

"وعزرياهو بن ناتان على الوكلاء،

وزابود بن ناتان كاهن وصاحب الملك" [٥].

أقام سليمان عزرياهو وكيلاً عاماً ورئيساً عاماً على الاثني عشر وكيلاً أو محافظاً [٧]. وهو ابن ناتان، ولم يعرف على وجه التحديد هل هو ناتان النبي أحد معضدي سليمان، أم هو ابن داود. غير أن كلمة الوكيل الرئيسي هنا *cohen* أو *kohen* كان يحملها أبناء داود (٢ صم ٨: ١٨)، ممّا يبرّح أنّه ابن لابن داود (٢ صم ٥: ١٤). أكثر من أن يكون ابناً لناتان النبي.

زابود بن ناتان، زابود اسم عبري معناه "موهوب". أمين سرّ الملك، مشير للملك في أموره الخاصة.

"وأخيشار على البيت،

وأدونيرام بن عبدا على التسخير" [٦].

أخيشار اسم عبري معناه "أخو الرجل المستقيم"، أو "أخو المرتّم". كان مديراً للقصر الملكي، يرعى شؤون القصر ويهتم باحتياجات الجناح الملكي. تظهر أهمية هذا المركز ممّا ورد في (٢ مل ١٨: ١٨)، عندما أرسل ملك آشور جيشاً عظيماً إلى أورشليم ودُعي الملك، فخرج إليهم ألياقيم الذي على البيت، وقد ورد اسمه قبل الكاتب والمسجّل، وكان الملك اعتبره مندوبه الأول الرسمي للحوار في الأمور الخطيرة التي تمس كيان الدولة. وأيضاً ممّا ورد في إشعياء (٢٢: ١٥-٢٥).

أدونيرام أو أدورام (٢ صم ٢٠: ٢٤؛ ١ مل ١٢: ١٨) أو هدرام (٢ أي ١٠: ١٨). وهو ابن عبداً. مدير القوى العاملة، يدير شؤون المشاريع الملكيّة. بقي في مركزه إلى عصر رحبعام. أرسله رحبعام إلى العصاة الذين تمردوا عليه، فرجموه بالحجارة ومات (١ مل ١٢: ١٨؛ ٢ أي ١٠: ١٨).

"وكان لسليمان اثنا عشر وكيلاً على جميع إسرائيل،

يمتارون للملك وبيته،

كان على الواحد أن يمتار شهراً في السنة" [٧].

استخدم سليمان الحكيم نظاماً أشبه بنظام المحافظات. فقسّم إسرائيل إلى اثنتي عشر محافظة، وأقام محافظاً أو وكيلاً على كل قسم. عمل المحافظ الرئيسي هو أن يمد القصر الملكي بالمواد الغذائية [٢٧]، وأن يجمع الضرائب من أجل مشروعات سليمان [٢٢-٢٣]، وللإنفاق على الجيش

الضخم [٢٦، ٢٨] وبناء الهيكل، وإن كان داود أبوه قد أعدَّ له الكثير من مواد البناء والإمكانات للتنفيذ.

كانت كل محافظة تُعرف بالمدينة الكبرى (العاصمة). ويُلاحظ إنَّه لم يُقَمِّ محافظاً على نصيب يهوذا، ربَّما كنوعٍ من الامتياز للسبط الملكي.

لم يكن الاثنا عشر مسؤولاً حكماً تحت سلطان الملك "chamberlains"، ولا كانوا مدبِّرين لشئون المملكة، لكنَّهم كانوا قادة لجمع الضرائب، هذه الضريبة كانت جزءاً من المحاصيل وليست مبلغاً من المال. كانت أبنية سليمان ونفقات قصره مع كثرة زائريه وسخائه العظيم وفخامة ملابسه وملابس رجال القصر على نفقة الشعب، وقد سبَّبت كثرة الضرائب نوعاً من التذمُّر. الأمر الذي حذَّر منه صموئيل النبي الشعب عندما طلبوا ملكاً كسائر الأمم (١ صم ٨: ١٢، ١٥، ١٧) تحقَّق الآن بواسطة سليمان نفسه.

يقول المؤرِّخ يوسيفوس إنَّهم بحكم عملهم هذا كان لهم نوع من السلطة.

"وهذه أسماؤهم ابن حور في جبل أفرام" [٨].

يليق بنا هنا أن نسجل لسليمان الملك مع حكمته وقدرته على النظام والتدبير إنَّه اتَّسم بروح التواضع. نلاحظ أن نسبة عالية من رجال دولته المختارين سبق فعينهم داود أبوه. إنَّه لم يحمل روح العجرفة أو التشامخ فيتجاهل حكمة والده ومعرفته بالأمر. كثير من الأبناء يظنون أن قوَّة شخصيَّتهم تتجلَّى في التغيير الشامل لما ورثوه عن والديهم أو ما تسلَّموه من رؤساء أو قادة سابقين له. فالقائد الناجح هو الذي يمزج حكمته بالتواضع، فلا يحتقر عمل السابقين.

هذا وقد عيَّن مجموعة ليست بقليلة من أبناء الكهنة والأنبياء. فقد ورث عن والده النبي والكاهن ثقته في رجال الله، وإيمانه ببركة الرب في تدبير كل الأمور.

"ابن حور" لازال في بعض البلاد الصعيد وفي سوريا يشيرون إلى الشخص لا باسمه بل بأنَّه ابن (فلان). يرى البعض أن هؤلاء الوكلاء كانوا من الشباب، نالوا هذه المراكز إكراماً لأبائهم.

كانت مقاطعة ابن حور هي في جبل أفرام، أي في بلاد أفرام الممتدَّة من أورشليم شمالاً إلى يزرعيل، وهي أرض مخصبة، سمَّيت السامرة في العهد الجديد.

"ابن دقر في ماقص وشعلبيم وبيت شمس وأيلون بيت حانان" [٩].

دقر اسم عبري معناه "طرف".

شعلبيم اسم عبري معناه ربَّما "تعالب". يُطلق على مقاطعة في أفرام، اجتازها شاول الملك بعد أن

ترك شليشة بحثًا عن الحمير التائهة (١ صم ٩ : ٤).

إيلون بيت حانان يرجح أنها كانت في دان.

"ابن حسد في أربوت كانت له سوكوه وكل أرض حافر" [١٠].

حسد اسم عبري معناه "رحمة، نعمة".

أربوت كلمة عبرية معناها "طاقات". يظن أن موضعها الآن "عربة" بالقرب من دوثنان وبلدة جنين الأردنية.

سوكوه أو سوكو كلمة عبرية معناها "أشواق". يدعى هذا المكان اليوم خربة الشويكة حيث ينحني وادي الشور إلى الغرب ويصير اسمه وادي السنط، على بعد تسعة أميال من بيت جبرين.

حافر: اسم عبري معناه "حفرة" أو "بئر". وهي مدينة غرب الأردن (يش ١٢ : ١٧)، والاسم لمقاطعة بجوار سوكوه. يرى البعض إنها تل بيشار على وادي الحوارث في سهل شارون، وآخرون إنها المشهد الحالية في يهوذا.

"ابن أبيناداب في كل مرتفعات دور، كانت طافة بنت سليمان له امرأة" [١١]

أبيناداب: اسم عبري معناه "الأب كريم أو منتدب". من عادة بعض الحكام الشرقيين أن يقيموا علاقات أسرية قوية مع من ينالون مراكز رئيسية في الدولة، بتقديم بعض الفتيات من الأسرة الملكية زوجات لهم. هكذا تزوج أبيناداب طافة بنت سليمان، وهو غالبًا ابن عم الملك. ربّما كان من سياسة الملك تكوين علاقات أسرية مع وزرائه. وكان ذلك بعد جلوسه ملكًا بزمان، حيث أقيم ملكًا في العشرين من عمره.

دور: اسم كنعاني معناه "مسكن". تبعد حوالي ثمانية أميال شمالي قيصرية، هزم يشوع ملكها (يش ١٢ : ١، ٢٣)، في نصيب أشير، ولكنها أعطيت لمنسى (يش ١٧ : ١١). توجد بقايا دور في البرج شمال بلدة الطنطور بقليل.

طافة: اسم عبري معناه "قطرة".

"بعنا بن أخيلود في تعنك ومجدو،

وكل بيت شان التي بجانب صرتان تحت يزريعل،

من بيت شان إلى آبل محولة إلى معبر يقمعام" [١٢].

بعنا [١٢]: اسم عبري معناه "ابن الضيق"، كان وكيلاً في المقاطعة الجنوبية في سهل يزريعل من مجدو إلى الأردن، ربّما كان أخًا ليهوشافاط المسجل.

تعنك: اسم كنعاني معناه "أرض رملية". تقع في حدود يساكر، لكنها أُعطيت لمنسى (يش ١٧: ١١؛ ١ أي ٧: ٢٩) ثم للاويين (يش ٢١: ١٥). وإذا لم يستطع منسى طرد الكنعانيين فرض عليهم ضريبة (قض ١: ٢٧). ربّما هي عانير (١ أي ٦: ٧٠). وتل تعنك هو موضع المدينة القديمة، يقع بين التلال المنخفضة على الطرف الجنوبي من سهل يزرعيل خمسة أميال جنوب شرقي مجدو القديمة.

مجدو أو مجدون: مدينة لمنسى ضمن تخوم يساكر. سُميت هرمجدون (رو ١٦: ١٦) أي تل مجدون. مكانها الآن هو تل المتسلم، يبعد حوالي عشرين ميلاً جنوب شرقي حيفا في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال. اكتشفت نقوش تكشف عن ثقافة الكنعانيين ومدينتهم. كما كشف التنقيب عن سرداب شق في الطرف يصل إلى نبع ماء ممّا يظهر مهارتهم الهندسية. كما اكتشفت إسطبلات بها أربعمئة وخمسون مغلّفاً ترجع إلى عصر سليمان أو آخاب.

بيت شان: اسم عبري معناه "بيت السكون". مدينة تبعد حوالي خمسة أميال غرب نهر الأردن. بعد السبيّ صارت رئيسة المدن العشر، ودُعيت سكيثوبولس. مكانها حالياً تل الحصن بالقرب من بيسان. بقايا أثارها تدل على عظمتها الأصلية. كبقايا هياكل وأروقة ومسارح وميادين لسباق الخيل. كما اكتشف فيها بعض آثار قدماء المصريين مثل نصب سيتي الأول ونصب رعمسيس الثاني.

صرتان: قرية شرقي يزرعيل بين مدينتي بيت شان وادام (يش ٣: ١٦) في أرض منسى. في أرض الخزف في غور الأردن بين سكوت. دعيت أيضاً صردة (قض ٧: ٢٢؛ ٢ أي ١: ١٧). يرى البعض أن موقعها الآن قرن صرطبة، وآخرون تل سليخات، وفريق ثالث بأن مكانها تل السعيدية.

آبل محولة: اسم عبري معناه "مرج الرقص"، يبدو أنّه كان يقع في وادي الأردن. هناك أقام إليشع النبي (١ مل ١٩: ١٦). يرى القديس جيروم أنّه على بعد عشرة أميال رومانية جنوب بيسان. غالباً ما كان يقع بالقرب من تل أبي سفري عند التقاء وادي المالح بوادي الحلوة.

يقمعام: اسم عبري معناه "ليقم الشعب". وهو معبر للأردن قرب بيت شان.

"ابن جابر في راموت جلعاد له حووت يائير،

ابن منسى التي في جلعاد وله كورة أرجوب التي في باشان،

ستون مدينة عظيمة بأسوار وعوارض من نحاس" [١٣].

جابر: معناه "رجل" أو "بطل".

راموت جلعاد: اسم عبري معناه "مرتفعات جلعاد". من أشهر مدن الجاديين، تقع شرقي الأردن.

أعطيت للآويين وعينت مدينة للملجأ (تث ٤: ٤٣؛ يش ٢٠: ٨). وتدعى أيضًا الرامة (٢ أي ٢٢: ٦). يُرَجَّح أنها تل راميت الحاليَّة.

حووت يائير: اسم عبري معناه "قرى أو مخيمات أو معسكرات يائير". وهي مدن بدون أسوار، شمال غرب باشان، في منطقة الأرجوب. استولى عليها يائير من سبط منسى. تُذكر أحيانًا لتمثِّل البلاد الشرقيَّة للمسافر في وادي الأردن أو في كنعان غرب النهر. وأحيانًا تستخدم بتوسُّع للأرض المرتفعة كلُّها شرق النهر. كثيرًا ما يكون للاسم عدَّة دلالات متنوِّعة للأرض (١ أي ١: ٢١-٢٣؛ عد ٣٢: ٤٠-٤١؛ ١ مل ٤: ١٣).

أرجوب: اسم عبري معناه "كتلة من الطين". تقع على حدود جشور ومعكة. كانت ضمن ممتلكات عوج أثناء دخول إسرائيل كنعان. هذا الإقليم يضم ٦٠ مدينة حصينة في ذلك الحين. استولى عليه يائير الذي من سبط منسى، لذا دُعي حووت يائير (تث ٣: ٤، ١٣-١٤؛ يش ١٣: ٣٠).

باشان: اسم عبري معناه "أرض مهيَّدة"، تقع شرقي الأردن ما بين جبلي حرمون وجلعاد (عد ٢١: ٣٣). تشمل حوران والجولان واللجاء، كلُّها مؤلَّفة من صخور وأتربة بركانيَّة. تربتها خصبة للغاية، وماؤها غزير. يخترق جانبها الشرقي جبل الدروز، وهو جبل باشان القديم. ذكرت حوالي ٦٠ مرة في الكتاب المقدَّس.

"أخيناداب بن عدو في محنايم" [١٤].

أخيناداب: اسم عبري معناه "أخي نبيل أو كريم".

محنايم: اسم عبري معناه "محلَّتان". وهي مدينة شرق الأردن أعطيت لجاد (يش ١٣: ٣٠). ولنصف سبط منسى (يش ١٣: ٣٠). ربَّما كانت منقسمة إلى حيَّين، أحدهما لجاد والآخر لمنسى. قسم جاد أعطي لبني مراري فصار مدينة ملجأ (يش ٢١: ٣٨؛ ١ أي ٦: ٨٠). كانت شمال ييوق. كان لها شهرتها في أيَّام الملوك حيث سكن فيها إيشبوشث بن شاول (٢ صم ٢: ٨، ١٢)، ولجأ إليها داود عند هروبه من أبشالوم (٢ صم ١٧: ٢٤؛ ١ أي ٢: ٨). ربَّما يُشار إليها في تشيد الأناشيد (٦: ١٣)، عندما ذكر "صفين" أي محنايم. حاليًا غالبًا هي خربة محنة شمال عجلون.

"أخيمعص في نفتالي،

وهو أيضًا أخذ باسمه بنت سليمان امرأة" [١٥].

أخيمعص: اسم عبري معناه "أخو الامتعاض أو الغضب". يظن البعض أنَّه هو نفسه أخيمعص ابن صادوق رئيس الكهنة. وقد بقي مع أبياتار في أورشليم أثناء عصيان أبشالوم (٢ صم ١٥: ٢٧؛

١٧: ١٥-٢١). وهو أول من أخبر داود بهزيمة أبيشالوم (٢ صم ١٨: ١٩-٣٠).

باسمه أو "بسمه": اسم عبري معناه "رائحة ذكيّة".

"بعنا بن حوشاي في أشير وبعلوت" [١٦].

بعنا [١٦]: ابن حوشاي، ربّما كان هوشاي الصديق المخلص والمشير الحكيم لداود (٢ صم

١٥: ٣٢؛ ١٧: ٥ الخ).

أشير: اسم عبري معناه "سعيد" أو "مغبوط".

بعلوت: جمع بعلة، وتعني "سيّدة". وهي موضع من نصيب أشير.

"ويهوشافاط بن فاروح في يساكر" [١٧].

يهوشافاط ابن فاروح: اسم عبري معناه "يهوه يقضي".

"شمعي بن أيلاف بنيامين" [١٨].

شمعي ابن أيلاف: اسم عبري معناه "يهوه يسمع". وهو بنياميني، كان من أبطال داود.

"جابر بن أوري في أرض جلعاد أرض سيحون ملك الأموريين،

وعوج ملك باشان،

ووكيل واحد الذي في الأرض" [١٩].

جلعاد: اسم عبري معناه "صلب" أو "خشن". وهو قطر جبلي شرق الأردن، يمتد إلى بلاد العرب،

يشمل البلقاء الحديثة. أرضه صخرية وعرة (تث ٣٤: ١؛ ٢ صم ٢: ٩). كان يخرج في جلعاد نوع

من الشجر يخرج مادة حمضية تُدعى بلسان جلعاد، ذات خواص طبيّة (إر ٨: ٢٢؛ ٤٦: ١١).

عصير البلسان يشبه الحليب اللزج يتجمّد بسرعة، وكان يستخدم لعلاج الالتهابات. في أيام الإسكندر

الأكبر كانت قيمته تعادل ضعف وزن فضة.

جابر بن أوري: ربّما هو نفسه جابر الوارد في [١٣].

"وكان يهوذا وإسرائيل كثيرين كالرمل الذي على البحر في الكثرة،

يأكلون ويشربون ويفرحون" [٢٠].

٢. التدبير المادي للدولة

"وكان سليمان متسلّطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر،

كانوا يقدّمون الهدايا،

ويخدمون سليمان كل أيام حياته" [٢١].

كانت إمبراطورية سليمان كسائر إمبراطوريات آسيا في أيام فارس، تتكوّن من جماعات من الممالك الصغيرة يحكمها ملوكهم، ويقدمون هدايا سنوية.

من النهر: أي من نهر الفرات امتدّت المملكة حيث تحقّق الوعد الإلهي لإبراهيم وموسى النبي ويشوع ابن نون. كانت أهم الممالك هي سوريا وموآب وعمون هذه التي ما بين نهر الفرات وساحل البحر الأبيض المتوسط، شمال حدود مصر.

كان تقديم الهدايا يُعادل تقديم جزية كما جاء في (٢ صم ٢: ٨ الخ).

كانت صور مدينة لها شهرتها التجاريّة، ملاصقة للبحر، على حدود إسرائيل. يبدو أن سكانها كتجّار كانوا يميلون إلى السلم، فلم يدخلوا في عداوة مع إسرائيل. أمّا ملكها حيرام فكان معجباً بشخصيّة داود النبي والملك، وكان محباً له على الدوام. يرى البعض أنّه قد تأثر به فعبد الله الحيّ ورذل الأوثان. إذ مات داود بعث بإرساليّة من الأمراء وكبار رجال الدولة لتعزية سليمان، وتهنئته على تولّيه العرش، وتجديد العهد معه. لقد أراد أن يعيش في سلم وحب مع ملك إسرائيل.

"وكان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كّر سميذ وستين كّر دقيق" [٢٢].

الكر: هو معيار مثل الحומר، يرى يوسيفوس إنّه يعادل ٨٦ جالوناً إنجليزيّاً، وأمّا حاخامات اليهود فيرون إنّه يعادل ٤٤. بعض الدارسين يروا إنّه يعادل ٦٧ جالوناً. الثلاثون كراً تعادل حوالي ٣٣ جوالاً من السميذ، والستون كّر ٦٦ جوالاً من الدقيق، هذه الكميّة من الدقيق تحسب مؤونة حوالي ١٠ آلاف شخصاً في البيوت الملكيّة، للملك وأهل بيته ورجاله العاملين معه وحرّاسه وزائريه الخ.

"وعشرة ثيران مسمّنة وعشرين ثوراً من المراعي ومائة خروف،

ما عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن".

"لأنّه كان متسلّطاً على كل ما عبر النهر من تفسح إلى غزة،

على كل ملوك عبر النهر،

وكان له صلح من جميع جوانبه حواليه" [٢٣-٢٤].

تفسح أو تفساح: اسم عبري معناه "مخاضة" أو "قمر". وهي مدينة كانت آخر حدود أملاك سليمان في اتجاه الفرات. هي ثبتكس الواقعة على الضفة الغربيّة للفرات فوق مصب بليخ. وهي من أهم الممرات في المجرى الأوسط للفرات. تسمّى الآن دبسة.

"وسكن يهوذا وإسرائيل آمنين، كل واحد تحت كرمته وتحت تينته،

من دان إلى بئر سبع كل أيام سليمان" [٢٥].

لم يكونوا ملتزمين أن يسكنوا في مدن حصينة خشية هجوم الأعداء، بل انتشروا في كل موضع، يأكلون ثمر تعبهيم دون أن يغتصبه عدو منهم. لازالت هذه العادة قائمة في كثير من قرى الشرق الأوسط حيث يجلس الشخص أو يستلقي تحت كرمة أو تينة ينعم بالظل مع الهواء النقي. هذا التعبير يشير إلى عدم الارتباك أثناء التمتع بإنتاج الأرض الغزير (٢ مل ١٨: ٣١)، ولهذا يستخدمه الأنبياء كرمز يُشير إلى سعادة العصر المسياني (مي ٤: ٤؛ زك ٣: ١٠).

"وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيول مركباته، واثنا عشر ألف فارس" [٢٦].

عادة كل ثلاثة خيول (أو كل اثنين) يأكلون من مذود واحد. كان الملوك اليهود ممنوعين من استخدام كثرة من الخيول (تث ١٧: ١٦).

يرى البعض أن رقم ٤٠٠٠٠ حمل خطأ في النسخ وأن الرقم هو ٤٠٠٠ مذودًا.

"وهؤلاء الوكلاء كانوا يمتارون للملك سليمان.

ولكل من تقدّم إلى مائدة الملك سليمان،

كل واحد في شهره لم يكونوا يحتاجون إلى شيء".

"وكانوا يأتون بشعير وتبن للخيول والجياد إلى الموضع الذي يكون فيه كل واحد حسب قضائه"

[٢٧-٢٨].

لازال الشعير المخلوط بالتبن يعتبر الغذاء الرئيسي للخيول في منطقة الشرق الأوسط.

٣. شهرة سليمان الفائقة

"وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر" [٢٩].

سرّ مجد سليمان هو في الحكمة التي تقبلها عطية من الله، أكثر من الغنى. اختبرها سليمان كعطية إلهية إذ يقول: "لأن الرب يُعطي حكمة؛ من فمه المعرفة والفهم" (أم ٢: ٦). وجاء في سفر أيوب: "من وضع في الطخاء حكمة أو من أظهر في الشهب فطنة؟" (أي ٣٨: ٣٦).

يرى البعض أن رحبة القلب هنا تُشير إلى اتساع معرفته وعلومه، كما تُشير إلى اتساع قلبه وكأنه لا يحمل ضيقًا، بل في كل شيء يسلك بشجاعة وجرأة دون تخوف أو قلق. ولعلّ رحبة القلب تُشير إلى اتساعه ليقبل من يديّ الله كل شيء بفرح وسرور، فلا يضيق قلبه أمام أي حدث أو من جهة أي إنسان. يقول المرتل: "في طريق وصاياك أجري، لأنك تُرحب قلبي" (مز ١١٩: ٣٢).

يشبهه رجة قلبه برمل شاطئ البحر. فإن الرمل حجمه يضم بحرًا متسعًا للغاية، هكذا يضم ذهن سليمان متسعًا فائقًا من المعرفة والحكمة.

❖ نعم ليس فقط كمال الفن بل وأيضًا حكمة الله ساعدت في هذا البناء¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر" [٣٠].

يقصد بأبناء الشرق القبائل العربية القاطنة في شرق كنعان المنتشرة حتى نهر الفرات (قض ٦: ٣؛ ٧: ١٢؛ ٨: ١٠؛ أي ١: ٣؛ إش ١١: ١٥)، وأيضًا الكلدانيون الذين كانوا يعتززون بمعرفتهم للفلك والتنجيم. كانت حكمة المصريين مضرب الأمثال² (إش ١٩: ١١؛ ٣١: ٢؛ أع ٧: ٢٢). فقد نبغوا في فروع كثيرة للمعرفة مثل العمارة والفلك والتنجيم والتحنيط والنحت بجانب شهرتهم بالأدوية النباتية.

"وكان أحكم من جميع الناس،

من أيثان الأزراحي وهيمان وكلكول ودرع بني ماحول،

وكان صيته في جميع الأمم حواليه" [٣١].

ربما كان هؤلاء الأشخاص معاصرين للملك سليمان، وقد اشتهروا بالحكمة. ربما كان الأربعة موسيقيين وواضعي أناشيد، وقد فاقهم سليمان في هذا المجال. **أيثان الأزراحي**: أيثان اسم عبري معناه "ثابت" (١ أي ٦: ٤٤). يظهر من عنوان مزمو ٨٩ أنه كاتب هذا المزمور.

هيمان: اسم عبري معناه "أمين" (١ أي ١٥: ١٧-١٩). وهو ناظم المزمور ٨٨.

كلكول: اسم عبري معناه "قصير وسريع".

درع أو دارع: اسم عبري ربما كان معناه "شوك".

ماحول: اسم عبري معناه "رقص"، وهو والد هؤلاء الثلاثة حكماء، من عشيرة زارح من سبط يهوذا.

"وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشأته ألفًا وخمسة" [٣٢].

من بين الأمثال لدينا ما ورد في سفر الأمثال، ومن بين الأناشيد لدينا مع سفر نشيد الأناشيد

¹ St. John Chrysostom: Concerning the Statues, 17:11.

² Josephus: Antiq. 8:2,5; Herodot, 2:160.

المزموران (٧٢، ١٢٧).

يرى القديس هيبوليتس الروماني أن سفر نشيد الأناشيد ليس أحد الكتب بين الخمسة آلاف أنشودة التي وضعها سليمان، بل هو أنشودة الأناشيد. لقد كتب سليمان في أمثاله وأناشيدته عن النباتات والحيوانات والهواء والبحر وشفاء الأمراض. لكن الكنيسة بإعلان الروح القدس قبلت ما هو لشفاء النفس، ولم تضم ما يخص شفاء الجسد لئلا ينشغل الشعب بشفاء أجسادهم ويهملون البحث عن شفائهم روحياً من الرب¹.

"وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط،
وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك" [٣٣].

تحدث عن كل النباتات من أرز لبنان المتشامخ إلى الزوفا وهو نبات ضعيف جداً يتسلق على الجدران. كان الحكماء قديماً يهتمون بالنباتات لمعرفة فوائدها الطبيّة. يقسم اليهود مملكة الحيوانات إلى أربعة أصناف: الحيوانات، الطيور، الزواحف، والأسماك. جاء في كثير من الروايات أن سليمان كان يتحدث مع الحيوانات بلغتها. يعتبر البعض سليمان الحكيم أول مؤرخ طبيعي أو عالم في الطبيعيات في العالم. لقد ضاعت أعماله الخاصة. إنها خسارة عظيمة. هكذا كان سليمان ملكاً، وقاضياً عادلاً، وحكيماً، شاعراً، وموسيقيّاً، وفيلسوفاً، وعالمًا في الطبيعيات، وكاتبًا.

"وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته" [٣٤].

اتّسم سليمان بالحكمة والفهم الموهوبين له من قبل الله، ونجح في عمله السياسي حيث استقرت إمبراطوريّته واتّسم عصره بالسلام مع الدول المجاورة له. كما كان أديباً موهوباً وموسيقيّاً، فكتب أمثالاً ووضع أناشيد قام بعزفها، فنال شهرة عالميّة فائقة.

كانت مملكة سليمان كما استعرضها هذا الأصحاح تُشير إلى مملكة السيّد المسيح:

- ❖ من جهة اتّساعها، من النهر إلى البحر (مز ٧٢: ٨-١١)، تُشير إلى مملكة المسيح من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها، حيث قبل الأمم ميراناً له ويسجد له الملوك (إش ٤٩: ٦-٧؛ ٥٣: ١٢).
- ❖ اتّسمت المملكة بالخير الكثير مع السلام والأمان.

¹ St. Hippolytus of Rome: Fragments from Commentaries on the Song of Songs, 2.

- ❖ من يلتصق بالملك يشبع ويرتوي ويمرح [٢٠]. مملكة مفرحة، تُشبع نفوس المؤمنين.
- ❖ مملكة مجيدة، يطويها كل من حولها.
- ❖ ينبوع كل حكمة ومصدر كمالها.
- ❖ جاء في الأصحاح العاشر أن ملكة سبأ إحدى القادِمات للاستماع لسليمان وربما أعظم القادِمين. إننا نعجب أن عظماء وعامة من كل الأمم المحيطة يقدّمون إلى شخص اتّسم بالحكمة ليسمعوا له، الأمر الذي لا نجده حتى في الدول المتقدّمة وبين الأشخاص المتعلّمين، وإن وُجد فليس بهذه الصورة العجيبة. واضح أن القادِمين إليه جاءوا لا حبًا في الاستطلاع بل رغبة في التمتع بحكمته لبنيانهم.
- ❖ يظهر سليمان هنا كرمزٍ للسيد المسيح الذي تختفي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة، تختفي فيه لبنياننا، إذ يقول الرسول بولس: "صار لنا حكمة".

من وحي ١ مل ٤

هب لي روح التدبير والفهم!

- ❖ لأقتنيك يا حكمة الله فأصير بك حكيماً.
هب لي مع سليمان روح التدبير،
فأسلك بروحك، روح النظام لا التشويش.
- ❖ بروحك أتمنّع بانسجامٍ داخلي،
انسجام بين النفس وكل طاقاتها وقدراتها.
انسجام بين الفكر والعاطفة والإحساس.
يقيم روحك لي قيادات داخلية مدبرة حسناً.
- ❖ وهبت سليمان حكمة وتدبيراً حسناً وموهبة الشعر.
لتفتح فمي فأنطق بأمثال سماوية.
وليضرب روحك القدوس على أوتار قلبي.
فينشد مع سليمان ألفاً وخمسة من الأناشيد.
ينسجم سلوكي العملي مع كلماتي المقدسة فيك.
وتنسجم كلماتي مع تهليل قلبي بك.
أنت واهب الحكمة، أنت معطي التسبيح والفرح!

أعمال سليمان ونشاطه

[ص ٥ - ص ٩]

الأصحاح الخامس

الإعداد لبناء الهيكل

كان أمام سليمان الحكيم عمل غاية في الأهمية وهو بناء هيكل الرب. الأمر الذي اشتهاه والده ولم يُسمح له به، بل نال وعدًا إلهيًا أن يتّممه ابنه الخارج من صلبه. اتّسم سليمان بالحكمة مع الغنى فتهميًا للعمل. وكان والده قد أعد له الكثير من الذهب والفضة كما هيأ المناخ السياسي للقيام بهذه المهمة. بقي أن يُحضر سليمان الخشب والحجارة والأبدي الفنيّة العاملة، الأمر الذي استلزم أن يدخل في معاهدة مع حيرام ملك صور لتحقيقه.

كان سليمان رمزًا للسيد المسيح الذي قيل عنه: "هوذا الرجل الغصن اسمه، ومن مكانه ينبت، وبيني هيكل الرب، فهو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهنًا على كرسيه" (زك ٦: ١٢-١٣).

١. تهنئة من ملك صور .١
٢. حوار مع حيرام ٦-٢
٣. معاهدة مع حيرام ٩-٧
٤. سير العمل ١٨-١٠

١. تهنئة من ملك صور

"وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان،
لأنه سمع أنهم مسحوه ملكًا مكان أبيه،
لأن حيرام كان محبًا لداود كل الأيام" [١].

يخبرنا المؤرخ يوسيفوس أن الرسائل المتبادلة بين حيرام وسليمان كانت محفوظة في أرشيف بمدينة صور حتى أيامه.

كانت صور مدينة لها شهرتها التجارية، ملاصقة للبحر، على حدود إسرائيل. يبدو أن سكانها كتجار كانوا يميلون إلى السلم، فلم يدخلوا في عداوة مع إسرائيل. أمّا ملكها حيرام فكان معجبًا بشخصية داود النبي الملك، وكان محبًا له على الدوام. يرى البعض أنه قد تأثر به فعبد الله الحي وردد الأوثان.

إذ مات داود بعث بإرسالية من الأمراء وكبار رجال الدولة لتعزية سليمان، وتهنئته على توليه العرش، وتجديد العهد معه. لقد أراد أن يعيش في سلم وحب مع ملك إسرائيل. يرى البعض أن حيرام المذكور هنا هو ابن حيرام صديق داود النبي (٢ صم ٥ : ١١)، والذي أرسل إليه خشب الأرز ونجّارين وبنّائين وبنى له بيتاً، غالباً في بداية ملك داود. يقدّم لنا سليمان العظيم في مملكته كيف يتعامل بكل حب وتقدير وحكمة مع من هو أقل منه. فلم يستغل مركزه في حوار مع ملك صور، ولا استخف به، بل حاوره بكل وقار كندّ لندّ، وبروح التواضع طلب مساندة كمن هو محتاج إليه وإلى خبرة شعبه.

٢. حوار مع حيرام

"فأرسل سليمان إلى حيرام يقول:

أنت تعلم داود أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التي أحاطت به،

حتى جعلهم الرب تحت بطن قدميه" [٢-٣].

بقوله أنه يعلم بأن والده داود لم يقدر أن يبني الهيكل واضح أن داود كان مشغولاً بهذا الأمر لفترة طويلة، وأنه ناقش الأمر مقدماً مع حيرام. هذا يتفق مع ما ورد في (١ أي ١٢ : ٤). واضح أن حيرام كان صديقاً حميماً لداود الذي لم يخف عنه أنه كان يشتهي أن يبني بيتاً للرب إلهه. وأن داود قد أخبره بأن الله لم يسمح له بذلك، لأنه كان رجل حرب. مع أنه كان يحارب بسماح من الرب ولحساب شعبه، لكنّه لم يكن يصلح لبناء بيت الرب. فإن مثل هذا العمل يحتاج إلى تفرغ كامل، فلم يكن لدى داود الوقت ولا تركيز الفكر للبناء، بينما لم تكن دولته قد استقرت بعد.

"والآن فقد أراخني الرب إلهي من كل الجهات فلا يوجد خصم ولا حادثة شر" [٤].

الكلمة العبرية المترجمة "خصم" هي "saataan" أي "شيطان". وكأن الله قد أراحه من العدو الخارجي وأيضاً الداخلي حتى يتفرغ للبناء.

حقاً جاء سليمان، رجل السلام، يتفرغ بوقته وإمكاناته وقدراته وحكمته لهذا العمل. ونحن أيضاً لا نكف عن أن نصلي بلا انقطاع لكي يهبنا الله السلام كفرصة لتكريس طاقاتنا لبناء بيت الرب في كل قلب. إن الصراع خاصة داخل الكنيسة يحرمانا من التفرغ للبناء الإيجابي.

"وهانذا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلهي،

كما كلم الرب داود أبي قائلاً:

إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي" [٥].

يرى العلامة أوريجينوس أن سليمان الذي معناه "سلام" رمز للسيد المسيح. فقد بنى الهيكل بعد أن انتهت الحروب وحلت فترة سلام. تحققت النبوة عن إنشاء الهيكل بالمسيح الذي يقول: "مع مبغضي السلام كنت صاحب سلام" (مز ١٢٠: ٧). يقيم هيكله بالحجارة الحيّة التي تقام عليه بكونه أساس الهيكل. لكل أحد منا له موضعه في الهيكل كبناء حي^١.

❖ استخدم أثنى مواد البناء، استورد أغلبها، مثل الأرز من لبنان [٦]؛ والحجارة المنحوتة المربعة الكبيرة لتأسيس البيت، نحتها بناعو سليمان وبنائو حيرام والجبليون (١٥-١٨)، وخشب الزيتون (٦: ٢٠-٢٢)، وخشب السرو (٦: ٣٤)، وذهب خالص (٦: ٢٢)، والنحاس (٧: ١٣-٤٧).

❖ أرسل له حيرام ملك صور مواد للبناء ورجالاً للعمل (٥: ١٦؛ ٩: ١١)، وقدم له سليمان ٢٠ مدينة (٩: ١١).

❖ كان العاملون في البناء ٣٠٠٠٠ عاملاً، ١٥٠٠٠٠ عاملين في الحجارة، ٣٣٠٠ رئيساً للعمال.

❖ غشى البيت كله بالذهب (٦: ٢٢).

❖ جميع حيطان البيت رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج (٦: ٢٩).

❖ بالنسبة للآنية النحاسية ترك سليمان وزن جميع الآنية لأنها كثيرة جداً جداً؛ لم يتحقق وزن النحاس" (٧: ٤٧).

❖ استمر العمل في البناء مدة سبع سنوات بغير توقف (٦: ٣٧-٣٨).

أراد سليمان بلا شك أن يقدم أثنى ما لديه، وأجمل فن لمجد الله. غير أن الله أكد له أن ما يشغله هو بناء الهيكل الداخلي في النفس، بالطاعة للوصية (٦: ١١-١٢). إنه يريد لا أن يسكن في بيوت من صنع البشر بل أولاً أن يسكن في البشر أنفسهم فيقبل ما يقدمونه له (٨: ٢٧؛ ١ كو ٦: ١٩-٢٠).

"والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان،

¹ Origen's Commentary on John, book 10:23.

ويكون عبيدي مع عبيدك،

وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول،

لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين" [٦].

كان لشجر الأرز أهميّة خاصة لجمال خشبه ومرارته الشديدة التي تمنع الحشرات والديدان من أن تفسده بسرعة.

الكلمة العبريّة التي تترجم هنا "أرز" يبدو أنّها تستخدم ليس فقط عن أشجار الأرز، بل وعن كل الأشجار التي يُستخدم خشبها للبناء مثل العرعر. يتحدث الكتاب المقدّس عن أرز لبنان بصفة خاصة بكونه زرع الرب (مز ١٠٩: ١٦) لاستخدامه في بناء هيكله.

لقد طلب سليمان من حيرام الانتفاع بمهارة شعبه وخبرتهم في قطع أشجار الأرز ونقلها بحرًا، فهم كأصحاب أسطول بحري تمتعوا بهذه الخبرة.

كان لشعب إسرائيل خبرته فيما يخص العبادة والحياة المقدّسة في الرب، أمّا الصيدونيون فأصحاب خبرة في الخشب والنقل البحري. لم يتجاهل سليمان هذه الخبرة، بل بحكمة عرف كيف يوجهها لتعمل في تناسق مع خبرة شعبه الروحيّة. فإن القائد الناجح يعرف كيف يوجه كل الطاقات والمواهب، ليس فقط الروحيّة بل والأمور الزمنيّة، ليعمل الكل معًا في تناسق ولحساب ملكوت الله.

"وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب ما تقول"، فإنّه لا يُبنى هيكل الرب بروح الظلم. لا يقبل أن يُبنى ما هو للرب بغير فكر الرب المهمم بالأجراء المحتاجين. كم يتعزّر كثيرون حينما يستغل بعض قادة الكنيسة الآخرين، حتى وإن كان للعمل لحساب الكنيسة.

يحل اسم الرب على الهيكل ويسكن فيه، وكأن "اسم" الرب هنا يعني "الإعلان عن طبيعته بطريقة منظورة تعبر عن حضرته الإلهيّة".

"الصيدونيون" يعني بهم الفينيقيين بوجه عام، حيث أن صيدا كانت أقوى من صور، والمنطقة التي بها أرز في لبنان كانت تابعة لصيدا. كان سكّان صيدا مهرة في البناء والفنون.

يبدو أنّه كان للصيدونيين ملكهم، تحت رئاسة صور.

لعل استخدام الصيدونيين، أبناء الغرباء، في تهيئة الخشب والحجارة لبناء الهيكل كان رمزًا لقيام قادة كنسيين من الأمميين لبناء بيت الرب الروحي الأبدي.

كان العمل أكبر من أن يقوم به العمال الفينيقيون وحدهم، لذلك كانت هناك حاجة إلى تقسيم

العمل بين الفينيقيين والإسرائيليين. يقول المؤرخ يوسيفوس اليهودي: [أنتم تعرفون أنه لا يوجد بيننا من له مهارة في قطع الخشب مثل الصيديونيين¹]. قطع الأشجار وتهيئة الأخشاب لاستخدامها في البناء يحتاج إلى خبرات خاصة لم يكن الإسرائيليون قد عرفوها أو تدربوا عليها. من هذه الخبرات:

❖ اختيار الوقت المناسب للقطع، حيث كان يُفضل القطع في الخريف أو الشتاء، حيث لا يكون الساق به نسبة عالية من الرطوبة كما في الربيع والصيف.

❖ لا تُقطع الأشجار دفعة واحدة، بل يقطع حول الساق وتترك قليلاً حتى تجف، بعد ذلك تقطع بالكامل.

❖ تترك ثلاثة سنوات قبل استخدامها في الأرضيات والأبواب والنوافذ. هكذا كان يليق بهم وهم يعدون الخشب لبناء هيكل الرب، مع أهمية العمل العظيم، ألا يتسرعوا، فإنه غالباً إذ نمارسه بعجلة لا ينفع شيئاً.

يشهد المؤرخون القدامى عن مهارة الصيديونيين. يقول هوميروس: [بأن الكؤوس الكبيرة التي كان اليونانيون يشربون بها الخمر هي من صناعة صيدا. كما يقول بأن نساء صيدا كن يصنعن الثياب المطرزة الجميلة التي كانت السيدات اليونانيات يفتخرن بها]. وقال هيرودوت: [إن أهل صور وصيدا كانوا الأولين في علم سبر السفن]. ويقول سترابو: [إن الصيديونيين امتازوا بالرياضيات والفلك والفلسفة والصنائع].

٣. معاهدة مع حيرام

"قلما سمع حيرام كلام سليمان فرح جداً وقال:

مبارك اليوم الرب الذي أعطي داود ابناً حكيماً على هذا الشعب الكثير" [٧]

فرح حيرام كرجل متدين باقتراح سليمان أنه يساهم في هذا العمل بطريق أو آخر. فرح أن يرى لصديقه الحميم داود مثل هذا الابن الصالح الحكيم (مل ٢: ١٥)، فبالحب لم يدخل الحسد أو الغيرة إلى قلبه، وإنما على العكس فرح بنجاح أخيه.

كان من صالح حيرام وجود علاقات طيبة مع إسرائيل لأجل السلام ومن أجل التجارة، إذ كان الفينيقيون تجاراً.

واضح من سلوك حيرام أنه يتعبد لله الحقيقي. يرى البعض أن تمجيد حيرام لله إله إسرائيل لا يعني

¹ Josephus: Antiquites b. xv, ch. iv, sec. 1.

عدم عبادته للأوثان، وإنما هو اعتراف بأنه إله حقيقي مثل سائر آلهته. في (٢ أي ٢: ١١) اعترف حيرام بأن يهوه هو خالق السماء والأرض، لكن هذا لا يعني دخوله في علاقات شخصية معه. فقد كان من عادة الوثنيين أنهم يؤمنون بأن لكل بلد إلهه، وأنه يليق أن يحترم كل شخص إله البلاد الأخرى.

"وأرسل حيرام إلى سليمان قائلاً:

قد سمعت ما أرسلت به إليّ.

أنا أفعل كل مسرتك في خشب الأرز وخشب السرو" [٨].

غابات لبنان بالقرب من البحر كانت في أيام سليمان تبع الفينيقيين، غير أن البعض يرون بأن أشجار الأرز المذكورة هنا كانت في أرض إسرائيل، وكان سليمان في حاجة إلى الأيدي العاملة ذات الخبرة.

"عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر،

وأنا أجعله أرماتاً في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه،

وانفضه هناك،

وأنت تحمله،

وأنت تعمل مرضاتي بإعطائك طعاماً لبيتي" [٩].

لا يقوم رجال حيرام فقط بقطع الأشجار بطريقة فنية، وإنما بخبرتهم يلقون به على المياه وبيعون به إلى يافا *Joppa* مقابل أورشليم على بعد حوالي ٢٥ ميلاً.

٤. سير العمل

"فكان حيرام يعطي سليمان خشب أرز وخشب سرو حسب كل مسرته.

وأعطي سليمان حيرام عشرين ألف كر حنطة طعاماً لبيته وعشرين كر زيت رضى،

هكذا كان سليمان يعطي حيرام سنة فسنة" [١٠-١١].

كان الإسرائيليون محتاجين إلى مهارة الصيدونيين، وكان الصيدونيون محتاجين إلى غلال الإسرائيلييين وزيتهم (حز ٢٧: ١٧؛ ٢ أي ٢: ٣). لا يوجد إنسان مكتفٍ بذاته، إذ كل شخص محتاج إلى أخيه. وكل دولة في حاجة إلى الدول الأخرى.

زيت الرضى يُستخرج من الزيتون بالرض ليكون نقياً خالصاً من الشوائب لا كالتزيت الذي يُستخرج

بالطحن، لأن ذلك لا يخلو من الأدران.

هنا نجد تنفيذ الاتفاقية المبرمة بين الملكين سليمان وحيرام، كل منهما قام بدوره على خير وجه.

❖ سلم حيرام الملك سليمان الخشب مقايضة. غالبًا ما كانت الأشجار ملك سليمان، لكن مرتبات الأيدي الفنية العاملة كانت أكثر تكلفة من ثمن الأشجار.

❖ بعث سليمان قمحًا وزيتًا إلى حيرام حسب وعده له [١١] لبيت الملك، أمّا العمال فكانوا يأكلون في مواقع العمل.

"والرب أعطي سليمان حكمة كما كلمه،

وكان صلح بين حيرام وسليمان وقطعا كلاهما عهدًا" [١٢].

أعطى الرب سليمان حكمة ونعمة ليقيم صداقة مع حيرام، فأحب حيرام سليمان، فتشجع الاثنان على حفظ علاقات الود المتبادلة ألا يفسدها شيء. هكذا ارتبط الاثنان معًا خلال التصرفات العادلة وعدم الاستغلال مع إبراز جوانب الصداقة والحب خلال تدخل الله الذي وهب سليمان الحكمة. يقول يوسيفوس المؤرخ إن الاتفاقية بين سليمان وحيرام وجدت في أورشيف كل من إسرائيل وصور. لم يذكر شيء عما إذا كان هذا الاتفاق قد تُرجم. فإن الرأي السائد أن الكنعانيين والصوريين وأيضًا سكان قرطاجنة كانوا يجيدون اللسان العبراني أو على الأقل لغة مشتقة من العبرية. أظهر سليمان حكمته ليس فقط في معاملاته مع الخارج بل وفي استخدام طاقات شعبه للعمل.

"وسخر الملك سليمان من جميع إسرائيل، وكانت السخرة ثلاثين ألف رجل.

فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة،

يكونون شهرًا في لبنان وشهرين في بيوتهم،

وكان أدونيرام على التسخير" [١٣-١٤].

يميز بين الجزية التي يلتزم بها الكنعانيون كعبيد (٥: ١٥؛ ٩: ٢٠) وبين التزام العمال الإسرائيليين بالعمل، فإن الإسرائيليين يعملون ٤ أشهر فقط في السنة. يعملون شهرًا ويعودون إلى منازلهم لمدة شهرين.

مع أن قلب سليمان كان ملتهبًا بالغيرة لسرعة بناء الهيكل، لكنّه حرص في البداية ألا يتقل على العمال حتى لا يفقدوا سلامهم الداخلي وراحتهم الجسدية. يرى البعض أن سليمان كان حريصًا على وحدة الأسرة والحفاظ على سلامتها، لهذا لم يكن يسمح للعامل أن يغيب عن أسرته أكثر من شهرين.

بعد الشهر يلتزم العامل بالعودة إلى بيته ليعيش لمدة شهرين مع أسرته، فلا تشعر الزوجة والأولاد بالفراغ.

قام سليمان بتشغيل ثلاثين ألفاً من الإسرائيليين، بحيث يعمل كل شخص منهم لمدة شهر يليها شهران في راحة. لم يُحسب هذا تسخيّرًا، ولا عبوديّة. فقد كان ما يشغل قلب سليمان هو أن يعيش شعبه بروح الحرّيّة فخرج منهم رجال قتال وأمراء، وقادة مدنيون وعسكريون.

عندما عاد سيزوستريس ملك مصر من حروبه بنى معابد كثيرة في كل مدن مصر، لم يستخدم في بنائها مصريًا واحدًا، بل قام بالبناء أسرى الحرب. وقد نقش على كل هيكل: "لم يعمل أحد من المواطنين في هذه المباني". يبدو أن سليمان وضع نقشًا مشابهًا على منشأته.

تحققت نبوة ناثان النبي (٢ صم ٧: ١٣) بقيام سليمان ببناء الهيكل.

بدأ البناء بالتعاون بين المملكتين: إسرائيل وفينيقيّة، وقد حافظت المملكتان على العهد أو الاتفاقية التي أبرمت بينهما.

يرى بعض الدارسين أن الإرهاق الشديد في الإنشاءات التي حققتها سليمان من الجانب المادي والقوة العماليّة (استخدام السخرة) أدى إلى وجود اتجاه مضاد لدى بعض الأسباط ضد سبط يهوذا وربما ضد الهيكل نفسه، مما شجع يريعام فيما بعد على إقامة معبدين في بيت إيل ودان.

اضطر سليمان إلى استخدام نظام السخرة لبناء الهيكل، أمّا مسيحننا فيدعو العبيد للتمتع بالحرّيّة ليقم منهم هيكله السماوي. يقول العلامة أوريجينوس:

❖ إن كنت منتميًا للكنيسة لا يشغلني مدى صغر شأنك، فملاكك يتطلع معانيًا وجه الآب في كمال الحرّيّة. في حين إن كنت خارجها، لن يجرؤ على ذلك^١.

❖ أمّا الرسول فيقول عن أورشليم السماوية "هي أمنا جميعًا، هي حرة" (غل ٤: ٢٦). لذلك أبوك هو الله الذي أنجب روحك، والذي يقول: "ربيت بنين ونشأتهم" (إش ١: ٢). أمّا بولس فيقول أيضًا: "أفلا نخضع بالأولي جدًا لأبي الأرواح فنحنيا"؟! (عب ١٢: ٩)^٢.

العلامة أوريجينوس

"وكان لسليمان سبعون ألفًا يحملون أحمالًا وثمانون ألفًا يقطعون في الجبل" [١٥].

خصص سليمان لرجاله العمل السهل كقطع الأخشاب وذلك بمعاونة الفنيين من صور وصيدا.

^١ In Luc. Hom. 1:35.

^٢ Hom on Leviticus 11:3.

أما حمل الأحمال وقطع الحجارة في الجبل فترك ذلك للأسرى من الأمم الأخرى (١ مل ٩: ٢٠؛ ٢ أي ٨: ٧-٩). يقدر عدد أسرى الحرب في أيام داود بـ ١٥٣٦٠٠. لم نسمع أن هؤلاء سُمح لهم بالراحة شهرين بعد العمل لمدة شهر كإسرائيليين، لأن هؤلاء كانوا عبيدًا.

يرى بعض الآباء مثل القديس جيروم في العاملين في بناء الهيكل صورة رمزية للعمل في كنيسة الله الحيّة.

❖ ٧٠٠٠٠ يحملون الحجارة، يشيرون إلى كل رجال العهد القديم وقد اتسموا بالفكر السماوي. رقم ٧ يشير للزمن (أسبوع)، ١٠ يشير إلى الكمال الزمني، ١٠٠٠ للفكر الروحي أو السماوي.

❖ ٨٠٠٠٠ يقطعون في الجبل، يشيرون إلى كل رجال العهد الجديد وقد اتسموا بالفكر السماوي. رقم ٨ يشير إلى ما وراء الزمن (ما بعد الأسبوع)، ١٠ يشير إلى الكمال الزمني، ١٠٠٠ للفكر الروحي أو السماوي.

❖ ٣٠٠٠ الوكلاء على العمل، يشيرون إلى كل المؤمنين بعمل الثالوث القدوس في حياتهم (٣)، ١٠٠٠ للفكر الروحي أو السماوي.

فهيكال الرب الحقيقي يمتد في العهدين كثمرة عمل الثالوث القدوس في حياة المؤمنين.

❖ البنائون الذين كانوا يقطعون الحجارة ويعدون أساسات البناء، الذين يحملون الحجارة من الأرض لبناء هيكل الرب يحصون برقم ٧ في الأنبياء والآباء (البطاركة) فإنهم إذ يبذلون أنفسهم يسحبون الجنس البشري من الأرض كانوا يعدون هيكل الرب. الآخرون الثمانية آلاف يرمزون للكراسة الرسوليّة والأنجيل، هؤلاء الذين مع الرب المخلص وسليمان نفسه يحملون حمل الأمم الثقيل. هذا بالتأكيد هو علو السرّ، لكن استمع إلى أسرار أعمق. فإن النظر على العمل والهيكل كانوا ثلاثة آلاف. فإنهم لا يستطيعون النظر المسئولون على العمل ما لم يعلنوا التثليث^١.

القديس جيروم

"ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل.

وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة،

حجارة كريمة، لتأسيس البيت حجارة مربعة" [١٦-١٧].

^١ Hom. 19 on Ps 89 (90).

الحجارة الكبيرة: من حيث أبعادها، فهي ضخمة الحجم.
الحجارة الثمينة: من حيث تكلفتها من جهة العمل والوقت الطويل اللازم لقطعها من الصخور.
الحجارة المنحوتة: وهي حجارة مربعة قاموا بتهيئتها لتكون ناعمة. كان الإسرائيليون مع الصوريين يعملون معاً في تهيئة الحجارة.

"ففتحها بناؤو سليمان وبنائو حيرام والجبليون،

وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت" [١٨].

جاء في حزقيال (٢٧: ٩) أن الجبليين كانوا ذوي خبرة في بناء السفن، وبالتالي كانت لهم خبرة في البناء بوجه عام.

الجبليون هم أهل جبيل، وهي على شط البحر على بعد نحو ٢٥ ميلاً من بيروت على طريق طرابلس (يش ١٣: ٥؛ حز ٢٧: ٩).

حين كان داود وسليمان يسلكان بروح التقوى كانت معاشرتهما لأهل صور نافعة للغاية، لكن إذ انحرف سليمان عن التقوى تحولت هذه المعاشرة للضرر، وقد بلغت القمة في أيام أخاب الذي اتخذ إيزابل بنت أتبع ملك صور زوجة (١٦: ٣١).

من وحي ١ مل ٥

لأسخر كل الطاقات لبناء بيتك!

❖ ضع في قلبي أن أبنى لك بيتاً مع سليمان الحكيم.

نجح سليمان في تشغيل عمال حيرام ملك صور لحساب بيتك.

هل لي أن أكرس طاقاتي وطاقات كل من ألتقي بهم،

فيعمل العالم كله لبناء هيكلك الحق!

فرح قلب كل إنسان ببنيان ملكوتك،

كما فرح قلب حيرام بمشاركته سليمان في بناء هيكلك.

❖ سخر سليمان ثلاثين ألفاً من إسرائيل للعمل،

عمل الإسرائيليون مع بني صور وأيضاً مع المسيبين.

كل منهم كان له دوره في بناء هيكلك.

متى أرى العالم كله خادماً لحساب ملكوتك؟

متى تنكرس كل الطاقات بروحك القدوس؟

الأصحاح السادس

بناء الهيكل

يحدثنا هذا الأصحاح عن بناء هيكل سليمان أو بيت الرب الجديد. في بنائه نرى الآتي:

❖ **مسيحنا يتحدث عن هيكل جسده** واهب القيامة. "أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو ٢: ١٩-٢١). لقد أعد الآب له جسده "هيأت لي جسداً" (عب ١٠: ٥).

❖ أقام السيد المسيح **كنيسته هيكلًا مقدسًا له**. "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركبًا معاً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب، الذي فيه أنتم أيضًا مبنيون معاً مسكنًا لله في الروح" (أف ٢: ٢٠-٢٢).

❖ **جعل من كل مؤمن هيكلًا يسكنه روح الله**. "أما تعلمون إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦). يرى المؤمن في جسده المتحد مع نفسه بروح الله هيكلًا مقدسًا. "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم؟" (١ كو ٦: ١٩). يقوم على حجر الزاوية، رب المجد يسوع، ويتم بنيانه وكمال جماله في يوم الرب العظيم. وكما زين سليمان الهيكل بالذهب والحجارة الكريمة هكذا لا يكف روح الرب عن أن يزيننا بعطاياه الفائقة ونعمته الغنية، فنحمل بهاء مجد الرب فينا ونأهل لشركة المجد الأبدي.

❖ **حياتنا السماوية أيضًا وسكنانا مع إلهنا إلى الأبد يدعى "الهيكل السماوي"**. هناك نرى الله في مجده الفائق، حوله الطغمت السماوية يسبحونه بلا انقطاع. هذا الهيكل غير مصنوع بأيدي بشرية، ولا يسمع فيه صوت أداة حديدية، بل صوت تهليلات لا تتوقف.

بنى سليمان هيكل الرب الذي يصعب تقدير تكلفته، خاصة كميات الذهب التي لا تُقدر لصنع بعض أدوات الهيكل، وطبقات الذهب التي غطت المبنى كله من الداخل، حتى الأرضية. لم يكن هذا لأجل مجد سليمان، وإنما لمجد الله على خلاف بعض الفراعنة الذين بنوا الأهرامات. فكان بناء أحدهم يستلزم تشغيل على الأقل ٣٦٠ ألف نسمة لمدة لا تقل عن عشرين عامًا، لأجل تخليد اسم الملك.

يرى العلامة أوريجينوس¹ أن بناء الهيكل يحمل رمزًا لقيام هيكل الله الذي فيه السيد المسيح هو حجر الزاوية، والمؤمنون من رجال العهد القديم والجديد هم الحجارة الحية المقامة على شخصه. وفيما يلي نظرة سريعة لما رآه العلامة أوريجينوس في بناء الهيكل:

❖ لا يُسمع فيه صوت نحت، إذ يليق بالمؤمن لكي يكون حجرًا حيًا في بناء الرب ألا يحمل في داخله صوت اضطراب.

❖ استخدام الذهب في الهيكل إشارة إلى ذهن المؤمن الهادئ والكامل الذي يدرك الأمور بدقة وحكمة.

❖ وجود الحجاب حيث لا تُعلن الأشياء التي في أعماق الهيكل (قدس الأقداس) لغالبية الكهنة واللاويين.

❖ بنى سليمان بن داود الهيكل كما صنع كل الأشياء النحاسية حيرام من صور ابن الأرملة، من سبط نفتالي، وبينما والده من صور عامل في النحاس كان مملوء حكمة وفهمًا. الأول يشير إلى عمل المسيح بكر كل الخليقة، والثاني إلى صاحب الحكمة والفن. فالهيكل هو ثمر عمل الله فينا ومعنا.

بناء الهيكل في أرض الموعد حيث يجتمع حوله كل الشعب في الأعياد الكبرى يُعتبر حدثًا تاريخيًا هامًا في تاريخ شعب بني إسرائيل، ربّما لا يقل أهمية عن حدث الخروج على يديّ موسى النبي. فإن كان الخروج هو تحرر الشعب من عبودية فرعون كرمز للتحرر من عبودية إبليس والتمتع بالميراث الأبدي، فإن إنشاء الهيكل الإلهي وسط الشعب يشير إلى سكنى الله وحلوله في وسطهم، أو نزول الله إليهم بالحب ليحتضنهم. وكأن الميراث الذي نالوه "أرض الموعد"، إنّما هو في جوهره النقاء وسكنى مع القدس.

اتَّسم المبنى بالآتي:

❖ أبعاد المبنى وشكله تحمل رموزًا روحية تمس حياة المؤمن وشركته مع الله.

❖ اختيار أخشاب معينة ثمينة.

❖ استخدام وفرة من الذهب الخالص والفضة.

❖ جاء الهيكل، خاصة قدس الأقداس، غنيًا بالزينة.

¹ Origen's Commentary on John, book 10 : 24 etc.

١. بدء البناء .١
٢. أبعاده وملامحه .١٠-٢
- * أبعاده .٢
- * الرواق .٣
- * النوافذ .٤
- * الغرفات .١٠-٥
٣. الوعد الإلهي .١٤-١١
٤. الحوائط والأرضية .١٨-١٥
٥. المحراب .٢٢-١٩
٦. الكاروبان .٣٠-٢٣
٧. الأبواب .٣٥-٣١
٨. الدار الداخلية .٣٦
٩. مدة البناء .٣٨-٣٧

١. بدء البناء

"وكان في سنة الأربعمئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو، وهو الشهر الثاني، إنه بنى البيت للرب" [١].

حدد بداية البناء بالسنة ٤٨٠ من خروج الشعب من مصر، وهي تضم ٤٠ سنة في البرية مع موسى، ١٧ سنة مع يشوع، ٢٩٩ سنة أثناء القضاة، ٤٠ سنة أيام عالي الكاهن، ٤٠ سنة أيام صموئيل (الملك شاول)، ٤٠ سنة أيام داود، ٤ سنوات الأولى من حكم سليمان. الإجمالي هو ٤٨٠ عامًا.

حدد التاريخ بخروج الشعب من مصر، لأن غاية الخروج هو الانطلاق من أرض العبودية إلى أرض الموعد. الأمر الذي يتحقق بسكنى الله وسط شعبه، وقيادته لهم بنفسه. الآن ببناء البيت يعلن إمكانية التمتع بالحرية الحقيقية، بسكنى واهب الحرية في وسطهم.

بني الهيكل بعد ٤٨٠ عامًا من خروجهم من أرض العبودية للتمتع بالحياة المقدسة، ظل السماء. وبعد أقل من ٤٣٠ عامًا أُحرق الهيكل بواسطة نبوخذنصر حينما عاد الشعب إلى العبودية بالسبي البابلي. وكان وجود البيت كان علامة على شوق الله نحو تحرير شعبه ومؤمنيه.

بدأ بناء الهيكل في الشهر الثاني، وكأنه يبدأ بروح الحب الكامل كأساس روحي للبيت. فإن رقم ٢ يشير إلى كمال الحب حيث يصير الاثنان واحداً، وقد جاءت الوصية عن الحب في وصيتين متكاملتين: حب الله وحب القريب (مر ١٢ : ٣٠-٣١). وقدمت الأرملة حبها الكامل مع الفيلسوفين (مر ١٢ : ٤٢). وقدم السامري الصالح حبه الكامل مع الدينارين (لو ١٠ : ٣٥)، ويُعلن الكتاب المقدس الحب جوهرًا له بكونه العهدين القديم والجديد.

أما تسمية الشهر "زيو" فيعني البهاء أو السمو، ربّما لأنّه في هذا الشهر الذي يقابل شهر مايو تظهر الزهور الجميلة فتسكب بهاءً على الأرض. أمّا بعد السبي فصار اسمه آيار *Jyar*. شهر زيو يقابل جزءً من شهر إبريل وآخر من شهر مايو. وكان الشهر الثاني من السنة الدينيّة لليهود، والشهر الثامن من السنة المدنيّة. قبل عصر سليمان يبدو أن اليهود لم يكونوا يشيرون إلى شهورهم بالأسماء بل بالشهر الأول أو الثاني أو الثالث الخ.

وضعت أساسات الهيكل عام ٢٩٩٢ من الخليقة أو ١٠٠٨ ق.م، وانتهى العمل عام ٣٠٠٠ من الخليقة ودُشّن عام ٣٠٠١، أو عام ٩٩٩ ق.م.

ارتفع بناء الهيكل فوق جبل الموريا في القدس، عند بيدر أرونة اليبوسي حيث بنى داود النبي مذبحاً للرب (٢ صم ٢٤ : ٢٨-٣٥)، بعد أن مُهّدّت الأرض وسُدّت الثغرات التي فيها.

دُعي "بيت الرب"، لأن الله نفسه هو الذي اختاره وحدد القائم بينائه، ووضع خطته (١ أي ٢٨ : ١١-١٢). ومن جانب آخر فإن المبنى مخصص للعبادة لله. ولا يمكن استخدامه أو استخدام أدواته في عملٍ آخر.

دُعي "بيت الرب" لأنّه كان ظلاً للأمور العتيّدة (عب ٩ : ٩). ما كان يشغل الله هو أن يكون بيته مقدّساً بكونه موضع لقاء القدس مع قديسيه. كانت خيمة داود تُدعى مع بساطتها "بيت الرب" (٢ صم ١٢ : ٢٠)، وذلك من أجل تكريسها للرب وقداسته قلب داود. أمّا الهيكل فمع كل فخامته وعظّمته فارقه مجد الرب حينما أصر الشعب مع الكهنة على الفساد (جز ١٠ : ١٨).

بدأ سليمان البناء في الشهر الثاني من السنة الرابعة من حكمه. فقد قضى ثلاث سنوات يعمل على استقرار المملكة حتى متى بدأ البناء لا ينشغل بشيءٍ آخر. هذه السنوات الثلاث تضاف إلى السنوات التي قضاها داود أبوه في التهيئة للبدء في البناء.

٢. أبعاده وملامحه

* أبعاده:

"والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وسمكه ثلاثون ذراعًا" [٢].

يرى البعض أن الأبعاد هنا حوالي ضعف أبعاد خيمة الاجتماع، إذ كان عدد الشعب يتزايد، لذا صارت هناك حاجة إلى توسيع مكان العبادة. "أوسع مكان خيمتك ولتبسق شقق مساكنك. لا تُمسكي. أطيلي أطنابك وشددي أوتارك" (إش ٥٤ : ٢). يتوقّف حجم هيكل سليمان على إدراكنا للذراع القديم، وهو أمر غير مستقر تمامًا. يرى البعض أنّه أقل من القديم، ما بين ١٩، ٢٠ بوصة. يدعى بالذراع المقدّس (حز ٤٠ : ٥؛ ٤٣ : ١٣)، وهو بطول ذراع بشر، أطول من الذراع المتعارف عليه حاليًا.

* الرواق:

"والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعًا حسب عرض البيت وعرضه عشر أذرع قدام البيت" [٣].

الرواق أو القاعة الممتدة أمام مبنى الهيكل يبلغ ارتفاعه أربعة أضعاف الهيكل، وهو يمثّل حليّة للمبنى الضخم. المنظر من أعلى القاعة غاية في الروعة. قيل أنّه يمكن للإنسان أن يرى البحر الأبيض المتوسط من جانب والبحر الميت من الجانب الآخر، عبر نهر الأردن وما وراء العريّة. كان بجانب مدخله رواق (بهو) وأعمدة، ثم اتسع الرواق في عهد خلفاء سليمان حتى شمل جميع الجهات.

* النوافذ:

"وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبّكة" [٤].

كانت النوافذ متسعة من الداخل وضيقة من الخارج مثل المباني المصريّة الفرعونية والأديرة القديمة حيث كانت الحوائط ضخمة، وهي تتناسب دخول الهواء والنور وأيضًا خروج الدخان من المبنى، أي الدخان الصاعد من السرج التي توقد بالزيت، وأيضًا دخان البخور. تشير هذه النوافذ إلى البصيرة، فيليق بنا أن تكون لنا البصيرة الداخليّة المتسعة أكثر من النظرة الخارجيّة. فنهتم بإدراك أعماقنا الداخليّة أكثر من انشغالنا بالغير. ندين أنفسنا وننتقدها عوض انتقادنا للآخرين.

خلال هذه النوافذ يستطيع من بالداخل أن يرى حسنًا، أمّا الذين في الخارج فلا يرون ما بالداخل. جاء في الترجوم أن النوافذ كانت تُفتح في الداخل وتغلق في الخارج.

* **الغرف:**

"وبنى مع حائط البيت طباقًا حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب،
وعمل غرفات في مستديرها" [٥].

إقامة الغرف حول حوائط البيت يُشير إلى الاهتمام بالملحقات العمليّة حيث توضع الأدوات الخاصة بالهيكل بطريقة لائقة. وفيها يرتدي الكهنة ملابسهم الكهنوتية ويخلعونها، ويحفظون ثيابهم فيها. فمع جمال المبنى يلزم الاهتمام بمراعاة إمكانية الاستفاده منه عمليًا، حتى يحقق المبنى هدفه. لم يذكر هنا عدد الحجرات، وقد جاء عن الهيكل الوارد في رؤيا حزقيال أن عدد الحجرات ثلاثون (حز ٤١: ٦)، ويقول الكتاب اليهود أن هذا الرقم هو ذات رقم حجرات هيكل سليمان. كانت الحجرات من الجوانب الثلاثة للهيكل.

"فالتبقة السفلى عرضها خمس أذرع،

والوسطى عرضها ست أذرع،

والتالثة عرضها سبع أذرع،

لأنّه جعل للبيت حواليه من خارج أخصامًا لثلاثا تتمكن الجوائز في حيطان البيت.

والبيت في بنائه بُني بحجارة صحيحة مقتلعة،

ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت *hammer* ولا معول (فأس) ولا أداة من حديد" [٦-٧].

شُيّدت الحيطان من حجارة نُقلت من المحاجر المعروفة إلى اليوم بمقالع سليمان، قرب باب العمود.

يرى البعض أن الكلمة العبريّة هنا تعني أن الحجارة قد تم تهيئتها تمامًا قبل البدء في البناء، لكن ما أن بدأ البناء لم تستخدم أية آلة حديدية لتهيئة الحجارة. عدم استخدام أداة من حديد مثل الفؤوس يُشير إلى الالتزام بتهيئة كل شيء قبل البدء في البناء. يكون كل شيء خاصة الحجارة والنحت على الخشب معدًا للتركيب.

هذا وبناء بيت الرب يتحقّق في جو من الهدوء والسكون. فالضجيج يحرم الإنسان من اللقاء مع الله، والتمتع بسكنى الله في داخله.

استخدام الفؤوس يشير إلى خطبات الصراعات المرة بين المؤمنين، الأمر الذي يحطم بنيان

الكنيسة بيت الله.

بيت الرب أو الهيكل يرمز لملكوت الله أو السماء عينها. يليق بنا أن نتهياً هنا بالكامل لنوجد حجارة حيّة معدّة للبناء السماوي. فهناك لا نسمع صوت أداة حديدية، حيث لا توبة ولا صرخات ولا تجارب، بل الكل في فرحٍ شديدٍ وتهليل قلبٍ.

❖ هذه المطرقة التي للأرض كلها يريد الله أن تُفهم أنّها الشيطان. بهذه المطرقة التي في يد الرب، أي التي في قوته تضرب الألوان أو النفوس المقدّسة لكي تعطى صدى لمدائح الله. يُضرب كل من الإنسان البار والخطيئ بهذه المطرقة. الأول كتجربة والثاني كعقاب، أو على الأقل لكي يزداد البار في الفضائل ويصلح الخطي من رذائله.

يُضرب بهذه المطرقة التي في يد الرب ليس فقط المتواضعين، بل والمتكبرون؛ لكن المتواضعين يُضربون كالذهب والمتكبرون ينكسرون كالزجاج. ذات الضربة تجعل الصالح في مجدٍ، وتحول الشرير إلى قشٍ، فيتحقّق فيهم المكتوب: "كالقش الذي تذرّيه الريح" (مز ١: ٤).¹

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ ليكن باب فمك وباب قلبك مغلقين بحرصٍ شديدٍ، حتى لا يستطيع العدو أن يدخل. أنّه بسرعةٍ ويعنفٍ يفتح الباب إن وجد الإمكانية لذلك، أمّا المسيح فيقرع (نش ٥: ٣؛ لو ١٢: ٣٦) ولا يحطم الباب، فإنّه "قد يشدد عوارض أبوابك يا أورشليم" (مز ١٤٧: ١٣). يقرع المسيح بيده لكي تفتحوا له، أمّا العدو فيكسر الباب بالفؤوس، لذلك كُتب لا تدخل مطرقة ولا فأس إلى بيت الرب (١ مل ٦: ٧). ليكن الكبرياء والخداع خارج الأبواب لا داخلها. ليكن الصراع في الخارج (٢ كو ٧: ٥)، أمّا في الداخل فيوجد السلام الذي يفوق كل فهم (في ٤: ٧). لبيته لا تُقطع نفوسكم بحديد، لئلا تكون كنفس يوسف تعبر بالحديد (في الحديد دخلت نفسه مز ١٠٥: ١٨). لئلا يندم الجزء المتحكم (في نفسك) الذي هو خيمة الكلمة، في بداية الإيمان نفسه وفي مدخل التعلم الروحي.²

القديس أمبروسيوس

في العظة التاسعة على سفر يشوع، يتحدث أوريجينوس عن هيكل الله، الذي فيه يستطيع يسوع المسيح أن يقدّم ذبيحته للأب. أنّه مبني من حجارة سليمة، غير مكسورة. "لم يُرفع عليها حديد" (راجع تث ٢٧: ٥). تلك هي الأحجار الحيّة النقيّة، الرسل القديسون، الذين يؤلفون هيكلًا واحدًا من خلال

¹ Sermon 132 ;4.

² The Prayer of Job and David 4:7:28.

وحدة قلوبهم (أع ١ : ٢٤) وأنفسهم. كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة (أع ١ : ١٤)، كما كان لهم الذهن الواحد. فالوحدة الحقيقية، بمعنى آخر، مؤسسة على الحياة المقدسة، والمحبة (وحدة القلوب)، والعبادة المشتركة (صوت واحد)، والإيمان الواحد (ذهن واحد).
يعتبر أوريجينوس تقديس كل عضو هو الأساس في وحدة الكنيسة، إذ أن ما يقترفه العضو يؤثر على الآخرين. فيقول: "خاطئ واحد يلوث الشعب"^١. و"أن من يقترف الزنا أو أية جريمة أخرى يلوث الشعب بأكمله"^٢.

"وكان باب الغرفة الوسطى في جانب البيت الأيمن،
وكانوا يصعدون بدرج معطف إلى الوسطى ومن الوسطى إلى الثالثة" [٨].
كان يوجد مدخل رئيسي واحد للحجرات الجانبية التي للكهنة.

"فبنى البيت وأكماله وسقف البيت بألواح وجوائز من الأرز" [٩].
يختلف النظام الشرقي للمباني عن الغربي. ففي الغرب السقف من الفخار أو *plaster* وأما في الشرق فالسقف من الخشب. غير أن المباني الأوربية القديمة اتبعت نفس النظام الشرقي، هذا ما تؤكده قاعة وستمنستر *Westminster Hall*.

"وبنى الغرفات على البيت كله سمكها خمس أذرع وتمكنت في البيت بخشب أرز" [١٠].

٣. الوعد الإلهي

بينما كان سليمان منهمكاً بكل قلبه وطاقاته لبناء هيكل الرب تكلم الرب معه ليُشجعه. يؤكد له أنه سيسكن في وسط شعبه ولا يتركهم، بشرط أن يكونوا أمناء في وصيته لهم.
لا نستطيع أن نقدم صورة كاملة لما كان يجري حول الملك سليمان وما في داخله. ما ندركه أنه كان مهتلاً بالروح، وأن كثيرين كانوا يشاركونه تهليل روحه. لكن بلا شك أن العمل احتاج إلى وقت طويل يبذله سليمان ورجاله، ونفقات ليست بقليلة، وتعبٍ شديد. لهذا جاءت كلمة الرب تسنده وسط أتعب شعبه.

ومن جانب آخر أراد الله تأكيد بناء هيكل الرب الداخلي بالطاعة لوصيته بكونه أهم من المباني الحجرية.

¹ In Jos. Hom. 7:6.

² PG 12:244.

جاءت كلمة الرب إلى سليمان قبل البدء في العمل لتشجعه، وأيضاً أثناء العمل، وبعد انتهائه. يريد الله أن يبدأ معنا، ويسير معنا في طريقه، ويبلغ بنا إلى نهاية الطريق. يشتهي أن يرافقتنا من البداية حتى النهاية، فهو الأول والآخر، البداية والنهاية.

"وكان كلام الرب إلى سليمان قائلاً:

هذا البيت الذي أنت بانيه أن سلكت في فرائضي،

وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها،

فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك" [١١-١٢].

لا تستطيع شركة مقاولات أن تبدأ في بناء ناطحة سحاب ما لم تتسلم الخرائط الخاصة بالإنشاء من المهندس مصمم المبنى. الله هو المهندس الذي يصمم بناء هيكله في النفس يقدم لنا هنا الخرائط للتنفيذ، وهي السلوك في فرائضه والعمل بأحكامه وحفظ وصاياه بالطاعة العملية له، بهذا يقوم البناء فينا خلال عمل روحه القدوس.

داود النبي والملك هو صاحب فكرة بناء هيكل ثابت للرب بدلاً من خيمة الشهادة المتنقلة. جمع الأموال وخرن المجوهرات وجهر الأدوات والمعدات (٢ صم ٧؛ ١ مل ٥: ٣-٥؛ ٨: ١٧؛ ١ أي ٢٢؛ ٢٨: ١١-٢٩). ويقدم لنا الكتاب المقدس إحصاءً دقيقاً للأموال والمجوهرات التي أرصدها داود الملك لهذا العمل المقدس، إما من خزائنه أو من أعماله وحلفائه.

"وأسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل" [١٣].

تحقق هذا بصورة أقوى وأعظم بمجيء كلمة الله نفسه في العالم وإقامة هيكله في القلوب، وسكناه في وسط الكنيسة، وفي أعماق المؤمنين.

ما وعد به الله هنا هو تأكيد لما سبق الوعد به في (٢ صم ١٢: ١٢). إقامة الهيكل هو عربون للحضرة الإلهية وسط الشعب، وتأكيد لما وعد به الله الملك داود، وما ورد في لاويين (٢٦: ١١).

"فبنى سليمان البيت وأكملاه" [١٤].

٤. الحوائط والأرضية

"وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف،

وغشاه من داخل بخشب وفرش أرض البيت بأخشاب سرو" [١٥].

المعنى هنا "غطي حيطان البيت..."، فلا يرى في داخل البيت أثر لحجارة الحوائط بل كل البيت

مغلف في الداخل بالخشب، والخشب مغلف بطبقة من الذهب الخالص. حتى الأرضية كانت مغلفة بالذهب، فيسير الإنسان على الذهب.

كان الداخل منقسم إلى قسمين بواسطة حجاب يحوي أبواب تطبق *folding doors* تُفتح وتُغلق بسلاسل ذهبية. القسم الداخلي وهو قدس الأقداس في شكل مكعب أضلاعه ٢٠ ذراعًا (حوالي ٣٠ قدمًا). والقسم الأمامي يُدعى القدس طوله ٤٠ ذراعًا. كان خشب الأرض منقوشًا بنقوش جميلة تمثل القثاء والزهور والكاروبيم والنخيل. كان الداخل كله مُغطى بطبقة من الذهب فلا يرى حجر أو خشب قط. لا تنظر العين سوى الذهب سواء الصفائح الذهبية أو تغطي النقوش.

"وبنى عشرين ذراعًا من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان،
وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس" [١٦].

يتحدث هنا عن القسم الخلفي من الهيكل أو الداخلي، أي قدس الأقداس.

"وأربعون ذراعًا كانت البيت أي الهيكل الذي أمامه.
وأرز البيت من داخل كان منقورًا على شكل قثاء وبراعم زهور.
الجميع أرز لم يكن يرى حجر" [١٧-١٨].

٥. المحراب (قدس الأقداس)

"وهيأ محرابًا في وسط البيت من داخل،

ليضع هناك تابوت عهد الرب" [١٩].

المحراب أو قدس الأقداس أو "موضع الكلام" (كما تعني الكلمة العبرية). تدعى هكذا لأن الله كان يتكلم مع موسى خلال كرسي العرش فوق التابوت، أو لأن الله يتحدث هناك مع رئيس الكهنة حينما يرتدي الصدرية ويستشير.

لقد جدد سليمان كل شيء ما عدا تابوت العهد بالكاروبين وكرسي العرش لأنه يمثل الحضرة الإلهية. هذه الحضرة لن تتغير مع الزمن، بل تتحقق بذاتها مع شعبه سواء خلال خيمة الاجتماع أو هيكل سليمان.

كان قدس الأقداس أو المحراب في الهيكل ضخمًا جدًا إن قورن بذاك الذي في خيمة الاجتماع. كان يبدو تابوت العهد صغيرًا جدًا في وسط هذه المساحة، لهذا أُقيم الكاروبان الضخمان من الحائط إلى الحائط، ووضعت زينات كثيرة فلا يظهر قدس الأقداس فارغًا.

"ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سمكاً،
وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز.

وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص.

وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب" [٢٠-٢١].

يصعب تقدير قيمة الذهب الذي يغلف المبنى كله من الداخل بجانب المنارة الذهبية ومذبح البخور
الذهبي الخ.

"وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت،

وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب" [٢٢].

٦. الكاروبان

"وعمل في المحراب كرويين من خشب الزيتون علو الواحد عشر أذرع.

وخمس أذرع جناح الكروب الواحد وخمس أذرع جناح الكروب الآخر.

عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه.

وعشر أذرع الكروب الآخر قياس واحد وشكل واحد للكرويين.

علو الكروب الواحد عشر أذرع وكذا الكروب الآخر.

وجعل الكرويين في وسط البيت الداخلي.

ويسطوا أجنحة الكرويين.

فمس جناح الواحد الحائط وجناح الكروب الآخر مس الحائط الآخر،

وكانت أجنحتهما في وسط البيت يمس أحدهما الآخر.

وغشى الكرويين بذهب" [٢٣-٢٨].

كما يحمل غطاء التابوت كرويين هكذا يوجد كاروبان يملآن قدس الأقداس، طرف جناح كل
منهما يلمس من جانب الحائط ومن الجانب الآخر يلمس جناح الآخر، إشارة إلى أن الموضع
سماوي، يمثّل شركة السمايين. أمّا أنظارهما فلا تتجه نحو بعضهما البعض بل نحو التابوت، وفي
(٢ أي ٣: ١٣) متجهة نحو البيت. فمع وجود الشركة بين السمايين إى أن فكرهما لا ينشغل
ببعضهما البعض بل بالله الساكن في هيكله المقدّس.

❖ تنضم القوات الملائكية إلى جماعات المؤمنين، إلى حيث تحل قوة ربنا ومخلصنا نفسه. وحيث

تجتمع أرواح القديسين، الذين سبقوا فرحلوا، ومن هم مازالوا بين الأحياء. ولو أن شرح ذلك ليس بالأمر السهل¹.

العلامة أوريجينوس

الكارويم (الشارويم):

"الكاروب" هم أحد الرموز الهامة في العبادة الموسوية، فيظهر في خيمة الاجتماع، وفيما بعد على حوائط هيكل سليمان، وفي رؤيا حزقيال الخاصة بالهيكل الجديد. ارتبط الشارويم بخيمة الله، مسكن الله وسط شعبه. يظهر كاروبان تمثالان من الذهب على كرسي الرحمة القائم على تابوت العهد القديم (خر ٢٥: ١٧-٢٢)، يشيران إلى المجد الإلهي، وكما يقول الرسول: "فوقه كروبا المجد مظللين الغطاء" (عب ٩: ٥).

متى أشير إلى الكارويم لا يدعوا "ملائكة"، لأنهم لا يقوموا بالعمل كمرسلين من الله إلى البشر لتقديم رسالة معينة، إنما يظهروا للبشر في رؤى لإعلان مجد الله وسلطانه وقداسته. بظهورهم يُعلن مسكن الله وعرشه السماوي، أي يمثلون الحضرة الإلهية. يُشار إلى الله كجالس على الكارويم: "يا جالساً على الكارويم أشرق" (مز ٨٠: ١). "الرب قد ملك، ترتعد الشعوب، هو جالس على الكارويم، تتزلزل الأرض" (مز ٩٩: ١).

اسم "الشارويم" يعني فيضاً من المعرفة أو تدفقاً من الحكمة. لذا فهم يشيرون إلى قوة المعرفة وإلى رؤية الله. يتأملون في جمال اللاهوت في أول إعلاناته، شركاء في الحكمة الإلهية. يفيضون ببينوع حكمتهم على من هم أقل منهم بسخاء.

والعجيب أن الكاروب ارتبط بخلاصنا ارتباطاً وثيقاً، ظهر في أول أسفار الكتاب المقدس ممسكاً سيفاً ملتهباً ناراً يحرس طريق الفردوس حتى لا يدخل الإنسان إلى شجرة الحياة (تك ٣: ٢٤). إذ لا تقدر طبيعة الإنسان الساقطة أن تقترب من سر الحياة. كما ظهر في آخر أسفار الكتاب المقدس مع الأربعة وعشرين قسيساً السمايين يشتركون في تسبحة الحمل التي هي تسبحة خلاصنا (رؤ ٥: ٩)، إذ صار للإنسان حق الدخول إلى السماء عينها وقد تمجدت طبيعته في المسيح يسوع الحمل الحقيقي. أمّا بين بدء الكتاب ونهايته فيظهر أيضاً كاروبان على تابوت العهد في خيمة الاجتماع والهيكل علامة الحضرة الإلهية، وكان الله يتحدث مع موسى من خلالهما. أمّا وجود كاروبين فوق تابوت العهد حيث يمثل عرش الله، فيشير إلى أن الله الساكن وسط شعبه يتحدث معهم ويعاملهم

¹ On Prayer 31:5.

خلال الرحمة والحب. أيضًا وجود اثنين يشير إلى دور السمائيين من نحونا: الصلاة لأجلنا والعمل كخدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١: ١٤). ورسم شكل الكاروب على ستائر الخيمة والحجاب (خر ٢٧-٢٥) يقترب من شكل الإنسان مجنحًا ليعلم عن اقتراب الطبيعة البشرية إلى الحضرة الإلهية.

لقد عرف الإنسان الكاروب، فصار ليس غريبًا عن البشرية، لهذا عرفته الأمم ولاسيما الكلدانيون، وإن كانوا قد أضفوا عليه أشكالاً من عندياتهم كما فعل سائر الأمم في كل الحقائق الإيمانية التي تسلموها شفاهاً بالتقليد وصبغوها بفكرهم المنحرف. إذن حين نرى الكاروب إنما نتذكر طبيعتنا البشرية التي تمتعت بالخلاص من خلال اتحادها مع الله في المسيح يسوع ربنا بواسطة روحه القدس.

تبع القديس إكليمنضس السكندري فيلون اليهودي قائلاً: [إن كلمة "كاروب" تعني "معرفة"]، وكأنه من خلال المعرفة الروحية تصير حياتنا مركبة تحمل الله داخلها. هذا ما قبله أيضًا القديس جيروم الذي رأى في الكاروب رمزاً لمخزن المعرفة التي تعمل في طبيعتنا لترفعها وتتعلق بها بين القوات السماوية. تعمل في طبيعتنا المتسلطة على الشهوات كأسد، وتعلق في الأمور العلوية كنسر وتعمل مجاهدة كالثور ويتعقل كإنسان. هذه المعرفة تغترفها من الأناجيل الأربعة، إذ يقول نفس القديس: "متى ومرقس ولوقا ويوحنا هم فريق الرب الرباعي، الكاروبيم الحقيقيون، أو مخزن المعرفة؛ فإن جسدنا مملوء عيونًا ومتألمًا كالبرق... أقدامهم مستقيمة ومرتفعة، ظهرهم مجنح، مستعدون للطيران في كل الاتجاهات، كل واحد منهم يمسك بالآخر يتشابك الواحد مع غيره، كالبكرات وسط البكرات يتدرجن على طول الخط، يتحركن حسب نسيمات الروح القدس".¹

"وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشًا بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج" [٢٩].

وجود الكاروبين في قدس الأقداس ونقش الكاروبين في جميع حوائط البيت ليس لعبادة الطغمات السماوية، وإنما لتأكيد شركة السمائيين مع الأرضيين في عبادة الله الحي.

"وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج.

وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون الساكف والقائماتان خمسة" [٣٠-٣١].

¹ On Ps. , hom 10.

٧. الأبواب

"والمصراعان من خشب الزيتون،
ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراغم زهور،
وغشاها بذهب ورصع الكروبيم والنخيل بذهب.
وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة.
ومصراعين من خشب السرو.
المصراع الواحد دفتان تنطويان، والمصراع الآخر دفتان تنطويان.
ونحت كروبيم ونخيلًا وبراغم زهور وغشاها بذهب مطرق على المنقوش" [٣٢-٣٥].
يعتبر العلامة أوريجينوس أن الكنيسة هي باب البر، من خلاله يدخل يسوع المسيح البار. وتقع
أبواب الكنيسة في الاتجاه المضاد لأبواب الموت.

❖ الآن يمكن فهم أبواب صهيون بصفتها مضادة لأبواب الموت. يوجد إذن باب واحد للموت والإثم،
أمّا باب صهيون فهو ضبط النفس. وهذا ما يقصده النبي القائل: "هذا باب الرب والصدّيقون
يدخلون فيه" (مز ١١٨: ٢١).

كما يوجد الجبن، وهو باب للموت؛ في حين أن الشجاعة هي باب صهيون.
نقص التعقل هو باب الموت، وعلى العكس التعقل هو باب صهيون.
وفي مقابل جميع أبواب "العلم الكاذب الاسم" (١ تي ٦: ٢٠) يوجد باب واحد يجابها، هو باب
المعرفة المنزهة عن الكذب.

ولكن إذا وضعنا في الاعتبار أن "مصارعنا ليست مع دمٍ ولحمٍ" (أف ٦: ١٢) يمكن القول أن
كل قوة ورئيس عالم هذه الظلمة، وكل واحدٍ من "أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢)،
هو باب للجحيم والموت^١.

العلامة أوريجينوس

كانت حوائط خيمة الاجتماع من أقمشة ملونة ثمينة مرسوم عليها الكاروبيم فقط. أمّا في الهيكل
فالخشب منحوت بأشكال الشاروبيم والنخيل وأزهار متفتحة. اختيار النخيل إشارة إلى الاستقامة ودوام
الاحضرار، وقد عرفت فلسطين بنخيلها، هذا وسعف النخيل يشير إلى السلام مع النصر، وكان
البيت هو قصر الملك واهب السلام والنصرة، أو هو ملك السلام.

¹ Comm. On Matt., Book 12:13.

جاء الهيكل أشبه بقصر ملكي ليُعلن أن الله هو الملك الخفي الذي يحكم ويدبر شيءون شعبه. كقصور الملوك، مزود بقاعة، ومن الجوانب مبانٍ ثلاثة أدوار منفصلة عنه تعطيه نوعاً من الوقار. الداخل مغلف بأخشاب ثمينة منحوتة مغطاة بالذهب الخالص لأنه مسكن الملك السماوي.

❖ زينة العالم هي الكنيسة المُزينة بيسوع الذي هو نور العالم^١.

بمقارنة النص بما ورد في حزقيال (٤١ : ١٨) يظهر أن شجر النخيل يوضع مع الكاروبيم بالتبادل، فتظهر شجرة النخيل دائماً بين كاروبين. فإن كان المؤمن الحقيقي كالنخلة يزهو، فإنه مُحاط بالسمايين من كل جانب. وكأن الهيكل الحقيقي هو مصالحة السمايين مع الأرضيين، وتمتع البشرية بالشركة مع السمايين خلال نعمة الله المجانية.

٨. الدار الداخليَّة

"وبنى الدار الداخليَّة ثلاثة صفوف منحوتة وصفاً من جوائز الأرز" [٣٦].

الدار الداخليَّة هنا تطابق "دار الكهنة" (٢ أي ٤ : ٩)، هذا يفترض وجود دار خارجية أُشير إليها في (٢ أي ٤ : ٩) وتُدعى "الدار العظيمة". الدار الداخليَّة تدعى "الدار العليا" في (إر ٣٦ : ١٠) حيث أنَّها في مستوى أعلى من الدار الخارجية.

٩. مدة البناء

"في السنة الرابعة أسس بيت الرب في شهر زيو.

وفي السنة الحادية عشرة في شهر بول،

وهو الشهر الثامن أكمل البيت في جميع أموره وأحكامه،

فبناه في سبع سنين" [٣٧-٣٨].

استغرق بناء الهيكل سبع سنوات أو سبع سنوات ونصف، وهو الوقت الذي فيه تم بناء بيت الهيكل ودار الكهنة مع التهيئة للدار الخارجية. لكن هذه الفترة تعتبر قصيرة جداً لبناء هيكل ضخم كهذا. غير إننا نلاحظ أن هذه الفترة لا تشمل الأعمال السابقة الضرورية للبدء في العمل كتهيئة الأرض؛ وأيضاً مثل فترة قطع الأخشاب وقطع الحجارة ونحتها. مع ضخامة المبنى وجماله وتكلفته الفائقة إلا أن مساحته كانت نسبياً صغيرة. هذا وأن عدد العاملين لتهيئته ولبنائه ضخم للغاية. أهمية بناء الهيكل ورد في (٨ : ١٣، ٢٧؛ ٩ : ٣؛ ٢ أي ٦ : ٢) الخ. أنه مسكن ليهوه، وموضع

¹ Comm. On John, Book 6:38.

كرسيه، الله الذي لا تسعه سماء السموات قيل أن يكون له بيت وسط شعبه (٨: ٢٧)، يسكن فيه اسمه (٨: ٢٦ الخ؛ ٢ أي ٦: ٥؛ ٢ صم ٧: ١٣).

الراحة في مقدس المعرفة المقدسة

❖ من ثم، فلأنني اعتقدت أنني أعتقد المعتقد الصحيح، وأدركت معرفة تلك الأمور قلت لنفسني: "إذا هو تعب في عيني، حتى دخلتُ مقدس الله، وانتبهتُ إلى آخرتهم" (مز ٧٣: ١٦-١٧) وهذا يعني: التعب الوحيد الباقي لي هو أنه ينبغي أن أذهب إلى مقدس الله حيث الشاروبيم (خر ٢٥: ١٧-٢٢)، أي إلى عمق المعرفة، وألا أنشغل بالآراء الخاملة غير الأكيدة، لأن "حديث الأحمق مثل جمل في الطريق" (سيراخ ٢١: ١٦).

فلندخل إذن إلى مقدس المعرفة المقدسة، وجمال الحق (محراب المعرفة الداخلية). ولا يكون لنا عمل آخر سواه، لأن الحكمة تجذبنا بعيداً عن فكر المشقة. فإن يعقوب لم يكذب حقاً (تك ٢٧: ٢٠)، حيث سبب المشقة جهل. لأن من لا يعرف أن الجعالة قد أعدت للأبرار فوق لا ينتعش ولا يبتهج بكده، بل بالأحرى ينحني وينكسر بالعمل الذي ينشأ عن افتقاره للمعرفة. لهذا فلندخل إلى مقدس الله، حيث الشاروبيم، الذين فيهم تذكر المعرفة المقدسة، والنور الأبدي والحقيقي^١.

القديس أمبروسيوس

نختم حديثنا عن بناء هيكل الرب بكلمات العلامة أوريجينوس:

❖ يا ربي يسوع المسيح، اجعلني مستحقاً للمشاركة في بناء بيتك.

تعالوا نبني خيمة إله يعقوب، يسوع ربنا، ونزينها...

موضع سكني الله هو القداسة المطلوب منا تحقيقها... وبالتالي يمكن لكل منا أن يهيئ خيمة الله في قلبه. تشير شققها العشرة (خر ٢٦: ١) إلى تنفيذ الوصايا العشرة.

فحص خيمة الاجتماع عن قرب.

فيرمز الأرجوان والأسمانجوني والبوص المبروم أي الكتان الخ. إلى الأعمال الصالحة،

ويرمز الذهب إلى الإيمان (رؤ ٣: ١٨)؛

والفضة إلى الكرازة (مز ١٢: ٦)؛

والنحاس إلى الصبر؛

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث، (٧: ١٩).

والخشب الذي لا يسوس إلى المعرفة التي يفتتها المؤمن في البرية الموحشة، وإلى الطهارة الدائمة.

والكتان إلى البتولية؛

والأرجوان إلى الاستشهاد.

والقرمز إلى بهاء المحبة.

والأسمانجوني إلى الرجاء في ملكوت السموات.

ومن كل هذه المواد تُبنى خيمة الاجتماع.

ولابد للنفس من مذبح في وسط القلب، تقدّم عليه ذبائح الصلاة ومحرقات الرحمة. تُذبح ثيران

الكبرياء بسكين الوداعة، كما تُقتل كباش الغضب ونعاج الترف والشهوة.

لتعرف النفس كيف تقيم منارة دائمة الإنارة، وذلك عن يمين القدس الذي لقلبها¹.

العلامة أوريجينوس

¹ In Exod. Hom. 13:9

من وحي ١ مل ٦

بيتك مُعد في وسط قلبي
لنتسكن فيه أبدًا!

❖ بنى سليمان البيت وكل زينته!
بناه بحجارة صحيحة،
ولم يُسمع في البيت صوت منحت أو معول.
بُنيت كل ملحقاته ولم يعد ينقصه شيء.
وعدته إن حفظ وصاياك تقيم معه كلامك الذي تكلمت به مع داود أبيه.
تسكن في وسط شعبك، ولا تتركه.

❖ هوذا بيتك مُعد في داخلي.
تجد فيه القدس وقدس الأقداس.
يفرح الكاروبيم وكل الطغمة السمائية بحولك فيه.
بدخولك تصير أرضي سماءً.
بسكنائك يتهلل الكل بك.
لنتسكن على الدوام ولا تفارق قلبي.

الأصحاح السابع

أعمال سليمان الإنشائية

بعد أن ختم الحديث عن بناء الهيكل مسكن الله في سبع سنوات، تحدّث عن بناء مسكنه الخاص في ١٣ سنة. على أي الأحوال كانت أبعاد الهيكل ٦٠×٢٠×٢٥ ذراعًا، بينما أبعاد القصر ١٠٠×٥٠×٣٠، فهو أكثر اتساعًا من مسكن الرب. هذا وقد بنى سليمان عرشًا، وأجنحة منفصلة لمسكنه ولابنة فرعون. أقام أيضًا بهوًا مرًّا لقصره مشابهًا لما هو الهيكل.

١. إنشاءات لاستخدامه العائلي ١٢-١.

أ. بيت وعر لبنان ٢.

ب. رواق (بهو) الأعمدة ٦.

ج. رواق الكرسي أو العرش للقضاء ٧.

د. بيت الملكة ابنة فرعون ٨.

٢. أثاثات الهيكل

أ. العمودان ١٣-٢٢.

ب. البحر المسبوك ٢٣-٢٦.

ج. القواعد العشر ٢٧-٣٧.

د. المراض العشر ٣٨-٣٩.

هـ. المراض والرفوش والمناضح ٤٠-٥٠.

و. تقديم عطايا أبيه ٥١.

١. إنشاءات لاستخدامه العائلي

"وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة وأكمل كل بيته" [١].

قضى سليمان سبع سنوات في بناء بيت الرب (٦: ٣٨)، والآن يقضي ١٣ سنة في بناء بيته، أي حوالي ضعف المدّة. هذا لا يعني أن سليمان اهتم بالمنشآت الخاصة به أكثر من اهتمامه ببيت الرب، فقد بدأ بالهيكل أولاً ولعلّ انقضاء هذه المدّة الطويلة يرجع إلى أسباب كثيرة منها:

أ. أن داود الملك كان قد هيأ الكثير لبناء الهيكل، الأمر الذي لم يحدث بالنسبة للمنشآت الأخرى،

كما قضى سليمان الثلاثة سنوات الأولى من حكمه يستعد لبناء الهيكل.

ب. أن العاملين في الهيكل قد أرهقوا بعد عملٍ دام سبع سنوات، فبلاشك أن عددهم بدأ يقل، وقدرتهم للعمل صارت أقل. خاصة وأن شهوة قلب سليمان لبناء الهيكل كانت لا تُقارن أمام رغبته في بناء المنشآت الخاصة به.

ج. مساحة المسكن الخاص كانت أكبر من مساحة الهيكل.

و. احتاج سليمان إلى إنشاء مباني كثيرة، وهي:

أ. بيت وعر لبنان [٢].

ب. رواق (بهو) الأعمدة [٦].

ج. رواق الكرسي أو العرش للقضاء [٧].

د. بيت الملكة ابنة فرعون [٨].

هكذا كان القصر الملكي أشبه بمجموعة من المباني متصلة بعضها ببعض. أنها أشبه بأقسام للقصر الملكي الواحد. وقد جاء الحديث عن هذه الأقسام مختصراً جداً، حتى يصعب تقديم صورة كاملة عن ملامح هذه الأبنية. موقع هذه الأبنية بالقرب من الهيكل وإلى جهة الجنوب منه على الأكمة الشرقية المسماة صهيون أو المورياً.

لقد قضى سليمان أكثر من ثلاث سنوات في الإعداد للهيكل وسبع سنوات في بناء الهيكل وثلاث عشرة سنة في بناء القصر الملكي وملحقاته ولم يبقَ له سوى أقل من سبع عشرة سنة يقضيها في قصره مشغولاً بالالتزامات المادية التي شغلته عن الاهتمام بتربية ابنه رجعام، ممّا حطّم كل ما فعله من أعمالٍ عظيمة. لو أن ما بذله من جهدٍ قدّمه لتربية ابنه ما كانت قد انشقت المملكة، وما كان الشعب يصرخ: "قسى نيرنا".

أ. بيت وعر لبنان

"وبنى بيت وعر لبنان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً.

على أربعة صفوف من أعمدة أرز،

وجوانز أرز على الأعمدة" [٢].

أراد الملك أن يصنع أفضل شيء مهما كانت التكلفة، ممّا أدّى إلى زيادة الضرائب على الشعب. منذ حوالي ٣٠٠٠ عاماً كانت لبنان تضم مساحات شاسعة كغابات لشجر الأرز، فأرسل سليمان

ألوف من العمال لقطع الأرز وإرساله إلى أورشليم، استخدمه في الهيكل وبناء بيته بكل ملحقاته، والمشاريع الأخرى. كما كان أرز لبنان مع السرو وغيره يُصدر إلى سوريا ومصر وبلاد ما بين النهرين. أيضًا قام نبوخذنصر بإساءة استخدام هذه الغابات (حب ٢: ١٧) وهكذا مع الأجيال زالت هذه الغابات وأصبح من الاستحالة استعادتها رغم المحاولات المستمرة لذلك.

لم يكن بيت وعر لبنان مسكنًا لسليمان، إنّما هو دار للعمل السياسي، أشبه بالمقر الملكي للإدارة السياسية، حُفظت فيه أيضًا الأسلحة (١ مل ١٠: ١٧). دُعي بيت وعر لبنان مع أنّه لم يُقم في لبنان، وإنّما لأن أغلب مواده، خاصة الأخشاب، من غابات لبنان. وربما بسبب جمال موقعه وسط الأشجار التي تحوط به دعي بيت الملك (١ مل ٩: ١٠).

يظن البعض أن سليمان بنى هذا القصر خارج أورشليم ليعيش في جو هادئ، خاصة وأنّه كان يميل إلى استخدام الخيول والمركبات. وأن عرشه [٧] لم يكن ملحقا بهذا القصر. ويرى آخرون أنّه مع بقية الأبنية كان بأورشليم جنوب الهيكل مباشرة، على الأكمة الشرقية المسماة صهيون أو الموريا. يرى البعض أنّه أشبه بيهو ضخم كما في القصور الآشورية، تحيط به مجموعة من الحجرات على ثلاثة طوابق. كان له أربعة صفوف من أعمدة أرز، ولكننا لا نعرف عدد أعمدة كل صف. وكانت غرف مبنية على ثلاث جهات كغرف الهيكل، غير أن غرف الهيكل كانت خارجة عن حيطانه لاصقة بها، وأما غرف بيت وعر لبنان فكانت داخلا مرتكزة على الأعمدة.

"وسقف بارز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة كل صف خمس عشرة.

والسقوف ثلاث طباق وكوة مقابل كوة ثلاث مرّات" [٣-٤].

وُجدت ثلاثة طوابق من ٤٥ حجرة على جانب البهو الضخم، يحوي كل طابق ١٥ حجرة. ست غرف على كل من الجانبين الطويلين، وثلاث غرف على الجانب الثالث. وكانت النوافذ في الطبقة الوسطى فوق النوافذ التي في الطبقة السفلى، والنوافذ في الطبقة العليا فوق النوافذ التي في الطبقة الوسطى. وكانت النوافذ مشرفة على الدار الداخليّة.

"وجميع الأبواب والقوائم مربعة مسقوفة، ووجه كوة مقابل كوة ثلاث مرّات" [٥].

كانت الأسقف على الأبواب مستوية مسطحة وكل ما فوقها على هيئة سقف وليس على هيئة قنطرة.

ب. رواق (بهو) الأعمدة

"وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعًا وعرضه ثلاثون ذراعًا.

ورواقًا آخر قدامها وأعمدة وأسكفة قدامها" [٦].

أنشأ قاعة مملوءة أعمدة أمام بيت وعر لبنان يستقبل القادمين للملك في الشؤون العامة أو الخاصة بالجمهور. تحدّث في سفر الأمثال عن الحكمة التي بنت بيتها على أعمدتها السبعة (أم ٩: ١). كان الرواق مسقوفًا، وكان السقف مرتكزًا على الأعمدة بلا حوائط.

الرواق الآخر قدام الأعمدة له هو أيضًا أعمدة، والأسكفة هي خشبة الباب التي يُوطأ عليها. يبدو أنّه كان درج يُصعد به إلى رواق له أعمدة، ومنه إلى رواقٍ آخر له أعمدة أيضًا، ومنه إلى رواق ثالث يُدخل منه إلى كرسي القضاء.

يرى البعض أن ذكرها بعد إنشاء بيت وعر لبنان وقبل بهو العرش يُشير إلى أن هذا البهو كان بين المبنين.

ج. رواق الكرسي أو العرش للقضاء

"وعمل رواق الكرسي حيث يقضي أي رواق القضاء

وغشّي بأرز من أرض إلى سقّف" [٧].

رواق الكرسي أو بهو العرش، هو قاعة للقضاء أو دار للقضاء أو قاعة استماع يوجد فيها العرش الملكي الذي جاء وصفه في (١ مل ١٠: ١٨-٢٠). وهي ليست قاعة مملوءة أعمدة مفتوحة، إنّما هي مفتوحة من جانب واحد، ومغلقة بحوائط ضخمة من الجوانب الثلاثة الأخرى. كان الملك يجلس على كرسي القضاء كما كان الملوك القداماء يجلسون ويقضون عند باب المدينة.

د. بيت الملكة ابنة فرعون

"وبيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق،

كان كهذا العمل،

وعمل بيتًا لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق" [٨].

يبدو أنّه بيت ثالث، والثلاثة مباني في موقع واحد مرتبطة معًا. الأول قصر سليمان، والثاني المحاكمات أو دار القضاء، والثالث هو "بيت الحريم". كان مسكن الملك ونسائه في القصر الذي بُني للملكة بنت فرعون.

إلى جهة الشمال من بيت وعر لبنان كان أولاً درج وأروقة الأول والثاني والثالث، ومنها إلى الشمال أيضاً دار أخرى فيها بيت الملك وجانب بيت الملك بيت النساء، وإلى الشمال من بيت الملك الهيكل.

كانت توجد ثلاث دور:

❖ الدار العظيمة التي تحيط بكل الأبنية. لها إلى جهة بيت الرب التي كانت أعلى من الدار العظيمة (٦: ٣٦). وكان حائط مثله للدار العظيمة إلى جهة الخارج [١١].

❖ الدار الوسطى التي كان بيت الملك فيها.

❖ دار بيت الرب أو الدار الداخليّة.

كان مدخل السكن في اتجاه غير مدخل المباني الملكيّة الأخرى كنوع من الحفاظ على خصوصيّة. كان يدعى "بيت الحريم"، إذ كانت له حرمة، وهو عبارة عن أجنحة خاصة بالنساء. يرى البعض أن أجنحة نساء الملك، حسب النظام الشرقي القديم، كانت في القسم الداخلي للقصر، أمّا الملك فله مبنى خاص به.

"كل هذه من حجارة كريمة كقياس الحجارة المنحوتة منشورة بمنشار من داخل ومن خارج من الأساس إلى الإفريز ومن خارج إلى الدار الكبيرة" [٩].

نقرأ عن الحجارة الكريمة الكبيرة المستخدمة في مباني سليمان وحوائط أورشليم (٧: ٩-١٢؛ ٩: ١٥). في القمّة الجنوبيّة الشرقيّة لمنطقة الهيكل يرتفع الحائط ٧٧ قدماً. في عام ١٨٥٢ اكتشف Barkely المحجر الذي أخذت منه حجارة أورشليم العظيمة. الآن هي كهف هائل يمتد تحت باب دمشق. يوجد بعض الحجارة هناك^١.

"وكان مؤسساً على حجارة كريمة، حجارة عظيمة،

حجارة عشر أذرع وحجارة ثمان أذرع.

ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة وأرز.

وللدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة وصف من جوائز الأرز،

كذلك دار بيت الرب الداخليّة ورواق البيت" [١٠-١٢].

كان العمل على أكمل وجه من الخارج والداخل. الداخل مغطى بالأرز. كانت حتى حجارة

¹ Halley's Bible Handbook, p. 192.

الأساس وهي تحت الأرض من حجارة عظيمة قيّمة.

٢. أثارَات الهيكل

"وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور،

وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي، وأبوه رجل صوري نحاس،

وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة لعمل كل عمل في النحاس،

فأتى إلى الملك سليمان وعمل كل عمله" [١٣-١٤].

قام حيرام بصنع الأدوات النحاسية، وهو يحمل دمًا خليطًا من اليهود والأمم، والدته من سبط نفتالي ووالده من صور. وكأن الله يود أن يُبنى بيته من كل البشر، من اليهود كما من الأمم. وكما بُنيت خيمة الاجتماع من كنوز مصر، هكذا بُني الهيكل بأيدٍ أممية مع الأيدي اليهودية. الله محب كل البشرية، يود أن يضم العالم ليتمتع الكل بغنى نعمته الفائقة.

جاء في (٢ أي ٢: ١٤) بأن الأم من سبط دان. يفترض البعض وجود اثنين يدعيان حيرام صانعي نحاس. لكن يرجح أن أحد النصين يشير إلى موضع ميلادها والآخر إلى موضع إقامتها، فهي من بنات دان إذ وُلدت هناك، ومن سبط نفتالي إذ هي من والدين من هذا السبط. كما يرى بعض الدارسين أنها من سبط دان بالميلاد، وتزوَّجت من سبط نفتالي فصارت بتبعيتها لزوجها من سبط نفتالي، وإذ ترمّلت تزوّجت مرّة أخرى من رجل صوري، أنجبت منه حيرام.

يقدم لنا صورة عن الأدوات النحاسية التي استخدمت في الهيكل. لم يذكر أداة من الحديد، وإن كنّا نجد في (١ أي ٢٩: ٢) داود الملك قد أخذ حديدًا لاستخدامه في بعض أدوات الهيكل التي لا نعرف ما هي.

أ. العمودان

"وصور العمودين من نحاس،

طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعًا وخيط اثنتا عشرة ذراعًا يحيط بالعمود الآخر" [١٥].

لا نجد للذهب أثرًا خارج القدس وقدس الأقداس، فإن الأمجاد السماوية تبقى في الداخل، لكن نجد النحاس خارجًا لكي نشارك السيد المسيح صبره وآلامه ومثابرتة إذ يظهر في سفر الرؤيا هكذا: "رجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون" (رؤ ١: ١٥). فإذا نلبس السيد المسيح يكون لنا النحاس الذي به ندك كل الأتعاب والضيقات ونسير نحو السماء بمثابرة بدون تراخ.

يصعب تحديد وضع العمودين النحاسيين في بهو الهيكل [٢١] إن كان في الهواء الطلق أم تحت

السقف. كانا بين الهيكل ودار الكهنة، وهما لم يوضعا لتثبيت باب بينهما، أو لإقامة مبنى عليهما، وإنما للزينة ولعمل رمزي. يظهر ذلك من أن العمودين أقصر من أن يبلغا سقف الرواق. وأيضاً من جهة المواد فإن الهيكل كان من الحجارة والأخشاب، وأمّا العمودان فمن النحاس. لو كان العمودان لهما عمل أساسي في المبنى لما ذكر هنا مع أدوات الهيكل، بل كان قد ذكراً قبلاً مع تفاصيل المبنى ذاته.

هكذا كانت الهياكل الفينيقية، فيُنصب العمود أو الأعمدة بلا سقف عليها كما يظهر من النقود والرسوم القديمة.

كان العمودان أجوفين سمكهما أربعة أصابع (إر ٥٢ : ٢١).

كان طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعاً، وفي (٢ أي ٣ : ١٥) خمس وثلاثون ذراعاً، ربّما لأن الكاتب أضاف إليه التاج الذي كان يحوي قسمين: الشبّاك وهو القسم السفلي وطوله خمس أذرع [١٦]، وصيغة السوسن وهو القسم الأعلى وطوله أربع أذرع [١٩]. كما أضاف إليه قاعدة العمود وعلوها ثمانى أذرع، فيكون المجموع ٣٥ ذراعاً (١٨+٥+٤+٨). وكان المحيط ١٢ ذراعاً.

"وعمل تاجين ليضعهما على رأسي العمودين من نحاس مسبوك،

طول التاج الواحد خمس أذرع، وطول التاج الآخر خمس أذرع" [١٦].

يتحدّث عاموس النبي عن تأديب الرب بقوله: "رأيت السيّد قائماً على المذبح، فقال: اضرب تاج العمود حتى ترتجف الأعتاب، وكسرها على رؤوس جميعهم" (عا ٩ : ١). هنا يشير إلى هذين العمودين ليس حرفياً بل رمزياً، حيث يهب غضب الرب على بيته بسبب شرهم فلا يقوم العمودان اللذان يمثّلان "فرح الملك"، وتأسيس الرب لمملكته بتقديم قوّته لشعبه. يسقط العمودان وترتجف أعتاب البيت ويصير التاجان عوض كونهما علامة الكرامة والقوة، أداة لتكسير رؤوسهم.

"وشبّاكاً عملاً مشبّكاً وضافائر كعمل السلاسل للتاجين اللذين على رأسي العمودين،

سبعاً للتاج الواحد، وسبعاً للتاج الآخر" [١٧].

كانت هذه الشبّاك بعوارض على نوع شعريّة، وكانت من نحاس، غطّت القسم السفلي من التاجين. وعلى الشبّاك كانت السبع ضفائر أو السلاسل من النحاس.

"وعمل للعمودين صفّين من الرمان في مستديريهما على الشبكة الواحدة،

لتغطية التاج الذي على رأس العمود،

وهكذا عمل للتاج الآخر" [١٨].

ربّما كان الترتيب كآلآتي:

❖ أولاً القاعدة.

❖ فوقها العمود.

❖ في رأس العمود صف من الرّمّان فيه مائة رمّانة.

❖ فوق صف الرّمّان الشبّاك والصفائر.

❖ فوقها الصف الثاني من الرّمّان فيه مائة رمّانة أخرى.

❖ فوق هذا الصف الثاني صيغة السوسن.

"والتاجان اللذان على رأسي العمودين من صيغة السوسن كما في الرواق هما أربع أذرع" [١٩].

لم يُذكر أن في رواق الهيكل صيغة السوسن.

"وكذلك التاجان اللذان على العمودين من عند البطن الذي من جهة الشبكة صاعداً،

والرمّانات مانتان على صفوف مستديرة على التاج الثاني" [٢٠].

"من عند البطن" كان القسم السفلي من التاجين ناتئاً [٤١] وتحت النتوء الصف من الرمان

السابق ذكره، وفوقه الصف الثاني من الرمان.

"وأوقف العمودين في رواق الهيكل،

فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين،

ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز" [٢١].

"ياكين" معناها "سقيم" أو "يؤسس"؛ و"بوعز" معناها "فيه قوّة".

يرى البعض أن العمودين يشيران إلى قيادة الله لشعبه في البريّة، عمود سحاب في النهار، وبالليل

عمود من نور. فالله يهب شعبه ظلاً من متاعب التجارب، ونوراً وسط ظلمة العالم. ويرى آخرون أن

العمودين عند باب بيت الرب إنّما يشير أحدهما إلى الكهنة والآخر إلى الشعب، فالله يهب عابديه

كهنة أو شعباً أن يصيروا أعمدة حيّة في هيكل قدسه.

يود أن يكون كل مؤمن كياكين، أي يؤسّسه الرب نفسه ويطيّمه، غير متكلّ على ذراع بشري.

بالله يكون كبوعز، أي يحمل قوّة سماويّة لا تقدر كل قوّة الظلمة أن تزعه. فالله هو مؤسسنا

(ياكين) وهو قوّتنا (بوعز).

هكذا إذ ننتقل في صلواتنا كما إلى هيكل الرب السماوي نرى العمودين المملوعين قوّة وجمالاً، فيلتهب قلبنا بروح الرب ويحل الرجاء فينا.
يرى البعض أن "ياكين" تعني "ليبق الهيكل ثابتاً إلى الأبد"، و"بوعز" يشتهي سليمان أن يهب الله الهيكل قوّة وثباتاً".
يرى آخرون أن الاسمين معاً هما اختصار للكلمات: "سيفرح الملك باسم يهوه".
"وعلى رأس العمودين صيغة السوسن فكمّل عمل العمودين" [٢٢].

ب. البحر المسبوك

"وعمل البحر مسبوكاً عشر أذرع من شفتّه إلى شفتّه،
وكان مدوراً مستديراً، ارتفاعه خمس أذرع وخيط ثلاثون ذراعاً يحيط به بدائرة" [٢٣].
كان الكهنة يغتسلون في المرحضة قبل دخولهم إلى الهيكل، سمّيت بحرًا كبيراً. فإن مراحم الله كالبحر متّسعة للغاية، قادرة على غسل نفوسنا وتطهيرها.
❖ عندما يسمع أحد عن المرحضة فليفهم هذه التي نغتسل خلالها من الخطايا المشينة بالمياه السريّة^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

يبدو أن البحر النحاسي وأحواضه متحرّكة بعجلات. كان البحر لاستخدام الكهنة.
"وتحت شفتّه قنّاء مستديراً تحيط به، عشر للذراع محيطاً بالبحر بمستديره صفّين.
القنّاء قد سُبكت بسبكه.
وكان قائماً على اثني عشر ثوراً،
ثلاثة متوجّهة إلى الشمال، وثلاثة متوجّهة إلى الغرب، وثلاثة متوجّهة إلى الجنوب، وثلاثة متوجّهة إلى الشرق،
والبحر عليها من فوق وجميع إعجازها إلى داخل" [٢٤-٢٥].

الاثنا عشر ثوراً من نحاس يشيرون إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر. فإن تطهير هذا الشعب لا يقوم على الغسل بالماء فحسب، وإنما خلال الذبيحة. فالأسباط جميعها تمثّل أمّة كهنوتية تغتسل بالدم المبذول لتقديس المؤمنين.

¹ Vita Moses 2:185.

"وغلظه شبر وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن، يسع ألفي بث" [٢٦].
شفة البحر على مثال زهر السوسن، يشبه شفة كأس لأجل الشرب.
"ألفي بث" يعادل ٤٥٠٠٠ أقة.

ج. القواعد العشر

"وعمل القواعد العشر من نحاس،

طول القاعدة الواحدة أربع أذرع

وعرضها أربع أذرع

وارتفاعها ثلاث أذرع" [٢٧].

أقيمت الأحواض العشر على عشر قواعد، كل حوض جمع ٣٠٠ جالونًا من الماء، حوالي طن، وهي مربعة طولها كعرضها. يقول الكتاب اليهود بأن الأحواض العشر كانت تملأ كل يوم بمياه جديدة لتبقى دوماً نقيةً تستخدم هذه الأحواض لغسل لحوم الذبائح بينما يغتسل الكهنة في البحر.

"وهذا عمل القواعد لها أتراس، والأتراس بين الحواجب" [٢٨].

الأتراس كالألواح المستعملة في المدارس لأجل الكتابة التي لها لوح من الحجر وحواليه حواجب من الخشب. وعلى الأتراس والألواح نقش أسود وثيران وكروبيم وكلها من النحاس.

"وعلى الأتراس التي بين الحواجب أسود وثيران وكروبيم،

وكذلك على الحواجب من فوق ومن تحت الأسود والثيران قلائد زهور عمل مدلى.

ولكل قاعدة أربع بكر من نحاس، وقطاب من نحاس،

ولقوائمها الأربع أكتاف،

والأكتاف مسبوكة تحت المرحضة بجانب كل قلادة" [٢٩-٣٠].

بالبكر تنتقل القواعد من مكان إلى آخر في الدار. كانت البكر تحت القاعدة وليست بجانبها، فلزم لها أكتاف ليركب بها قطاب البكر. والأكتاف مركبة من القوائم الأربع، وبجانب كل قلادة من قلائد الزهور عمل مدلى وكلها نحاس مسبوك.

"وفمها داخل الإكليل ومن فوق نراع وفمها مدور كعمل قاعدة نراع ونصف نراع.

وأيضًا على فمها نقش وأتراسها مربعة لا مدورة" [٣١].

كان سطح القاعدة متقوياً من فوق، وعلى هذا الثقب أو الفم إكليل أو أسطوانة من النحاس، غالباً

ما تنزل من الثقب، قطرها من الخارج ذراع ونصف ومن الداخل ذراع. بمعنى أنّها اسطوانة مجوّفة غلظها نصف ذراع. وكانت الأسطوانة قاعدة للمرحضة من فوق، وكانت ترتكز على القاعدة الكبيرة المرّعة من تحت.

"والبكر الأربع تحت الأتراس وخطاطيف البكر في القاعدة وارتفاع البكرة الواحدة ذراع ونصف ذراع.

وعمل البكر كعمل بكرة مركبة خطاطيفها وأطرها وأصابعها وقبوبها كلّها مسبوكة" [٣٢-٣٣]. هذا الارتفاع قليل بالنسبة إلى عجلات العربات المستخدمة اليوم. لكن يظهر في الرسومات الأثوريّة أنّ البكرات التي كانت مستخدمة ارتفاعها قليل.

"وأربع أكتاف على أربع زوايا القاعدة الواحدة وأكتاف القاعدة منها. وأعلى القاعدة مقبّب مستدير على ارتفاع نصف ذراع من أعلى القاعدة أيديها وأتراسها منها. ونقش على ألواح أيديها وعلى أتراسها كروبيم وأسودًا ونخيلاً كسعة كل واحدة وقلائد زهور مستديرة.

هكذا عمل القواعد العشر لجميعها سبك واحد، وقياس واحد، وشكل واحد" [٣٤-٣٧]. المقبّب أعلى القاعدة لأجل زيادة القوّة، لأنّ الاسطوانة مرتكزة على المقبّب، والاسطوانة مرتكزة على المرحضة وهي ثقيلة جدًا خاصة متى كانت مملوءة ماءً. وربّما أيديها هي لإسناد المرحضة، وكلّها مسبوكة سببًا.

د. العشر مراحل

"وعمل عشر مراحل من نحاس،

تسع كل مرحضة أربعين بثًا،

المرحضة الواحدة أربع أذرع،

مرحضة واحدة على القاعدة الواحدة للعشر القواعد" [٣٨].

الأرجح أنّ علو المرحضة هو أربع أذرع وليس قطرها. كان علو المرحضة مع قاعدتها تسع أذرع. وُضعت المراحل العشر على القواعد لكي تُملأ بالماء الذي يستخدمه الكهنة في عملهم المقدّس خاصة غسل الذبائح مثل المحرقات (٢ أي ٤: ٦). أمّا البحر النحاسي فيستخدمون ماءه في الاغتسال. على أي الأحوال كانت كل أدوات الهيكل غاية في الإبداع الفنّي مع تكلفتها الضخمة من

جهة مادتها والأيدي العاملة لتنفيذها.

"وجعل القواعد خمساً على جانب البيت الأيمن،

وخمساً على جانب البيت الأيسر،

وجعل البحر على جانب البيت الأيمن إلى الشرق من جهة الجنوب" [٣٩].

وُضع خمس قواعد على الجانب الأيمن من البيت، أي نحو الجنوب، وخمس على الجانب الأيسر، أي في الشمال. ووُضع البحر النحاسي على الجانب الأيمن نحو الشرق مقابل الجنوب. لم توضع القواعد على يمين وشمال مذبح المحرقة، بل على جانبي البيت أو بهو الهيكل، أمّا البحر النحاسي فبين البهو والمذبح، مع اتّجاهه نحو الجنوب أكثر، أي جنوب شرقي البهو، وجنوب غربي مذبح المحرقة. تُحمل القواعد على عجلات لكي يسهل تحركها نحو الكهنة لاحتياجهم إلى الماء عندما ينشغلون بالذبايح. ويسهل تسريب الماء المتسخ في صدر القاعدة ثم تصريفه بعد ذلك. كانت الحاجة ماسة إلى هذه المراض العشرة، لأنّه كان يقدّم أكثر من ذبيحة في وقت واحد على المذبح.

تُحمل القواعد ذات الزينة التي صنعت داخل الهيكل لتأكيد أن هذا العمل الذبيحي هو امتداد للعمل داخل الهيكل. الفارق أن الحلية في داخل الهيكل مغطّاة بطبقة من الذهب، أمّا هنا فالحلية من نحاس. لأن الداخل يشير إلى العبور إلى السماء، أمّا الخارج فهو تهيئة للعبور.

"وعمل حيرام المراض والرفوش والمناضح،

وانتهى حيرام من جميع العمل الذي عمله للملك سليمان لبيت الرب" [٤٠].

أشار كثير من الكتّاب القدامى إلى العمال المهرة من الصوريين في صنع الأدوات المعدنيّة. لهذا لا نعجب إن استخدم سليمان حيرام الصوري ومعه طاقم كبير من العمال المهرة لصنع أدوات الهيكل وأدوات قصوره الذهبيّة والنحاسيّة في وقت قصير نسبياً.

"العمودين وكرتي التاجين اللذين على رأسي العمودين والشبكتين لتغطية كرتي التاجين اللذين

على رأسي العمودين.

وأربع مائة الرمانة التي للشبكتين صفاً رمّان للشبكة الواحدة لأجل تغطية كرتي التاجين اللذين

على العمودين.

والقواعد العشر والمراض العشر على القواعد.

والبحر الواحد والاثني عشر ثورًا تحت البحر.

والقدور والرفوش والمناضح وجميع هذه الآتية التي عملها حيرام للملك سليمان لبيت الرب هي من نحاس مصقول" [٤١-٤٥].

النحاس المستخدم في أدوات الهيكل من أفضل الأنواع في ذلك الحين، فإن الله يطلب من الإنسان أن يقدم أفضل ما لديه ليعلن تجاويه مع محبة الله الكاملة، ورغبته في تقديم أعظم الهبات للإنسان.

"في غور الأردن سبكها الملك في أرض الخزف،

بين سكوت وصرتان" [٤٦].

في نهر الأردن سبك النحاس، حتى لا يتلوث جو أورشليم بالدخان، إذ يود أن تبقى مدينة الله وموقع الهيكل نقيًا من كل جانب.

يرى البعض أنه من الصعب تحديد عبارة "غور الأردن" إن كانت تشير إلى الضفة الشرقية منه أو الغربية. آخرون يرون أنها سهل الأردن في الضفة الشرقية بالقرب من فم نهر يبيوق، عند صرتان *Zarthan or Zaretan* (يش ٣: ١٦)، أو صرتان *Zaratanah* (١ مل ٤: ١٢)، أو صردة *Zeredatha* (٢ أي ٤: ١٧).

كانت سكوت شرقي الأردن، وربما هي تل درالا الحالية على بعد ميل جنوبي نهر الزرقاء. وكانت صرتان غربي النهر، ويطن أنها تل حارم الحالية على بُعد ٣ أميال جنوبي بيسان. إنها أرض الخزف [٤٦]. لا يزال إلى يومنا هذا يستخدم الرمل في سبك النحاس. كميات ضخمة من الأدوات احتاجت إلى أفران كثيرة دون شك.

"وترك سليمان وزن جميع الآتية لأنها كثيرة جدًا جدًا لم يتحقق وزن النحاس" [٤٧].

لم يكن ممكنًا حصر عدد الآتية ووزنها بسبب كثرتها، هذا وقد اتسم العاملون في بيت الرب ولحسابه بالأمانة والإخلاص.

"وعمل سليمان جميع آتية بيت الرب:

المذبح من ذهب،

والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب.

والمناثر خمسًا عن اليمين وخمسًا عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص،

والأزهار والسرَج والملاقط من ذهب" [٤٨-٤٩].

نستنتج من عدم ذكر حيرام أنه لم يعمل آنية بيت الرب التي كانت من الذهب، بل كان عمله في النحاس فقط، وهو لم يستخدم في الآنية داخل بيت الرب.

يرى العلامة أوريجينوس أن الذهب هو الإيمان الذي يجعل من القلب سماءً، لذا يشير الذهب إلى السمويّات، كما يشير إلى القديسين بكونهم سماءً يسكن الله في قلوبهم. يقول: [إن آمنت تقدّم قلبك وعقلك ذهباً!... تستطيع أن تقدّم للرب شيئاً من مشاعرك ومن كلماتك].¹

هكذا يرى المؤمن في الأواني الذهبية المقدّسة للرب حياته الداخليّة التي صارت بالإيمان سماءً، ولم يعد من حق كائن ما أن يستخدمها سوى القديس السماوي نفسه.

ويرى الأب ميثوديوس في الذهب رمزاً للبتولية، إذ يقول: [لقد أمر (أن تُصنع الأدوات داخل قدس الأقداس) من الذهب لسببين: أولاً أنه لا يصدأ، وثانياً أن لونه يقترب إلى حد ما من لون الشمس. بهذا فهو يناسب البتولية التي لا تحمل شيئاً دنساً أو غضناً، إنّما تشع دائماً بنور الكلمة. خلالها نقف قريبين من الله، داخل قدس القداوس، وأمام الحجاب بأيدٍ غير دنسة كالبخور نقدم الصلوات للرب رائحة ذكيّة مقبولة، في مجامر الأربعة وعشرين قسيساً (الذهبيّة) التي هي صلوات القديسين].²

كان مذبح البخور من الحجر، والحجر مُعشّى بأرز، والأرز مُعشّى بالذهب (٦: ٢٠، ٢٢).

❖ ليجت كل منّا كيف يمكن أن يبني في داخله مسكناً لله!

ليكن للنفس في أعماق القلب مذبحاً للبخور حتى تستطيع أن تقول: نحن رائحة المسيح الذكيّة" (٢ كو ٢: ١٥)...

لنتحدّث عن مذبح البخور الداخلي، قائلاً: النفس التي لا تعطي لعينها نومًا حتى تجد موضعًا للرب إله يعقوب (مز ٨١: ٤) تقنتي لها مذبحاً ثابتاً في وسط قلبها حتى تقدر أن تقترب من الله.³

العلامة أوريجينوس

وجدت مائدة واحدة لخبز الوجوه في خيمة الاجتماع وعشرة موائد خبز وجوه في الهيكل، لكن يبدو أنه لم يكن يستخدم إلا مائدة واحدة في وقت واحد.

كما وُجدت منارة واحدة في خيمة الاجتماع (خر ٢٥: ٣٠). وعشرة منائر ذهبيّة في الهيكل ولا تُستخدم إلا منارة واحدة في وقت واحد (٢ أي ٤: ٨، ١٩؛ ٣: ١١).

¹ Origen: In Exod. Hom 13:2.

² Methodius: Banquet of the Ten Virgins 5:8.

³ Origen: In Exod. Hom 9:4.

هـ. المراحض والرفوش والمناضح

"والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص والوصل لمصاريع البيت

الداخلي

أي لقدس الأقداس ولأبواب البيت أي الهيكل من ذهب" [٥٠].

كانت الطسوس للزيت، والمقاص والملاقط الذهبية تُستخدم في إصلاح فتائل السرج، والمناضح للماء أو الدم اللذين رُسُوا بهما. وكانت المنافض توضع فيها الأشرطة المحترقة. يعلّل البعض أن جميع الأثاثات الذهبية كالمنارة الذهبية ومذبح البخور وأيضاً التابوت من الخشب المصفح بالذهب الخ. لأجل إعلان بهاء مجد الله. ولا توضع في الخارج حتى يحفظ الشعب من العبادة الوثنية.

و. تقديم عطايا أبيه

"وأكمل جميع العمل الذي عمله الملك سليمان لبيت الرب،

وادخل سليمان أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية

وجعلها في خزائن بيت الرب" [٥١].

حمل سليمان كل ما أعدّه أبوه داود من ذهب وفضة إلى خزائن بيت الرب ولم يطمع فيها ليستخدمها في قصوره، بل قدّمها مع ما قدّمه هو للرب. هكذا يليق بنا أن نقدّم ما وهبه والدنا للرب ولا نحسبه ميراثاً خاصاً بنا.

كان القديس يوحنا ذهبي الفم يحثّ شعبه أن يحسبوا السيّد المسيح كواحدٍ من أبنائهم له حق الميراث فيما يتركوه لهم. وقد اتّسم الأقباط في العصور السابقة بتقديم الكثير كوقفٍ على الكنيسة أمّا لخدمة الفقراء أو الاحتياجات الرعوية. وكان الذين لهم أبناء يرثونهم يضعون وصيةً بتقديم كل ميراثهم للرب.

من وحي ١ مل ٧

قُدّس كل الأثاثات الذهبية!

- ❖ أنت الأول في كل شيء.
لئيبَ هيكلك أولاً وعندئذٍ قصري.
ليكن ملكوتك هو بهجة قلبي.
أطلبه وكل شيء يزداد لي.
- ❖ هب لي أن أقيم مع سليمان عمودين من نحاس.
أدعوهما ياكين ويوعز.
مدركا أنك أنت هو العمود الحيّ،
أنت قوّتي وفخري وعزّي.
- ❖ لأضع بحرًا مسبوگا،
فأغتسل دوماً بمياه المعمودية.
أتمنّع بالبنوة لك،
وأخدمك بالطهارة والنقاوة.
- ❖ لتقبل كل الأثاثات الذهبية.
بيتك في الداخل كُله مغشّي بالذهب.
لن يُرى فيه سوى المجد والبهاء.
من يقدر أن يخدم فيه إلا من يصير ذهبًا نقيًا؟
من يلتقي بك إلا من يحمل بهاءك فيه؟
اقبلني إناءً ذهبيًا نقيًا،
له موضعه في مسكن قدسك.

الأصحاح الثامن

تدشين الهيكل

يكشف هذا الأصحاح عن شوق الله نحو الإنسان. هذا الذي لا تسعه السماوات والأرض يجد مسرته في سكناه وسط شعبه. يميل بأذنيه لسمع طلباتهم، وبياركهم، ويحول حياتهم إلى عيد دائم. كان قلب سليمان الملك ملتهباً بالفرح بتلك اللحظات التي طالما كان يترقبها، بل وكان والده داود النبي يشتهيها. لم يفرح وحده، بل أشرك معه الشيوخ ورؤساء الأسباط وأيضاً الكهنة واللاويين وكل الشعب. إنّه عمل يمس حياة كل مؤمن، أيًا كان دوره!

١. دعوة القيادات والشعب ٢-١.
٢. دور الكهنة ٩-٣.
٣. مجد الرب في بيته ١١-١٠.
٤. تدشين الهيكل ٦٦-١٢.
- أ. تذكّر وعود الله ٢١-١٢.
- ب. التسبيح لله ٢٧-٢٢.
- ج. الصلاة والطلبية ٤٠-٢٨.
- د. الإعلان عن الحب لكل بشر ٤٣-٤١.
- هـ. طلب النصره ٥٣-٤٤.
- و. مباركة الشعب ٦٠-٥٤.
- ز. دعوة لطاعة الوصيّة ٦١.
- ح. تقديم ذبائح حب ٦٤-٦٢.
- ط. عيد وفرح ٦٦-٦٥.

١. دعوة القيادات والشعب

"حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط رؤساء الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود هي صهيون" [١]. يرى رئيس الأساقفة Usher بأن سليمان أجل تدشين الهيكل حوالي سنة بعد الانتهاء من المباني.

لأن هذه السنة كانت اليوبيل التاسع، وكانت بدء اليوبيل الألفي الرابع للخليقة أي في عام ٣٠٠١ للخليقة، فكان التوقيت مناسباً لتدشين الهيكل. إن كان الله قد خلق العالم كله ليكون قصرًا للإنسان يعيش كملكٍ صاحب سلطان، فإنه في بدء اليوبيل الرابع للخليقة يقدّم الإنسان هذا المبنى كعملٍ رمزي لشوق المؤمنين أن يسكن ملك الملوك في قصره ويحكم! قدّم الله العالم كله قصرًا لنا، ونحن في ضعفنا نقدّم القليل جدًا ممّا وهبنا كقصرٍ لذاك الذي لا يحده مكان! يود أن يقيم ممّا ملوكًا ونحن نصر أن يبقى ملك الملوك الذي يحركنا بروحه الملوكي.

"فاجتمع إلى الملك سليمان جميع رجال إسرائيل في العيد في شهر أيثانيم، هو الشهر السابع"

[٢].

كما رأس داود النبي الاحتفال بإحضار تابوت العهد إلى أورشليم هكذا رأس ابنه سليمان تدشين بيت الرب. هذا الاحتفال ما كان يمكن أن يتحقّق بافتتاحه بمفرده أو مع رجال دولته، إنّما كان لابد من مشاركة كل القيادات الدينيّة والمدنيّة، وحضور الكهنة وكل الشعب. فهو احتفال بإعلان سُنكى الله وسط الشعب كله!

ارتباط سليمان بالشعب حقيقة مفرحة يعتز بها، فدعا نفسه "الجامعة" (جا ١ : ١ ؛ ١٢ : ٩) وسيّد الجماعات (جا ١٢ : ١١).

شهر أيثانيم هو شهر تشرين، يقابل جزء من شهر أكتوبر وآخر من نوفمبر.

مع ما اتّسم به الهيكل من جمال، فإنه بدون تابوت العهد يكون كجسد بلا روح، أو كمسكن بلا ساكن، أو كمنارة دون سراج. كل ما بذله داود الملك وابنه سليمان في الإعداد وتنفيذ بناء الهيكل يفقد قيمته إن لم يسكن الرب فيه ويُعلن مجده في داخله.

٢. دور الكهنة

"وجاء جميع شيوخ إسرائيل وحمل الكهنة التابوت.

وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة،

فأصعدوا الكهنة واللاويون" [٣-٤].

أحضروا مع تابوت العهد خيمة الاجتماع هذه التي يحتمل أن تكون بعينها التي أقامها موسى النبي في صهيون مؤقتًا إلى حين بناء الهيكل. فالهيكل بما يحمله من قدسيّة هو امتداد للخيمة بكل قدسيّتها. الله الذي ملأ الخيمة بمجده هو أمس واليوم وإلى الأبد، يملأ كنيسته في كل العصور بمجده الإلهي.

"والمك سليمان وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه أمام التابوت

كانوا يذبحون من الغنم والبقر ما لا يُحصى ولا يُعد من الكثرة" [٥].

كان تقديم الذبائح عملاً له جانبان، جانب المصالحة مع الله بالدم مع تقديم التوبة، وجانب الشكر مع الفرح بعمل الله الخلاصي. هكذا تقديم الملك وكل الشعب ذبائح هو إعلان عن شوق حقيقي للمصالحة مع فرح صادق وتهليل بالشركة مع الله.

"وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس،

إلى تحت جناحي الكروبيين.

لأن الكروبيين بسطا أجنحتهما على موضع التابوت،

وظلّ الكروبان التابوت وغطيه من فوق.

وجذبوا العصي فتراعت رؤوس العصي من القدس أمام المحراب، ولم تُرْ خارجاً، وهي هناك إلى

هذا اليوم" [٦-٨].

لم ينسَ سليمان خبرة أبيه الأولى المرّة حيث حمي غضب الرب على عرّة لأنّه مدّ يده إلى تابوت الله وأمسكه (٢ صم ٦: ٦). لقد تعلّم ألاّ يحمل التابوت أحد غير الكهنة.

"لم يكن في التابوت إلاّ لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب

بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر" [٩].

لم يوجد داخل التابوت سوى لوحا الشريعة، أمّا إناء المنّ وعصا هرون فكانا بجوار التابوت. أراد الله أن يربط بين حضرته الإلهية وكلمته. فمن يلتقي بالله إنّما يتمنّع بكلمته التي فيه، ولا تتفصل عنه، بل هو واحد معه.

❖ يليق بعروس المسيح أن تكون مثل تابوت العهد مغشّاة بالذهب من الداخل والخارج (خر ٢٥:

١١). يليق بها أن تكون حارسة لشريعة الرب. كما أن التابوت لا يحوي شيئاً سوى لوحا العهد

هكذا يليق بك ألاّ يوجد فيك أي تفكير لشيء في الخارج. فإن الرب يُسرّ أن يجلس في ذهرك،

كما جلس مرة على عرش الرحمة وعلى الشاروبيم (خر ٢٥: ٢٢)^١.

القديس جيروم

٣. مجد الرب في بيته

¹ St. Jerome: Letters 22:24.

"وكان لما خرج الكهنة من القدس أن السحاب ملأ بيت الرب" [١٠].

تكشف هذه العبارة أن السفر كُتب قبل الخراب الأول للهيكل.

ظهر السحاب يملأ الهيكل كان علامة على رضا الله على ما فعله الملك والشعب معاً. هذا ما

كان يحدث في أيام موسى النبي (خر ١٦: ١٠؛ ٤٠: ٣٨؛ عد ٩: ١٨ الخ).

لماذا يستخدم الله ظهور السحاب علامة على رضائه؟

يشير السحاب إلى النفوس المقدسة التي تصير خفيفة كالسحاب مرتفعة كما إلى السماء. ظهور

السحاب تأكيد أن مجد الله مُعلن في قديسيه الذين يرتفعون بقلوبهم إلى السماء فيصرون كسحابة حاملة له.

"ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب

لأن مجد الرب ملأ بيت الرب" [١١].

بلاشك كان مبنى الهيكل غاية في الفخامة والجمال، وكانت أثاثاته ثمينة جداً ورائعة، لكن سرّ

مجد الهيكل هو سُكنى الله فيه. الله نفسه هو الذي يعطي كنيسته بهاءها ومجدها الداخلي. لم يكن

مجد هيكل سليمان في الحجارة الضخمة ولا الذهب والفضة بل في سُكنى الرب نفسه.

وضع الكهنة تابوت العهد في قدس الأقداس، ثم خرجوا قبل بدء الخدمة، إذ لم يكن يُسمح لأحدٍ

أن يدخل قدس الأقداس إلاً رئيس الكهنة.

بيت الرب والأيقونة السماوية:

❖ لا توجد صورة مثل الإنسان الذي يفني طالما لا توجد صورته في مدينة الرب، أي في أورشليم

العلوية (مز ٧٣: ٢٠). لأن الرب صوّرنا بحسب صورته ومثاله، كما يعلمنا قائلاً: "هأنذا يا

أورشليم قد نقشْتُ أسوارك" (إش ٤٩: ١٦)، فإن سلكننا حسناً، تستمر تلك الأيقونة السماوية

فيها، وإن سلك أحد سلوكاً رديئاً، تفني تلك الصورة فيه (أو تتشوه). أي أيقونة ذاك الذي انحدر من

السماء، وتبقى في هذا الإنسان صورة الإنسان الأرضي (فقط). على هذا الأساس يقول الرسول

أيضاً: "وكما لبسنا صورة الترابي، فلنلبس أيضاً صورة الآخر السماوي" (١ كو ١٥: ٤٩). لهذا

تستمر صور الصالحين تشرق في مدينة الله. لكن إن انحرف أحد إلى الخطايا المميتة ولم يُنبأ،

تحطمت أيقونته فيه أو بالأحرى انطرح، كما انطرح آدم وطُرد من الفردوس (تك ٣: ٢١-٢٤).

لكن من يسلك بأسلوبٍ مقدسٍ مكرّم، يدخل مدينة الله (رؤ ٣: ١٢). ويأتي بصورته الشخصية

فيشرق في مدينة الله هذه. "في مدينتك يا رب تفني صورهم إلى لا شيء!" (مز ٧٣: ٢٠ LXX).
لأن الذين كسوا أنفسهم بأعمال الظلمة، لا يمكنهم أن يشرقوا في النور^١.

القديس أمبروسيو

٤. تدشين الهيكل

أ. تذكّر وعود الله

أعلن الرب عن سُكناه في بيته وحلول مجده فيه عند بدء طقس التدشين ليكشف عن حبه الفائق. أنه يُبادر بالحب، ويشتاق أن يسكب مجده على مؤمنيه. أمّا المؤمنون فيلزمهم أن يتجاوزوا مع حبه بالحب، وذلك بتذكّرهم لعوده الإلهية، ودخولهم في حوار حب معه، واتّساع قلوبهم لإخوتهم، وتفتحهم في التمتع بروح النصر والغلبة، وحفظهم للوصية الإلهية بفرح، وتقديم ذبائح الحب المقبولة لديه مع ممارستهم للحياة المفرحة كظل للحياة السماوية. هذا باختصار ما ندعوه بتدشين بيت الرب. إنّه مزيج

بين الحب المتبادل مع الله والناس، مع صلوات وتسابيح، وطاعة وعطاء، وفرح لا ينقطع!

إن كانت الكنيسة تمارس طقسًا خاصًا بالتدشين، فإن تدشين الكنيسة بالصلوات والتسابيح هو نقطة بداية لا نهاية. يبقى الكهنة مع الشعب يمارسون الحب مع الصلاة والفرح بروح الطاعة، فيختبروا التدشين كعمل الروح القدس الدائم في حياة كنيسته.

بيت الرب ليس مكانًا مجردًا لممارسة العبادة بل هو لقاء حيّ مع الله محب البشر، فيه يتمتع المؤمنون بالحب المتبادل مع الله ومع بعضهم البعض، ويشاركون السماويين فرحهم المستمر.

عند تدشين خيمة الاجتماع ملأ مجد الرب القدس، ولم يستطع موسى أن يدخل (خر ٤٠: ٣٤ -

٣٥)، تكرر الأمر عند تدشين الهيكل.

حاول البعض أن يخلط بين سحابة المجد الإلهي في الهيكل وسحابة الدخان الصاعدة من مذبح المحرقة حيث قُدمت ذبائح كثيرة. لكن النص واضح أن السحابة هنا داخل البيت ليست سحابة دخان بل سحابة مجد إلهي.

مجد الرب الذي يظهر كنارٍ آكلة (خر ٢٤: ١٧؛ تث ٩: ٣) فلا يقدر أحد أن يقف يُعلن عن ذاته هنا بسحابة مجيدة لم تغطّ قدس الأقداس وحده، بل كل الهيكل، والدار حتى يتمتع كل الشعب بهذا المجد، ويدرك الكل مسرة الله بحلوله في وسطهم، وقبوله السكنى في البيت الذي أُقيم له.

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٨: ٢٤.

"حينئذٍ تكلم سليمان**قال الرب أنه يسكن في الضباب" [١٢].**

عندما دخل التلاميذ السحابة النيرة خافوا (لو ٩: ٣٤)، هكذا خاف الكهنة عندما ملأ مجد الرب البيت بالسحاب. لذلك وقف سليمان يشجعهم، يقدم لكل الشعب عظة هي في جوهرها تسبحة شكر لله الذي وهبه ما اشتهاه أبوه داود. كأنه بهذه التسبحة يفى ديناً كان على أبيه داود.

كانت السحابة أشبه بصوت إلهي خلاله يقول الرب: "بالحقيقة أنا قادم لأسكن في بيتي، وأحل في وسطكم". وجاءت تسبحة سليمان أشبه باستجابة لهذا الصوت الإلهي، وكأنه يقول: إنعم تعال أيها الرب، فإنك سبق فوجدتنا بذلك؛ تعال، فإن البيت هو بيتك، وهو من فضل خيراتك ونعمك علينا. بنيناه لك، لك وحدك. لن يستخدمه آخر غيرك].

"أنّي قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكنائك إلى الأبد.**وحول الملك وجهه وبارك كل جمهور إسرائيل وكل جمهور إسرائيل واقف" [١٣-١٤].**

لم يذكر الكتاب المقدس البركة التي بارك بها الملك الشعب، ربّما كانت مشابهة لتلك التي يبارك بها رئيس الكهنة الشعب.

"وكلم الرب موسى قائلاً: كلم هرون وبنيه قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً، فيجعلون اسمي على بني إسرائيل، وأنا أباركهم" (عد ٦: ٢٢-٢٧).

يبدو أن سليمان هنا يقوم كما بدور رئيس الكهنة (فيما عدا تقديم الذبائح)، أو بدور موسى النبي في قيادته للشعب ليعبدوا الرب، كما باركهم (خر ٣٩: ٤٣). فعل كأبيه إذ قيل عنه عند اصعاده وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب مدينة داود: "ولما انتهى داود من اصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم رب الجنود" (٢ صم ٦: ١٨).

"إنه يسكن في الضباب"، ماذا يعني الضباب هنا إلاً عجز الخليقة عن رؤية الله كما هو. كلّ يراه قدر ما تستطيع عيناه أن تنظرا.

"وقال مبارك الرب إله إسرائيل الذي تكلم بضمه إلى داود أبي وأكمل بيده قائلاً:

منذ يوم أخرجت شعبي إسرائيل من مصر لم أختَر مدينة من جميع أسباط إسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هناك.

بل إنَّما اخترت داود ليكون على شعبي إسرائيل.

وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتاً لاسم الرب إله إسرائيل.
فقال الرب لداود أبي من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتاً لاسمي قد أحسنت بكونه في قلبك.
إلا أنك أنت لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي.
وأقام الرب كلامه الذي تكلم به،
وقد قمت أنا مكان داود أبي،
وجلست على كرسي إسرائيل كما تكلم الرب.
وبنيت البيت لاسم الرب إله إسرائيل.
وجعلت هناك مكاناً للتابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع آبائنا عند إخراجهم إياهم من
أرض مصر" [١٥-٢١].

لم يشير سليمان إلى عظمة البيت وفخامة مبناه، وكنوزه الثمينة، لكنه أشار إلى أمرين هما سرّ قوّة
البيت وقدسّيّه ومجده. الأمر الأول هو الوعد الإلهي لداود، والأمر الثاني هو وجود مكان خاص
بتابوت العهد الذي ينظر إليه كمرکز وكوكب البيت كله، بكونه يمثّل العرش الإلهي. وكان سرّ القوّة
هو الوعد الإلهي والحضرة الإلهية.
هكذا سرّ قوّة الكنيسة الوصيّة الإلهية أو الوعد الإلهي، وأيضاً العهد الذي به نلنا المصالحة مع
الأب وتمنّعنا بالخلّاص لننعم بشركة المجد السماوي.

ب. التسبيح لله

"ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل،
ويسط يديه إلى السماء" [٢٢].

كان وجه سليمان نحو قدس الأقداس عندما أحضر الكهنة تابوت العهد، وعندما خرجوا وملاً
السحاب البيت. وبدأ حديثه وهو متّجه نحو قدس الأقداس. الآن إذ بدأ يبارك الشعب حول وجهه
نحوهم [١٤]، فإنّه لا يبارك أحد آخر وهو يعطيه القفا، بل يعطيه الوجه. اعتادت الكنيسة في كل مرة
يبارك الكاهن شخصاً أو الشعب أن يعطيه أو يعطيهم وجهه، حتى إن كان واقفاً أمام الهيكل.

حمل تدشين الهيكل مفاهيم حيّة لبيت الرب:

• بيت الذبيحة: قدم سليمان والشعب ذبائح كثيرة لأنّه بدون سفك دم لن تحصل مغفرة. لقد عرف

القديس أغناطيوس النوراني الكنيسة بأنّها "موضع الذبيحة"^١. ففي الكنيسة نلتقي بالسيد المسيح الذبيحة الحقيقيّة، ونُتحدّ به فتصير حياتنا ذبيحة حب فائقة.

- **بيت الصلاة:** قدم سليمان صلّاته للتدشين.
- **بيت الفرح:** كان التدشين عيدًا مفرحًا للجميع. والكنيسة هي حياة في الرب واهب الفرح الدائم.
- **بيت التسبيح:** حيث بارك سليمان الرب وسبّحه. يقول القديس أغناطيوس النوراني: [اهتمّوا في أن تجتمعوا بكثافة أكثر لتقديم الشكر والمجد لله، فعندما تجتمعون مرارًا معًا في الاجتماع الإفخارستي تضمحل قوى الشيطان وتتحل قوّته أمام إيمانكم وتآلفه^٢].
- **بيت الحب:** بالحب طلب سليمان لا من أجل الشعب فحسب، بل ومن أجل الأجنبي أيضًا. يُقصد بمذبح الرب هنا مذبح المحرقة لا مذبح البخور، حيث قدم سليمان صلّاته أمام كل جمهور الشعب.

"وقال أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من اسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم" [٢٣].

"حافظ العهد والرحمة". تعلّم سليمان ذلك من أبيه الذي يعلن في تسبّحته لله: "برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه داود ونسله إلى الأبد" (٢ صم ٢٢: ٥١). لقد أدرك داود أن الله صانع رحمة بتحقيقه للوعود الإلهية التي قدّمها له ولحساب نسله إلى الأبد. لقد تمتّع داود بنفس الفكر الذي عاشه موسى النبي القائل: "فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبّونه ويحفظون وصاياهم إلى ألف جيل" (تث ٧: ٩). الله أمين في وعده، لذا يليق بخاصته أن تكون أمينة له، لا بوضع أشعارٍ مملوءة بلاغة كاذبة، بل بحفظ وصاياهم بأمانة. يمجّدونه لا بكلمات بل بأعمال منيرة. أمين في تحقيق عهده "إلى ألف جيل"، فهو ينبوع الحب الأمين عبر الأجيال.

"الذي قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلّمته به، فتكلّمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم" [٢٤].

بعد تقديم الشكر لله الحافظ العهد والذي حقّق وعده الإلهية، سأله سليمان الآتي:

- ❖ ديمومة كرسي إسرائيل بحفظهم وصاياهم [٢٥].
- ❖ استمرار الحضرة الإلهية وسط شعبه [٢٩].

¹ Ephes. 5:2; Tral. 7:2; Philad. 4.

² Ephes. 13.

- ❖ إدانة الأشرار وتبرير البار [٣١-٣٢].
- ❖ الخلاص من الأعداء بغفران الخطايا [٣٣].
- ❖ الخلاص من الكوارث [٣٥-٤٠].
- ❖ مساندة الأجنبي التقي [٤١-٤٣].
- ❖ النصر في المعارك القادمة [٤٤-٤٥].
- ❖ تحرير من السبي بالغفران الجماعي [٤٦-٥٠].
- ❖ استمرار إقامة العهد الإلهي مع الشعب [٥١-٥٣].

"والآن أيها الرب إله إسرائيل احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلاً:

لا يعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل.

إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم حتى يسيروا أمامي كما سرت أنت أمامي.

والآن يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود أبي.

لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض؟

هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك،

فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت؟" [٢٥-٢٧].

قدم سليمان صلاة طويلة، وربما ما ورد هنا مختصر أو مقتطفات من صلاته. فإنه إذ يفتح القلب

على الله لا يجد الفم صعوبة في الحديث مع الله محبوبه.

❖ إنه يسكن على الأرض، ملتحقاً بالجسد، ومسكنه مع البشر يتأثر بالارتباط والانسجام اللذين يحدثان

بين الأبرار، واللذين بيننا ويقيما هيكلًا جديدًا. فالمؤمنون هم الأرض، والأرض أيضًا تقارن بعظمة

الرب. لهذا لم يتردد الطوباوي بطرس في القول: "كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية، بيتًا روحيًا،

كهنوتًا مقدسًا، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله ببسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥).

وبالنسبة للجسد الذي يختتن، فإنه يقُدسه كموضع مقدس لنفسه على الأرض. لقد قال: "انقضوا

هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه. فقال اليهود: في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة

أيام تقيمه؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو ٢: ١٩-٢١)^١.

¹ AN Fathers, Vol. 2, P.585.

القديس إكليمنضس الإسكندري

ج. الصلاة والطلبية

"فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلهي،

واسمع الصراخ والصلاة التي يصلّيها عبدك أمامك اليوم" [٢٨].

إنه الحب هو الذي يجعل الله يتنازل ليقبل السكنى في بيت كهذا. مهما قدّم سليمان وشعبه لله فإنه لا يوجد ما يليق تقديمه لذلك الخالق القدير غير المحدود. من أجل حبه يقبل عطايانا التي ننالها من يديه لنقدّمها هبة كأنّها منّا.

"لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً،

على الموضع الذي قلت إن اسمي يكون فيه.

لتسمع الصلاة التي يصلّيها عبدك في هذا الموضع" [٢٩].

بقوله "إن اسمي يكون فيه" يعني حضرة الرب في بيته وسط شعبه، حيث يقدّم لهم قوته قوّة لهم، مجده مجدّاً داخلياً لنفوسهم، ينير أعينهم فيدركوا أسرار الإلهية ويتفهّموا خطّته من نحوهم. يهبهم نموّاً مستمرّاً وغفراناً لخطاياهم، وتقديساً لكل كيانهم الروحي والجسدي والعقلي والعاطفي، وخلصاً مفرحاً. هذا هو سكنى اسم الرب في بيته!

"واسمع تضرّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلّون في هذا الموضع،

واسمع أنت في موضع سُكناك في السماء،

وإذا سمعت فاغفر" [٣٠].

إنّها صلاة عبد محتاج إلى خالقه وسيّده، لكنّها تمثّل صرخة قلب داخلية، ملتهبة بالإيمان والحب. الهيكل وتابوت العهد وما يحويانها كلّها رموز لكلمة الله الذي تجسّد، فصار جسده هيكلًا مقدّساً، خلاله نصلي، فهو الوسيط الذي به نلتقي مع الآب. يحملنا رب المجد يسوع إلى حضن أبيه حيث نسمعه يغفر لنا بدم المخلص، ويبيرّنا بقيامته.

"إذا أخطأ أحد إلى صاحبه ووضع عليه حلفاً ليحلفه وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيت،

فاسمع أنت في السماء، واعمل واقض بين عبيدك.

إذ تحكّم على المذنب، فتجعل طريقه على رأسه،

وتبرّر البار، إذ تعطيه حسب برّه" [٣١-٣٢].

يبدأ بالشخص المُصاب بضررٍ، وقد راوده الشك في شخصٍ ما أنّه هو المتسبّب في أذيتّه. يأتي به إلى بيت الرب ويحلف المشكوك في أمره، فإن حلف كذباً يدينه الرب، وإن كان صدقاً يبزره الرب.

"إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو،

لأنّهم أخطأوا إليك، ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك،

وصلّوا وتضرّعوا إليك نحو هذا البيت.

فاسمع أنت من السماء، واغفر خطيئة شعبك إسرائيل،

وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لأبائهم" [٣٣-٣٤].

بعد تقديم العيّنات السابقة من الصارخين إلى الرب، متّجهين نحو هيكله يقَدّم طلبه عامة من أجل الكل. كان الهيكل رمزاً للسيد المسيح، الذي يبسط يديه ليحتضن الكل، يشتاق أن يُعطي بسخاء كل سائله.

لقد سبق الرب فحذّرهم منذراً إيّاهم أنّه يسمح لهم بالهزيمة وبالسبي إن أصروا على شرورهم. "وأجعل وجهي ضدّكم فتنهزمون أمام أعدائكم، ويتسلّط عليكم مبغضوكم، وتهربون وليس من يطردكم" (لا ٢٦: ١٨)؛ "يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك، في طريق واحدة تخرج عليهم، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثثاً طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، وليس من يزعجها" (تث ٢٨: ٢٥-٢٦).

قبل دخولهم أرض الموعد وتمنّعهم بالنصرة على الأمم القاطنة في كنعان أكّد لهم أنّهم إن خالفوا وصيّته يفقدون نصرتهم وكرامتهم وتصير جثثهم مأكلاً لطيور السماء ووحوش البرية، سواء على مستوى الشعب ككل أو على مستوى الفرد. وكما قال أخياً النبي لامرأة يربعام: "من مات ليربعام في المدينة تأكله الكلاب، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء، لأن الرب تكلم" (١ مل ١٤: ١١). وجاء في المزمور: "اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك، نجسوا هيكل قدسك، جعلوا أورشليم أكواماً، ودفعوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء، لحم أتقيائك لوحوش الأرض" (مز ٧٩: ٢). ويقول الرب على لسان إرميا النبي: "لذلك ها أيّام تأتي يقول الرب... تصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مزعج" (إر ٧: ٣٢-٣٣). الترجمة الحرفية لعبارة "قلقاً في جميع ممالك الأرض" هي "تحركها جميع ممالك الأرض من هنا وهناك، إلى أعلى وإلى أسفل"، أي تصير أشبه بكره تلعب بها كل ممالك الأرض. وكما قيل: "وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض" (إر ١٥: ٤)، "وأسلمهم للقلق والشرّ في جميع ممالك الأرض عازاً ومثلاً وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها"

(إر ٢٤: ٩؛ راجع إر ٢٩: ١٨).

يسمح الله بالهزيمة أمام الأمم لكي يدركوا هزيمتهم الداخليّة أمام الخطيّة، ويسمح بالسبي المُر لكي يطلبوا تحرُّرهم من سبي إبليس والاستعباد للشهوات والخطايا.

"إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر لأنّهم أخطأوا إليك،

ثم صلوا في هذا الموضع،

واعترفوا باسمك،

ورجعوا عن خطيَّتهم لأنّك ضايقتهم.

فاسمع أنت من السماء، واغفر خطيَّة عبيدك وشعبك إسرائيل.

فتعلّمهم الطريق الصالح الذي يسلكون فيه.

وأعط مطرًا على أرضك التي أعطيتها لشعبك ميراثًا.

إذا صار في الأرض جوع، إذا صار وياً إذا صار لفتح أو يرقان أو جراد جردم،

أو إذا حاصره عدوه في أرض مدنه في كل ضربة وكل مرض" [٣٥-٣٧].

يورد هنا مجموعة من الكوارث تحل بالشعب كثمرة لعصيانهم للرب.

الجوع: نقص شديد في الغلال، خاصة القمح، بسبب الجفاف.

الوبأ: انتشار أمراض خطيرة معدية.

لفح: إصابة المزروعات لسبب أو آخر، فلا تتضج السنابل قط بل تحمل أشبه بتراب أسود

عوض البذور أو الغلال. سقوط الزهور أو البراعم الصغيرة من الأغصان.

جراد: أحد الضربات التي تصيب أحيانًا مساحات شاسعة من الأراضي حيث تهجم موجات

ضخمة من الجراد تأكل كل ما هو أخضر، فلا تترك أوراق الشجر أو العشب على الأرض.

جردم: الجراد في مراحل نموه الأولى. الجراد يأتي مهاجمًا الحقول من بلاد بعيدة، أمّا الجردم

فيظهر من نفس البلد.

عدو يهاجم المدن الحصينة والحصون.

كل ضربة تحل بالإنسان أو الحيوان أو النباتات كالبرص.

كل مرض يُفقد الإنسان قدرته وطاقته للعمل والحياة.

"فكل صلاة وكل تضرُّع تكون من أي إنسان كان من كل شعبك إسرائيل،

الذين يعرفون كل واحدٍ ضربة قلبه،

فبسط يديه نحو هذا البيت" [٣٨].

إذ يتحدث عن الصلاة وقت الضيق، حيث يتوجه الإنسان بوجه نحو الهيكل كما نحو الله نفسه، أو نحو الحضرة الإلهية، لا يلم الظروف أو الأشخاص بل ينظر إلى "ضربة قلبه" [٣٨]، ملقياً اللوم على نفسه. إن الضيق الحقيقي ليس في الظروف المحيطة بنا، بل هو ضيق القلب المضروب بجفاف الحب أو عدم اتساعه بالمحبة للغير. هذه هي الضربة الحقيقية التي من أجلها نصرخ إلى الله.

"فاسمع أنت من السماء مكان سكناك،

واغفر واعمل وأعط كل إنسان حسب كل طريقه،

كما تعرف قلبه،

لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر" [٣٩].

بقوله: "اغفر واعمل وأعط" يقدم سليمان الحكيم مفهوماً روحياً صادقاً لنظرتنا إلى بيت الرب. فهو ليس بالموضع الذي فيه نطلب احتياجاتنا الزمنية فحسب، وإنما هو بيت الغفران، وبيت العمل الإلهي، وبيت العطاء السماوي. نلتقي مع الله في بيته لنطلب أولاً المصالحة معه، وندخل معه في علاقة اتحاد وحب، عندئذ نتمتع بعمله الإلهي في حياتنا الداخلية، وننعم بعطاياه التي تشبع كل احتياجاتنا الروحية والنفسية والاجتماعية والمادية. بالغفران نتمتع بمواهب العطايا، وبالعمل الإلهي نتقبل فينا إمكانياته، وبالعطاء ننال خيراته. وكأن الملك يطلب هنا أن يتمتع المؤمنون بالله ذاته وقدراته وعطاياه!

"لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيت لآبائنا" [٤٠].

د. الإعلان عن الحب لكل بشر

"وكذلك الأجنبي الذي ليس من شعبك إسرائيل هو وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك.

لأنهم يسمعون باسمك العظيم وببيدك القوية وذراعك الممدودة،

فمتى جاء وصلّى في هذا البيت" [٤١-٤٢].

اليد القوية والذراع الممدودة يشيران إلى رعاية الله الفائقة لشعبه.

لقد سمع عن أعمال الله العجيبة مع شعبه بلعام الذي في أرض موآب (عد ٢٢).

"فاسمع أنت من السماء مكان سكناك،

وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبي،

لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك،

فيخافوك كشعبك إسرائيل،

ولكي يعلموا أنه قد دعي اسمك على هذا البيت الذي بنيت" [٤٣].

في صلاة التذشين يتطَّلع سليمان الحكيم إلى الله بكونه ليس إله إسرائيل وحده، بل إله كل الشعوب. يسأل الله أن يستجيب لصلاة الكل، حتى تعرف كل شعوب الأرض اسمه وتحشاه.

"وكذلك الأجنبي الذي ليس هو من شعبك إسرائيل وقد جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك العظيم ويدك القويَّة وذراعك الممدودة، فمتى جاءوا وصلُّوا في هذا البيت، فاسمع أنت من السماء مكان سكتناك وافعل حسب كل ما يدعوك به الأجنبي لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك، فيخافونك كشعبك إسرائيل، ولكي يعلموا أن اسمك قد دُعي على هذا البيت الذي بنيت" (٢ أي ٦: ٣٢-٣٣).

لقد سمح موسى للغرباء الذين يعيشون بين الإسرائيليين أن يقدِّموا ذبائح في الهيكل (عد ١٥: ١٤ الخ). وقيل أن اسم الرب العظيم وذراعه قد سمع عنهما في الأمم المحيطة (خر ١٥: ١٤؛ ١٨: ١؛ يش ٥: ١).

يتحدَّث هنا عن وثنيين جاءوا إلى بيت الرب ليصيروا دخلاء في الإيمان الحقيقي.

هـ. طلب النصرَة

"إذا خرج شعبك لمحاربة عدوّه في الطريق الذي ترسلهم فيه،

وصلُّوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك.

فاسمع من السماء صلاتهم وتضرُّعهم واقضي قضائهم.

إذا أخطأوا إليك، لأنّه ليس إنسان لا يخطئ.

وغيضت عليهم،

ودفعتهم أمام العدو وسباهم سابوهم إلى أرض العدو بعيدة أو قريبة" [٤٤-٤٦].

لا يفهم من قوله "ليس إنسان لا يخطئ" أنّه تبرير لنا، لكنّه يستعرض الضعف البشري ليستدر مراحم الله. وفي نفس الوقت يفتح باب الرجاء أمام الخطاة، إن الجميع دون استثناء في حاجة إلى عمل المخلص.

❖ تستخدم الحكمة بالأكثر في الطريق لتعين أفضل من صحبة أقوى الرجال في مدينة، وهي أيضًا

تغفر بحق للذين يفسلون في تحقيق واجبهم، لأنّه لا يوجد إنسان واحد بلا عثرة^١.

القديس غريغوريوس العجائبي

❖ ماذا يقول الإناء المختار؟ "لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع" (رو ١١: ٣٢) وفي موضع آخر: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو ٣: ٢١) يعترض بصراحة أيضاً المبشّر الذي هو المتحدّث باسم الحكمة الإلهية ويقول: "لأنّه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" (جا ٧: ٢٠).

و"إذا أخطأ شعبك إليك، لأنّه ليس إنسان لا يخطئ" (١ مل ٨: ٤٦).
و"من يقول أنّي زكيت قلبي تطهّرت من خطيئتي؟! (أم ٢٠: ٩). وليس أحد طاهراً من خطيئة ولو كانت حياته على الأرض يوماً واحداً". يصمّ داود على نفس الأمر: "بالآثام حبل بي وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥). وفي مزمور آخر يقول: "في عينيك لا يتبرّر قدامك حي" (مز ١٤٣: ٢)... إذ يقال "في عينيك" يعني أولئك الذين يبدون قديسين للبشر، فإنهم في عيني الله في كمال معرفته ليسوا قديسين بالمرّة. "لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأمّا الرب فإنّه ينظر إلى القلب" (١ صم ١٦: ٧)^٢.

القديس جيروم

"فإذا زدوا إلى قلوبهم في الأرض التي يسبون إليها،

ورجعوا وتصرّعوا إليك في أرض سبيهم قائلين:

قد أخطأنا وعوجنا وأذنبنا.

ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم في أرض أعدائهم الذين سبواهم،

وصلوا إليك نحو أرضهم التي أعطيت لأبائهم نحو المدينة التي اخترت والبيت الذي بنيت

لاسمك" [٤٧-٤٨].

يصلّي سليمان الحكيم هنا بروح النبوة، فيرى ما سيحل بشعبه وبهيكل الرب خلال السبي البابلي على يد نبوخذنصر عام ٥٨٦/٥ ق.م. يقول: "ورجعوا إليك من كل قلوبهم" مؤكّداً الاهتمام بالصلاة والتوبة من القلب.

¹ A Metaphase of the Book of Ecclesiastes, 8.

² St. Jerome: Letters, 133:2.

❖ الله لا يطلب الكلمات بل قلوبكم^١.

❖ إِنَّا بِالْقَلْبِ نَسْأَلُ، وبِالْقَلْبِ نَطْلُبُ، ولصوت القلب يفتح الباب^٢.

❖ لا يتم الصراخ لله بصوت جسدي، بل بالقلب. كثيرون شفاهم صامته لكنهم يصرخون بالقلب، وكثيرون يقدّمون ضجيجًا بشفاهم، أمّا قلوبهم فصارت عاجزة عن تقديم أي شيء. لذلك إن صرخت إلى الله، أصرخ إليه من الداخل حيث هناك يسمعك^٣.

القديس أغسطينوس

"فاسمع في السماء مكان سُنْكَاتِ صَلَاتِهِمْ وَتَضَرُّعِهِمْ وَأَقْضِ قَضَاءَهُمْ.
وَاعْفِرْ لَشَعْبِكَ مَا أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيْكَ، وَجَمِيعَ ذُنُوبِهِمْ الَّتِي أذْنَبُوا بِهَا إِلَيْكَ،
وَأَعْطِهِمْ رَحْمَةً أَمَامَ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ، فِيرْحَمُوهُمْ" [٤٩-٥٠].

الله الذي بحبه يُحَرِّكُ الكل لبنيان نفوسنا، هو الذي يسمح بالتأديب حتى بالسبي، وهو الذي يحرك قلوب الذين يُسَبُّون سواء ليمارسوا عنفهم لكن في حدود يضعها، أو يمارسوا الرحمة، فيعطي شعبه نعمة في أعينهم. يترنم المرتل قائلاً: "وذكر لهم عهده وندم حسب كثرة رحمته، وأعطاهم نعمة قدام كل الذين سبوه" (مز ١٠٦: ٤٥-٤٦).

لم يُصَلِّ من أجل خلاصهم من السبي بالعودة إلى أرضهم، إنّما بإعطائهم نعمة في أعين الذين سبوه، فيتركونهم يعبدون الرب ويشهدون له وسط السبي كشعب مؤمن حقيقي.

"لأنّهم شعبي وميراثك الذين أخرجت من مصر من وسط كور الحديد.
لتكون عينك مفتوحة نحو تضرّع عبدك وتضرّع شعبك إسرائيل،
فتصغي إليهم في كل ما يدعونك" [٥١-٥٢].

يفترض سليمان الحكيم أنّه هو وشعبه رجال صلاة، في كل أمورهم يركّزون أنظارهم على بيت الرب، ويفتحون أفواههم للحديث معه، وقلوبهم للصراخ إليه.

يقدم هنا حالات معينة على وجه الخصوص:

• القضاء بين الشعب، لتبرير البار ومعاقبة المذنب، أي الاستجابة لصلاة الشخص العضو في

¹ Sermon, 91:3.

² Sermon, 91:3.

³ On Ps. 30:10.

الجماعة المقدّسة.

- عند الهزيمة أمام العدو، أي في حالة كارثة جماعيّة.
 - إن حدث جفاف أو وبأ، أي في حالة كارثة خاصة بالطبيعة.
 - إن جاء أجنبي يطلب من الله، وثقاً فيه، لا في الآلهة الوثنيّة.
- وكأنّه يقدّم أربع عيّنات لاستجابة الله لصلوات الفرد كما الجماعة، والطبيعة كما الأجنبي عن الشعب، وهو يفترض أن ما يحل بالفرد أو بالجماعة إنّما هو ثمرة الخطيئة. لذلك يربط الصلاة بالتوبة والرجوع إلى الله عملياً.

"لأنّك أنت أفرزتهم لك ميراثاً من جميع شعوب الأرض كما تكلمت عن يد موسى عبدك،
عند إخراجك آباءنا من مصر يا سيّدي الرب" [٥٣].

و. مباركة الشعب

"وكان لما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب بكل هذه الصلاة والتضرّع،

أنّه نهض من أمام مذبح الرب من الجثو على ركبتيه،

ويده مبسوطتان نحو السماء" [٥٤].

قدّم لنا سليمان صورة حيّة للصلاة، فإنّه صلّى أمام مذبح الرب جاثياً على ركبتيه في خشوع،
وباسطاً يديه نحو السماء، ليحمل مع الورع صورة الصليب، مفتاح السماء.
اعتاد بولس الرسول أن يصلّي راکعاً، إذ يقول: "بسبب هذا أحنى ركبتيّ لدى ربنا يسوع المسيح"
(أف ٣: ١٤).

يبسط الله يديه ليعلن احتضانه لكل البشر، ولكي يتقبّل صلواتهم، معلناً اشتياقه أن يهب المؤمن
كل احتياجاته. ويبسط المؤمن يديه في الصلاة ليعلن اتّساع قلبه، وشوقه أن يصعد قلبه بالحب إلى
السماء. بسط اليدين أيضاً يحمل إشارة يقين المؤمن أنّه ينال من الله عطايا سماويّة يستقبلها بذراعيه
ليحملها إلى قلبه.

"ووقف وبارك كل جماعة إسرائيل بصوت عال قائلاً:

مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به،

ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده.

ليكن الرب إلهنا معنا كما كان مع آبائنا فلا يتركنا ولا يرفضنا.

ليميل بقلوبنا إليه لكي نسير في جميع طرقه،
ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أوصى بها آباءنا.
وليكن كلامي هذا الذي تضرعت به أمام الرب قريباً من الرب إلهنا نهاراً وليلاً، ليقضي قضاء
عبده وقضاء شعبه إسرائيل أمر كل يوم في يومه.
ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" [٥٥-٦٠].

كما ختم سليمان عظته في سفر الجامعة ليقدم مخلصاً مقتضياً لها، هكذا يختم صلاته هنا ليقدم
للشعب مخلصاً لها:

- يعطي مجداً لله من أجل أعماله مع شعبه [٥٦].
 - يشير إلى وعود الله الصادقة لموسى النبي وداود الملك، وكيف تحققت كل كلماته [٥٦].
 - يفتح باب الرجاء أمام الشعب، فكما كان الرب مع آبائنا يكون معنا وهو لا يرفضنا [٥٧].
 - يؤكد حاجتنا إلى الله نفسه ليميل قلوبنا إليه، فنحفظ وصيته [٥٨].
 - الله يسمع الصلوات [٥٩].
 - يتمجد الله في شعبه وسط كل الشعوب [٦٠].
- كثيراً ما يكرّر سليمان مؤكداً الحاجة إلى الحضرة الإلهية، والتمتع بقوة نعمته، وقبول الله للصلاة،
وتمجيد الله وسط الشعوب.

ز. دعوة لطاعة الوصية

"فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب إلهنا،

إذ تسبرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم" [٦١].

جاءت الكلمة العبرية المترجمة هنا "كاملاً" *shaaleem* تعني صحيحاً أو سالمًا، ليس فيه انقسام،
بل بكلية مكرّس للرب، أي يكون صادقاً ومخلصاً في حبه للرب.

ح. تقديم ذبائح حب

"ثم أن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب" [٦٢].

اتّسمت فترة حكم سليمان بالسلام وعدم الدخول في معارك ممّا كان له أثره على حالة الشعب
الاقتصادية. اتّسم عصره بالخير والغنى، لهذا كان لا بد للشعب أن يقدم مع ذبيحة التسبيح والفرح ممّا
وهبه الله من غنى وأغنام كذبائح.

"وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً،
ومن الغنم مائة ألف وعشرين ألفاً.
فدشن الملك وجميع بني إسرائيل بيت الرب" [٦٣].

يخطئ البعض حين يظنون استحالة تقديم ٢٢ ألفاً من البقر ومائة ألفاً وعشرين ألفاً من الغنم كذبائح، للأسباب التالية:

- بقوله "ذبح سليمان" لا يعني أنه ذبح هذه الآلاف بنفسه، وإنما قدّم هذه الأعداد لكي تُذبح. هذا ويمكن القول بأن الشعب اشترك في تقديم هذه الذبائح للكهنة واللاويين وحسبها الرب عطية من يد سليمان كتمثّل لكل الشعب.
- يرى البعض أنه كان يمكن للشعب أن يقوم بالذبح لكن عمل الكاهن هو رش الدم ووضع الحمل على المذبح ليُحرق.
- ورد في يوسيفوس^١ أنه في عهد بيرون طلب *Cestius* من الكهنة أن يحصوا عدد الحملان التي قُدّمت للفصح فوجدوا أنها ٢٥٠٠٠٠٠ حملاً في ثلاثة ساعات بعد الظهر، وأن يُرش دماؤها على المذبح.
- ويرى آخرون أن عدد الكهنة واللاويين كان كافياً لتقديم الذبائح. ففي أيام داود النبي كان عدد اللاويين من سن الثلاثين فما فوق ٣٨٠٠٠ شخصاً، وربما كان عدد الكهنة ألفين أو ثلاثة آلاف.
- لم تُقدّم هذه الذبائح في يومٍ واحدٍ، بل خلال فترة العيدين (الأسبوعين)، عيد تدشين الهيكل وعيد المظال.

"في ذلك اليوم قدس الملك وسط الدار التي أمام بيت الرب،
لأنه قرب هناك المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة،
لأن مذبح النحاس الذي أمام الرب كان صغيراً عن أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح
السلامة" [٦٤].

ط. عيد وفرح

"وعيد سليمان العيد في ذلك الوقت وجميع إسرائيل معه جمهور كبير من مدخل حماة إلى وادي
مصر أمام الرب إلهنا سبعة أيام وسبعة أيام أربعة عشر يوماً.

¹ Bell. Jud. VI. 9,3.

وفي اليوم الثامن صرف الشعب.

فباركوا الملك، وذهبوا إلى خيامهم فرحين وطيبين القلوب،

لأجل كل الخير الذي عمل الرب لداود عبده ولإسرائيل شعبه" [٦٥-٦٦].

من حماة شمالاً غالباً إنطاكية سوريا إلى وادي مصر جنوباً؛ أي من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

مارس سليمان وكل القيادات مع الشعب الاحتفال بتدشين الهيكل لمدة سبعة أيام، تلاها سبعة أيام أخرى حيث احتفلوا بعيد المظال، وفي اليوم الثامن بارك الشعب وصرقهم وهم متهللون بالفرح. ليس فقط وجد الشعب فرحه الفائق وشعبه في بيت الرب، بل حملوا هذا الفرح معهم إلى بيوتهم ليمارسوه كل أيام حياتهم.

"باركوا الملك" أي صلوا من أجله لكي يهبه الرب بركته ويحل بسلامه عليه. هكذا بارك سليمان كل الجماعة [٥٥]، وباركت الجماعة سليمان، إنَّه حب متبادل بين القائد والشعب في الرب.

من وحي ١ مل ٨

روحك القدوس يدشن هيكلك

❖ يوم تدشين هيكلك يوم عيد سماوي.

تفرح أنت بشعبك، وشعبك يفرح بك.

تهلّل سليمان والشيوخ والشعب مع الكهنة.

قدّموا ذبائح بلا عدد.

ملأ المجد بيتك، فلم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة.

❖ روحك القدوس يدشن هيكلك.

تفرح أنت بي وتقدّسني.

وافرح بك وأكرّس حياتي لك.

نتهلّل إرادتي كملك،

وعقلي كشيوخ الشعب،

وأحاسيسي ككهنة العليّ،

وكل طاقاتي كشعب الرب.

تتشارك كل طاقات نفسي وجسدي لتقديم محرقات حب.

❖ وعدتني أن تحل فيّ مع أبيك القدّوس.

فلا يملأ السحاب نفسي،

بل يملأ روحك القدّوس كل كياني.

لأصليّ مع سليمان قائلاً:

لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً.

لتسمع الصلاة التي يصلّيها عبدك في هذا الموضع.

اسمع أنت في موضع سُكناك في السماء.

وإذا سمعت فاغفر.

❖ هب لي قلباً كاملاً لديك.

فأسير في وصاياك واحفظها وهي تحفظني.

ليكن كل عمري عيد مضاعف لتدشين قلبي.

لأذهب إلى خيمتي متهللاً مترقباً يوم لقائك وجهاً لوجه.

الأصحاح التاسع

سموّ مملكة سليمان

يعتبر عصر داود الملك وابنه سليمان العصر الذهبي في التاريخ العبري. كان داود محاربًا وسليمان محبًا للتعمير. أقام داود المملكة بجهاده العسكري مع روح التقوى، وبنى سليمان الهيكل وقام بمشاريع تجارية وإنشاء أسطول بحري.

في العالم الخارجي كان ذلك الوقت هو عصر هومر *Homer* بدء التاريخ اليوناني؛ وكانت كل من مصر وأشور وبابل في غاية الضعف. أمّا مملكة إسرائيل فأتسمت بالقوة مع الازدهار، وصارت أورشليم المدينة المتألفة، تحتضن الهيكل الذي يعتبر أعظم مبنى على الأرض في ذلك الحين. جاء العظماء من كل العالم يسمعون حكمة سليمان ويرون مجده.

جاء الأصحاحان ٩-١٠ امتدادًا للأصحاح الرابع، حيث تحدّث عن سلطان سليمان وثروته وحكمته. هنا نرى الملك سليمان يهتم بالتجارة والأعمال العامة الضخمة. دخل في معاملات مع ملك صيدا ليستخدم أسطوله التجاري في البحر المتوسط، وصار له أسطول بحري في عصبين جابر وصار في قبضته الطريق التجاري الجنوبي خلال أدوم إلى ساحل العربيّة والهند وأفريقيا. أقام مملكته وثبّتها بالعمل التجاري المملوء سلامًا^١.

١. رؤيا سليمان الثانية ٩-١

٢. هبات متبادلة بين سليمان وحيرام ١٠-١٤

٣. أعماله ومنشأته ١٥-٢٣

٤. ابنة فرعون في مدينة داود ٢٤

٥. تقديم ذبائح سنوية ٢٥

٦. أسطوله البحري ٢٦-٢٨

١. رؤيا سليمان الثانية

"وكان لما أكمل سليمان بناء بيت الرب وبيت الملك وكل مرغوب سليمان الذي سرّ أن يعمل. إن الرب تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون.

¹ Halley's Bible Handbook, p. 191.

وقال له الرب: قد سمعت صلواتك وتضرّعتك الذي تضرّعت به أمامي.
قدّست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد.
وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام" [١-٣].

بنى سليمان الهيكل، مكرّساً كل الطاقات والمواهب الممكنة سواء من إسرائيل أو من الأمم لبنائه،
وقدم صلوات وبارك الشعب والشعب باركه، وعيّد هو وكل الشعب. إلى هنا توقّف عمل سليمان. أمّا
من يقدّس البيت فهو الله نفسه الذي بحبه يتقبّل هذه العطيّة، فيترأى له ثانية كما ترأى له عندما
استلم الحكم. أعلن الله حضرته في البيت بوضع اسمه فيه. ويكشف عن حقيقة هامة وهي أن تكون
عيناى وقلبه فيه. هكذا لا نستطيع بأنفسنا أن نتقدّس بل الله هو الذي يقدّسنا هياكل مقدّسة له، معلّناً
سكانه في داخلنا، وأن عينيه وقلبه متجهة نحو أعماقنا، يسكب كل حبه فينا، ويهتم حتى بعدد شعر
رؤوسنا. نصير بكليتنا مكرّسين له!

شهوة قلب كل مؤمن وكل لاهوتي حقيقي أن يكون من بين المختارين الذين يتمنّعون برؤية الله
في الحياة الأبدية. هذا ما يعلنه القديس يوحنا الرسول: "لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢). غير أنّه
في ذات الرسالة يقول: "الله لم ينظره أحد قط" (١ يو ٤: ١٢). ويؤكّد الرسول بولس: "ساکناً في نورٍ
لا يُدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (١ تي ٦: ١٦).

بينما يؤكّد الكتاب المقدّس بعهديه عدم إمكانية الإنسان لرؤية الجوهر الإلهي تتمتع إشعياء النبي
بالحاضرة الإلهية (إش ٦٣: ٩)، وصارع يعقوب مع الله (تك ٣٢: ٢٤-٣٠)، وتحدّث معه موسى
وجهاً لوجه فأضاء وجهه من بهاء مجد الله (خر ٣٣: ١١؛ تث ٣٤: ١٠). ويطلب المرثل من الله أن
يشرق بنور وجهه عليه (مز ٤: ٦؛ ٣١: ١٦ الخ)، وفي العهد الجديد (رو ١: ١٩-٢٠؛ ١ كو ٢:
٣-٨؛ ١٣: ١٢؛ ١ يو ٣: ١-٢).

في المنتصف الثاني من القرن الثاني بعث الأب ثاوفيلس الأنطاكي إلى صديقه الوثني
أوتوليكس *Autolyctus* ثلاثة كتب يدافع فيها عن المسيحية^١، وقد سجّل لنا في الفصول السبع
الأولى من الكتاب الأول عن إمكانية رؤية الله، إذ سأله صديقه: أرني الله؟ لقد حدّثه عن الإعلان
الأخروي حيث يستطيع الإنسان لأن يرى الله الذي له وحده عدم الموت، إذ يحمل الإنسان عدم الفساد
في جسده كما في نفسه. هذه الرؤية الأخروية يلزم التمهيد لها برؤية إيمانية ينعم بها الإنسان في هذه
الحياة الحاضرة حين يحمل نقاوة داخلية، خلالها يرى ببصيرته الداخلية الأمور التي لا تُرى.

^١ *Theophilus of Antioch to Autolyctus PG6:1024-36.*

[إن قلت "أرني إلهك"، أجيبك "أرني أنت إنسانك، وأنا أريك إلهي".

أعطني البرهان على أن عيني نفسك تستطيع أن تنظرا، وأذني قلبك أن يسمعا... فإن الله ينظره القادرون على رؤيته، الذين لهم عيون أنفسهم مفتوحة...

يا إنسان، إن عيني نفسك قد انطمستا بخطاياك وشرورك¹].

ماذا يرى الإنسان خلال "الرؤية الإيمانية الحاضرة"؟ أنه لا يرى تأملات عقلية، ولا يتوقع رؤية منظورة... لكن - في رأي الأب ثاؤفيلس - يرى الله خلال أعمال محبته وعنايته وتدبيره للخليقة كلها، بل للإنسان ذاته. بمعنى آخر، لا يلتقي المؤمن مع الله ليتعرف على جوهر الله، ولا ليشبع فكره بلاهوتيات نظرية وفلسفية، إنما يلتقي معه لقاءً شخصياً... يدخل في "خبرة شخصية مع الثالث القدوس"...

إنقول لي لا يا من ترى الله، هل تظهر لي ما هي هيئة الله؟

اسمع يا إنسان. هيئة الله لا يُنطق بها، ولا يُمكن شرحها، إذ لا تراها العين الجسدية. أنه في المجد غير مُدرك، في العظمة لا، في العلو لا يُدرك، في القوّة لا يُقارن، في الحكمة منقطع النظير، في الصلاح لا يُضاهى، في الحنو لا ينطق به.

عندما أقول عنه أنه "ثور"، أنعت عمله؛

إن دعوته "الكلمة"، أَدعو سلطته؛

إن دعوته "عقلاً"، أتحدّث عن حكمته؛

إن قلت أنه "روح"، أتحدّث عن نسمة؛

إن دعوته "العناية"، أشير إلى صلاحه؛

إن دعوته "الملكوت"، أشير إلى مجده؛

إن دعوته "الرب"، أشير إليه كديان؛

إن دعوته "الديان"، أشير إليه كعادل؛

إن دعوته "أب"، أتحدّث عنه كمصدر كل شيء؛

إن دعوته "ناراً"، أشير إلى غضبه²...].

"وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة،

¹ Chapter 2.

² Chapter 3.

وعملت حسب كل ما أوصيتك،

وحفظت فرائضي وأحكامي.

فإنِّي أقيم كرسي ملكك عن إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلاً:

لا يُعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل.

إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم.

بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها.

فإنِّي اقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إيَّاه،

والبيت الذي قدَّسه لاسمي أنفيه من أمامي،

ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب.

وهذا البيت يكون عبرة،

كل من يمرّ عليه يتعجّب ويصفرّ،

ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟" [٤-٨].

يحدّثهم الله من الارتداد عنه بإنكار الإيمان أو بعدم الطاعة لوصيَّته. فإن عدم الخضوع لوصيَّته هو إلحاد عملي. وجاءت العقوبة مضاعفة:

أولاً: يقطع الشعب عن وجه الأرض التي وهبهم إيَّاه، فإن كان الله قد وهبهم الله هذه الأرض إنَّما كرمزٍ لكنعان السماوية التي لا يليق أن يسكنها أحد نجس أو يوجد فيها شيء دنس. هكذا قطع الشعب أو طرده من أرض الموعد هو عمل طبيعي للأرض المقدَّسة التي لا تقبل فيها من لا يحفظ قدسيَّتها بعمل روح الله فيه.

ربُّنا بحبُّه دعانا لكي ندخل إلى الأرض المقدَّسة، كنيسته التي هو جسده المقدَّس. من لا يتجاوب مع عمل روحه القدوس يطرد نفسه من الكنيسة، حتى وإن نال مركزاً قيادياً. لهذا يقول العلامة أوريجينوس: [إنَّه يوجد كثيرون داخل الكنيسة، لكنهم هم خارجها!].

ثانياً: ينفي من أمامه بيته الذي قدَّسه لاسمه. فإن القدوس يشتهي أن يتمنَّع شعبه بالقداسة ليشاركوه سمته. وهو يقبل البيت الذي بنوه له كمقدس له. فإن فقد البيت غايته ألا وهو تقديس شعب الله، فإن الله ينزعه من أمامه. إن ما يشغل فكر الله هو "الشعب المقدَّس" ليعيش في أرض مقدَّسة، ويمارسوا العبادة في بيت مقدَّس.

هذا البيت الذي يُعتبر مثلاً رائعاً في المجد، وهو مُقام على قَمَّة عالية يشهد بجماله وبهائه عن

حضرة الله وسط شعبه، الآن إذ يرفض الشعب الحضرة الإلهية يصير "مثلاً وهزأة في جميع الشعوب". كان في القمّة في المجد، الآن يصير في القمّة في سخرية الشعوب به! هذا ما يسمح الله به لبيته متى أصر المتعبّدون على الرجاسة. وقد تم ذلك بالفعل في أيّام حزقيا (٢ أي ٢٩؛ مي ٦: ١٦). كما أنذر إرميا النبي بهذا (إر ١٨: ١٦؛ ١٩: ٨). تم خراب الهيكل عام ٥٨٦/٥٨٥ ق.م على أيدي البابليين. وعندما أُعيد بنائه في أيّام زبابل، وأيضاً في أيّام هيرودس لم يعد إلى مجده الأول.

ثالثاً: يقول "كل ما أوصيتك". في مثابرتنا لحفظ الوصايا باستقامة قلب نقبل ناموس المسيح كله، فلا نعرف أنصاف الحلول. نقبل الحياة الجديدة فيه بناموسها السماوي الروحي، نتفهم أسرار العهدين القديم والجديد وشرائعهما، لا على مستوي الحرف القاتل، وإنما على مستوى الروح الذي يبني. بهذا نقول: "حينئذٍ لا أخزي إذا ما تطلّعت على جميع وصاياك" (مز ١١٩: ٦).

❖ مادمننا نقول أن الأنبياء هم الطرق، فعندما نقرأ الشرائع والنواميس والأنبياء نكون قد سلكنا باستقامة في الطريق بالرب، فنفهم طريقه وندركها، حينئذٍ لا نخزي أبداً، إذ تصير هي طريقنا فنحفظ جميع وصايا الله.

العلامة أوريجينوس

❖ من يحفظ وصية ويترك غيرها يكون قد غدر بجميع الوصايا، إذ يهين الله الذي أوصى بها وربطها بعضها ببعض. فإن الذي قال لا تزنّ قال أيضاً لا تسرق، فإن سرقت تصير مدينياً للشريعة كلها، ولكن من يحرص على جميع الوصايا لا يخزي في يوم الدينونة الرهيبة.

أنثيموس أسقف أورشليم

إن كان العصيان للوصية قد دفع بأبويننا إلى الخزي، إذ يقول آدم: "سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخترت" (تك ٣: ١٠)، فإن طاعة السيد المسيح على الصليب قد نزعت عن المؤمنين اللعنة وأزالت الخزي وفتحت أبواب الفردوس حتى للص التائب! من يعصى الوصية يدخل إلى العار والخزي، ومن يبغي الطاعة الكاملة لا الجزئية للوصايا يجني ثمر المجد، ويرتدي ثوب العرس، ويترنم بفرح قائلاً: "حينئذٍ لا أخزي إذا ما تطلّعت على جميع وصاياك". فالوصية هي ارتباط بالكلمة الإلهي الذي يهبه بهاءً ومجداً أمام الآب وملائكته وقديسيه، ويهبه مهابة وسلطاناً ليدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

'فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر،
وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها،
لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر' [٩].

يرى لاكتانتيوس في هذا الحديث الإلهي نبوةً عن خراب الهيكل. كما يقول أيضًا: [حدثت هذه الأمور بواسطة الله بسبب صلب المسيح، إذ سبق أن أعلن هذا لسليمان في الكتب المقدسة... فأَيّ (دمارٍ) لا يستحقّه هؤلاء الذين قتلوا ربّهم الذي جاء لخلصهم؟¹].

٢. هبات متبادلة بين سليمان وحيرام

"وبعد نهاية عشرين سنة بعدما بني سليمان البيتين،
بيت الرب وبيت الملك" [١٠].

أدرك داود ما اتّسم ابنه سليمان من عبقرية وقدره على البناء مع الإمكانات العظيمة التي وضعها بين يديه لإتمام العمل. لذلك وجّه أنظار ابنه إلى أن البناء لا يتم بالعبقرية ولا بالإمكانات المادية أو البشرية، وإنما "إن لم يبين الرب البيت فباطلاً يتعب البنّاعون" (مز ١٢٧: ١). وضع هذا المزمور لكي يوجّه قلب ابنه إلى الله العامل في بناء بيته، فيحفظ قلبه بين يديّ الله ويعمل بروح القوّة. لقد بدأ سليمان العمل ببناء بيت الرب مستندًا على ذراعه الإلهي، فرافقه الرب لا في بناء الهيكل فقط وإنما حتى في بناء قصره وملحقاته. إذ بدأ بما هو لله، سنده الله فيما هو له.

جاء ترتيب إقامة المباني يكشف عن حكمة سليمان:
أولاً: هيكل الرب، مقدّمًا بكون أعماله الإنشائية لحساب الله نفسه.
ثانيًا: بيته أو قصره الملكي، حيث يشعر بشيء من الاستقرار في العمل الملكي أو الرعوي.
ثالثًا: بيت ابنه فرعون أو جناح النساء، حيث الاستقرار العائلي.
رابعًا: مدن المخازن لحفظ المنتجات والمحاصيل، وإسطبلات للخيل الخ.
خامسًا: أخيرًا بنى في لبنان لأجل مسرّته فيما يحتاجه للصيد والرفاهية.
وكأن ترتيب إقامة المباني جاء بالترتيب التالي: سكنى الله في وسط شعبه، استقرار العمل الملكي، الاستقرار الأسري، النفع الاقتصادي، المسرات.

"وكان حيرام ملك صور قد ساعف سليمان بخشب أرز وخشب سرو وذهب حسب كل مسرّته.

¹ Lactantius: The Divine Institutes, book 4:18

أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض الجليل" [١١].

قرأنا في الأصحاح الخامس عن الاتفاقية بين سليمان وحيرام. يكشف هذا الأصحاح عن تحقيق هذه الاتفاقية في جو من الصداقة مع الحب والصرحة والعدالة.

أ. نفذ حيرام من جانبه ما تعهد به من تقديم الخامات وتحقيق مطالب سليمان "حسب كل مسرته"

[١١].

ب. قدم سليمان لحيرام ٢٠ مدينة، غالباً من المدن الصغيرة، في أرض الجليل [١١]. يبدو أن هذه المدن لم تكن في تبعية أي سبط، جاءت حدود أشير فوق هذه المدن، (يش ١٩: ٢٧)، بقيت في أيدي سكانها حتى جاء سليمان فاستولى عليها وسلمها لحيرام (٢ صم ٢٤: ٧). تطلع إليها حيرام فلم يسر بها.

يبدو أن سليمان قدم هذه المدن لحيرام لا لتصير ملكاً له تُضم إلى مملكته دائماً، وإنما لكي يستغلها كيفما يريد حتى يتم تسديد أجرة العمال.

يرى يوسيفوس^١ أن هذه المدن تقع في شمال غرب أرض الجليل.

"فخرج حيرام من صور ليرى المدن التي أعطاه إياه سليمان، فلم تحسن في عينيه،

فقال: ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي؟

ودعاها أرض كابول إلى هذا اليوم" [١٢-١٣].

ويرى يوسيفوس المورخ اليهودي أنها دعيت كابول وهي كلمة فينيقية تعني "غير مسرة". فيما بعد أخذها سليمان من حيرام مقابل عطايا معينة، ربّما قدم له محاصيل زراعية أكثر. أصلح سليمان هذه المدن وجعلها مسكناً للإسرائيليين.

يتساءل البعض: لماذا لم يسر حيرام بالعشرين مدينة؟ هل كانت المدن بلا قيمة قدمها سليمان لحيرام وهو يعلم أنها غير نافعة له؟ أم كان حيرام مستغلاً يريد نوال أكبر مكسب؟

يجيب بعض الدارسين بأنه لم تكن هذه المدن بلا قيمة، ولم يكن حيرام مستغلاً. فالمنطقة دون شك لها قيمتها كأراضٍ زراعية، أمّا رجال حيرام فكانوا تجاراً لا خبرة لهم بالزراعة، ولا يريدون الدخول في هذا المجال. ما يسر حيرام وشعبه هو أن يفتح لهم مجال أوسع للعمل التجاري لا الزراعي.

¹ Antiquites b:viii, ch 7, sec 3.

فالشعب الذي له أسطول بحري وعلاقات تجارية دولية يتعجب كيف يمكن للإنسان أن يُسر بالعمل الزراعي، كسكان كابول. ومن الجانب الآخر الذين يهتمون بالعمل الزراعي لا يجدون مسرتهم في التجارة البحريّة، حيث البحر العنيف والمشاكل التي تواجه البحارة! لقد وهب الله لكل إنسان كما لكل شعب ما يمكن أن يبهجه ويُسرّه.

إذ لم يُسر حيرام بالمدن لأنّها لا تناسبه ربّما قدّم له الملك سليمان محاصيل أكثر، أو قام بتسديد أجرة العمال ذهبًا بعد الانتهاء من الأعمال الإنشائيّة.

واضح من يشوع (١٩: ٢٧) أنّه وجدت منطقة في أيام يشوع تسمى كابول، وكانت جزءً من أرض الموعد على حدود سبط أشير. لذا يترجم البعض الكلمة بمعنى "حدود"، وقد جاءت في الترجمة السبعينيّة بهذا المعنى *horion*.

"وأرسل حيرام للملك مائة وعشرين وزنة ذهب" [١٤].

يبدو أن هذا المبلغ كان قرضاً استدانه سليمان الملك من حيرام لكي يتمّ إنشاءاته الكثيرة بجوار بناء الهيكل. لقد ترك له والده الكثير لبناء الهيكل، وجمع سليمان الكثير سنويًا كجزية من الأمم الخاضعة له، لكن إنشاءاته كانت كثيرة وباهظة التكلفة. فقد بنى قصره وملحقاته كما أقام عددًا كبيرًا من المدن [١٧-١٩].

لقد أُرهِق الشعب ماليًا:

- من جهة قدّموا عطايا لبناء الهيكل.
- وأيضًا قدّموا من غلاتهم للملك حيرام مقابل العمال المهرة الذين بعث بهم للعمل.
- بناء قصر الملك وملحقاته.
- بناء مخازن الملك والمدن الجديدة.
- تسديد القرض الذي استدانه من حيرام.
- تسديد بقية أجرة العمال الفينيقيين لحيرام، إذ لم يُسر بالعشرين مدينة التي قدمها له سليمان، وهي على حدود فينيقيّة.

٣. أعماله ومنشأته

"وهذا هو سبب التسخير الذي جعله الملك سليمان

لبناء بيت الرب وبيته، والقلعة، وسور أورشليم، وحاصور ومجدو وجازر" [١٥].

يبدو أن أسوار داود أو حصنه (٢ صم ٥: ٩؛ ١ أي ١١: ٨) قد تهالكت بعد مرور حوالي ٥٠ عامًا عليها، لهذا التزم سليمان بتجديد مدينة داود وأسوارها (١ مل ١١: ٢٧).

كانت حاصور ومجدو وجازر من أهم المواقع في أرض الموعد.

جازر: اسم عبري معناه "تصيب أو مهر العروس". وهو اسم مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة تقريبًا، تبعد حوالي ١٨ ميلًا غرب أورشليم. كانت مدينة رئيسية في الجنوب، كانت مركز اتصال بمصر بسبب موقعها. تقع على الطريق نحو يافا، لها مركزها الإستراتيجي الهام جدًا في الطريق نحو مارس *Maris*، الطريق الرئيسي الذي يربط بين مصر وما بين النهرين. وهي قريبة من لخيش وبيت حورون السفلي (يش ١٠: ٣٣؛ ١٦: ٣). وهي بالقرب من تل جازر *Tell Jezer*، وتعرف الآن بأبي شوشة. لم يهزمها الإسرائيليون، كانت من نصيب أفرايم (١ أي ٧: ٢٨)، واختيرت مدينة للاويين (يش ٢١: ١-٢١؛ ١ أي ٦: ٦٧). لكنها لم تخل قط من سكانها الأصليين حتى أيام سليمان، ويبدو أنهم كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال (١ مل ٩: ١٦).

استولى عليها الفلسطينيون (٢ صم ٥: ٢٥؛ ١ أي ٢٠: ٤). في أيام سليمان الملك استولى عليها فرعون ملك مصر وقدمت مهرًا لابنة فرعون عند زواجها من سليمان (١ مل ٩: ١٦). هذه العادة كانت سائدة خاصة بين الملوك، وهي أن يقدم والد العروس مهرًا للزوجة. وكان بعض الملوك يقدمون مراكز ملكية لزوج ابنته كمهر مقدم للأميرة.

وإذ هي في طريق عام من يافا إلى أورشليم وجبعون كانت تحتاج أن تتحصن. هكذا قام سليمان لا بإعادة بنائها فحسب بل وتحصينها، وجعلها مركزًا عسكريًا واقتصاديًا (٩: ١٥-١٩). هدمها الآشوريون. كانت حصنًا عسكريًا هامًا في الحروب اليهودية، ففي حروب المكابيين قووا تحصيناتها (١ مك ٩: ٥٢)، وقد أخذها سمعان المكابي بعد حصار، اسمها الحالي تل الجزر.

"صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار.

وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة،

وأعطاها مهرًا لابنته امرأة سليمان".

"وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلي.

وبعلة وتدمر في البرية في الأرض" [١٦-١٨].

بيت حورون: أو *Beit. Vr. Tachta*، موقعها أيضًا ممتاز مثل جازر وكان يلزم تحصينها.

تدمر: تعرف بين كثير من الدارسين أنها ذات المدينة بالميرا *Palmyra*. ويبرز البعض ذلك بأن

"تدمر" هي مشتقة من كلمة "تمر *Tamar, Tamor*"، وهي في العبرية كما في العبرية معناها "بلح". بعد أن استولى عليها الإسكندر الأكبر دعاها بالميرا *Palamyra*، أي مدينة النخل. بقاياها مملوءة بالأعمدة الكثيرة وآثار هياكل وقبور مزخرفة وهيكل الشمس العظيم.

مدينة في الصحراء، وهي قديمة جدًا. كانت من أجمل مدن العالم. تقع في جنوب اليهودية (حز ٤٧: ١٩؛ ٤٨: ٢٨)، على بعد ١٤٠ ميلًا من الشمال الشرقي من دمشق، و ١٢٠ ميلًا غرب نهر الفرات.

حاليًا خربة تمتد نحو ميل ونصف. تكشف بقايا منطقة *Palmyra* إلى يومنا عن عظمة سليمان وسموه. وهي واحة تقع في منطقة خصبة محاطة بصحراء قفر من كل جانب. تقدّم لنا اكتشافات جامعة شيكاغو الخاصة بمجدو *Megiddo* أنها منطقة مكتظة بحجارة "إسطلات" منذ أيام سليمان. هذا الإسطل كان متسعًا، تقدّر إمكانياته بأنه كان يحتضن ما بين ٣٠٠-٥٠٠ فرسًا. وقد وصف *Wood* و *Dawkes* بدقة بقايا المنطقة، جاء ختام وصفهما التفصيلي بقولهما بأنه لم ير العالم قط مدينة أكثر مجداً وتشامخاً في العصور القديمة والمعاصرة، ليس فقط بمبانيها ومركزها بل وأيضاً الأشخاص الذين تخرّجوا منها مثل *Longinus* وزنوبيا *Zenobia*. في أيام الملكة زنوبيا *Zenobia* (زينب أو الزباء) جعلتها عاصمة مملكتها، غير أن أورليس دمّرها سنة ٢٧٣ ق.م.

قرية تدمر الحديثة داخل أسوار هيكل الشمس العظيم، وآثارها لا يضاهاها في الرنق والاتساع في كل سورية إلاّ بعلبك. مياهها غزيرة تجري من تحتها في أفنية قديمة، وأعظم ينابيعها تجري في قناة طبيعية تحت الجبل جنوبي المدينة. أمّا القبور فأكثرها خارج المدينة وهي غاية في الإتقان، بعضها محفور في الصخر تحت الأرض، وبعضها مبني على هيئة أبراج. وكانت المدينة ملآنة بالتماثيل المنحوتة ونواديس فيها مومياء شبيهة بما في قبور مصر.

إذ تقع بين سوريا وما بين النهرين كان لها أهمية تجارية قبل أيام سليمان، وقد حصنها سليمان لمقاصد تجارية وكموقع دفاع من أي هجوم من شمال آسيا.

يقول **يوحنا الأنطاكي** بأن نبوخذنصر في طريقه لمحاصرة أورشليم خرب المدينة.

بعلة: اسم سامي معناه "سيّدة". وهي مدينة في دان (يش ١٩: ٤٤). لا يعرف موقعها الآن على وجه التحديد، يظن البعض أنها كانت في جنوب فلسطين بالقرب من شبيلة *Shepelah* أو سهل فلسطين (٢ أي ٨: ٥)، تدعى أون *Aver, On* (عا ١: ٥). يرى **يوسيفوس**^١ أنها لم تكن بعيدة عن

^١ *Antiq. Viii: 6:1.*

جازر، وبالتالي فهي ليست بعلبك.

"وجميع مدن المخازن التي كانت لسليمان ومدن المركبات ومدن الفرسان،

ومرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في اورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطنته" [١٩].

مدن المخازن: بنيت خصيصاً لكي تودع فيها مئونة الدولة من طعام ومواد بناء ومعدّات حربية.

كانت هذه المدن تشير إلى مدى غنى الدولة وازدهارها اقتصادياً وقوتها العسكرية ومجدها السياسي.

قُسمت إسرائيل إلى اثني عشر قسماً أو محافظة، كل قسم يُقدّم نصيباً من المئونة لأورشليم أو

للقصر الملكي، لا يتم هذا مباشرة، بل خلال مدن المخازن قبل تسليمها.

كانت هذه المدن تضم مخازن لمئونة الجيش غالباً ما كانت في الشمال في حمة (٢ أي ٨ : ٤)

ونفتالي (٢ أي ١٦ : ٤). وأيضاً كانت لمئونة رجال الدولة في وقت الضيق (٢ أي ١٧ : ١٢ : ٣٢ :

٢٨)، كما بنى فرعون في أرض جاسان (خر ١ : ١١). وبكونها على الطرق التجارية فإنها كانت

تستخدم لمساندة المسافرين وحيواناتهم.

بنى الإسرائيليون كعبيد مدن مخازن في مصر مثل فيثوم ورعمسيس (خر ١ : ١١). أيضاً

يهوشافاط وحزقيا ملكا يهوذا بنيا مدن مخازن في أيام حكمهما (٢ أي ٧ : ١٢ ؛ ٣٢ : ٢٧ - ٢٩).

بقوله: "مرغوب سليمان الذي رغب أن يبنيه في اورشليم وفي لبنان وفي كل أرض سلطنته"

يكشف أنّه من الصعب حصر الإنشاءات التي قام بها الملك.

"جميع الشعب الباقيين من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من

بني إسرائيل.

أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرّمهم جعل عليهم

سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم.

وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيداً لأنهم رجال القتال،

وخدّامه وأمرأوه وثوّالته ورؤساء مركباته وفرسانه" [٢٠ - ٢٢].

عندما عاد سيزوستريس ملك مصر من حروبه بنى معابد كثيرة في كل مدن مصر ولم يستخدم

في بنائها مصرياً واحداً، بل قام بالبناء أسرى الحرب. وقد نقش على كل هيكل: "لم يعمل أحد من

المواطنين في هذه (المباني)". يبدو أن سليمان وضع نقشاً مشابهاً على منشأته.

تشغيل ثلاثين ألفاً من الإسرائيليين، بحيث يعمل كل شخص منهم لمدة شهر يليها شهران في راحة

لم يُحسب هذا تسخييراً، ولا عبودية. فقد كان ما يشغل قلب سليمان هو أن يعيش شعبه بروح الحرية

فيخرج منهم رجال قتال وأمراء، وقادة مدنيون وعسكريون.

"هؤلاء رؤساء الموكلين على أعمال سليمان: خمس مائة وخمسون الذين كانوا يتسلطون على الشعب العاملين العمل" [٢٣].

٤. ابنة فرعون في مدينة داود

"ولكن بنت فرعون صعدت من مدينة داود إلى بيتها الذي بناه لها،

حينئذ بني القلعة" [٢٤].

لم يسترح سليمان لإقامة ابنة فرعون في قصر داود الذي على جبل صهيون، القريب جداً من الهيكل. فقد تطلّع إلى موقع الهيكل كموضع مقدّس بحلول تابوت الرب فيه. فكان قصره على الجانب الآخر الغربي من النل. ربّما مقابل الهيكل مباشرة بينهما يجري وادي *Tyropoeum*.

٥. تقديم ذبائح سنوية

"وكان سليمان يُصعد ثلاث مرات في السنة محرقات وذبائح سلامة على المذبح الذي بناه للرب.

وكان يوقد على الذي أمام الرب،

وأكمل البيت" [٢٥].

كان يحرص أن يقدّم محرقات للرب وذبائح سلامة ثلاث مرّات سنويًا، أي في الأعياد الكبرى: الفصح والخمسين والمظال. هذا بجانب الذبائح التي كان يقدّمها من حين إلى آخر. لم يكتفِ ببناء الهيكل والمذبح، وإنما كان يشعر بالحاجة إلى الذبيحة لتحقق المصالحة مع الله. فالقائد الروحي الحيّ هو ذلك الذي يخدم الآخرين غير متجاهل حاجته هو إلى الخدمة.

بعد بناء الهيكل توقّف تقديم الذبائح على المرتفعات (١ مل ٣: ٢). الآن يقدّم سليمان المحرقات وذبائح الشكر ثلاث مرات سنويًا على المذبح الذي بناه للرب.

"وأكمل البيت": بلغ البيت كماله لا ببناؤه بالحجارة والأخشاب وتقديم الأثاثات الثمينة من الذهب والفضة والنحاس، وإنما بتقديم الذبائح المستمرة. فإن هذا العمل لن يكمل إلا بالخدمة الإلهية وسط الشعب، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق إلا خلال الذبيحة.

٦. أسطوله البحري

"وعمل الملك سليمان سفنًا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في

أرض أدوم" [٢٦].

أقام هذا الأسطول (٩: ٢٦) للتجارة مع العربية والهند والساحل الشرقي لأفريقيا. تقع عصيون جابر في نهاية شمال خليج العقبة بالبحر الأحمر. اكتشف بقاياها عام ١٩٣٨/٩ بواسطة الدكتور *Nelson Glueck* بالمدارس الأمريكية للبحث الشرقي. وجد بقايا لمصاهر المعادن لسليمان والأفران والبواقي ومعامل تكرير وأيضًا مستودعات من النحاس والحديد، بالقرب منها كان يصنع الأطباق والمسامير ورؤوس السهام وصنارات السمك، وتصدر مقابل العاج والذهب^١.

"فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان" [٢٧].

أرسل حيرام في سفنه عبيده الذين لهم خبرة في صنع السفن وفي التجارة البحريّة، الأمر لم يكن لإسرائيل في ذلك الحين أيّة خبرة. ففي عصيون جابر قام الصوريّون بصنع السفن. خاصة وأن عصيون جابر لم يكن بها من الأشجار سوى النخيل، التي لا تصلح أخشابها لبناء السفن، وإنّما في أسقف المنازل الداخليّة فحسب.

العلاقات التجاريّة بين الساحل الجنوبي من العربية والهند قديمة جدًا ترجع إلى ما قبل عصر سليمان أقامها السبائيّون. ولكن العلاقات التجاريّة بين العربية والساحل المقابل من أثيوبيا، خلالها كانت المنتجات الأفريقيّة تصل إلى العربية فهي دون أدنى شك أقدم بكثير من العلاقة بين العربية والهند.

"فأتوا إلى أوفير، وأخذوا من هناك ذهبًا أربع مائة وزنة وعشرين وزنة،

وأتوا بها إلى الملك سليمان" [٢٨].

الترجمة الحرفيّة هي "سفينة"، لذا يرى بعض الدارسين أن سليمان صنع سفينة تجاريّة واحدة. ربّما كانت التجارة مع أوفير مستقرّة من قبل سواء في أيدي الفينيقيّين أو في أيدي المصريّين. فعندما قرّر سليمان أن يشترك في هذه التجارة كان لمصر أسطولها في الذراع الثاني من البحر الأحمر يمتد إلى المناطق الجنوبيّة منذ زمن بعيد.

أوفير: اسم أرض سُمّيت باسم ابن يقطان هذا الذي استقرّ في جنوب بلاد العرب أو اليمن في الوقت الحاضر. وقد ورد اسمه مع اسم شبا وحويلة (تك ١٠: ٢٩؛ ١ أي ١: ٢٣). اشتهر هذا الموضع بالذهب (١ أي ٢٩: ٤؛ أي ٢٢: ٢٤؛ ٢٨: ١٦؛ مز ٤٥: ٩؛ إش ١٣: ١٢).

أرسل سليمان وحيرام أسطولًا تجاريًا من عصيون جابر على خليج العقبة إلى أوفير، فأحضر ذهبًا

¹ Halley's Bible Handbook, p. 192.

وخشب صندل وحجارة كريمة (١ مل ٩: ٢٦-٢٨؛ ١٠: ١١).

يرى البعض أن أوفير تقع على شاطئ أفريقيا الشرقي أو أنها في بلاد الهند خلف نهر Ganges، لكن الأرجح هي في بلاد اليمن بجوار بلاد السبائيين. ويرى آخرون أن كلمة "أوفير" اسم عام كان يطلق على المناطق الجنوبية على بحار أفريقيا والعربية والهندية. والبعض يرى أنها خاصة بـ Ceylon.

يُقدر البعض ٤٢٠ وزنة من الذهب بحوالي مليونين وستمائة ألف جنيهًا إسترلينيًا، تمت رَمًا في صفقة واحدة أو على صفقات متتالية.

من وحي ١ مل ٩

هب لي يا رب أن أراك!

❖ تمنع سليمان برؤياك مرتين:

في جبعون حين صار ملكًا.

ويعد بناء الهيكل.

هب لي أن أراك فأنت أقممتي ملكًا،

وروحك القدوس يقدس أعماقي بيتًا لك.

لنكن عينك وقلبك في أعماقي كل أيام غربتي.

أنت هو بهجتي وبري وقداستي.

❖ تجليكي لي يعلمني الصداقة مع إخوتي.

أتعامل بالحب مع الصراحة مع إخوتي.

كما كان سليمان مع حيرام.

❖ تتراءى لي، فكل الطاقات تبني بيتك في داخلي.

كل الأمم المحيطين سخرهم سليمان للعمل.

ليعمل الكل في خضوع للبنيان.

❖ ظهورك له وهبه نجاحًا في أسطوله التجاري.

كل ما تمتد إليه يديه يكون نجاحًا.

أنت هو سر نجاحي.

عصر سليمان الذهبي

[ص ١٠]

ملكة سبأ تُعجب بحكمة سليمان

أبرزت الأصحاحات السابقة استقرار مملكة سليمان، واهتمامه بالعمل الإنشائي. بدأ ببيت الرب وملحقاته، ثم قصره الخاص وملحقاته، فجنّاح ابنة فرعون، ثم مدن المخازن، وأخيراً منشآت لأجل مسرّته. لكننا لم نسمع عن اهتمامه بإقامة منشآت خيريّة كالمستشفيات أو ملاجئ للفقراء، ولا أقام مدارس ومنشآت علميّة ودراسيّة. كما لم نسمع عن اهتمامه بتربيّة ابنه رجبام وليّ العهد. لقد أوضح هذا الأصحاح عظمة حكمة سليمان، إذ اعترفت ملكة سبأ بأن ما رآته أعظم ممّا سمعته عنه.

- عظمة غناه: قدّمت له ملكة سبأ الكثير من الذهب والأطياب والحجارة الكريمة، كما قدّم له ملوك الدول المحيطة بفيضيّ.
- عظمة سخائه، كان يأتيه الكثير، ويقدم أيضاً الكثير.
- عظمة مظهره: أتراس من ذهب، كؤوس من ذهب، عرش فريد في العظمة.
- عظمة قوّته: مركبات وخيل بكثرة [٢٦].
- قدرته التجاريّة: تبادل تجاري مع مصر [٢٨-٢٩].
- غنى شعبه: [٢٧].

إذا وضعت كل الأمور معاً يمكن القول بأن سليمان قد فاق كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة، لكنّه كان ظلماً للمسيح الذي قال عن نفسه: "هوذا أعظم من سليمان ههنا" (مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٣١).

١. زيارة ملكة سبأ ١-١٣.

٢. غنى سليمان ١٤-٢٩.

١. زيارة ملكة سبأ

جاءت ملكة سبأ تزوره لترى وتلمس ما قد سمعته عنه. قدّمت له هدايا ثمينة بوفرة، كما اختبرته

بأسئلة قدم لها إجابات وافية، كشفت عن إعجابها بحكمته ومنشأته، وسبّحت الله الذي أقام مثل هذا الملك على شعبه.

"وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب،

فأتت لمتحنه بمسائل" [١].

يتساءل البعض إن كانت ملكة سبأ أثيوبية أم عربية أم هندية. فلدَى كلِّ من أثيوبيا واليمن تقليد به يربطون ملكة سبأ بتاريخهم، خاصة وأن وجود ملكة تحكم البلاد كان عامًا في المنطقتين. دعاها السيّد المسيح ملكة الجنوب، لأن سبأ في جنوب كنعان. الرأي السائد أن سبأ في أفريقيا، يعتبر الأثيوبيون إلى يومنا هذا أن ملكة سبأ جاءت من بلادهم، وأن كنداكة (أع ٨: ٢٧) هي خليفتها.

يرجّح البعض أنّها من اليمن للأسباب التالية:

- كانت سبأ العربية منطقة مشهورة بالأطياب في العالم القديم، وكانت غنيّة بمناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة.
 - سبأ العربية كانت مملكة هامة، بينما سبأ الأثيوبية كانت مجرد مدينة.
 - إن كانت أوفير في العربية، فيكون ذلك سببًا إضافيًا لاعتبار سبأ في نفس المنطقة. لأن تجارة سليمان مع أوفير نشرت أخباره ووصلت شهرته منها إلى ملكة سبأ.
- يرى البعض الدارسين أن سبأ كانت مملكة مستقلة، شعب مميز من الأثيوبيين والعرب.
- "لمجد الرب" [١]: مع ما اتّسم به سليمان من مواهب كثيرة مثل النطق بأمثال وأناشيد والحكمة العسكرية والسياسية والذوق الفني في البناء، إلّا أن شهرته كانت "لمجد الرب"، بمعنى آخر ما انتشر عنه أنّه رجل الله التقى.

ما هو الدافع لملكة سبأ أن تأتي بقافلة مسافة أكثر من ١٠٠٠ ميل؟ لقد ارتبط اسم سليمان باسم الله، فجاءت تقدّم له أسئلة صعبة لتعرف ماذا يعني هذا الإله المتعبّد له بالنسبة لها. لقد استجاب الله لطلبية سليمان أن تأتي الشعوب وتتعرف على الله وتساله في بيته (١ مل ٨: ٤١-٤٣).

كان من عادة بعض الملوك أن يمارسون رياضة ملوكية بأن يقوموا بزيارة الملوك المعاصرين ويختبرون إمكانيّاتهم وقدراتهم في التدبير. فقد سمعت ملكة سبأ الكثير عن سليمان فظنّت أنّها من وحي الخيال. جاءت بنفسها إلى أورشليم والتقت بسليمان وقدمت له أسئلة، وإذ أجابها على أسئلتها أدركت حكمته الفائقة ومجّدت الله الذي أقام سليمان ملكًا ووهبه حكمة وبرًا [٩].

هل استمرت ملكة سبأ في إيمانها بالله؟ كل ما نعرفه أن السيد المسيح تحدّث عنها مع أهل نينوى كمثلين حينّ لقبول الأمم لله الحي في العهد القديم والتجاوب معه (لو ١١ : ٢٩-٣٢).

"فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً،

بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة،

وأتت إلى سليمان، وكلمته بكل ما كان بقلبها" [٢].

مجيبها بقافلة ضخمة من الجمال يؤكّد أن سبأ ليست في الهند كما ظن البعض، إذ لا يمكن لمثل

هذه القافلة أن تأتي من المحيط الهندي، لكنّها كانت وسيلة الانتقال في العربيّة.

لم ترسل ملكة سبأ رسولاً ليكتشف شخصيّة سليمان، بل ذهبت بنفسها. لقد حملت ذهباً كثيراً وحجارة كريمة وأطياباً لكي تستمتع بالحكمة من فم سليمان. وها هو حكمة الله نفسه يود أن يهبنا ذاته مجاناً لنحمله فينا. ذاك الذي هو أعظم من سليمان، ومع هذا كثيراً ما نهرب منه. لقد جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله.

من جانب سليمان فإنّه لم يوبّخها على تركها شؤون مملكتها لتتحمل مشاق هذه الرحلة الطويلة، بل رحّب بها، وأعطاها الفرصة لكي تتكلّم بكل ما في قلبها. أجابها على أسئلتها سواء الطبيعيّة أو السلوكيّة أو السياسيّة أو الدينيّة.

"فأخبرها سليمان بكل كلامها،

لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به" [٣].

يرى يوسيفوس المورّخ^١ أنّها لم تقدّم أسئلة فلسفيّة، ولا دخلت معه في حوار ديني أو أخلاقي، إنّما قدّمت ما جمعته من أحجية وألغاز صعبة، فقد عُرف الشرفيون قبل أيام سليمان بالتلاعب في الألفاظ، كما حدث مع شمشون (قض ١٤ : ١٢-١٤). ولا يزال يشتهر الشرق بهذا حتى يومنا هذا. قدم لنا التلمود كثير من القصص والأحجية التي دارت بين ملكة سبأ وسليمان، وانتشرت أيضاً بطريقة أو أخرى في منطقة فارس وبلاد العرب بين ملوكهم.

جاء عن ملكة سبأ أنّها كلما قدّمت أحجية صعبة كان سليمان يفكره الناخب وسرعة بديهته يجيب عليها. أخيراً قدّمت باقة ورود جميلة صنّعت بإتقان شديد حتى يصعب تماماً على الإنسان أن يميّزها من الورد الطبيعيّة. نسّقت الباقة بطريقة مبدعة ومدهشة ثم قدّمتها للملك. وقدّمت معها باقة أخرى

¹ *Antiquities, b viii, ch 5, sec. 3.*

من الورود الطبيعيَّة تشبهها تمامًا.

ارتبك كل الحاضرين إذ يصعب على العين أن تميِّز بين الباقَّة الطبيعيَّة والباقة الصناعيَّة. في البداية لاحظ الحاضرون أن الملك - لأول مرة - يقف مرتبكًا. صمت الجميع وارتبكوا جدًّا خشية أن يُخذل ملكهم. لكن الملك بسرعة شديدة جاء بعدد من النحل الذي يحوم حول الورود وأطلقه، فاتَّجه نحو الورود الطبيعي. فأمسك الملك بالباقة الطبيعيَّة وترك الورود الصناعي، عندئذ صَفَّق جميع الحاضرين ودُهشت الملكة لحكمة سليمان واتَّقاد ذهنه.

"فلما رأَت ملكة سبأ كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه" [٤].

يرى اليهود في تعبير "حكمة *chaakmat* سليمان، دائرة منسَّعة من المواهب الفكريَّة والقدرات العقليَّة والعملية، فالحكمة هنا ليست معرفة نظريَّة بل عمليَّة تجلَّت في قدرته على تنظيم شئون مملكته، وتدبير قصره الملكي، وتمتُّعه بأنهار من الغنى تفيض على مملكته بالتجارة الدوليَّة، وحكمته في بناء الهيكل وتنظيم الخدمة فيه، ومهارته الفنيَّة والأدبيَّة، وتقواه، واهتمامه بالعبادة الجماعيَّة، وتقديم المحرقات باسم الشعب كله.

"وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدَّامه وملابسهم وسُقاته ومحرقاته التي كان يصعدُها في بيت الرب،

لم يبقَ فيها روح بعد.

فقالَت للملك: صحيحًا كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك.

ولم أصدِّق الأخبار حتى جنَّت وأبصرت عيناى،

فهوذا النصف لم أُخبر به،

زدت حكمة وصلاحًا على الخبر الذي سمعته" [٥-٧].

لاحظت دقَّة نظام تدبير الأكل اليومي على مائدته التي ضمَّت الألوفا يوميًا، وتدبير جلوس عبيده كلِّ حسب رتبته. والاهتمام حتى بمظهر عبيده وملابسهم البهيَّة.

"كان يصعدُها"، ربَّما يعني بالصعود هنا أنَّه كان يسلك طريقًا خاصًا يعبره الملك من قصره إلى التل الغربي عبر وادٍ صغير منحدر ثم يصعد على التل الشرقي حيث الجانب الغربي من منطقة الهيكل.

"لم يبقَ فيها روح"، إذ كادت أن يُغى عليها من شدَّة الدهشة التي لحقت بها.

اعترفت الملكة بأن ما قد بلغها كانت تظن أنَّه مبالغ فيه. الآن أدركت أن هذا التقرير قدَّم نصف

الحقيقة. فإن ما شدَّ اهتمامها ليس ما سمعته من شفّتيّ الملك، بل وما رأته بعينها. أُعجبت بكلماته كما بأعماله. امتدحتته من أجل ما ناله من موهبة الحكمة، وما تمتّعت به حياته العمليّة من صلاح وتقوى. فقد امتزجت معرفته بسلوكه العملي، وتُرجمت مفاهيمه خلال حياته.

مجّدت ملكة سبأ إله إسرائيل، لا بمعنى أنّها تركت آلهتها لتعبد إله إسرائيل، بل آمنت به كأحد الآلهة الأخرى. يرى بعض الكُتّاب اليهود أنّها دخلت الإيمان بتأثير سليمان وعبدت الله الحيّ، غير أن البعض يستبعد ذلك، إذ لا نجد أثرًا لتقديم عطايا للهيكَل من جانبها. ما قدّمته من هبات كان للملك شخصيًا.

ما قدّمته من هبات ليس جزية التزمّت بها، وإنّما علامة صداقة لا على المستوى الشخصي فحسب بل على مستوى صداقة البلدين.

يقول *Strabo* أن السبائيين كانوا أغنياء جدًّا، استخدموا الذهب والفضّة بطريقة مبالغ فيها في أثاثاتهم وعلى الحوائط والأبواب وأسقف بيوتهم.

"طوبى لرجالك،

وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائمًا، السامعين حكمتك" [٨].

طوّبت الملكة رجاله الواقفين أمامه وعبيده الذين يخدمونه، فإنّهم بالتقاءهم به وبخدمتهم له يشاركونه الحياة المطوّبة أو السعيدة. هكذا من يسكن مع رب سليمان في بيته، ويخدم ملكوته ينعم بشركة الحياة معه، فيعيش مطوّبًا، أي يشاركه حياته السماويّة.

"ليكن مباركًا الرب إلهك الذي سرّ بك، وجعلك على كرسي إسرائيل،

لأن الرب أحبّ إسرائيل إلى الأبد.

جعلك ملكًا لتجري حكمًا ويرا" [٩].

لم تأت ملكة سبأ لتقيم علاقات تجاريّة أو سياسيّة، لكنّها جاءت تتأكّد ممّا سمعته عن حكمة سليمان فتنقّع به. كان ملوك السبائيين كهنة (مز ٧٢: ١٠). رجعت هذه الملكة التي ربّما كانت كاهنة تشهد لله الحقيقي. بعد أن طوّبت سليمان، ورجاله الواقفين أمامه وعبيده الذين يخدمونه، باركت الرب الذي وهبه المملكة والحكمة والغنى والمجد الخ.

"وأعطت الملك مائة وعشرين وزنة ذهب وأطيبًا كثيرة جدًّا وحجارة كريمة

لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان" [١٠].

سبق ففتباً داود أن سليمان سينال ذهب سبأ (مز ٧٢: ١٥). هذه الهدايا من ذهب وأطياب وحجارة كريمة كان ظلاً لعطايا المجوس لمولود بيت لحم (مت ٢: ١١). قدّمت الهدايا ثمناً للحكمة التي نالتها، ولم تكن تعلم أن ما فعلته هو ظلّ لما يحدث فيما بعد عند ميلاد ابن داود الحقيقي.

ملكة سبأ رمز لكنيسة العهد الجديد:

١. سمعت فأمنت: إذا الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله (رو ١٠: ١٧). آمنت واعترفت (لو ١٨: ١٣).

٢. سمعت فسعت لتلتقي بسليمان رمز المسيح. لم ترفض الدعوة إلى العرس (١ مل ١٠: ٦-٧؛ مت ٢٢: ٥)، ولا أجلت اللقاء كما فعل فيلكس (أع ٢٤: ٢٥).

٣. دخلت معه في لقاء وحوار لذا لم يخف عنها الملك شيئاً (٢-٣).

٤. التقت به بروح التواضع [٤-٥].

٥. تعرّفت عليه فأعجبت به، كما أعجبت الكنيسة بالسيّد المسيح فترنّمت: "أنت أبرع جمالاً من بني البشر" (مز ٤٥: ٢). وكما يقول القديس أغسطينوس:

[إنه جميل في السماوات بكونه الكلمة مع الله.

جميل على الأرض وهو متسريل بالطبيعة البشريّة،

جميل في الرحم، وجميل بين ذراعي والديه،

جميل في المعجزات، وجميل في جلده بالسياط،

جميل في منحه الحياة، وجميل في عدم رفضه الموت،

جميل في بذله ذاته: وجميل في أخذها ثانية،

جميل على الصليب، وجميل في القبر، وجميل في عودته إلى السماء].

يقول القديس جيروم: [اختفى لاهوته ببهائه وعظمته تحت حجاب الجسد، وبعث بأشعته على

ملامحه الجسديّة، فسبى كل الذين كان لهم غبطة التطلّع إليه¹].

٦. حقّق لها سليمان رغبة قلبها (١ مل ١٠: ١٣؛ يو ٦: ٣٧؛ رو ٦: ٢٣).

٧. أمّنت ومُدحت (١ مل ١٠: ٨-٩؛ مز ١٠٧: ٢).

٨. قدّمت للملك ذهباً (١ مل ١٠: ١٠؛ رو ٢: ١-٢).

٩. شهد لها السيّد المسيح ومدحها (مت ١٢: ٤٢).

¹ In Matt. 1:8.

"وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبًا من أوفير،

أنت من أوفير بخشب الصندل كثيرًا جدًا وبحجارة كريمة" [١١].

خشب الصندل *Almug trees*، يرى البعض أنه خشب الصندل *sandal wood* الذي يمتاز برائحته العطرة، وآخرون يرون أنه *Deodar (desdara-cedrus)* يستخدم في الأعمال المقدسة والهامة.

هذا الخشب ثقيل للغاية وصلد، لونه أحمر جميل، يسمّى *valguka* في اللغة السنسكريتية *Sankrit*، حرّفه اليهود والفينيقيون إلى *almug*.

"فعمل سليمان خشب الصندل درابزينًا لبيت الرب وبيت الملك،

وأعوادًا وربابًا للمغنين،

لم يأت ولم ير مثل خشب الصندل ذلك إلى هذا اليوم" [١٢].

العود اليهودي *kinnowr* شكله مثلث وله عشرة أوتار، وهو يقابل القيثارة *harp* الآشورية القديمة.

الرياب: أو المزمار *nebel* وهي آلة وترية، يلعب عليها الموسيقار بأصابعه، ربّما هي القيثارة *lyre* كنتك التي على العملة العبرية تشبه الحيتار، لها جسم مجوّف بشكل إبريق في النهاية السفلية لها.

"وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت،

عدا ما أعطاها إيّاه حسب كرم الملك سليمان.

فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها" [١٣].

يبدو أنه لم يعد سليمان ينقصه شيء ما: حكمته من السماء، سلام في أرضه، غنى وفير، شهرة عالميّة.

كل ما سألته قدّمه لها عطية مجانية علامة الصداقة الحميمة بين البلدين. يظن البعض أن ما اشتتهه هو أن يكون لها ابن منه، وأنها بالفعل أنجبت منه ابناً دعي *Menilek* تربى في القصر الإسرائيلي، وخلف والدته على مملكة سبأ، وأنه جذب رجاله إلى الديانة اليهودية.

٢. غنى سليمان

"وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مائة وستين وزنة ذهب.

ما عدا الذي من عند التجّار، وتجارة التجّار وجميع ملوك العرب وولاية الأرض" [١٤-١٥].

بجانب هذه الكميّة الضخمة من الذهب كانت له مصادر أخرى:

دخّل سليمان السنوي والهدايا الذهبيّة بلا حصر (١٠ : ١٠-٢٢) كانت له دروع ذهبيّة، تروس من الذهب، كل أواني قصره من الذهب، وعرشه العاجي مغطّى من الذهب. بعد موت سليمان بخمس سنوات استولى شيشق ملك مصر على كل هذا الذهب (١٤ : ٢٥-٢٦؛ ٢ أي ٩؛ ١٢ : ٢-١١).

في عام ١٩٣٩م وجدت مومياء شيشق في تانيس بمصر بغطاء ذهبي *sarcophagus*، ربّما يكون من ذات الذهب الذي استولى عليه بعد موت سليمان^١.

- الهدايا الضخمة التي كان تجّار البلاد التي أخضعها داود يقدّمونها إليه، وهي أشبه بجزية يلتزمون بها.
 - حصيلة شركته مع حيرام في التجارة.
 - كان الملوك والعظماء يلتجئون إليه من أجل حكمته، يستشيرونه في أمورهم السياسيّة والاقتصاديّة الخ، فكانوا يقدّمون له الهدايا مقابل إرشاداته.
 - زواجه بابنة فرعون واهتمامه بشراء مركبات وخيول من مصر أوجد تجارة متبادلة بين البلدين، وجعل المصريين يقدّمون له كل شيء بأثمان زهيدة من أجل ابنة فرعون.
- "ملوك العرب وولاية الأرض" أو "الشعب المختلط" (إر ٢٥ : ٢٤)، يبدو أنّها كانت قبائل تحمل مزيجاً من اليهود والعرب، يقطنون على حدود الصحراء الغربيّة.

"وعمل الملك سليمان مائتي ترس من ذهب مطرق،

خصّ الترس الواحد ست مائة شاقّل من الذهب" [١٦].

كان الترس يصنع من الخشب ويغطّى بالجلد، يستخدم لحماية صدر الإنسان، أمّا سليمان فصنعه من الذهب. أمّا المجن فتستخدم لحماية الجسم كلّهُ.

كانت عادة تعليق الدروع على الحوائط الخارجيّة للزينة قائمة في صور (حز ٢٧ : ١٠-١١) وروما وأثينا ومناطق أخرى.

"وثلاث مائة مجن من ذهب مطرق،

خص المجن ثلاثة أمناء من الذهب،

¹ Halley's Bible Handbook, p. 192.

وجعلها سليمان في بيت وعر لبنان.

وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغطاه بذهب إبريز" [١٧-١٨].

ربّما كان الكرسي مصنوعاً من الخشب ومغطى بطبقة من العاج، وربّما صنعت اليدان والجزء الخلفي من العاج. هذا ما نجده في معابد المصريين والأشوريين.

"وللكرسي ست درجات،

وللكرسي رأس مستدير من ورائه، ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس،

وأسدان واقفان بجانب اليمين" [١٩].

كما أقام من نفسه حصناً لكل مظلوم، يدافع عنه كما يترس ومجن، هكذا اهتم بكرسي الولاية والقضاء. يجد لذته في تحقيق العدالة بين شعبه.

"غطاه بذهب إبريز" لم يجمع سليمان الذهب لتخزينه، وإنما استخدم منه ما هو لبيت الرب، وأيضاً ما هو لأدوات الحرب ولاستعماله الشخصي (جا ٥: ١٩). يرى البعض أنّه من أجل كثرة الذهب بفيض صار يغطى العاج بطبقة من الذهب. وإن كان البعض يرى أنّه لم يغط كل العاج بالذهب بل زيّنه بنقوش وورود من الذهب.

صنع من الذهب ٢٠٠ ترساً و٣٠٠ مجناً؛ ولم يذكر أنّه صنع سيوفاً ورماحاً. لقد اعتاد أباطرة الرومان أن يتقدّمهم في المواكب من يحملون العصي والفؤوس ليشيروا إلى سلطانهم أنّهم يعاقبون الأشرار. فكانوا يمثّلون دور الرعب للفسادين. أمّا سليمان فاهتم بالترس والمجن، كأدوات دفاعية لا هجومية، معلناً دوره كمدافع عن كل مظلوم تقي، يجد مسرته في كونه حصناً للأبرار.

"واثنا عشر أسداً واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك،

لم يعمل مثله في جميع الممالك" [٢٠].

الأسود الاثنا عشر الواقفة على درجات السلم تشير إلى التزام كل أسباط شعبه الاثني عشر أن يكونوا مملوئين قوّة وشجاعة في الحق، فيمثّلون موكباً من الأسود، لا يداهنون أحداً، ولا يخافون وجه إنسان.

يترجم البعض الكلمة العبرية بـ "العجول" لا "الأسود"، فإن كانت هذه الترجمة سليمة يكون في هذا العرش ظل للعبادة الوثنية.

غالباً ما كانت تزيّن كراسي الملوك الأشوريين ببعض الحيوانات، وأحياناً الملوك المصريين.

في وصف كرسي سليمان يقول يوسيفوس بأنّه كان به ثور أو عجل ذهبي رأسه متّجه نحو كتفه.

فكان الأسد رمزًا ليهودا والثور أو العجل رمزًا لأفرايم (هو ٤ : ١٦ ؛ ١٩ : ١١ ؛ إر ٣١ : ١٨ الخ).

"وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب،

وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص، لا فضة، هي لم تحسب شيئًا في أيام سليمان"

[٢١].

كان وكل رجاله في القصر يشربون في كؤوس من ذهب وليست من فضة. هكذا يهب المسيح غناه لشعبه فيتمتعوا بالشراب السماوي (الذهب).

"لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام،

فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات،

أتت سفن ترشيش حاملة ذهبًا وفضةً وعاجًا وقرودًا وطواويس" [٢٢].

❖ لا تعود تذكر النفس المرارة لسبب الفرح، لأنه قد وُلد إنسان قد خلص في العالم (يو ١٦ : ٢١).
سفن ترشيش، أي السفن الروحية التي تحمل ذهب سليمان وفضته، هي أجسادنا التي تحمل كنزًا في إناءٍ خزفيٍّ كقول الرسول (٢ كو ٤ : ٧)¹.

القديس أمبروسيوس

"فتعازم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة.

وكانت كل الأرض ملتمة وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه" [٢٣-٢٤].

ترجم سليمان الحكمة التي نالها كهبة إلهية إلى عمل، ظهرت في قدرته العجيبة في تدبير شئون الدولة سياسيًا، ووضع نظام محلي لتدبير الشئون الداخلية مع اتساع المملكة جدًّا، وقدرته العسكرية، والإنشاءات الهندسية الفائقة.

"وكانوا يأتون كل واحدٍ بهديته بآنية فضةً وآنية ذهب وسلاح وأطياب وخيل وبغال سنة فسنة"

[٢٥].

يقصد بالهدية هنا "جزية". جاء في الآثار المصرية والأشورية تصوير لحاملي الجزية قادمين إلى الملوك في خضوع يقدمون من منتجات بلادهم الثمينة ممثلين عن دولهم.
عادة تقديم الهدايا حتى بالنسبة للزيارات العادية بين الأفراد أو العائلات لازلت أساسية في حياة بعض الشرقيين.

¹ The Prayer of Job and David, 1:5:15.

"وجمع سليمان مراكب وفرساناً،

فكان له ألف وأربع مائة مركبة واثنان عشر ألف فارس،

فأقامهم في مدن المراكب ومع الملك في أورشليم" [٢٦].

يتحدّث الكاتب عن إسطبلات خيل سليمان^١ (١٠: ٢٦، ٢٨) مجدوا إحدى المدن التي كان يحفظ فيها الخيل (٩: ١٥، ١٩). كشف المعهد الشرقي، *Courtesy Oriental Institute* التابع لـ *University of Chicago* عن مدينة مجدو وخرائب الإسطبلات.

أمران تجاهل فيهما سليمان الحكيم ناموس الرب وكسر بهما الوصية. أخطأ سليمان وأيضاً أبوه داود في الارتباط بأكثر من زوجة، فقد قيل عن الملك: "ولا يكثر له نساء لئلاً يزيغ قلبه" (تث ١٧: ١٧). وأكثر أيضاً سليمان من الخيل والفضة والذهب، وقد قيل "ولكن لا يكثر له الخيل..." (تث ١٧: ١٦).

❖ مكتوب في المزمير: "باطل هو الفرس لأجل الخلاص" (مز ٣٣: ١٧)؛ وفي موضع آخر في الكتاب المقدس: "الفرس وراكبه طرحها في البحر" (خر ١٥: ١). كانت الوصية لملك إسرائيل ألاّ يمتطي خيلاً (تث ١٧: ١٦). علاوة على هذا فإن سليمان الذي جلب مركبات من مصر صار ضحيةً للشر... يقول إرميا: "صهلو كل واحدٍ على امرأة صاحبه" (إر ٥: ٨). تأكّد أن الله لا يُسرّ بخيل كهذه (مز ١٤٧: ١٠)^٢.

القديس جيروم

"وجعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة،

وجعل الأرز مثل الجميز الذي في السهل في الكثرة" [٢٧].

إلى وقت قريب كانت أشجار الجميز الضخمة في شوارع مدن الصعيد بمصر وفي القرى بلا حصر، ويستطيع أي إنسان أن يتسلّقها ويأكل منها، إذ كان الجميز بلا ثمن.

"وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر،

وجماعة تجار الملك أخذوا جليبة بثمن" [٢٨].

يقال أن المصريين هم أول شعب استخدموا الخيول في الحروب. وكانت الشعوب التي تعرف استخدام الخيول في الحروب أقوى من تلك التي ليس لها هذه الخبرة.

¹ Halley's Bible Handbook, p. 191.

² Hom. 56 on Ps. on146 (147 A).

يعتقد الأثيوبيون - اليهود والمسيحيون - أن المزمور ٤٥ هو نبوة عن رحلة ملكة سبأ إلى أورشليم، كان في صحبتها ابنة حيرام ملك صور، وأن الجزء الأخير من المزمور يُعلن عن الابن الذي حملت به ملكة سبأ من سليمان ليكون ملكاً على الأمم. عاش معها الابن عدة سنوات ثم أرسلته إلى سليمان أبيه لتربيته. فاهتم به أبوه، ومسحه وسامه ملكاً على أثيوبيا في هيكل أورشليم، ودعاه على اسم جدّه داود. عاد إلى سبأ *Saba* أو عزب *Azab* جماعة من المعلمين اليهود المتخصّصين في شريعة موسى، واحد عن كل سبط وأقامهم قضاة في مملكته. وكان أعظمهم ثلاثة في حضرة الملك على الدوام.

ماتت الملكة بعد ٤٠ عاماً من الحكم وذلك في عام ٩٨٦ ق.م، واستولى *Menilek* على الحكم. وقد شهد كثيرون عن هذه القصة سواء حلفاء أثيوبيا أو أعداؤها، وإن اختلفوا في اسم الملكة.

"وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مائة شاقل من الفضة،
والفرس بمائة وخمسين،

وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك آرام كانوا يخرجون عن يدهم" [٢٩].

من وحي ١ مل ١٠

لألتقي بك مع ملكة سبأ!

- ❖ سارت ملكة سبأ بموكب عظيم إلى أورشليم.
جمالها تحمل أطيابًا فائقة، وذهبًا كثيرًا جدًّا، وحجارة كريمة.
لأنتقدّم معها إليك.
- أعبر بموكب الحب متّجهًا نحو أورشليم العليا.
أقدّم لك مع المريمات طيبًا فريدًا.
وأحمل إليك ذهبي وحجارتني الثمينة.
مما لك أقدّم لك يا واهب كل العطايا.
- ❖ بُهرت ملكة سبأ بشخص سليمان،
وسُيبت بحكمته وكل ما هو حوله.
وأنت أعظم من سليمان.
أقدّم كل ما لديّ وأسمع صوتك.
أترك كل عرشٍ أرضي وأجلس عند قدميك.
أطلب الاتّحاد بك والشركة معك.
- ❖ أعطيك ممّا لك بغير حساب،
وأنت تعطيني مشتّهي قلبي،
تهبني ذاتك، فإن كل شيء لي.

انحدار سليمان وموته

الأصحاح ١١

يقدم لنا الكتاب المقدس قصة مؤلمة للغاية، وهي قصة انحدار شخصية سليمان، ملخصها أنه قد ارتد عن العبادة الحقّة النقيّة بسبب إغواء نساته، الأمر الذي أشار إليه الكتاب المقدس بعد عدة قرون (نح ١٣ : ٢٦). سليمان الذي كرس قلبه لمحبة الله، حوله إلى النساء الغربيات. سليمان الذي بدأ برعاية شعبه بالحب انشغل بقصره الخاص والمنشآت الضخمة، فأرهب شعبه بالضرائب وأعمال السخرة.

شعر بعض الدارسين وجود تحوّل خطير ومتطرف من ملك يكرس طاقات شعبه لحساب مملكة الله، وينال شهرة عالميّة في الحكمة والتقوى، إلى ملك يغرق في شهوات جسديّة شبابيّة، ويتعبّد للأوثان! فظن البعض أن هناك مبالغة في الحديث عنه في الجانبين التقوي والشهواني! ادّعى البعض أنه يستحيل أن ينقلب سليمان إلى هذه الصورة البشعة بعدما تمتّع ببهاء عجيب! إنّه درس عملي بشع يبرز عملياً إمكانيّة الانحراف والفساد، في أيّ سن، وتحت أيّ ظروف. ليس للمؤمن أن يتكل على خبراته الماضية وأعماله وقدراته وحكمته!

لعبت بثّشع دوراً حكيماً وهاماً في استلام سليمان الحكم وإحباط مؤامرة أخيه أدونيا. وقدّم لابنها وصايا تسنده في الحكم، وقد حدّثته من الزواج بوثنيات (أم ٣١ : ٣)، لكنّه لم يسمع لصوتها. لقد لمس بنفسه ما حلّ بأبيه داود وبكل أسرته بسبب سقوطه في الشهوة، ولم ينتفع سليمان من هذا الدرس الخطير.

في الأصحاح السابق ذكر مخالفة سليمان الوصيّة الإلهيّة الخاصة بالملوك ألاّ يبغالوا في اقتناء الخيل (تث ١٧ : ١٦)، وألاّ يكثروا الذهب والفضّة. الآن يكشف هذا الأصحاح عن تجاهله الوصيّة الإلهيّة الخاصة بالألّا يتزوجوا نساء غريبات وثنيات.

هكذا قدّم لنا الكتاب المقدس شخصية سليمان كمثالٍ خطيرٍ للسقوط بعد التمتع بحكمة سماويّة ومجدٍ وعظمة! وقد لمس سليمان بنفسه خطورة الارتباط بالوثنيات، فسجّل لنا في سفر الأمثال أن محبة النساء طرحت كثيرين جرحى (أم ٧ : ٢٦).

النساء الوثنيات

خلال الخبرة العمليّة يحدّثنا الملك سليمان من حباتل المرأة الوثنيّة، خاصة من صوتها اللين

كالزيت، مخصّصًا للأصاحات ٥-٧ من سفر الأمثال لهذا التحذير.

كل إنسان يميل بأذنيه الداخليتين إلى صوت المرأة الزانية المخادعة بالعدوية الظاهرة لا يستطيع أن يميلها إلى صوت الحكمة. يروي لنا سفر الملوك الأول القصة المرة لسليمان نفسه وقد مال بأذنيه للأجنبيّات ففقد ملكوت الله الذي في أعماقه. "وأحبّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون... فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّلت قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه... وعمل سليمان الشرّ في عينيّ الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه" [١-٦].

يطالبنا الحكيم أن نتجنّب كل ما يمكن أن ينحرف بنا إلى خطيئة الزنا، أو مجرد الميل إليها بالفكر. فإن أفكار الشهوة قاتلة لكل بذور الفضيلة، والذين يسقطون في حبالها يصيرون على مقربة من أبواب الهاوية. إن كانت شفّتا المؤمن المنصت لصوت الحكمة تحفظان معرفة، فإن شفّتي المرأة المنحلة تتساب منهما كلمات معسولة ليّنة كالزيت. "لأن شفّتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً، وحنكها ألين من الزيت. لكن عاقبتها مرة كالأفسنتين، حادة كسيف ذي حدّين" (أم ٥: ٣-٤). كلماتها من الخارج حلوة كالعسل، وفي الداخل مرّة للغاية كالأفسنتين؛ من الخارج ليّنة كالزيت ومن الداخل كسيف قاتل ذي حدّين. غالباً ما يُقصد بالشفّتين والفم هنا القبلات المثيرة للشرّ مع الكلمات العاطفيّة الغاشة. يتطلّع الإنسان الحكيم إلى المرأة الشريرة بفمها ذي الشفّتين الناعمتين كعدوٍ خطيرٍ يقف ممسكاً بسيف ذي حدّين. كل شفاه أشبه بحد سيف، أينما توجّه السيف يقطع ويدمر... هكذا فم الشريرة.

❖ يقدّم أحدهم هذه النصيحة: "لا تُلاحظ جمال المرأة الأجنبية، ولا تلتقي بامرأة تُدمن الزنا. إذ تقطر شفّتا الزانية عسلاً، الذي إلى حين يبدو ليّناً لحنجرتك، لكنّه بعد ذلك تجده أكثر مرارة من الأفسنتين، وأكثر حدّة من سيف ذي حدّين. فالمرأة الزانية لا تعرف كيف تُحب بل تصطاد؛ قبلاتها مملوءة سماً، وفمها مخدر ضار. إن كان هذا لا يظهر في الحال، فبالأكثر يجب تجنّبها، لأنّها تحجب هذا التدمير وتختم على هذا الموت ولا تسمح له بالظهور في البداية¹.

❖ تبدو ملامح الزانية مقبولة. أنا أعلم ذلك، إذ يقول الكتاب: "شفّتا المرأة الأجنبية تقطران عسلاً" (أم ٥: ٣). لهذا السبب احمل كل هذا التعب حتى لا تكون لك خبرة هذا العسل، فإنّه في الحال يتحوّل إلى أفسنتين. هكذا يقول أيضاً الكتاب المقدّس: "هذا الذي إلى حين ليّن لحنجرتك، لكنّه

¹ St. John Chrysostom: Concerning the Statues, 14:10.

ملوك الأول - الأصحاح الحادي عشر

بعد ذلك تجده أكثر مرارة من الأفسنتين، وأشدَّ جدّة من سيفٍ ذي حدّين " (أم ٥ : ٣-٤ LXX)^١.
القديس يوحنا الذهبي الفم

¹ St. John Chrysostom: *Homilies on 1 Thessalonians*, hom. 5.

الأصحاح الحادي عشر

نساء سليمان وارتداده

يبدو أن سليمان قد فاق والده داود النبي، فقد طلب من الله الحكمة ولم يطلب مجداً أو غنى، وبنى هيكل الرب الذي اشتهى والده أن يقيمه، واتسعت مملكته، فتحقّق الوعد الإلهي لأبيه إبراهيم، وساد المملكة السلام، وتمتعت بنظام حكم منظم حسناً، ونال غنى ومجداً عظيماً.

خيّم على مملكة سليمان الفائق خطأ خطير وهو زواجه نساء وثنيّات، أغلبهنّ بنات أمراء وثنيّات. لقد ارتكب جريمة في حق الله وحق شعبه كما في حق نفسه، إذ سقط في الزواج السياسي وانحرف قلبه عن الله [١-٨]. كانت العادة بين الأمم أن يقدّم الملك الضعيف للملك القوي إحدى بناته أو نسائه الجميلات زوجة له. بهذا يكون نوعاً من القرى، والشعور بالطمأنينة أن القوي لا يفكر في الهجوم على الملك الضعيف واستعباده. هذه التقدمة تسمّى "تقدمة السلام".

سقط سليمان في هذه العادة مُرضياً الناس على حساب علاقته بالله، فقد قبل نساء وثنيّات سراري له من الأمم المحيطة ليرضي غير المؤمنين على حساب إيمانه وحياته الروحيّة. ولما كان سليمان مشهوراً على مستوى العالم كلّ في ذلك الحين صارت له ٧٠٠ زوجة وأميرة و ٣٠٠ من السراري. كان هذا هو الطابع الشرقي القديم خاصة في قصور الملوك أن تقدّر عظمة الملك حسب عدد الزوجات والسراري اللواتي في جناح "الحريم". لهذا يرى البعض أنّه لم تكن خطيّة سليمان الكبرى هي شهوته الجسديّة، وإنّما سقوطه في الرغبة في العظمة، وإن كان هذا قد سحبه بعد ذلك إلى الشهوات الجسديّة والسقوط في العبادة الوثنيّة.

هذا الذي بنى الهيكل العظيم امتدّت يده لتبني مذابح وثنيّة. الوثنيّة التي بذل داود الملك كل جهده لاقتلاعها، أعادها ابنه سليمان حتى في قصره الملوكي. وكأنّ اليد التي استخدمها الله لإقامة عصرٍ ذهبيّ هي بعينها أساءت التصرف فامتدّت لتحتطيم هذا المجد.

١. التصاقه بالوثنيّات ٣-١.
٢. انحراف قلبه وراءهن ٤.
٣. انحرافه نحو الوثنيّة ٨-٥.
٤. إنذار الرب له ١٣-٩.
٥. الرب يثير أعداء لتأديبه ٢٩-١٤.

٦. أخبًا النبي وانقسام المملكة ٣٠-٣٩.

٧. سليمان يطلب قتل يريعام ٤٠.

٨. موت سليمان ٤١-٤٢.

١. التصاقه بالوثنيّات

"وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون

موآبيّات وعمونيّات وأدوميّات وصيدونيّات وحثيّات" [١].

تمتّع سليمان بعطيّة الحكمة السماويّة الفاتحة لم يلزمه بالحياة التقويّة، فبارادته انحرف في أخطاء خطيرة وخطايا مفسدة حتى للإيمان. ينطبق عليه القول الإلهي لملاك كنيسة اللاؤدكيّين: "لأنّك تقول إنك غنيّ وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنّك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان" (رؤ ٣: ١٧). وقول بولس الرسول: "أهكذا أنتم أغبياء؟! أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟" (غل ٣: ٧).

ورد في تقليد بأن سليمان تزوّج ابنة حيرام ملك صور وهي من الصيدونيّات.

لقد فارقتة نعمة الله الذي نال أبوه التقى مواعيد إلهيّة بأنّه يبني للرب بيتاً، ويقمه ملكاً. انحرف ذلك الذي اهتمت والدته بتشجيع بتدريبه روحياً وهو طفل (أم ٣١: ١-٣). سقط ذلك الذي تتلمذ على يديّ ناثان النبي.

أمالت محبة النساء قلب الملك الحكيم والتقي والجبار سليمان. إنّها الصخرة التي حطمت سفينته وسط محيط هذا العالم. لم يعد قادراً بنفسه على الخلاص من هذه الكارثة، بل صار محتاجاً إلى نعمة الله. كان يليق به أن يعرف كيف يوجّه قلبه نحو الحب الحقيقي.

❖ هل نقول لك: "لا تحب شيئاً؟" حاشا! فإنّك إن لم تحب تكون متبلّد الحس، ميّناً، مكروهاً، وبائساً.

حبّ؛ لكن اهتم أن تعرف ماذا تحبّ^١.

القديس أغسطينوس

يرى العلامة أوريجينوس أن الاتّحاد بزوجة يشير إلى اتّحاد النفس بالحكمة والفضيلة. فزواج سليمان بزوجات يشير إلى تمتّعه بفضائل وروح الحكمة؛ أمّا اتّحاده بالأجنبيّات والسراري فيشير إلى التصاق النفس بالفلسفات الزمنيّة^٢. ويرى القديس أغسطينوس أن الزواج بالسراري يشير إلى تعرّب

^١ On Ps. 32.

^٢ Origen: Homilies on Genesis, 9.

النفس عن المواطنة مع شعب الله، ويمثّل كل فكرٍ غريبٍ عن الإيمان^١.

"من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم،
لأنّهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم،
فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة" [٢].

وكما يقول سليمان نفسه أن المياه المسروقة حُلوة، هكذا ظنّ أن سعادته تكمن في هؤلاء النساء
المنوعات عنه، فوجد في ميوعتهنّ وعذوبة أحاديثهنّ وخلاعة الملابس مسرّة لم يجدها في ابنة
فرعون، الزوجة الشرعيّة، أو في النساء اليهوديّات. التصق بهنّ بالمحبّة، إذ صار مغرماً بهنّ، يقضي
أوقاتاً طويلة معهنّ ويعجب بكلامهنّ.

في القديم كان الشرفيون يبرزون عظمتهم، لا بكثرة ممتلكاتهم وذهبهم وخبولهم، بل وبكثرة نسائهم.
وكان يبدو أن النساء يمثّلن الجانب الضعيف والأقل من الرجل. لكنّه كان الجانب الذي له فاعليّته
على الرجل وكل الأسرة. وها هو سليمان مثل حيّ لذلك. فقد سحبته نساؤه إلى آلهتهن. لهذا حذّر
الكتاب المقدّس من الزوجات الوثنيّات (خر ٣٤: ١٥-١٦؛ تث ٧: ١-٣؛ عز ٩: ١-٢؛ ١٠: ٣؛
نح ١٣: ٢٣).

"وكانت له سبع مائة من النساء السيّدات وثلاث مائة من السراري،
فأمالت نساؤه قلبه" [٣].

التصق بألف سيّدة ٧٠٠ زوجة و ٣٠٠ من السراري، وكما شهد في عظته التي قدّم فيها توبته
وندامتة أنّه لم يجد بينهن واحدة صالحة.
أخطأ داود الملك بزواجه بأكثر من فتاة، ولم يدر أنّه قد فتح الباب لابنه ليلتصق بألف سيّدة،
ظاناً أنّه من حقّه هذا كملك.

يصعب على المؤمن الذي فيه مخافة الرب أن يقبل زوجة ثانية، حتى بعد وفاة الزوجة الأولى،
فكيف كان يمكن لسليمان أن يحتفظ بمخافة الرب فيه وقد أحاطت به ألف زوجة سرّيّة؟! كان يليق
بذاك الذي نال الحكمة السماويّة أن يلتزم بما تتادي به، وهو الالتصاق بزوجة واحدة. لكنّه إذ سمح
لنفسه بأخرى لم تعد الثانية تكفيه. ولعلّه ظن أن يتمثّل بأبيه ولا تريد عدد زوجاته عن نساء أبيه، لكنّه
إذ فتح الباب انحدر ولم يستطع أن يقف عند حدّ معين. هكذا لا تعرف الشهوة لها ضابط، متى فتح

¹ On Ps.83.

لها الإنسان الباب يصعب أن يتوقَّف ما لم تعمل نعمة الله فيه.

٢. انحراف قلبه وراءهن

"وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّلت قلبه وراء آلهة أخرى،

ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" [٤].

مات سليمان وهو بالأكثر في السنّين من عمره، لهذا يرى بعض الدارسين أنّه يعني بقوله هنا "في زمان شيخوخة سليمان" أنّه كان في الخمسين أو الخمسة والخمسين من عمره.

ظن أنّه قادر أن يحتفظ بعبادته لله الحيّ جنباً إلى جنب مع عبادته لآلهة نساته، ولم يدرك أن قلبه لم يعد كاملاً مع الرب إلهه، ولا صار يسلك وراءه بالكامل. لا يمكننا القول بأنّه ترك عبادة الله الحيّ، لكنّه فتر في العبادة وانشغل القلب عن الله الحيّ.

حين كان سليمان حارّاً في الروح جذب ابنة فرعون للعبادة الحيّة، لكنّه إذ فتر سحبته النساء الغربيات إلى آلهتهن. لعلّه بدأ يحمل فكراً يشبه الأفكار الحديثة: أليست كل العبادات صالحة وتهدف إلى سلوكيات حسنة؟ ما هو الضرر في ذلك؟

❖ داود الرجل الصالح الذي قلبه مثل قلب الله (١ صم ١٤ : ١٣) ارتكب بعد ذلك القتل والزنا (٢ صم ١١). سليمان الذي وهبه الرب كل نعمة وحكمة قادته النساء إلى الوثنيّة. فإنّه قد حُفظ لابن الله وحده أن يبقى بلا خطيّة حتى النهاية (عب ١٥ : ٤).^١

العلامة ترتليان

❖ لأن ابن داود هذا، سليمان بالاسم، سقط في ذات الفخ مثل أبوه، وبسبب شهوة النساء انحراف عن إله آبائه.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ استخدمت الحكمة (سليمان) ليغني لها مادحاً إيّاها... (١ مل ٤ : ٣٣)، ومع ذلك فقد ارتدّ عن الله لأنّه كان محباً للنساء. ولكي تدرकिन أنّه لا أمان حتى في القرابات فإن أمنون التهب بالشهوة غير الشرعيّة نحو أخته تامار (٢ صم ١٣).^٣

القديس جيروم

¹ Tertullian: *On Prescription against Heresies*, 3.

² St. John Chrysostom: *Letters to the Fallen Theodore*.

³ St. Jerome: *Letters*, 22:12.

٣. انحرافه نحو الوثنيّة

"فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيّين، وملكوم رجس العمونيّين" [٥].

التصق سليمان بالإلهة عشتروت *Ashtaroth* وهي فينوس *Venus*، إلهة كنعانيّة ترتبط بالخصوبة. يرتبط الاسم بعشتار *Ishtar* في بابل وأشور، إلهة الحب الجنسي والأمومة والخصوبة. كانت الإلهة المؤنّثة الرئيسيّة في كل القبائل الكنعانيّة. انتقلت عبادتها من صور إلى قرطاجنة حيث ازدهرت هناك جدًّا. وهي إلهة القمر التي كان اليونانيّون والرومان يعبدونها أحيانًا تحت اسم أفروديت *Aphrodite* وأحيانًا أخرى تحت اسم *Urania* و *Coelestis* و *Juno* وغيرها من الأسماء. لها أساطير وتقاليد خاصة بها. وكانت كاهناتها يمارسن الدعارة رسميًا. كانت عبادتها ترتبط مع عبادة إله ذكر يدعى "البعل". رمزت هي والبعل إلى القمر والشمس.

في عهد يوشيا حُرمت عبادتها في إسرائيل تحريمًا قاطعًا (٢ مل ٢٣: ١٣).
يقدم لنا *Millon* قطعة أدبيّة عن سقوط سليمان في إقامة مذبح للإلهة عشتروت، فيقول:
"عشتروت التي يدعوها الصيدونيّون عشتار،
ملكة السموات لها قرنا هلال،

هذه التي تشرق ببهاء صورتها في الليل بالقمر؛
عذارى صيدون يقدّم لها نورهن وأغانيهن.

لن يتوقّفن عن الغناء في صهيون حيث يقفن صفوفًا طويلة.

أقيم هيكلها على جبل المعصية،

بواسطة الملك المغرم بنسائه وخاضعًا لهن،

قلبه وإن كان متسّعًا، لكنّه انحرف نحو الأصنام الدنسة بالوثنيّات الجميلات.

لقد فقد الفردوس!"

يرى البعض أن سليمان قد مال وراء نسائه وبنى مذابح لآلهة غريبة حيث قدّمت الذبائح ورفع البخور، لكن لم يذكر الكتاب المقدّس أنّه اشترك في هذه العبادة أو قدّم بنفسه ذبائح أو بخورًا.

ملكوم *Milcom* أو *Moleck* رجس العمونيّين: اسم كنعاني معناه "ملك" (لا ١٨: ٢١)،

ويسمّى مولوك (أع ٧: ٤٣). كان العمونيّون يذبحون له ذبائح بشريّة. يقول الربّيون أن صنمه كان من نحاس، له رأس عجل عليه إكليل، وكان الصنم والعرش مجوّفين. كانوا يشعلون النار في التجويف، حتى تبلغ الحرارة إلى البيدين فيحمرّان، ويلقي الكاهن بالطفل على الذراعين فيحترق بسرعة

ولا يسمع أحد صراخ الطفل وسط صوت الطبول.

سقط اليهود في هذه العبادة التي ندد بها الأنبياء بكل شدة على ممر الأجيال، لكن اليهود تشبثوا بها، فحل غضب الرب عليهم بسببها. يبدو أن مولك كان ملك جهنم حسب رأي الكنعانيين الوثنيين. يرتبط ملكوم بالإله كموش *Chemosh* رجز الموابيين. دُعي الموابيون أمة كموش (عد ٢١: ٢٩) وشعب كموش (إر ٤٨: ٤٦) نسبة إلى إلههم. الإله كموش هو إله الشمس، كان يعبد كملك على شعبه وإله الحرب، وضعت صورته على بعض العملات حاملاً سيفاً أو رمحاً أو درعاً وعلى جانبيه يوجد مشعلان (عد ٢١: ٢٩).

في النقش الذي على الحجر الموابي ينسب الملك ميشع (٢ مل ٣: ٤) انتصاراته إلى الإله كموش. كانت علاقة قرابة بينه وبين ملكوم إله العمونيين (قض ١١: ٢٤؛ ١ مل ١١: ٥)، وتشارك عبادة الاتنين في تقديم الأطفال ذبائح لهما (٢ مل ٣: ٢٧).

"وعمل سليمان الشرّ في عيني الرب،

ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه.

حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجز الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم،

ولمولك رجز بني عمون" [٦-٧].

للأسف بعد بنائه الهيكل الذي يُنظر إليه كأقدس موضع في العالم في ذلك الحين أقام مرتفعات، مثل مرتفع توفه.

اختلفت ابنة فرعون عن بقية النساء، فلم نسمع عنها أنها أقامت هيكلًا للإله آمون *Ammon* أو الإلهة *Isis*.

واضح أن الجبل الذي تجاه أورشليم هو جبل الزيتون (زك ١٤: ٤). يُدعى في العصور الحديثة "جبل المعصية *Mount of Offence*" بسبب العبادة الوثنية التي بدأت عليه في أيام سليمان. وقد جاءت هذه الهياكل في واجهة هيكل يهوه. وقد جاءت بركة سلوام مقابل جبل المعصية وعلى بعد عدة ياردات منه: فكان الكهنة العاملون في الهيكلين (هيكل الرب وهيكل الوثن) يسحبون المياه اللازمة لهم من ذات المصدر.

يقول الرحالة الشرفيون المبكرون أنه في أيامهم كان الحي الشمالي هو موقع مرتفع كموش، والحي الجنوبي خاصًا بمولوك.

كنّا قبلًا نسمع عن سليمان المحبوب من الرب (٢ صم ١٢: ٢٤)، والذي يجد فيه مسرته (١ مل

١٠ : ٩)، الآن نسمع أن الله قد غضب عليه لأنه انحرف إلى الخطيئة.

لقد سبق أن تراءى له مرة قبل بناء الهيكل، ومرة أخرى أثناء تدشين الهيكل، فصارت هاتان الرؤيتان الإلهيتان دينونة لسليمان الذي لم يثبت في التصاقه بالرب بأمانة كاملة. بالرغم من إصلاحات آسا ويهوشافاط ويوآش وحزقيا بقيت مواضع الذبيحة هذه حتى أيام يوشيا. ولعلها تُركت كمواضع عبادة للغرباء القادمين إلى أورشليم أو القاطنين بجوار أورشليم للتجارة.

"وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن" [٨].

كان الوثنيون عادة يقدمون البخور أولاً وبعد ذلك الذبائح الحيوانية، خاصة في عبادة *Hither Asia*. ولعل تقديم البخور أولاً قبل الذبائح كان عادة تسلّمتها الأجيال بعد السقوط مباشرة، بكونها رمزاً للصلاة والتضرع لله ثم إعلان الحاجة إلى المصالحة خلال الدم.

لعل إرميا النبي كان يتطلّع إلى سليمان الساقط حين سمع صوت الرب يوبّخ الشعب المرتدّ، قائلاً: "هل بدلت أمة آلهة وهي ليست آلهة؟! أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع. إبهتي أيتها السموات من هذا واقشعري وتحيري جداً يقول الرب، لأن شعبي عمل شرّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً لا تضبط ماءً" (إر ٢ : ١١-١٢).

حقاً يليق بنا أن نقدّم مرثاة على سليمان، إذ نقف في حيرة نتعجّب كيف صار ذلك الذي طلب الحكمة السماوية ليسلك كسماوي تراباً، والذي صار الذهب حوله بلا حصر قد صار هو نفسه زغلاً! الحكيم الذي جاء إليه ملوك الأرض يستشيرونه صار غيباً بغاوة هؤلاء الوثنيّات. الشيخ صار عبداً لشهوات شبابية. الذي كرس بدء حياته الملكية وطاقت شعبه وطاقات الأمم لبناء الهيكل يبني مذابح وثنية!

٤ . إنذار الرب له

"فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرّتين" [٩].

الخطيئة خاطئة، لن يطيقها الله، أيّاً كان مرتكبها. لقد كان سليمان موضع سرور الله، ظهر له مرّتين لكنّه إذ أخطأ وتمادى في الخطيئة غضب الرب عليه.

تبقى سيرة سليمان درساً لكل مؤمن. من كان قائماً فليحذر لئلاً يسقط. لنصرخ مع المرثّل:

"خطيئتي أمامي في كل حين"، لا لليأس وإنما للارتداء في حضن الله والالتصاق بالنعمة الإلهية.

لقد تراءى الله لسليمان مرّتين، ومع هذا انحرف لكي يحذر كل مؤمن وكل قائد لئلاً تتحرف عيناه عن رؤية الله المتجلّي في قلبه. فإن العدو يصوّب سهامه بالأكثر نحو الراعي والقائد لكي يشنّت

الرعيّة ويحطّم النفوس الضعيفة.

"وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى،

فلم يحفظ ما أوصى به الرب" [١٠].

سليمان الذي طلب من شعبه أن يحفظوا وصاياه، وأن يخضعوا له بالطاعة، لم يحفظ هو وصايا الرب ولا التزم بالطاعة له.

❖ سليمان الذي أحضر مركبات من مصر صار ضحيّة الشهوات... يقول إرميا: "صاروا حصناً معلوفة سائبة سهلوا كل واحد على امرأة صاحبه" (إر ٥: ٨). بالتأكيد لا يسر الله بخيلٍ من هذا النوع^١.

القديس جيروم

"فقال الرب لسليمان:

من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها،

فإني أمزّق المملكة عنك تمزيقاً،

وأعطيها لعبدك" [١١].

جاءته الرسالة الإلهية، أن يشرب من ذات الكأس التي أعدّها. كما أنّه ثار على الرب إلهه ولم يخضع له، هكذا تنثر مملكته عليه ويفقد عشرة أسباط ليتسلّمها عبده يريعام. هكذا يدمّر العصيان المملكة، وينزع عن العاصي سلطانه ومجده وغناه.

"إلاّ إنّي لا أفعل ذلك في أيّامك من أجل داود أبيك،

بل من يد ابنك أمزّقها،

على أنّي لا أمزّق منك المملكة كلّها،

بل أعطي سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها" [١٢-١٣].

الله الطويل الأناة هدّد سليمان بالتأديب، لكنّه سمح بتأجيل التأديب إلى أيّام ابنه ربحعام الذي يتولّى العرش من بعده. وقد جاء التأديب هكذا:

١. تمّ تأجيل التأديب من أجل داود أبيه. بهذا يعطي الرب لسليمان الفرصة لكي يتوب ويُصلح ما قد أفسده. فإن كان من أجل داود البار لم يسمح بانشقاق المملكة في أيّام ابنه سليمان، كان يليق

¹ St. Jerome: Hom. 5 on Ps. 146 (147A).

بسليمان أن يرجع إلى الحياة التَّقويَّة ليقَدِّم بركة لنسله.

٢. يتم الانشقاق في أيَّام رحبعام، وهو ابن لسليمان من إحدى النساء الغريبات الجنس، إذ كانت عمونيَّة (١ مل ١٤: ٣١). وغالبًا كان لها دور هام في بعث الوثنيَّة في إسرائيل.

٣. لم يسحب المملكة بكاملها بل ترك لابنه سبطاً واحداً، يُعطي رجاء لملوك يهوذا أن يرجعوا إلى الرب بكامل قلوبهم، فيرد الله لهم الأسباط كاملة. بمعنى آخر كما أن سليمان ارتدَّ عن أمانته للرب تدريجيًّا وليس بالكامل، هكذا جاء التأديب تدريجي وليس بنزع المملكة بكاملها. ترك سبط بنيامين لنسل سليمان من أجل داود أبيه ومن أجل أورشليم المدينة التي دُعي اسمه عليها. ولم يقل "من أجل الهيكل". بسقوط سليمان في العبادة الوثنيَّة وعدم طاعته لله لم يعد ما سبق أن فعله، مهما كانت نيَّته وتكلفته، شفيحاً له أو لنسله. أعطى الله لابن سليمان سبطاً واحداً، ربَّما قصد به سبط يهوذا، لأنَّه كان سبطاً عظيماً وكثير العدد، حتى أن سبط بنيامين ذاب فيه. ترك له سبط يهوذا لكي يحقِّق الله وعده لداود، بأن من نسله يأتي المسيا الملك الحقيقي. لذا لم يحطِّم سبط يهوذا، ولم ينزع عنه السمة الملوكيَّة إلى يوم مجيء الرب الملك. وأيضاً من أجل أورشليم التي يكونها رمزاً للكنيسة. وكأن الله لم ينتزع الملوكيَّة من نسل سليمان حتى يأتي الملك ابن داود وعروسه الكنيسة المقدَّسة، أورشليم الحقيقيَّة.

٤. يؤكِّد الله بتأديبه لسليمان أنَّه لا ينتقم لنفسه، إمَّا يفتح باب الرجاء للتوبة، لذا لم يرفضه تماماً. تحقِّق فيه قول الرب لداود أبيه: "إن تعوَّج أودبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم، ولكن رحمتي لا تُنزع منه" (٢ صم ٧: ١٤-١٥).

واضح أن هذا الإنذار كان له فاعليَّته في حياة سليمان، إذ نراه يقَدِّم توبة في سفر الجامعة حيث يُعلن عن حزنه الشديد على غباوته وجنونه، وطلب من المؤمنين أن يحذروا الشرَّ، ويخافوا الرب ويحفظوا وصاياها.

يتساءل البعض إن كان سليمان قد تاب في أواخر أيَّامه أم لا. يرى البعض أن الكتاب المقدَّس قد لَمَّح إلى ذلك عندما تحدَّث عن الصالحين قائلًا: "لأنَّهم ساروا في طريق داود وسليمان" (٢ أي ١١: ١٧). ويرى البعض أن الكتاب المقدَّس لم يشر إلى ذلك صراحة حتى يحذر القارئ من الخطيَّة، لئلاَّ يتمادوا في الشرَّ قائلين إنَّنا في النهاية نتوب مثل سليمان.

الله يقيم لسليمان خصوصاً:

أقام الرب لسليمان خصماً هو هدد الأدموي، مع أن سليمان لم يلتق به ولا أساء إليه، لكن هدد أراد أن ينتقم ممّا صنعه داود بشعبه، حيث قتل رئيس جيشه يوآب كل ذكر في أدوم. العجيب أنّه يقول "أقام الرب خصماً"؛ ما دنا في هذا العالم نحتاج مع كثرة عطايا الله أن يوجد نوع من الضيق يكون أشبه بكلب الحراسة، يحفظ الإنسان من التشامخ والاعتداد بذاته بسبب نجاحه أو غناه أو كرامته. الله يسمح بوجود خصم للمؤمن، حتى وإن لم يسيء المؤمن إليه في شيء. أنّه في حاجة أن يسلك الطريق الضيق محمولاً على الأذرع الإلهية.

في أواخر حكم سليمان تزايد عدد المقاومين لسليمان:

هدد الأدموي في الجنوب الشرقي من مملكته،

وريزون السرياني في الشمال الشرقي،

وعبده يربعام في شمال إسرائيل،

ملك مصر جعل مصر ملجأ ليربعام المتمرد.

تنبأ أخياً النبي ليربعام أنّه يصير ملكاً على عشرة أسباط بعد موت سليمان. ويرى البعض أن جزء من سبط بنيامين كان مع يهوذا وليس كل السبط (١ مل ١٢ : ٢١)؛ وأيضاً بالنسبة لشمعون.

٥. الرب يثير أعداء لتأديبه

"وأقام الرب خصماً لسليمان هدد الأدموي، كان من نسل الملك في أدوم" [١٤].

حين أرسل سليمان إلى حيرام ليساعده في بناء هيكل الرب كان يمكنه القول بأنّه لم يكن له خصم "saatan" (١ مل ٥ : ٤)، وإن السلام والأمان يسودان مملكته، وكل رجل يسكن تحت كرمه وشجرتة (١ مل ٤ : ٢٥). أمّا الآن وقد أقام هياكل وثنية فقد سمح الله أن يقم له عدّة خصوم مرة واحدة خاصة هدد ورزون ويربعام.

لقد أجل الله التأديب إلى عصر ابنه ربيعام، لكنّه سمح بقيام الخصوم الثلاثة حتى يتأكد سليمان من خطورة الموقف، فلا يستسلم للخطية ظاناً أنّه ونسله في أمان وسلام.

ما كان يمكن لهدد الأدموي ورزون ويربعام أن يصيبوا سليمان بضرر ويكونوا له أعداء أشداء لو لم يقم سليمان من الله نفسه عدواً له. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنّه لا يقدر أحد أن يؤدي إنساناً ما لم يؤذ الإنسان نفسه.

في رسالة القديس جيروم التي بعث بها إلى أوستوخيوم يعزّيها في والدتها باولا Paula أشار إلى مضابقتها:

❖ الحسد يقتفي أثر الفضيلة، وكما يقول هوراس *Horace* تُضرب قمة الجبل بالبرق. لا تعجب أنني أعلن هذا عن رجال ونساء، إن كان حسد الفريسيين قد نجح في صلب ربنا نفسه. لكل القديسين من يطلب لهم الشر. وحتى الفردوس لم يتخلص من الحيّة التي بحسدها جاء الموت إلى العالم (حك ٢: ٢٤). هكذا أثار الرب هدد الأدمي ضد باولا *Paula* حتى لا تنتفخ، وحذرها دائما بشوكة في جسدها (١ كو ١٢: ٧)، فلا تتعظم بفنائها ولا تتباهى بمقارنتها بالنساء الأخريات، فنالت قمة الكمال. فمن جانبي اعتدت القول أنه من الأفضل أن أكون مكروهاً فأنسحب من أمام الأهواء^١.

القديس جيروم

"هدد" اسم شائع بين الأدميين، وهو لقب ملوكي ربما من أصل سرياني يعني "الشمس" في سوريا وأدوم *Idumaea*.

كان هدد أميراً من بيت ملكي هرب إلى مصر من مذبحه يوباب، وهو غلام ومعه بعض عبيد أبيه. وجد نعمة في عيني فرعون فأزوجه أخت امرأته. في الوقت المعين سمح الله لهدد أن يحث قلبه بالرجوع لكي يصير شوكة في جنب سليمان.

"وحدث لما كان داود في أدوم عند صعود يوباب رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر في أدوم" [١٥].

بدأ داود بالمعركة وانتصر (مز ٦٠: ٦-١٢؛ ٦٨؛ ١١٨: ٧-١٣)، ثم صعد يوباب ليكمل خضوع أدوم وتحطيمه تماماً، مع التشديد في الأمر بقتل كل ذكر. يرى البعض أن يوباب صعد ليدفن القتلى الإسرائيليين في المعركة في وادي الملح شمال العربية، ويرى آخرون أنه قام بدفن القتلى من بني أدوم حيث قتل كل ذكر من أدوم.

"لأن يوباب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في أدوم. إن هدد هرب هو ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه لياتوا مصر، وكان هدد غلاماً صغيراً" [١٦-١٧].

ترجع عداوة هدد ورزون إلى عصر داود، لكن الله سمح بظهورهما كعدوين خطيرين في أيام سليمان لأجل تأديبه. وكان لكل أمر وقت عند الرب يحقق به غاية معينة.

¹ St. Jerome: Letters, 108:18.

"وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران

وأخذوا معهم رجالاً من فاران

وأتوا إلى مصر إلى فرعون ملك مصر،

فأعطاه بيتاً وبعث له طعاماً وأعطاه أرضاً" [١٨].

مديان: كان يسكنها بعض قبائل *nomadic* في شرق أودوم (عد ٢٢: ٤، ٧؛ ٢٥: ١٥-٣١)،

عاصمتها مديان، تقع على نهر أرنون *Arnon*. مديان في جنوب يهوذا.

فاران: وهي الصحراء التي تدعى "التيه" ملاصقة تماماً لجنوب يهوذا.

فرعون: ملك الأسرة الحادية والعشرين ربّما يكون *Pausennes I*. كان من عادة الفراعنة

الاهتمام بالتحالف مع الدول المجاورة وتكوين صداقات مع ملوكهم.

"فوجد هدد نعمة في عيني فرعون جداً وزوّجه أخت امرأته أخت تحفيس الملكة" [١٩].

تحفيس: هو اسم إلهة بمصر، كانت زوجة فرعون تدعى *hagbiyreeh* أيّ السيّدة بين زوجات

الملك، بكونها المدبّرة الرئيسيّة. هذا اللقب كان يستخدم بالنسبة للملكة الأم بالنسبة لملوك يهوذا بكونها

رئيسة كل النساء في "بيت الحريم" أو جناح النساء بالقصر الملكي. بعد موتها تحلّت الملكة زوجة

الملك هذا المركز.

"فولدت له أخت تحفيس جنويث ابنة،

وفطمته تحفيس في وسط بيت فرعون،

وكان جنويث في بيت فرعون بين بني فرعون.

فسمع هدد في مصر بأن داود قد اضطلع مع آبائه ويأن يواب رئيس الجيش قد مات.

فقال هدد لفرعون: أطلقني إلى أرضي.

فقال له فرعون:

ماذا أعوزك عندي حتى أنّك تطلب الذهاب إلى أرضك؟

فقال: لا شيء، وإنما أطلقني" [٢٠-٢٢].

وجد هدد الأودومي نعمة في عيني فرعون ملك مصر، وتزوّج أخت زوجته، ولم ينقصه شيء، إذ

يقول له الملك: "ماذا أعوزك عندي حتى أنّك تطلب الذهاب إلى أرضك؟! حقا لم ينقصه شيء، لكنّه

لن يجد سعادته الحقّة إلاّ في بلده. هكذا يترنّم المؤمن قائلاً: بأنّه وإن لم ينقصه شيء في العالم؛ مهما

ابتسمت لنا الحياة الزمنيّة، وقدمت لنا من غنى ومجدٍ وكرامة، تبقى سعادتنا الحقّة في العودة إلى بيتنا

الحقيقي: حزن الآب، السماء المفتوحة لنا!

مع ما تمتع به هدد من عطايا ومسررات ومجد في مصر واهتمام من قصر فرعون لكن ما كان يشغل قلبه هو استرداد كرامة بلده "أدوم"، لهذا كان ينتظر موت يواب ودأود.

هل عاد هدد إلى أدوم؟ وهل صار ملكاً عليها؟ واضح أنه عاد بالفعل إذ صار مع رزون خصمين لسليمان، يرى البعض أنه استرد جزءاً كبيراً من أدوم، ربّما جبل أدوم، بينما بقيت المناطق في السهل مثل عصيون جابر *geber-Ezion* في أيدي الإسرائيليين. غير أن البعض يستند على عبارة "لم يكن في أدوم ملك" (١ مل ٢٢: ٤٧) بل وكيل *vicegerent* حتى أيام يورام ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا "عصى أدوم من يد يهوذا وملكوا على أنفسهم ملكاً" (٢ مل ٨: ٢٠) بأنه لم يملك هدد على أدوم. يقول *Thenius* بأنه ما ورد في (١ مل ٢٢: ٤٧-٤٨) أنه في أيام يهوشافاط ماتت أسرة هدد وحسب يهوشافاط نفسه مسئولاً أن يقيم لهم وكيلاً حتى يتعين الملك الجديد، فتدخل يهوشافاط في الصراعات الداخلية لأدوم.

هناك رأي آخر يعتمد على العبارة: "وكان (رزون) خصماً لإسرائيل كل أيام سليمان مع شرّ هدد" [٢٥]، وهو أن هدد انطلق من مصر لكنه لم يملك على أدوم، إنّما جاء إلى رزون الأرامي وصار سنداً له في مقاومة سليمان. وهناك رأي ثالث بأن هدد ورزون هما شخص واحد.

الخصم الثاني: رزون بن أليداع

"وأقام الله له خصماً آخر رزون بن اليداع الذي هرب من عند سيده هدد عزر ملك صوبية" [٢٣].

رزون: ربّما هو بنفسه حزيون الوارد في (١ مل ١٥: ١٨)، وربّما يكون أحد الأشخاص الذي أخذ الملك من أيدي أسرة هدد وقد استعادت الكرسي بعد موته. بذلك يكون ملوك أرام أو دمشق هكذا.

❖ رزون مغتصب العرش، كان معاصراً لسليمان. كان رزون أحد قادة هدد، الذي هزّمه داود. في ذلك الوقت هرب رزون مع رجاله وعاشوا معاً يعتمدون على السلب والنهب ثم استولى على دمشق وملك إلى حين استيلاء داود عليها وإخضاعه سوريا (أرام)، عندئذ طرد رزون. لكن بعد انحراف سليمان شعر رزون أن الله فارق إسرائيل فاستعاد دمشق وجاء إليه هدد وصار الاثنان مقاومين لسليمان.

❖ حزيون (هدد الثاني) كان معاصراً لرحبعام.

❖ تبريمون *Tavrimom* (هدد الثالث) كان معاصرًا لأبيام.

❖ بنهدد (هدد الرابع) كان معاصرًا لآسا.

"فجمع إليه رجالاً فصار رئيس غزاة عند قتل داود إياهم،
فانطلقوا إلى دمشق،

وأقاموا بها وملكوا في دمشق.

وكان خصمًا لإسرائيل كل أيام سليمان مع شرّ هدد، فكره إسرائيل وملك على آرام.

ويرعام بن نباط أفرايمي من صردة عبد لسليمان،

واسم أمه صروعة،

وهي امرأة أرملة،

رفع يده على الملك" [٢٤-٢٦].

أقام الله هدد ورزون الأُمميين خصمين لسليمان، أمّا يريعام الذي من سبط أفرايم، فقد رفع يده على الملك، أي تمردّ عليه. وُلد يريعام في صردة في وادي الأردن. اتّسم بالذكاء والفتنة، فعينه الملك سليمان ناظرًا للعاملين من سبطي أفرايم ومنسى (بيت يوسف). عندما كان يرمم أورشليم والصور الذي تصدّع وتهدّم عندما أخذ داود المدينة من البيوسيين. لعلّه شعر بأنّه قد وضعت الأعمال الثقيلة على سبطي أفرايم ومنسى فأثار سبطه ضد سبط يهوذا المتتعم، خاصة الأسرة الملكيّة.

في بداية العمل، خاصة في بناء الهيكل، كان سليمان مهتمًا ألاّ يتقل على الشعب، تاركًا الأعمال الصعبة على أسرى الحرب، لكن إذ كثرت الإنشاءات اضطر إلى تغيير سياسته، فشعرت الأسباط بالضغط من جهة التسخير مع دفع ضرائب باهظة.

"وهذا هو سبب رفعه يده على الملك،

أن سليمان بنى القلعة وسدّ شقوق مدينة داود أبيه.

وكان الرجل يريعام جبار بأس،

فلما رأى سليمان الغلام أنّه عامل شغلًا أقامه على كل أعمال بيت يوسف.

وكان في ذلك الزمان لما خرج يريعام من أورشليم أنّه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق

وهو لابس رداءً جديدًا

وهما وحدهما في الحقل" [٢٧-٢٩].

الشيلوني أي أحد سكّان شيلوه في جبل أفرايم، وهو أول موضع مقدّس للشعب في أرض الموعد

(يش ١٨ : ١٠؛ قض ١٨ : ٣١؛ ١ صم ٤ : ٣).

٦. أخيا النبي وانقسام المملكة

"فقبض أخياً على الرداء الجديد الذي عليه ومزقه اثنتي عشرة قطعة" [٣٠]

الثوب *salmaah* الجديد كان يرتديه النبي وليس يربعم كما ظن البعض. وهو عبارة عن "شملة" يلقبها الإنسان على جسمه، لها أربع زوايا.

كان الثوب جديداً لأنه يقيم مملكة حديثة، هي مملكة إسرائيل المنشقة.

"وقال ليربعم خذ لنفسك عشر قطع،

لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل:

هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان، وأعطيك عشرة أسباط" [٣١].

يرى الشهيد كبريانوس الثوب في الكتاب المقدس يشير إلى الكنيسة أو المملكة، لهذا عند صلب السيد المسيح لم يُشق ثوبه، بل أُلقيت قرعة بين الجنود من يناله (يو ١٩ : ٢٣-٢٤). فإنه لم يرد السيد أن تفقد الكنيسة، ثوب المسيح، وحدتها. لم يكن ثوبه مخيطاً بل كان منسوجاً من أعلى. [يحمل هذا الثوب وحدة نازلة من فوق إلى أسفل، أي من السماء من الآب، التي يجب ألا تمرق بواسطة من يستلمه ويمتلكه، وإنما بغير انقسام نحصل على الثوب ككل بكيانه كاملاً. لا يقدر أن يقتني ثوب المسيح من يجزئ كنيسة المسيح ويقسمها].

"ويكون له سبط واحد من أجل عبيد داود ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل

أسباط إسرائيل" [٣٢].

بالرغم من عدم أمانة الإنسان يبقى الله أميناً، فقد وعد بحفظ نسل داود حتى يأتي المسيا ابن داود (حز ٢١ : ٢٧). أنه يؤدب بيت داود بسبب انحرافه لكثته لا يحطمه. لقد برهن سليمان أنه إنسان خاطئ، ومع ذلك فمن نسل داود يأتي المسيح مخلص الخطة.

يبقى وعده الإلهي قائماً بأن يُقيم من نسله سراجاً، مشيراً بذلك إلى السيد المسيح الذي هو نور العالم، أضاء لا لبني إسرائيل وحدهم بل وللأمم أيضاً.

"لأنهم تركوني وسجدوا لعشوتوث إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموابيين ولملكوم إله بني

عمون،

¹ The Treatise of Cyprian 1 on the unity of the Church, 7.

ولم يسلكوا في طريقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداود أبيه.

ولا آخذ كل المملكة من يده،

بل أصيرُه رئيسًا كل أيام حياته،

لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي" [٣٣-٣٤].

❖ من سار في قداسة القلب والعدالة مثله (داود) حتى يتم إرادة الله، الذي لأجله وهبت المغفرة عن أولاده عندما أخطأوا، وحفظت حقوقهم لورثتهم؟¹

القديس أمبروسيو

"وآخذ المملكة من يد ابنه وأعطيك إياها، أي الأسباط العشرة.

وأعطى ابنه سبطاً واحداً ليكون سراج لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم المدينة التي

اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها.

وأخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك،

وتكون ملكاً على إسرائيل.

فإذا سمعت لكل ما أوصيك به،

وسلكت في طريقي،

وفعلت ما هو مستقيم في عيني،

وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي،

أكون معك وأبني لك بيتاً آمناً،

كما بنيت لداود وأعطيك إسرائيل" [٣٥-٣٨].

جاء الشرط الخاص بمملكة يريعام هو بعينه الخاص بسليمان لكي تستمر مملكته (١ مل ٣ : ١٤؛

١٢ : ٩؛ ٤)، ألا وهو الأمانة في حفظ الوصية الإلهية.

لم ينل يريعام وعداً إلهياً باستمرار مملكته كما نال داود الملك، لأن انشقاق المملكة لم يكن ممكناً

أن يدوم. على أي الأحوال لم يتم يريعام الشرط لهذا بموت ابنه فقدت أسرته الحكم (١ مل ١٥ : ٢٨

الخ).

"وأذل نسل داود من أجل هذا ولكن لا كل الأيام" [٣٩].

¹ St. Ambrose: Duties of the Clergy, book 2:7:35

"ولكن لا كل الأيام": يشير هنا إلى السبي البابلي حيث يفقد بيت داود العرش حتى يأتي ابن داود، رب المجد يسوع، ويملك أبدياً.

٧. سليمان يطلب قتل يربعام

"وطلب سليمان قتل يربعام،

فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر،

وكان في مصر إلى وفاة سليمان" [٤٠].

مع أن الحديث بين النبي أخياً وربعام كان سرّياً، لكن يبدو أن يربعام لم ينتظر حتى تتحقّق النبوة. بدأ يخطّط ويدبّر الأمور، وغالباً ما بدأ ينشر الخبر، فسمع سليمان وأدرك أن يربعام يخطّط لاغتصاب الملك.

أراد سليمان أن يمنع تنفيذ التأديب الإلهي وذلك بالتخلّص من يربعام. عرف سليمان من هو الرجل الذي يقيمه الرب لتأديبه، فيشق المملكة ويسيطر على عشرة أسباط منها. وكان يليق بسليمان أن يعالج المشكلة من جذورها، فيحطّم المذابح الوثنيّة ويمنع العبادة الغريبة. لكنّه عوض ذلك طلب أن يقتل يربعام. كان يظن أنّه قادر أن يحرك التاريخ بنفسه متجاهلاً دور الله نفسه ضابط التاريخ. يرى البعض أن شيشق هو الملك سيزوستريس *Sesostris*.

٨. موت سليمان

"وفيّة أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أمّا هي مكتوبة في سفر أمور سليمان. وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة. ثم اضطجع سليمان مع آبائه ودفن في مدينة داود أبيه، وملك رحبعام ابنه عوضاً عنه" [٤١-٤٣].

- مات سليمان وهو صغير السن، وقد ترك أثراً طيّبة فائقة وأثراً رديئة إلى أبعد الحدود.
- تمتّع بالحكمة منذ شبابه، وأحبّها فوق كل أمجاد العالم، وبدأ حياته بالقوى.
- بنى الهيكل الفريد، وظهر له الرب مرّتان.
- كتب الأسفار المقدّسة: الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد.
- أقام مملكة مجيدة نالت شهرة في العالم كلّها في ذلك الحين.
- بنى أسطولاً بحرياً، واهتم بالتجارة الخارجيّة.

- أقام علاقات طيبة مع الأمم المجاورة.
- اهتم بالإنشاءات مع ذوق رفيع في الفن المعماري.
- كانت له دراية في التنظيم والإدارة.
- كان صاحب معرفة في كثير من العلوم الطبيعية.
- كان أديباً وشاعراً. ويسبب شهرته يعتقد البعض أن كثيراً من فلاسفة الشرق اقتبسوا منه. وأن أمثال سليمان وأشعاره محفوظة في كتابات الشرق القديمة، وإن كان يصعب فرز ما هو أصيل ممّا هو منسوب إليه باطلاً. توجد كتب كثيرة منسوبة إليه.
- يذكر **يوسيفوس** بأن سليمان كتب الكثير من التعاويذ لشفاء الأمراض وإخراج الشياطين.
- يعتقد البعض بأنّه كان لسليمان خاتم سحري يمارس به السحر ويشفي المرضى الخ.
- هكذا نال سليمان شهرة فائقة في العصور السابقة. وفي نفس الوقت يقدّم مثلاً مؤلماً لإمكانية **سقوط العظماء الجبابرة**.
- بدء بالطاعة للوصية الإلهية ثم سقط في العصيان.
- التصاقه بزوجات وسراري كثيرات حطّمن نقاوة قلبه نحو الله، وأدخلن العبادة الوثنية وسط شعبه.
- المبالغة في الإنشاءات أرهق الشعب من جهة الالتزام بالعمل والنفقات.
- وضع بذور تقسيم المملكة وانشقاقها.

من وحي ١ مل ١١

لتُكْمَلْ مَعِيَ الطَّرِيقَ،
فَأَنْتَ هُوَ الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ!

- ❖ أدرك سليمان أن الرب هو البداية،
مع بداية حياته سلّمه قلبه كاملاً.
لكن في الطريق سحب قلبه ليعطيه لنساء غريبات وثنيّات.
القلب الذي تمعّن بالله بدء الطريق،
لم يكمل معه حتى النهاية.
القلب الذي تكرّس مع بناء الهيكل، مال وراء آلهة الوثنيّات.
اليَد التي امتدّت لبناء هيكل الرب،
امتدّت لتبني مرتفعة لكموش ومولك الرجسين.
- ❖ لتكن أنت يا رب بدء طريقي ونهايته.
لترافقني كل الطريق، فيبقى قلبي بكماله لك.
ليت قلبي لا يتمرّق بين النور والظلمة.
فلا تتمرّق مملكة المسيح التي في أعماقي.
- ❖ بحبّك أفتت لسليمان خصوصاً لرد نفسه إليك.
هدد الأدومي الهارب في أيّام داود إلى مصر.
ترك كل خبرات فرعون ليعود إلى أرضه،
ويكون شوكة في ظهر سليمان.
اتّحد معه رزون الأرامي ضد سليمان.
تنبأ أخيا ليربعام أنّه سيتمتع بالملك على عشرة أسباط.
- ❖ لترسل مقاومين، فالضيق هو لبنيان نفسي.
لتقد بنفسك حياتي كل الطريق،
فأسلمك قلبي بالكامل بين يديك.

الباب الثاني

المملكة المنقسمة

[ص ١٢ - ص ٢٢]

الأصحاح الثاني عشر

تمزيق المملكة

حذّر الله من انقسام المملكة بسبب عدم الأمانة، المرة الأولى كانت موجهة من الله مباشرة إلى سليمان (١ مل ١١ : ١١-١٣)، والثانية حينما عرف سليمان أن النبي أخيا تنبأ ليربعام عن إقامة مملكة منشقة (١ مل ١١ : ٢٩-٣٢)، والمرة الثالثة نبوة شمعي لربعام بن سليمان [٢٣-٢٤]. مع كل هذه التحذيرات لم يتحرك قلب ربعام للتوبة والرجوع إلى الله.

هكذا تبقى قصة سليمان وابنه ربعام مثلاً عبر التاريخ عن خطورة فساد القائد. فالفساد الذي دب في حياة سليمان أثمر في حياة ابنه ربعام، وحطم المملكة. شرب كثيرون من الكأس التي ملأها سليمان. وهكذا يحدّثنا الكتاب المقدّس: "يقول رب الجنود اضرب الراعي فتتشتت الغنم" (زك ١٣ : ٧).

ما رأيناه في سليمان الملك وابنه ربعام يدفعنا إلى الاهتمام الشديد والحذر في اختيار القائد سواء كان شماساً أو كاهناً أو أسقفًا. تحدّثنا الدسقولية من اختيار أسقف غير لائق: [مثل هذا يفسد كرامته، وتتبدّد كنيسة الله التي في إيبارشيتته... فأبنا إذ نلاحظ شخص الحاكم، فأبّه خلال شرّه وإهماله للعدالة ينمو الشعب في الشك ويعانون من نفس مرضه، ويلتزمون بالهلاك معه، كما حدث مع الشعب الذي ارتبط بربعام (١ مل ١٢) والذين دبّروا سرّاً مع قورح (عد ١٦)].

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يثور الشيطان بعنف شديد ضد المعلمين لأنّه بهلاكهم ينتشتت القطيع. بذبح الغنم يقل القطيع، لكن بإصابة الراعي يهلك القطيع كلّهُ... بنفس واحدة يهلك الكل^١].

١. تجلس ربعام ملكاً .١
٢. عودة يربعام .٢
٣. رفض مشورة الحكماء ٣-١٥ .٣
٤. ثورة عشرة أسباط ١٦-٢٠ .٤
٥. محاولة ربعام إخضاعهم ٢١-٢٤ .٥
٦. يربعام يحمل شكل التدين ٢٥-٣٣ .٦

¹ Constitutions of the Holy Apostles, book 2:3:10.

² In 1 Tim. Hom. 1:1.

١. تجليس رحبعام ملكاً

"وذهب رحبعام إلى شكيم

لأنه جاء إلى شكيم جميع إسرائيل ليملكوه" [١].

رحبعام: معناه "اتساع الشعب" غير أن تصرفاته كانت عكس اسمه. لم يكن في قلبه رحابة واتساعاً للشعب.

هو ابن إحدى النساء الغريبات الجنس الوثنيّات (عمونيّة) اللواتي تزوّجهنّ سليمان [٢١]. أنه ابن أحكم إنسان على وجه الخليقة، ورث عن أبيه عرشه لكنّه لم يرث عنه الحكمة، ولم تجرِ نعمة الله في عروقه.

تولّى سليمان الحكم وهو صغير جداً، لكنّه كان حكيماً حتى في طلبه الحكمة السماويّة. أمّا ابنه فكان قد بلغ إحدى وأربعين من عمره، ولم تكن للحكمة موضع في أعماقه. ليست السنوات ولا المعرفة النظرية ولا العلم يهب الإنسان الحكمة، لكن تواضع القلب أمام الله واشتياقه نحو الحكمة يفتح الباب لها لكي تدخل وتملك في الأعماق، وتدير فكر الإنسان وكلماته وتصرفاته.

ربّما كان رحبعام الابن الوحيد أو الابن البكر لسليمان الذي أنجبه بالرغم من تزوّجه بحوالي ألفاً ما بين زوجات وسراري، فإنّنا لم نسمع أن سليمان بارك أولاده.

لم يشير الكتاب المقدّس إلى اهتمام سليمان بتربيّة أولاده، ولم نسمعه يقدّم وصيّة وداعيّة لوليّ عهده. لم يوصه بحفظ العهد الإلهي والتمسك بالوصيّة الإلهيّة والاهتمام بمصلحة الشعب.

"لماذا اختار شكيم لتجليسه ملكاً؟"

ربّما نُوّج ملكاً في أورشليم أولاً ثم ذهب إلى شكيم (نابلس) ليتوّج على الأسباط الشماليّة. كانت شكيم تبعد حوالي ٣٠ ميلاً شمال أورشليم. في شكيم أُقيم أقيم أبيمالك ملكاً (قض ٩)، وقد كانت شكيم مشهورة بإقامة مؤتمر عام لكل الأسباط (يش ٢٤: ١)، غالباً ما كان رحبعام يشعر بما يدب في أفكار الأسباط العشرة من تدمر على أبيه، فاختر شكيم مرضاة لهذه الأسباط دون التفكير الجاد في معالجة المشاكل. كانت الأسباط الشماليّة مستعدّة للانفصال عن الأسباط الجنوبيّة لأسباب كثيرة، كما رأينا في مقدّمة هذا الكتاب. الآن بعد بناء الهيكل والقصر الملكي وملحقاته في أورشليم، فصارت مركزاً للرئاسة الدينيّة والسياسيّة ازدادت غير الأسباط الشماليّة.

العجيب أن شكيم التي اجتمع فيها كل إسرائيل لتمليك رحبعام هي بعينها التي بناها يربعام ليقيم منها عاصمة للمملكة المقاومة لرحبعام. هكذا الموضع الذي فيه نال رحبعام الكرامة والمجد صار

مركز مقاومة له ولمملكته.

"جميع إسرائيل"، لا يقصد كل الشعب بل جاء ممثلون عن كل الأسباط. لم يأتوا لكي يختاروه ملكاً، إذ كان نظام الملك قد استقرَّ، وعرف الكل عن اختيار الله لداود ونسله من بعده ملوكاً. إنَّما جاءوا لكي يجددوا العهد المتبادل بين الملك وشعبه، كل من الطرفين عليه التزامات. ذهب كل الشعب إلى شكيم لتجليس ربعام بن سليمان ملكاً، وفي نفس الوقت أرسل الغالبية العظمى (عشرة أسباط) إلى يربعام لكي يأتي من مصر، لكي يسندهم في التحرر من ثقل النير الذي وضعه سليمان على أعناقهم. مرَّت لحظات ظن فيها ربعام أن كل الشعب متهلل بتجليسه ملكاً، وأنَّه لا يوجد عدو يقدر أن يحطِّم مملكته أو يهز شخصيته. انخدع بالمظهر الخارجي، ولم يفكر جدًّا في تثبيت مملكته بالعدل والتقوى.

٢. عودة يربعام

"ولما سمع يربعام بن نباط وهو بعد في مصر،
لأنَّه هرب من وجه سليمان الملك وأقام يربعام في مصر،
وأرسلوا فدعوه" [٢].

إذ طلب سليمان قتله هرب يربعام إلى مصر لكي يرسله الرب في الوقت المحدد. ظنَّ سليمان أنَّه قد خلص منه، ولم يدرك أنَّه سيقوم المملكة المنشقة في أيَّام ابنه. لقد ظنَّ سليمان أنَّه كسب مصر بزواجه ابنة فرعون، ولم يدرك أن فرعون يحتضن من يحطِّم ابن سليمان. هذه ثمار من يلجأ لحل مشاكله بطريق آخر غير الصلاة والتوبة.

٣. رفض مشورة الحكماء

"أتى يربعام وكل جماعة إسرائيل وكلموا ربعام قائلين:
إن أباك قسى نيرنا،
وأما أنت فحفف الآن من عبودية أبيك الفاسية،
ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك" [٣-٤].

لم يشترك الشعب لأن أباه سليمان أعطى ظهره لله وتجاهل الوصية الإلهية وأقام مذابح وثنية، إنَّما ما كان يشغلهم أنَّه فرض عليهم السخرة في العمل مع ضرائب باهظة. إنَّهم يطلبون الحياة السهلة

دون مبالاة إن كانوا يعبدون الله أو عشتروت أو ملوك.

كانت الشكوى تحمل جانباً من الحقيقة لكنّها تجاهلت الجوانب الأخرى الإيجابية. فإن كان بالفعل قد فرض ضرائب باهظة على شعبه، لكننا لا نتجاهل أنّه بحكمة فائقة كسب ذهباً وفضّة لحساب مملكته من الدول المجاورة حتى صارت الفضّة من الكثرة كالحجارة. كذلك اتّسم عهده بالسلام الخارجي والداخلي، فلم تتحوّل ميزانيّة الدولة إلى الجيش، ولا تحوّلت طاقات الشعب إلى الحروب. لهذا السلام أثره على رفاهيّة الشعب.

من جانب آخر فإن الشعب لم يقدّر بالثورة على رجبهم؛ بل أعلنوا رغبتهم في خدمته إن شاركهم مشاعرهم وخفف عنهم عبء الضرائب. لم يطلبوا الإعفاء الكامل من الضريبة بل التخفيف منها. لم يطلبوا منه أن يكون لهم عبداً بل يكونوا هم خدماً، فيقبلوه أباً وملكاً لهم، ويتبارون في الخدمة له بكل قلوبهم. إذ يرى الشعب قائدهم يعيش من أجلهم لا من أجل ذاته، يحبونه ويسمعون له ويخدمونه ويدافعون عنه. أمّا القائد الطاغية المعتزّ بذاته فيخلق شعباً متشكّكاً فيه، يود أن يتمردّ عليه. يليق بالقائد ألاّ يحمل الناس أثقاله، بل يحمل في قلبه أثقالهم، وينشغل فكره بالمسؤوليّة لحسابهم، مكرّساً وقته لبنيانهم، فيخضعون له كأبناء، وأعضاء في جسده بكونه الرأس. سعيد هو الشعب له قائد كهذا، وفي أمان القائد الذي له شعب كهذا.

"فقال لهم اذهبوا إلى ثلاثة أيّام أيضاً ثم ارجعوا إليّ،

فذهب الشعب" [٥].

طلب منهم مهلة ثلاثة أيّام ليعطيهم ردّاً على سؤالهم. هذا التصرف حسن، إذ أعطى لنفسه مهلة للتفكير، لكنّه تجاهل الدور الإلهي. كان يليق به أن يطلب مشورة الله بكونه الملك الحقيقي لشعبه، والذي أقامه ملكاً على كرسي أبيه وجدّه.

"فاستشار الملك رجبهم الشيوخ الذين كانوا يقفون أمام سليمان أبيه وهو حي قائلاً:

كيف تشيرون أن أرد جواباً إلى هذا الشعب.

فكلّموه قائلين:

إن صرت اليوم عبداً لهذا الشعب وخدمتهم وأحببتهم وكلّمتمهم كلاماً حسناً يكونون لك عبيداً كل

الأيّام" [٦-٧].

قدّم الشيوخ مفهوماً صادقاً للملك، وهو أن يحمل روح الرعاية والحب والكلمة العذبة والخدمة، فيحصد حباً صادقاً وخضوعاً له كل الأيّام. لقد أرادوا من رجبهم أن يحقّق ما نادى به والده، وهو أن

الكلام الطيب يصرف الغضب. لم يدرك رجبعم أن من أراد أن يكون سيِّداً فليكن خادماً. وأن الملك الحكيم يرى أنَّه خادم لشعب الله، غايته سعادتهم.

فترك مشورة الشيوخ التي أشاروا بها عليه،

واستشار الأحداث الذين نشأوا معه ووقفوا أمامه.

وقال لهم: بماذا تشيرون أنتم، ففرد جواباً على هذا الشعب الذين كلَّموني قائلين:

خَفَّف من النير الذي جعله علينا أبوك.

فكلَّمه الأحداث الذين نشأوا معه قائلين:

هكذا تقول لهذا الشعب الذين كلَّموك قائلين إن أباك ثَقَل نيرنا وأمَّا أنت فخَفَّف من نيرنا.

هكذا تقول لهم إن خنصري أغلظ من متني أبي" [٨-١٠].

كان هذا المثل شائعاً يحمل معنى أنه أقوى من أبيه وأكثر سلطاناً، فإن أصغر إصبع في يده أغلظ من فخذ أبيه.

والآن أبي حملكم نيراً ثَقِيلاً، وأنا أزيد على نيركم،

أبي أدبكم بالسياط،

وأنا أودبكم بالعقارب" [١١].

قدَّم له الشباب أصدقاؤه الذين نشأ وسطهم مشورة خطيرة. قدَّموا له مفهوماً مختلفاً عن الملك، وهو السلطة والسيطرة والعنف في التعامل مع الخاضعين له. بنُّوا فيه روح الكبرياء واحتقار الآخرين. لقد طلب منه الشيوخ أن يقدِّم لشعبه كلاماً حسناً يكسبهم به دون أن يملأوا عليه بما يقوله. أمَّا هؤلاء المشيرون فأملوا عليه ليست فقط روح التشامخ والسيطرة بل حتى الكلمات التي ينطق بها مع الشعب. في تشامخهم أيضاً طلبوا من رجبعم أن يعترف بأن والده حملهم نيراً ثَقِيلاً، لا لكي يرفع عنهم ما وضعه والده بل يزيده ثَقِلاً.

لم يقف الأمر على زيادة الضرائب أكثر فأكثر، بل هدَّدهم بإصدار قوانين عنيفة مثل العقارب.

لا نلم المشيرين وحدهم بل نلوم رجبعم الذي في إعطائه ظهره لله تركه الله لغباوته، وسلَّمه في أيدي مشيريه العنفاء، حتى تتشق المملكة ويفقد رجبعم عشرة أسباط.

تحدَّث القديس يوحنا كاسيان في الكتاب الرابع من "المؤسَّسات" في الفصلين ٩ و ١٠ عن التزام الحديثين في الرهينة ألا يعتمدوا على تمييزهم الشخصي، ولا يخفون شيئاً من أفكارهم عن الشيخ المختبر الذي يتعهدهم. بهذا لا يقدر الشيطان أن يدمِّر الشخص الحديث اللهمَّ إلاَّ إذ أغواه بالكبرياء

بإخفاء أفكاره. يطيعون بثقة ويقين وبلا تردّد كما لو كان الأمر صادرًا من السماء.

❖ من كان له الفكر الصالح وفي تواضع مع شوق يتمثّل بإخلاص بما يراه، سواء خلال التعليم أو اقتداءً بما يراه في الآباء، بدلاً من الانشغال في الجدل، بهذا تستقر فيه معرفة كل شيء باختبار عملي. أمّا الذين ابتدأوا تعلّمهم بالجدال، فلن يدخلوا إلى غاية الحق... لذلك فإن عدوّنا (الشیطان) يدفعهم بسهولة بعيداً عن معرفة الآباء، حتى لتبدو لهم الأمور المفيدة والنافعة كأنّها غير ضروريّة، بل ومضرة. بهذا يلعب العدو الماكر بفضونة، جاعلاً إياهم يتمسّكون برأيهم الخاص في عناد، مقتنعين بأن ما يملأ عقولهم النجسة من أخطاء هو صلاح وحق ومقدّس¹.

الأب بيامون

❖ الطاعة احتجاج أمام الله. فان سُئلت منه: لماذا فعلت هذا؟ تجيبه "أنت يا سيّد أمرت بالطاعة، أنا فعلت ما أمرت به"، فتجاوبه هكذا وتنبّرر.

إن السفر بهذه السفينة فيه أمان من الغرق. فيسافر الإنسان وهو نائم، كما يسافر الإنسان في السفينة نائمًا ولا يلتزم بتدبيرها، لأن مدبّرًا حاضر. هكذا حال الإنسان السائر تحت الطاعة، يسافر نحو السماء والكمال وهو نائم من غير تعب ولا تفكير فيما ينبغي أن يفعل. لأن الرؤساء هم مدبّرون هذه السفينة والساھرون من أجله.

لعمري أنّه ليس بالأمر الهين بل هو عظيم جدًّا. فالإنسان يجتاز بحر هذا العالم وهو على ساعد غيره وذراعه!

هذه هي النعمة الكبرى التي يفعلها الله مع السالك تحت الطاعة.

القديس يوحنا الدرجي

❖ من يعتمد على رأيه الذاتي، ولو كان قديسًا، فهو مخدوع، وخطر خداعه أخطر من خطر المبتدئ الذي سلّم تدبيره بيد غيره. فالأول يشبه ربّان سفينة ألقى بنفسه في مركب بلا شراع ولا مجداف في وسط البحر، منكلاً على حذاقته وفن تدبيره. والثاني أي المبتدئ يشبه من لا خبرة له في سفر البحر، فيطلب من نوتيّ ماهر أن يركبه في سفينته العامرة بكل لوازمها واحتياجاتها. فلا ينخدع أحدكم ويهرب من نير الطاعة اللين، عازمًا أن يتمسك برأيه في الأمور الروحيّة مثل الصوم والصلاة وغير ذلك من علامات الإيمان والنسك، ظانًا أنّه بذلك يخلص!

¹ St. John Cassian: Conf. 18:3.

- ❖ الطاعة... هي جحود النفس، موت المشيئة، قبر الهوى، قيامة التواضع، الطاعة موت أعضاء الجسد وهوى النفس، وذلك يكون للمبتدئ بألم، وللمتوسِّط تارة بألم وأخرى بلا ألم، وأمَّا الكامل فلا يشعر بألم إلا إذا فعل شيئاً بحسب هوى نفسه... فالذين يريدون أن يحملوا نير المسيح على رقابهم، ويحملون أعمالهم على رقاب غيرهم (آبائهم أو مرشديهم الروحيين)، سيبلغهم أن يرفضوا أهواءهم الذاتية ويفعلون ما يرون أنه موافق لإرادة الله.
- ❖ بلا مدبِّر لا تكون السلامة. فمن الطاعة التواضع، ومن التواضع الشفاء من الآلام. فقد كُتِبَ أنه بتواضعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أعدائنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

العقارب: هنا هي أنواع من الشياطين في أطرافها عُقد حديدية يُضرب بها العبيد، يُلقى العبد على بطنه وهو عاري الظهر وتشدُّ أطرافه (اليدان والرجلان) ثم يُضرب بهذه الشياطين فتمسك الأطراف الحديدية في جسمه وتهرأه.

عرف الرومان أيضاً نوعاً من الآلات العسكرية تسمى "العقارب" خلالها يطلقون السهام السامة فتكون كلدغات العقارب القاتلة.

"فجاء يربعام وجميع الشعب إلى رجبام في اليوم الثالث.
كما تكلم الملك قاتلاً: ارجعوا إلي في اليوم الثالث.
فأجاب الملك الشعب بقساوة، وترك مشورة الشيوخ التي أشاروا بها عليه.
وكلمهم حسب مشورة الأحداث قاتلاً:
أبي ثقّل نيركم، وأنا أزيد على نيركم،
أبي أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب.
ولم يسمع الملك للشعب،
لأن السبب كان من قبل الرب ليقيم كلامه الذي تكلم به الرب عن يد أخيا الشيلوني إلى يربعام
بن نباط" [١٢-١٥].

- ❖ لا شيء يجعل الرجل تزلّ إلا الكبرياء!
المحبة تحرك الرجل للسير والتقدّم والصعود، أمّا الكبرياء فتدفع الرجل إلى السقوط¹.

¹ On Ps. 21.

القديس أغسطينوس

٤. ثورة العشرة أسباط

"قلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم ردّ الشعب جوابًا على الملك قائلين:
أي قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسى؟!
إلى خيامك يا إسرائيل.
الآن انظر إلى بيتك يا داود.
وذهب إسرائيل إلى خيامهم.
وأما بنو إسرائيل الساكنون في مدن يهوذا فملك عليهم رجبعام" [١٦-١٧].

انتهى الأمر بانقسام المملكة، فعوض المملكة الواحدة القويّة صارت مملكتين ضعيفتين أمام الأمم المجاورة، وأيضًا صارتا مملكتين متحاربتين. وقد مرّت علاقتهما ببعضهما البعض بثلاث مراحل:
أ. من يربعام إلى عمري ملك إسرائيل ومن رجبعام إلى آسا في يهوذا (١ مل ١٢-١٦). كانا يحملان روحًا عدائيًا تجاه بعضهما البعض. حتى انهزمت إسرائيل في معركة كبرى مع يهوذا. وعند تجديد الهجمات التجأ آسا إلى أرام لمعاونته ضدّ إسرائيل ودخلا مع يهوذا في عدّة معارك مستمرة.
ب. في فترة أخاب بن عمري وابنيه أخزيا ويورام في إسرائيل، ويهوشافاط ويورام وأخزيا في يهوذا، ارتبطت العائلتان الملكيتان بعلاقات أسرية خلال الزواج المتبادل، فتحقق نوعًا من التحالف بينهما ضد العدو الأجنبي، وذلك حتى قتل ملكا إسرائيل ويهوذا يورام وأخزيا بواسطة ياهو (١ مل ١٧-٢٠). (٢٧: ١٠).

ج. اتّسمت المرحلة الثالثة بالصراع بين المملكتين إلى سبي إسرائيل بواسطة الآشوريين.
ثم أرسل الملك رجبعام أدورام الذي على التسخير.
فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة فمات.

فبادر الملك رجبعام وصعد إلى المركبة ليهرب إلى أورشليم" [١٨].

بقي رجبعام في شكيم، وكان يظن في نفسه أنّه قادر أن يسيطر بالعنف.

لم يكن من الحكمة أن يرسل رجبعام أدورام المسؤول عن التسخير ليجمع الضرائب في وقت ثورة الشعب وتخليه عن الملك. تصرّفه هذا يكشف عن غباوته وعجزه عن التدبير والقيادة. كشف عن أنّه غريب تمامًا عن أن يكون قائدًا.

إذ رُجم أدورام المسئول عن التسخير شعر أن حياته في خطر، فاضطرَّ أن يهرب من شكيم إلى أورشليم لعلَّه يجد نوعًا من الاطمئنان.

"فعمسى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم" [١٩].

انقسمت المملكة في عهد رحبعام بن سليمان للأسباب التالية:

أ. السبب الرئيسي انحراف سليمان ومعه الشعب إلى العبادة الوثنيَّة (١١ : ٩-١٣، ٢٩-٣٩؛ ١٢ : ١٥). الحياة الإيمانيَّة الحقَّة تهب روح الوحدة، فيتمنَّع المؤمن كما الجماعة بنعمة الله التي تسند وتعين. أمَّا الانحراف عن الله فيدمر ويحطم.

ب. عدم مشاركة الغير مشاعرهم، والتجاوب مع احتياجاتهم. ربَّما كان لسليمان شيء من العذر في جمع ضرائب باهظة لبناء الهيكل وبيته الخاص بكل ملحقاته ومشاريعه الضخمة، وذلك لأن الدولة قد بدأت تتَّسع جدًّا وتستقر دون حروب. أمَّا وقد تم بناء هذه جميعها فكان يليق برحبعام أن يتجاوب مع الشعب المرهق من الضرائب. لكن تجاهله لهم أفقده الكثير من المال والكرامة، وحطَّم وحدة الشعب. يدعوننا السيِّد المسيح أن نعطي ما لقيصر لقيصر ونقدِّم لله ما لله (مت ٢٢ : ٧-٢١)، ويسألنا الرسول بولس أن نقدِّم المؤمنون الضرائب (رو ١٤ : ٦-٧)، فإن هذا من حق الدولة لأجل النفع العام، ومن واجب رجال الدولة أيضًا عدم إرهاب الشعب بل يجب مراعاة العدالة مع الرحمة.

ج. لم يسمع رحبعام لمشيرى والده الشيوخ الحكماء، متجاهلاً حكمتهم وخبرتهم الطويلة (٦-٨)، فضاعف الضرائب.

"ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع،

أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملَّكوه على جميع إسرائيل،

لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده" [٢٠].

وضع الله في قلب يربعام والأسباط العشرة الأُى يطلبوا طرد رحبعام من العرش تمامًا وإقامة بديل له، حيث أن الثائرين هم عشرة أسباط من اثني عشر سبطًا. بهذا يبقى الدم الملوكي من سلالة داود قائمًا على العرش حتى يأتي ابن داود نفسه ويملك.

٥. محاولة رحبعام إخضاعهم

"ولما جاء رحبعام إلى أورشليم جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين،

مائة وثمانين ألف مختار محارب،

ليحاربوا بيت إسرائيل ويرثوا المملكة لرحبعام بن سليمان" [٢١].

إذ شعر رحبعام بالأمان في أورشليم ظنَّ أنه قادر أن يواجه تمرد الأسباط العشرة، لكن شمعيان النبي أخبره بأن الأمر صدر من قبل الرب.

"وكان كلام الله إلى شمعيان رجل الله قائلاً:

كلم رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكل بيت يهوذا وبنيامين وبقية الشعب قائلاً:

هكذا قال الرب: لا تصعدوا ولا تحاربوا إخوتكم بني إسرائيل،

ارجعوا كل واحد إلى بيته،

لأن من عندي هذا الأمر.

فسمعوا لكلام الرب، ورجعوا لينطلقوا حسب قول الرب" [٢٢-٢٤].

لم يكن ممكناً لرحبعام أن يدفع الشعب لمحاربة الأسباط العشرة بعد أن أعلن شمعيان رجل الله أن ما حدث هو من عند الرب. كان لا بد لرحبعام أن يخضع ويرجع حتى لا يفقد القليل الذي تبقى له.

٦. يربعام يحمل شكل التدين

جيد أن يهتم رجل الدولة بحياته الروحية وحياة الشعب، وحسن لرجل الدين أن يطلب من أجل سلام بلده ورجال دولته. لكن يليق ألا يُسيء رجال الدولة استخدام الدين، ولا أن يضع رجال الدين أنوفهم فيما هو ليس من عملهم.

لقد وعد الله يربعام أنه يقيم له بيتاً آمناً إن سلك في طريقه وحفظ وصاياه (١١ : ٣٨). لكن إذ نال يربعام السلطة لم يثق في وعد الله وخشي أن يرجع الشعب إلى بيت داود (١٢ : ٢٦-٢٧). تجاهل يربعام أن ما ناله كان بسماح إلهي سبق أن تتبأ عنه أخيا الشيلوني النبي (١١ : ٢٩)، فارتكب ثلاثة أخطاء:

أولاً: أقام مركزين للأوثان، مركز في جنوب مملكته في "بيت إيل"، والآخر في شمالها في "دان".

ثانياً: أقام كهنة من كل سبط وليس فقط من سبط لاوي، مرتكباً خطية كبرى ضد الناموس (عد ٣ : ١٠).

ثالثاً: أوجد أعياداً ليست للرب بل من عندياته، لا لمجد الله بل لتحقيق أهدافه الشخصية بتخطيط بشري (١ : ٣٢-٣٣).

يستغل كثير من رجال السياسة في العالم الدين لكي ينالوا شعبية، لكن الله يطلب القلب لا

المظهر الخارجي (١ صم ١٦ : ٧).

❖ لتدرس النبي هوشع فتكتشف أن كل نبوته ضد أفرايم (مملكة إسرائيل المنشقة). إنه يقول: "صار أفرايم كحمامة رعناء بلا قلب" (هو ٧ : ١١). لاحظ أنه يقارن أفرايم بحمامة غبية؛ لقد ترك الهيكل وذهب ليسكن في الغابات. يعيش الحمام دائماً في مساكن الحمام. أفرايم، حمامتي بالحق، قد هجر الهيكل، ترك البيت ويعيش في الغابات، إنه يعيش في البرية... يمكننا القول بأن أبناء أفرايم جميعهم هراطقة... لقد هجروا داود ومملكة داود وصاروا يسكنون في البرية. يدعون حماماً ليتأكدوا أنهم وإن كانوا يقرأون الكتب المقدسة لكن قراعتهم غبية... لقد صنعوا عجلين ذهبيين في بيت إيل (وفي دان)، صاروا عبدة أوثان... لقد هجروا بيت الرب تماماً لا يفكرون إلا في الذهب^١.

القديس جيروم

"وبنى يربعام شكيم في جبل أفرايم وسكن بها،

ثم خرج من هناك وبني فنوئيل" [٢٥].

إقامة ملك جديد تتطلب قيام عاصمة جديدة، فهيكل جديد، ثم تغيير في نظام الكهنوت والأعياد الخ.

بنى يربعام قصرًا له في شكيم في أفرايم، والثاني في فنوئيل في جاد على الضفة الشرقية من نهر الأردن. وذلك لكي يظهر للشعب كقائد متدين، فإن كلا الموقعين له رمزه الديني وتقديره لدى الشعب. شكيم هي الموقع الذي فيه أقام يعقوب أب الآباء مذبحًا (تك ٣٣ : ١٨-٢٠). وفيه اجتمع الشعب في مناسبتين لتجديد العهد مع الله في طقس مملوء هيبة وخشية وذلك على جبلي عيبال وجرزيم، حيث تقع شكيم بين قمتيهما (يش ٨ : ٣٠-٣٥؛ ٢٤ : ١-١٥). أمّا فنوئيل فإنها نالت كرامة الصراع بين يعقوب وملاك الرب (تك ٣٢ : ٢٢-٣٢).

إنشاء عاصمتين له في شكيم وفنوئيل لا يمثل مشكلة، لكن ما جاء وراء ذلك من إقامة هيكلين للعبادة خارج أورشليم، وتغيير نظام الكهنوت والعبادة، هذا له خطورته، إذ دفع بالشعب إلى العبادة الوثنية. لقد كسر الشرط الذي وضعه له الرب لكي يقيم بيته ملوكياً (١ مل ١١ : ٣٨).

"وقال يربعام في قلبه:

¹ Hom. 11 on Ps. 77 (78).

الآن ترجع المملكة إلى بيت داود" [٢٦].

الذي لم يخشَ من بطش رجبام خشي لئلاً يرجع رجبام عن عنفه ويستميل الشعب بلطف في فترات الأعياد، فيشتاقون إلى العودة تحت ظل بيت داود.

"إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم،

يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم،

إلى رجبام ملك يهوذا،

ويقتلونني ويرجعوا إلى رجبام ملك يهوذا.

فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب،

وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم،

هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر" [٢٧-٢٨].

لقد تنبأ أخيا عن استلام يربعام للمملكة قبل استلام رجبام الحكم. فكان يليق به أن يعتمد على الله الذي أقامه على الكرسي، لا أن يخشى استلام بيت داود للحكم فيخطئ بطرق بشرية، بروح العصيان على الله. رفعه الله إلى العرش، فإذا به يسحب قلوب الشعب من هيكل الله، ويحطم وصايا الله وشرائعه. هكذا عاد يربعام بالشعب إلى الوراء قرونًا هذه مقدارها، فصنع لهم العجل المصري ليعبدوا الله تحت هذا الرمز كما كان المصريون يفعلون بعبادتهم للعجل أبيس.

لم يكن في إمكانيته أن يقيم هيكلًا كهيكل سليمان كل ما بداخله مغلف بالذهب، إنما كل ما في استطاعته هو أن يقدم عجولين ذهبيين.

وضع العجلين ليحطم فكرة وحدانية اللاهوت، فاتحًا الباب لدخول تعدد الآلهة الذي للوثنية وكما جاء في (هو ٨: ١١) أن أفرايم صنع مذابح كثيرة للخطية. اختار دان في أقصى الشمال، وبيت إيل في أقصى الجنوب لمملكته. كما لو أن هذين العجلين هما الحارسان والحاميان للمملكة. اختار بيت إيل بالقرب من حدود مملكة يهوذا لإغراء البعض من سبطي يهوذا وبنيامين للاشتراك في هذه العبادة.

في رسالته إلى القديس غريغوريوس صانع العجائب كتب أوريجينوس^١ عن هروب يربعام من وجه سليمان إلى مصر حيث أكل خبز المصريين وعاد ليشق المملكة ويقسمها، ويقدم عجولين من الذهب ليعبدهما الشعب (في المملكة الشمالية) قائلاً: "هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من

^١ Cf. *A Letter from Origen to Gregory, I.*

أرض مصر [٢٨]. حينما كان ملتصقًا بسليمان أي بالحكمة الإلهية لم ينحرف إلى العبادة الوثنية، لكنه إذ نزل إلى مصر كما إلى الفلسفات الزمنية والأفكار الغربية عاد ليشق الكنيسة بالهرطقات وينزع عنها وحدتها ويحث الكثيرين على الانحراف عن عبادة الله الحي. إننا لا ننكر أن البعض انتفع بالفلسفات واستخدمها لخدمة الله، لكن كثيرين تعثرُوا بها واعتروا اخوتهم وحرموهم من الحياة الكنسية الروحية.

يعلق العلامة أوريجينوس على حديث الله ليعقوب عند نزوله إلى مصر: ويضع يوسف يده على عينيك" (تك ٤٦: ٤) قائلاً: بأنها نبوة تحققت بإقامة إسرائيل العجلين الذهبيين. فقد تحققت ذلك خلال سبط يوسف فوضع يديه على إسرائيل وأعماه عن معرفة الحق، وخدمه. وكما قيل في ميخا: "كل هذا من أجل إثم يعقوب، ومن أجل خطية بيت إسرائيل، ما هو ذنب يعقوب؟ أليس هو السامرة؟ (مي ١: ٥). هكذا وضع يوسف يديه على عيني يعقوب فلم يعد ينظر إثمه ليعترف به^١.

حاول يربعام أن يصنع العجلين على شكل الشاروبيم لكي يخدع الشعب.

❖ بئس الشعب الذي يتحوّل عن الله... أمّا السلام الخاص بنا فننعم به الآن مع الله بالإيمان، ونتمنّع به أبدياً معه بالعيان^٢.

القديس أغسطينوس

"ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان.

وكان هذا الأمر خطية،

وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان.

وبنى بيت المرتفعات،

وصير كهنة من أطراف الشعب، لم يكونوا من بني لاوي" [٢٩-٣١].

عين كهنة من كل أطراف الشعب، أي من كل الطبقات لكي يكسب الكل، خاصة وأن بعض اللاويين رفضوا الخضوع له، وممارسة العمل الكهنوتي في المذابح التي بناها.

"وعمل يربعام عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر من الشهر،

كالعيد الذي في يهوذا،

وأصعد على المذبح.

¹ Cf. Origen: Homilies on Genesis, 15.

² City of God, 19:26,27.

هكذا فعل في بيت إيل بذبحه للعجلين اللذين عملهما،
وأوقف في بيت إيل كهنة المرتفعات التي عملها.
وأصعد على المذبح الذي عمل في بيت إيل في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن في
الشهر الذي ابتدعه من قلبه،
فعمل عيداً لبني إسرائيل،
وصعد على المذبح ليوقد" [٣٢-٣٣].

استبدل تاريخ عيد الخيام بالخامس عشر من الشهر الثامن عوض الثامن عشر من الشهر السابع. السبب الظاهري لهذا أن الحصاد في منطقة الشمال يأتي في وقت متأخر. أما السبب الحقيقي فهو محاولة عدم الارتباط بالشرائع التي تمارس في مملكة الجنوب. أقام نفسه رئيس كهنته، خاصة في أيام الأعياد، فكان يمارس العمل الكهنوتي، ويقوم كهنة حسبما أراد. بهذا أراد أن يحمل مع السلطة المدنية السلطة الدينية. لم يدرك يربعام أن جوهر العبادة هو الالتقاء مع الله واقتنائه، إنما ظنّها ممارسات ترضي الناس والله.

❖ تُطلب الحياة السعيدة من الرب إلهنا. كثيرون يعطون إجابات مختلفة عندما يناقشون أين تستقر السعادة الحقيقية. ولكن لماذا يلزمنا أن نذهب إلى معلّمين كثيرين أو نهتم بإجابات كثيرة بخصوص هذا السؤال؟ قد جاءت الإجابة مختصرة وحقّة في الكتاب المقدّس "طوبى للشعب الذي إلههم هو الرب"¹.

القديس أغسطينوس

❖ خلقتنا من أجلك.

ويبقى قلبنا غير مستريح حتى يستريح فيك.

من يهيني راحة البال فيك؟

إلى من أنجّه لأنال عطية حلوك في قلبي، فأنسى كل ما ارتكبته من خطأ، وأحتضنك أنت وحدك أنت صلاحتي وحده؟²

القديس أغسطينوس

¹ Letter 130:24.

² Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 1.

أعطني يا رب روح التمييز،
فلا تتصلَّف نفسي مع رجبعام!

❖ سليمان الحكيم أنجب رجبعام الغبي،
في غباوة لم يسمع لمشورة الحكماء،
بل سار وراء تصلَّف بعض الشبان.
ظنَّ السلطة عنفاً، والحكم أوامر ونواه.
عوض خدمة شعبه تصلَّف عليهم.
وعوض الكلمة الرقيقة قدَّم عنفاً.
فقد عشرة أسباط، وشقَّ المملكة إلى قسمين.

❖ هب فيَّ يا رب روح التواضع.
أنصت للمشورة الحكيمة البناءة.
أشتهي خدمة الغير لا السيطرة.
بالكلمة اللطيفة أطفئ نيران الغضب.

❖ يربعام الثائر نال عشرة أسباط ليملك.
عوض تقديم ذبيحة شكر لله الذي اختاره،
صبَّ عجلين من ذهب.
استعاض مدينة الله، أورشليم، بدان وبيت إيل.
أفسد الكهنوت وصنع تشويشاً في العبادة.

❖ إلى متى يا رب أردَّ لك عطاياك بالجحود؟
إلى متى أستعيبض حكمتك بالحكمة البشريَّة؟
إلى متى أنشغل عن المقادس الإلهيَّة بعبادات بشريَّة؟

❖ هب لي يا رب روح التمييز،
فلا تتصلَّف نفسي كرجبعام بن سليمان،
ولا تحمل جحوداً وخيانة كيربعام.

الأصحاح الثالث عشر

إصابة يد يريعام بالفالج

يكشف لنا هذا الأصحاح عن طول أناة الله وعن عدم محاباته. فمن جهة أرسل رجل الله إلى يريعام الذي أدخل العبادة الوثنية في المملكة الجديدة المنشقة. لقد اختاره الرب لتأديب رحبعام، لكنّه إذ لم يكن أميناً لله أرسل إليه نبياً من يهوذا ينذره بسبب ارتداده عن الرب، ويؤدّب به. اليد التي امتدّت لتحطيم العبادة لله يبست.

والعجيب في طول أناة الله أنّه إذ ندم الملك نال غفراناً وشُفيت يده اليابسة. طُلب من رجل الله الذي أرسل للملك لتحذيره ألا يأكل ولا يشرب في ذلك الموضع. إذ أطاع صنع الله به معجزات، وإذ لم يطع بغواية آخر افتترسه أسد. ليس عند الله محاباة، فهو يؤدّب من أخطأ، سواء كان ملكاً أو نبياً.

١. إصابة يد يريعام بالفالج ١-٥.
٢. ندم يريعام ٦.
٣. امتناع رجل الله عن الأكل ٧-٩.
٤. افتراس رجل الله ١٠-٢٤.
٥. دفن رجل الله ٢٥-٣٢.
٦. إصرار يريعام على الشرّ ٣٣-٣٤.

١. إصابة يد يريعام بالفالج

"وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل،

ويريعام واقف لدى المذبح لكي يوقد" [١].

كان يريعام يعلم تماماً أن ما فعله فيه مقاومة للحق الإلهي، ومعصية للوصية، مع هذا فقد بدأ عمله كرئيس كهنة يوقد، إذ أقام نفسه بنفسه. أرسل إليه الرب من يهوذا نبياً يحذّره بعلامة ظاهرة حتى لا يكون ليريعام عذر.

"فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال:

يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب،

هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا.

ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك،

وتحرق عليك عظام الناس" [٢].

لم يهمس رجل الله بما قاله الرب له بخصوص الملك لكنّه بكل شجاعة "نادى" بصوتٍ عالٍ، فإنّه لم يخشَ الملك، ولا خجل من رسالة الله له. لم يخشَ رجل الله بطش الملك، فإن من يخاف الله لا يخاف وجه إنسان مهما كان سلطانه أو مركزه.

❖ خوف الله هو الحارس لممارسة الوصايا، وهو ثمرة الإيمان السليم.

الأب أوغريس

❖ خوف الله يحثّ النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد منزل النفس.

إذاً ليتنا نخاف الله ونُشيد منازل لأنفسنا، حتى نجد مأوى في الشتاء حيث المطر والرعد، لأن من لا منزل له يعاني من مخاطر عظيمة في وقت الشتاء.

❖ كيف نقتنى مخافة الله؟

قال الآباء إن الإنسان ينال مخافة الله وذلك:

أ. إن تذكّر الموت والعذابات،

ب. وسأل نفسه كل مساء كيف قضى يومه، وكل صباح كيف قضى الليل.

ج. ولا يكون وقحاً (مهزأً).

د. وأخيراً إن بقى في علاقة (صداقة) مع إنسان يخاف الله. فإنّه يُروى عن أخ سأل ناسكاً: ماذا

أصنع أيّها الأب لكي أخاف الله؟ فأجابه الناسك: "أذهب واسكن مع إنسان يخاف الله، فبسلوكه كخائف لله تتعلّم مخافة الله".

ونحن نطرد خوف الله عن أنفسنا بصنعنا ما هو نقيض للأمر السابقة. فلا نذكر الموت ولا العذابات، ولا ندقق مع أنفسنا ونحاسبها كيف نقضي زماننا بل نعيش مستهترين، ونصادق أناساً ليس فيهم خوف الله، كذلك نسلك بوقاحة.

وهذه الأخيرة "الوقاحة" (أو الهزل السخيف) هي أشرّ الكل، إذ تدمرنا إلى التمام. فليس شيء ينزع

خوف الله عن النفس أكثر من الوقاحة.

الأب دوروثيوس

بكل غيرة أراد أن يقدمها للملك كما لكل الحاضرين الذين كانوا من عظماء المملكة ومن الشعب، إذ كانت مناسبة لها أهميتها العظمى لدى الملك ورجال الدولة.

لم يوجّه حديثه للملك ولا لرجاله ولا للكهنة أو الشعب بل إلى الحجارة، صارخاً: "يا مذبح يا مذبح". فقد صارت قلوب الكل بلا إحساس نحو الرسالة الإلهية، فالأمل في الحجارة أن تسمع أكثر ممّا في قلوب الناس. لقد أغلقت البشرية آذانها عن أن تسمع الرسالة الإلهية، لذا صرخ إلى الحجارة لعلها تنصت وتستجيب.

ظنّ يريعام أن خطته تنجح حتماً، تعطيه هو وبنيه من بعده استقراراً وأماناً فلا يعود الشعب إلى ملوك يهوذا. لكن رجل الله أكّد أن الشرّ لن يدوم، وخطّة الله تتحقّق حتماً. لهذا فقد تنبأ رجل الله عن يوشيا قبل ميلاده بثلاثة قرون ونصف، الذي يقوم ويهدم المذابح الوثنية ويحرق عظام الذين يوقدون عليها.

كثيراً ما نظن أن الشرّ أقوى وأبقى، لكن الله يؤكّد أنّه إلى حين. فالنور يبذد الظلمة، والحق يحطّم الباطل. العبادة الوثنية حتماً ستنتهي، أمّا كلمة الرب فباقية إلى الأبد.

"وأعطى في ذلك اليوم علامة قائلاً:

هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب،

هوذا المذبح ينشق ويذرى الرماد الذي عليه" [٣].

يؤكد الله رسالته بعلامة، وهي أن يهتزّ كيان المذبح وينشق ويذرى الرماد الذي عليه. بهذه العلامة يؤكد أن المتحدث معهم هو رجل الله حقيقة، وأن الله لن يسرّ بذبائح تقدّم على مذبح رجس، عاجز عن أن يقدّس الذبيحة. ومن جانب آخر فإنّه إن كانت قلوبهم قد تحجّرت كالمذبح الوثني، فإن كلمة الله وحدها قادرة أن تهزّ هذه القلوب الحجرية وتذري ما لصق بها من رماد الرجاسة.

"فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح في بيت إيل

مدّ يريعام يده عن المذبح قائلاً: امسكوه.

فبيست يده التي مدّها نحوه، ولم يستطع أن يردّها إليه" [٤].

اهتم الله بيريعام فأرسل إليه رجل الله لكي ينذره. بسط الله يده بالحب لعلّ يريعام يتوب ويرجع إليه. ردّ يريعام الحب بالعجرفة، فمدّ يده لا ليضعها في يد الله الممتدّة إليه بل ليقاوم. عوض أن يقدم يريعام توبة ازداد حماقة، وظن أنّه قادر أن يمسك رجل الله ويقتله. لم يسمح الله بأن تُصاب يد الملك

بالفالج حينما امتدَّت لتقدِّم بخورًا للأوثان، لكنَّه سمح بذلك حين امتدَّت لثمسك رجل الله. فإن كل مقاومة لرجاله تُحسب مقاومة له، وهو لا يسمح أن تستقرَّ عصا الأشرار على نصيب الأبرار (مز ١٢٥: ٣). لقد حذر "لا تمسؤا مسحائي" (١ أي ١٦: ٢٢؛ مز ١٠٥: ١٥).

❖ يوجد مثال كامل، ففي شخصٍ واحدٍ ظهرت مراحم الله وغضبه. وذلك عندما فقد يمينه فجأة وهو يقَدِّم ذبيحة، وإذ ندم نال الغفران^١.

القديس أمبروسيو

❖ الخطيئة هي جموح حقيقي وإفساد في الإنسان، هي انحراف بعيد عن الخالق الأسمى وتوجُّه نحو الخليقة الأقل^٢.

القديس أغسطينوس

"وانشق المذبح وذري الرماد من على المذبح

حسب العلامة التي أعطاها رجل الله بكلام الرب" [٥].

لقد أعطى الله ليربعام أكثر من فرصة لعلَّه يرجع عن شرِّه، لكنَّه كان مصرًّا على الفساد، فتحوَّلت كل الأمور لهلاكه. كما أن كل الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبُّون الله (رو ٨: ٢٨)، هكذا كل الأمور تؤوِّل لهلاك الشرِّير المُصرِّ على شرِّه. لقد أعطاه الله عشرة أسباط، وأرسل له نبيًّا من يهوذا يذرّه، وسمح بانشقاق المذبح وتذرية الرماد من عليه، وشفى يده اليابسة عندما تاب، لكن كل هذه الأمور صارت شهادة ضدَّه لدينونه. لم ينتفع بطول أناة الله بل أساء استخدامها.

٢. ندم يربعام

"فأجاب الملك وقال لرجل الله:

تضرَّع إلى وجه الرب إلهك وصلِّ من أجلي،

فترجع يدي إليّ.

فتضرَّع رجل الله إلى وجه الرب،

فرجعت يد الملك إليه، وكانت كما في الأول" [٦].

الله الذي يجرح هو وحده قادر أن يشفي الجراحات. لم يحمل النبي روح الانتقام ولا التشفّي، بل

¹ St. Ambrose: Concerning Virgins, book 2:5:38.

² Sermon 213:1.

في محبة ردّ شرّ الملك بالخير، وفتح له طريق الرجاء في الرب الطبيب الحقيقي للنفس والجسد. تمتّع الملك بالشفاء بالرجوع إلى الله وطلب شفاعات النبي عنه، فإن الله يسمع لطلبات أولاده. استجاب لطلبات موسى النبي عن فرعون (خر ١٠ : ١٧)، وطلبات أيّوب عن أصدقائه المقاومين له، وأيضاً لرجل الله هنا عن يربعام الذي عرف كيف يصلّي من أجل مقاومه [٦].

سأل الملك رجل الله أن يأكل في بيته فيقدّم له أجرة، لكن رجل الله رفض أن يأكل أو يشرب في بيته، حتى وإن قدّم له نصف ممتلكاته. أنّه قرار حازم تسلّمه من الرب نفسه، خاص بعدم الشركة مع الأشرار. مع ما تحمّله النبي من مشاق وغالباً ما كان في حاجة إلى طعام وشراب، وربما لم يكن معه من المال لشراء طعام رفض استضافة الملك له ويقول آية هديّة منه. بحسب الفكر البشري كان يمكنه قبول الدعوة لكي تتوفّر فرصة أطول للحديث مع الملك لعلّه يرجع ويقدم توبة صادقة، لكنّه لم يفعل ذلك طاعة للرب الذي هو أحكم من الجميع. كرسول أطاع مرسله.

الله في طول أناته يريد خلاص الخطاة لا موتهم. فمع سابق معرفته أن يربعام يعود فيقدّم ذبائح للأوثان، عندما قدّم توبة غفر له وشفي يده اليابسة. إنّه لم يسمح بموته في الحال لعلّه يرجع ويتوب فيحيا. هكذا يشتهي الرب خلاص الكل.

٣. امتناع رجل الله عن الأكل

"ثم قال الملك لرجل الله:

ادخل معي إلى البيت وتقوّت فأعطيك أجرة" [٧].

يرى البعض أن هذه الدعوة هي عرض من الملك للنبي لكي يقبل أن يكون كاهناً لديه، فيقدّم له أجرة مجزية ومغرية. ربّما كانت الدعوة هي مكافأة أراد أن يقدمها الملك للنبي مقابل شفاء يده. جاء الأمر الإلهي ألا يرجع من نفس الطريق الذي جاء منه، أولاً كاختبار عملي لطاعته لله. ومن جانب آخر لكي لا يعطي فرصة أن يتعرّف عليه أحد ويسيء معاملته بعدما وبّخ الملك ورفض قبول الدعوة للدخول إلى بيته والجلوس على مائدته الملوكيّة.

"فقال رجل الله للملك:

لو أعطيتني نصف بيتك لا أدخل معك،

ولا أكل خبزاً ولا أشرب ماء في هذا الموضع.

لأنّي هكذا أوصيت بكلام الرب قائلاً:

لا تأكل خبزاً ولا تشرب ماء ولا ترجع في الطريق الذي ذهبت فيه" [٨-٩].

تنفيذ الوصية أو الطاعة لله في عيني الله أفضل من اقتناء نصف مملكة بربعام. هكذا يرى المؤمن في الوصية الإلهية ليس مجالاً للحوار والنقاش، لكنّها فرصة لقاء حب مع الله يشبع كل كيانه. لا يرى في تنفيذها حرماناً من لذة معينة، أو كبتاً لمشاعر معينة، إنّما يرى فيها لذة تفوق كل لذة في العالم كلّها. يرى فيها اقتناء لمواهب كل الخيرات، وتمتع بخالق السماء والأرض. الوصية مشبعة لأعماقه ومفرحة للغاية، فهي كنز الذي يحرص عليه فيحوظ به بكل قلبه لتبقى مستقرّة في أعماقه الداخليّة.

يقول المرتل: "إن كلماتك حلوة في حلقى، أفضل من العسل والشهد في فمي" (مز 119: 103). لكلمة الله عذوبة خاصة، أحلى من كل فلسفات العالم ومعرفته وحكمته. شأن بين من يدرس كلمة الله بطريقة عقلانية بشرية جافة، وبين من يأكلها ليغتذي بها، فيجدها طعاماً مشبعاً وحلواً، أشهى من العسل والشهد. إنّها تعطي عذوبة للنفس، فتحوّل جفاف قلبنا القاسي إلى عذوبة الحب المتسع والمترقّق! كأن كلمة الله في عذوبتها تحوّل المؤمن إلى الحياة العذبة، فيستعذب الآخرون الشركة معه.

❖ إذا أكل إنسان حصرماً تضرّست أسنانه وصارت تعاني من فرط الحساسية فلا يقوى على أكل الخبز، هكذا أيضاً إذا ما اقتات إنسان على دنس هذا العالم بإفراط وانغمس في أحاديث النميمة الباطلة فإنّه يحتقر ويرفض الدرس الإلهي الحلو حتى إذا ما قرأه هذا الإنسان لا يستطيع أن يقول مع النبي: "ما أحلى قولك يا رب"¹.

❖ تبقى حلوة كلمة الله دائمة فينا شريطة أن نرغب في غرسها في الآخرين بتكرارها وترديدها دوماً بحبٍ كاملٍ متدفّق².

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ أحياناً يكون لعبارات كتابية عذوبة متزايدة في الفم (مز 119: 103) كما يكرّر المرء عبارة بسيطة في الصلاة عدّة مرّات دون أن يشبع منها وينتقل منها إلى عبارة أخرى³.

مار إسحق أسقف نينوى

❖ الآن تعليم الحكمة المعلن يشبه العسل، وكالشهد الذي يُضغظ عليه من الأسرار الغامضة كما

¹ Sermon 8:2.

² Sermon 117:5.

³ Discourse 22.

يُفعل بخلايا الشمع بقم المُعلَّم كمن يمضغه، فيكون حلواً في فم القلب لا الفم الجسدي.

القديس أغسطينوس

❖ إنَّه سحر الحق الذي عبَّر عنه المرتل مؤكِّدًا ذلك عند قوله: "كم هي حلوة كلماتك لحلقي، إنَّها أحلى من العسل في فمي".

القديس باسيليوس

❖ صارت كلمات الله حلوة لي مثل عسل الشهد، وصرخت من أجل المعرفة، ورفعت صوتي لأجل الحكمة¹.

القديس غريغوريوس النريزي

❖ أيضًا "أذهب إلى النحلة وتعلَّم منها مقدار نشاطها". تأمَّل كيف تنتقل بين كل أنواع الزهور المختلفة لتجمع لك عسلها. هكذا لتنتقل أنت بين الكتب المقدَّسة وتتمسَّك بخلص نفسك، وإذ تشبع منها تقول: "وجدت كلامك حلواً في حلقي، أحلى من العسل والشهد في فمي"².

القديس كيرلس الأورشليمي

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أنَّه ليس كل نفسٍ تجد عذوبة في كلمة الله، بل النفس السويَّة غير المريضة، فإن المريض لا يشعر بطعم الطعام وعذوبته³.

❖ مع هذا... لا يعرف البعض حتى أنَّه توجد كتب مقدَّسة لا نهائياً. لهذا السبب صدَّقوني ليس شيء سليماً، ليس من أمرٍ نافعٍ يصدر عنَّا⁴.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ يكتب القديس جيروم عن الأرملة *Furia* تحدَّث عن دُبُورة يكونها النحلة التي تجمع من زهور الكتاب المقدَّس عسل النحل.

[حسناً دُعيت نحلة (دُبُورة)، لأنَّها تتغذَّى على زهور الكتاب، وكانت تُحاط برائحة الروح القدس الذكيَّة، وتجمع معاً في وحدة مع الشفاه النبوي عصير النكتارين الحلو⁵].

¹ In Defence of His Flight to Pontus, 77.

² Cat. Lect. 9:13.

³ Hom on St John, 1:5.

⁴ Hom. on Hebrews, 8:9.

⁵ Letter 54:17.

٤ . افتراس رجل الله

"فذهب في طريق آخر ولم يرجع في الطريق الذي جاء فيه إلى بيت إيل.

وكان نبي شيخ ساكنًا في بيت إيل،

فأتى بنوه وقصّوا عليه كل العمل الذي عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت إيل،

وقصّوا على أبيهم الكلام الذي تكلم به إلى الملك.

فقال لهم أبوهم: من أي طريق ذهب؟

وكان بنوه قد رأوا الطريق الذي سار فيه رجل الله الذي جاء من يهوذا" [١٠-١٢].

ما أكثر حيل إبليس وخداعاته. استطاع النبي أن يقف أمام الملك، وبكل جرأة رفض الدخول إلى

بيته والجلوس على مائدته. وفي طاعة الله عاد في طريق آخر غير الذي جاء منه. ومع هذا لم يتركه

عدو الخير يتمنّع بما ناله من بركات الطاعة. أرسل إليه من يخدعه حتى لا يتمم وصية الله له.

أرسل إليه نبي شيخ مخادع وكاذب، قدّم مشورة لرجل الله، ناسبًا إيّاها لإعلان سماوي.

ربّما نشأ هذا النبي الكاذب في مدرسة الأنبياء التي أسسها صموئيل النبي، لكن العالم أغواه،

ففارقه روح النبوة بسبب شره، لأنّه يليق بأنبياء الله الحقيقيين أن يكونوا قديسين (٢ بط ١: ٢١). يرى

البعض أن ما فعله هذا المخادع كان بحسن نية فقد أراد أن يقمّ طعامًا لرجل الله الجائع والمرهق.

لكن الرأي الغالب أنّه نبي كذاب، وكان من طبيعة هؤلاء الأنبياء أن يُسرّوا بسقوط الأنبياء الحقيقيين.

حقًا إنّه لم يذهب ليشارك مع الملك في تقديم العبادة، إنّما ذهب أولاده وعادوا يحكون له ما قد

حدث. ربّما ذهبوا من أجل حب الاستطلاع وليس للاشتراك في العبادة الوثنية. على أي الأحوال لم

يقف هذا النبي ضد العبادة الوثنية، ولم يقف ضد الملك في هذا الشأن. كان غير مخلص للرب،

سكن في مدينة وثنية، ولم يشهد لئله الحق.

كان يليق برجل الله أن يكون له روح التمييز، فيفرز ما هو حق ممّا هو باطل، فلا يقدر النبي

الكاذب أن يخدعه.

❖ صلوا لكي يهبكم الله نعمة الإدراك السليم في كل الأمور، فتقدروا أن تميّزوا بين الخير والشرّ

تمييزًا حسنًا.

لقد كتب الرسول بولس: "وأما الطعام القوي للبالغين" (عب ٥: ١٤). هؤلاء الذين بواسطة العمل

المتواصل والجهاد تُدرّب حواسهم وميولهم على التمييز بين الخير والشرّ، وقد أحصوا كأبناء

الملوكوت وصاروا من عداد أبناء الله، هؤلاء يعطيهم الله الحكمة والتمييز الحسن في كل أعمالهم، فلا

يقدر إنسان أو شيطان أن يخدعهم.

فالعِدو يحارب المؤمنين تحت صورة الخير، وينجح في خداع كثيرين، هؤلاء الذين ليس لهم حكمة ولا تمييز حسن. لهذا علم الرسول بولس عن غنى الفهم الذي لا حد لعظمته، المخصَّص للمؤمنين، إذ كتب إلى أهل أفسس يقول: "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته مستتيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه مع القديسين" (أف ١: ١٧-١٨)، كاتبًا هذا بدافع حبه العظيم المتزايد نحوهم، ولعلمه أنهم إن اقتنوا الفهم لا يعود يكون بالنسبة لهم شيء فيه صعوبة، ولا يمسه خوف، بل يعزِّبهم فرح الرب نهائًا وليلاً، وتصير الأعمال بالنسبة لهم عذبة في كل حين.

حقًا إن كثيرين من الرهبان والعداري في المجمع لم يفتنوا الفهم بهذه الدرجة، وأما أنتم فإن أردتم أن تحصلوا عليه بهذا المقدار الذي فيه كمال، فاهربوا من أولئك الذين يحملون اسم "رهبان وبتوليون" دون أن يكون لهم الإدراك الحقيقي والتمييز الحسن. لأنكم إن اختلطتم بهم، لن يدعكم تتقدمون بل وربما يطفئون حرارة غيرتكم، إذ لا حرارة لهم بل برودة وهم يسرون وراء أهوائهم. فإن أتوا إليكم وتحدثوا معكم في أمور أرضية حسب أهوائهم الخاصة، لا تستكينوا لهذا؟، إذ كتب الرسول بولس: "لا تطفئوا الروح، لا تحرقوا النبوءات" (١ تس ٥: ٢٠)، عالمين أنه لا شيء يطفئ الروح أكثر من الكلام الباطل^١.

القديس أنبا أنطونيوس

'فقال لبنييه: شُدُّوا لي على الحمار.

فشدُّوا له على الحمار، فركب عليه.

وسار وراء رجل الله،

فوجده جالسًا تحت البلُوطَة.

فقال له: أنت رجل الله الذي جاء من يهوذا؟ فقال أنا هو.

فقال له: سر معي إلى البيت وكل خبزًا" [١٣-١٥].

لم يكن رفضه مثل هذه الدعوة مقبولاً في الشرق، إذ تحمل معنى الاستهانة بالمضيف. كانت العادة عندما يصل إنسان إلى مدينة يستضيفه أحد سكانها، فيقدِّم له طعامًا ويعطيه ماوى يحميه من الجو كما من اللصوص أو الأعداء، ويشارك الضيف المضيف العبادة أو يتمنَّع بالهة العائلة. كان

¹ Epistle 16.

ينظر إلى الضيف أنّه قد صار أحد أفراد الأسرة يشاركها كل شيء، وأنّه "ضيف الله".¹

"فقال: لا أقدر أن أرجع معك، ولا أدخل معك،

ولا أكل خبزاً ولا أشرب معك ماء في هذا الموضع.

لأنّه قيل لي بكلام الرب:

لا تأكل خبزاً ولا تشرب هناك ماء،

ولا ترجع سائراً في الطريق الذي ذهبت فيه.

فقال له: أنا أيضاً نبي مثلك،

وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلاً:

ارجع به معك إلى بيتك فياكل خبزاً ويشرب ماء.

كذب عليه" [١٦-١٨].

يرى البعض أنّه من المستحيل أن يكون هذا النبي كذاباً، لكنّه إذ قال بأن ملاكاً تحدّث معه بكلمة الرب [١٨]، فإن كلمة "ملاك" معناها "رسول". فهو يقصد بالملاك ابنه اللذين قدّما إليه من عند الملك وأخبراه بكل ما حدث مع رجل الله، وأنّهما اشتها أن يستضيفاه. لهذا فما قاله النبي إنّما هو تورية عن ابنه اللذين أرسلهما له الرب لكي يحثّاه على استضافته، خاصة وأنّه إذ شاهد رجل الله تحت الشجرة في تعب شديد، شعر بأنّه محتاج إلى طعام وشراب ليتقوى جسده. لهذا فإن النبي الشيخ هو نفسه قد خدعه عدوّ الخير، لكن بدافع الشفقة أغوى رجل الله ليخالف وصيّة الرب له. "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور (٢ كو ١٤: ١١). إنّهُ يخدع الآخرين، ويحثّهم على خداع الغير تحت ثوب الفضيلة.

على أي الأحوال كان يمكن لرجل الله أن يكتشف كذب هذا النبي، أولاً لأن الوصيّة الإلهيّة التي بلغته جاءت مباشرة من الله، فلماذا يطالب الله بما يخالفها عن طريق شخص آخر؟ لو أن هذا النبي أميناً لماذا لم يشهد ضد العبادة الوثنيّة في يوم الاحتفال العظيم الذي أعدّه الملك؟ لماذا لم يرجع رجل الله إلى الله يسأله قبل أن يعصي الوصيّة ويأكل؟

كان كلاهما في حاجة إلى روح التمييز، فإن كان النبي المُسنّ قد انخدع تحت الرغبة في استضافة رجل الله المرهق، فهو بلا عذر. كان رجل الله - الذي جاء من يهوذا بدعوة إلهيّة مباشرة وتنبأً للملك وتحققت نبوّته، وعلى يديه أُصيب يد الملك بالفالج وشُفيت - في حاجة إلى روح التمييز

¹ Boyd's Bible Handbook, p. 2.

ليفرز الحق من الباطل.

روح التمييز والإفراز هو الطريق الآمن، هو عطية الروح القدس الذي يقودنا في طريقه الملوكي حتى يعبر بنا إلى حضن الآب.

"فرجع معه وأكل خبزاً في بيته وشرب ماء.

وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبي الذي أرجعه" [١٩-٢٠].

لمن جاءت كلمة الرب؟ جاء النص العبري يحمل المعنيين، أمّا ذلك الذي رجع أي رجل الله أو ذلك الذي جاء به أي النبي الشيخ، ويرى يوسيفوس المؤرخ أن الكلمة الرابانية قد جاءت للنبي الأصلي الحقيقي.

"فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلاً:

هكذا قال الرب من أجل أنك خالفت قول الرب،

ولم تحفظ الوصية التي أوصاك بها الرب إلهك" [٢١].

الذي صرخ هو "كلمة الرب"؛ سابقاً جاءت كلمة الرب ليحمل روح القوة والنصرة فلا يرهب الملك ولا كل حاشيته. الآن وقد خالف الوصية جاءت الكلمة ترعبه وتذيب قلبه. إنها السيف ذو الحدين، تحمل روح القوة لكي تسند، وتقدم تأديباً إلهياً.

"فرجعت وأكلت خبزاً وشربت ماء في الموضع الذي قال لك لا تأكل فيه خبزاً ولا تشرب ماء

لا تدخل جنتك قبر آباتك.

ثم بعدما أكل خبزاً وبعد أن شرب،

شد له على الحمار أي للنبي الذي أرجعه.

وانطلق فصادفه أسد في الطريق وقتله،

وكانت جنته مطروحة في الطريق،

والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة" [٢٢-٢٤].

جاء افتراس الأسد للنبي شهادة حيّة لعدم محاباة الله لأحد، فإذا أخطأ رجل الله وعصا سقطت تحت التأديب.

ما قد حدث كان بأمر إلهي وليس مصادفة، فالأسد قتل رجل الله لكنّه لم يأكله، ولم يقترب الأسد

نحو الحمار. والعجيب أن وقف بجوار الجثة كمن يحرسها مع الحمار. إن يد الله واضحة!

يسمح الله بقتل الجسد لكي يتعلّم الكل أن المعصية تدفع إلى موت النفس وهلاكها. أمّا عدم التهام الجسد فكشف عن شوق الله أن يتمجّد الإنسان روحًا وجسدًا، فلا يحطّمه الفساد إلى الأبد.

❖ إنّه لأمر عجيب أن الأسد الذي ترك الحمار في أمان وسلام لم يترك النبي يقوم من طعامه! ذلك الذي حين كان صائمًا صنع عجائب، لكن ما أن أكل حتى دفع العقوبة عن اللذّة. يوئيل أيضًا يصرخ بصوت عالٍ: "قَدِّسُوا صَوْمًا، نادوا بوقت شفاء" (يو ١: ١٤؛ ٢: ١٥)، لكي يظهر أن الصوم يتقدّس بأعمال أخرى، وأن الصوم المقدّس يجلب شفاء من الخطيئة^١.

القديس جيروم

٥. دفن رجل الله

"وإذا بقوم يعبرون فراوا الجثّة مطروحة في الطريق،
والأسد واقف بجانب الجثّة،

فأتوا واخبروا في المدينة التي كان النبي الشيخ ساكنًا بها.

ولما سمع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال:

هو رجل الله الذي خالف قول الرب،

فدفعه الرب للأسد، فافترسه وقتله حسب كلام الرب الذي كلّمه به.

وكلم بنيه قائلاً: شدّوا لي على الحمار، فشدّوا.

فذهب ووجد جثّته مطروحة في الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثّة،

ولم يأكل الأسد الجثّة ولا افترس الحمار" [٢٥-٢٨].

كان العبرانيون يهتمّون جدًّا بدفنهم مع آبائهم (تك ٤٧: ٣٠؛ ٤٩: ٢٩؛ ٢ ص ١٩: ٣٧ الخ).

"فرفع النبي جثّة رجل الله ووضعها على الحمار،

ورجع بها،

ودخل النبي الشيخ المدينة لينديه ويدفنه.

فوضع جثّته في قبره وناحوا عليه قائلين: آه يا أخي.

وبعد دفنه إيّاه كلم بنيه قائلاً:

عند وفاتي ادفنوني في القبر الذي دفن فيه رجل الله، بجانب عظامه ضعوا عظامي" [٢٩-

¹ St. Jerome: Against Jovinianus, book 2:17.

[٣١].

مع كونه نبياً كاذباً لكنّه أراد عند موته أن يدفن مع النبي فيكون موته موت نبي حقيقي. شعر النبي بخطئه وأدرك مسؤوليته عمّا أصاب رجل الله. اشتهى أن يُدفن معه لكي يقوم أيضاً معه.

"لأنّه تماماً سيتم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت إيل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة" [٣٢].

لم تكن السامرة بعد قد بناها عمري (١ مل ١٦ : ٢٤)، فقد أشار إليها النبي بروح النبوة كما أشار رجل الله إلى يوشيا باسمه قبل ميلاده بثلاثة قرون ونصف.

٦. إصرار يربعام على الشرّ

"بعد هذا الأمر لم يرجع يربعام عن طريقه الرديّة،

بل عاد فعمل من أطراف الشعب كهنة مرتفعات،

من شاء ملأ يده فصار من كهنة المرتفعات.

وكان من هذا الأمر خطيّة لبيت يربعام،

وكان لإبادته وخرابه عن وجه الأرض" [٣٣-٣٤].

قدّم الله ليربعام كل وسيلة لعلّه يرجع عن الشرّ الذي يمارسه، لكنّه لم ينتفع من هذا كلّهُ.

❖ عوض تقديم ذبيحة شكر لله الذي وهبه العشرة أسباط انحرف بالشعب نحو العبادة الوثنيّة.

❖ لم يسمع لصوت النبي القادم من يهوذا بل أراد أن يقتله.

❖ تحقّقت النبوة وانشقّ المذبح وذريّ الرماد الذي عليه، أمّا قلبه فلم يهتزّ أمام كلمة الله.

❖ تمنّع بشفاء يده اليابسة ولم يُشفّ قلبه من فالجه الروحي.

❖ سمع عن افتراس رجل الله بسبب عصيانه في وصيّة تبدو غير أساسيّة، ومع هذا لم يتعظ يربعام

ولا رجع عن طريق شرّه.

من وحي ١ مل ١٣

من يشفي يدي اليابسة؟
من يخلصني من قسوة قلبي؟

- ❖ أقمت بيرعام ملكاً، فجدد الغبي حبك.
عوض ذبيحة الشكر أقام عجلين ذهبين خلافاً للوصية.
بمحببتك أرسلت إليه نبياً من يهوذا يهز المذبح.
وبغاوة مد بيرعام يده على نبيك فيبست.
صلّى إليك النبي فشفيتها.
أما هو فأصرّ أن يبقى بقلبه الحجري.
في طاعة رفض النبي أن يأكل لدى الملك ولا يقبل هديته.
خدعه نبي كاذب فعصى الوصية.
افترسه أسد في الطريق لعدم طاعته.
- ❖ انزع جحود قلبي فأشكرك يا من أقمتني ملكاً.
لن يدخل قلبي عجل ذهبي،
بل تقطن أنت في أعماقي.
- ❖ هب لي قلباً رقيقاً لا يرفض تحذيراتك،
فلا تمتد يدي بالشر، فتفقد حيويّتها.
لأرفض مع هذا النبي طعام الشر،
ولا أشتهي كل غنى العالم.
لتبق وصيتك محفورة في قلبي،
مرسومة أمام عيني.
وصيتك تحملني إلى الطريق الملوكي.
وصيتك تحفظني من إبليس، الأسد المفترس.
وصيتك تشفي جراحتي وتجدد قلبي.

الأصحاح الرابع عشر

موت أبيّا بن يريعام

إذ انقسمت المملكة إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل يقدّم لنا سفر الملوك صورة حيّة عن الفساد الذي حلّ بهما، وإن كان قد قام بعض ملوك مصلحين في مملكة يهوذا. في هذا الأصحاح يحدثنا عن إحدى ثمار الفساد الذي دبّ في إسرائيل، ونهب خزينة الهيكل في يهوذا.

١. مرض أبيّا بن يريعام ٦-١.
٢. نبوّة أخيّا عن دمار بيت يريعام ١٦-٧.
٣. موت أبيّا ١٨-١٧.
٤. موت يريعام ٢٠-١٩.
٥. شرّ رحبعام ويهوذا ٢٤-٢١.
٦. السطو على بنك يهوذا ٣١-٢٥.

١. مرض أبيّا بن يريعام

لم يتعلّم يريعام من الدرس الذي قدّمه له الرب على يد رجل الله القادم من يهوذا. لقد تنبأ عن ارتجاج المذبح وتذريته، كما يبست يد الملك التي امتدّت لتؤذي رجل الله. وإذ ندم صلّى له رجل الله فشفيّت. الآن يسمح الله له بتأديب أقسى وهو مرض ابنه، وإذ لم يُظهر توبة سمح الله لابنه بموته وتنبأ أخيّا النبي عن نزع المُلك عن بيت يريعام. النبي الذي قدّم وعدًا إلهيًا مشروطًا ليريعام، الآن هو نفسه يسحب هذا الوعد لعدم تحقّق الشرط، أيّ عدم أمانة يريعام.

"في ذلك الزمان مرض أبيّا بن يريعام.

فقال يريعام لامرأته:

قومي غيّرِي شكلك، حتى لا يعلموا أنّك امرأة يريعام،

واذهبي إلى شيلوه.

هوذا هناك أخيّا النبي الذي قال عنيّ إنّي أملك على هذا الشعب.

وخذي بيدك عشرة أرغفة وكعكًا وجرّة عسل،

وسيري إليه، وهو يخبرك ماذا يكون للغلام" [١-٣].

دعا يريعام ابنه "أبياً" ومعناه "يهوه هو أبي" أو "يهوه هو شهوتي". وكأنه كان يود أن يبقى مرتبطاً بالله إلهه، لكن رغبته في تثبيت مملكته بعيداً عن أورشليم والهيكل هناك دفعته للانحراف وعدم الأمانة لله.

طلب يريعام الملك من زوجته أن تذهب إلى شيلوه لتلتقي بأخي النبي بشأن مرض ابنه ويلاحظ في حديثه معها الآتي:

أولاً: اعترف بأن هذا النبي هو الذي سبق فأخبره بأنه سيملك على الشعب، لكنه لم يعترف أنه أخطأ في حق الله الذي اختاره ليملك. كان يليق به وهو يذكر عطية الله له أن يقدم الشكر له ممتزجاً بروح التوبة والطاعة.

ثانياً: طلب منها أن تُغيّر شكلها، وكان يليق بهما أن يُغيّرا قلوبهما وأفكارهما وتصرفاتهما، لا أن تُغيّر هي شكلها. ففي تغيير الشكل ربما أراد ألا يعرف أحد أنه يلجأ إلى النبي، فيترك الشعب عبادة الأوثان ويلجأون مثله إلى رجل الله الذي يحثهم على الرجوع إلى الله. ربما ظنَّ يريعام أن أخياً يرفض مقابلتها لأنه يعلم تماماً أنه متألم على ارتداده عن الله. طلب الملك من زوجته أن تتخفى، يكشف عن إدراكه لمدى ما ارتكبه من عصيان للرب وانحراف عن عبادته، لكنه لم يفكر في العلاج العملي السليم، يا للغباوة!

لقد آمن يريعام بأن الله قادر أن يكشف للنبي عن مستقبل ابنه ومصيره، وعاجز عن أن يكشف عن هذا التخفي الواهن.

ثالثاً: إذ سبق فتنبأ أخياً ليريعام أنه سيملك، مقدماً له أخباراً سارة، ظنَّ أنه على الدوام يقدم أخباراً مفرحة، ولم يدرك أنه إنما ينطق بما يعلنه الله، سواء كانت الأخبار مفرحة أو محزنة.

هذا وإننا لا نعجب إن الملك لم يجد من يثق فيه من مشيريه، فأرسل زوجته التي وحدها قادرة أن تهتم بابنها المريض جداً. لقد خشي أن يرسل أحد مشيريه فلا يرد له الإجابة صادقة بل يخدعه. هكذا عندما ينحرف الإنسان عن طريق الحق يتشكك فيمن هم حوله لأنهم مخادعون مثله.

كان من عادة الملوك أن يكرموا النبي ويقدموا له هدايا لاثقة يستخدمها للخدمة، أما وقد أرادت الملكة أن تتخفى أخذت هدايا بسيطة لعلها تخدع النبي بأنها سيّدة رفيعة من وسط الشعب وليست الملكة. لقد رفض أخياً قبول هدايا يريعام، كما رفض أليشع النبي هدايا حزائيل (٢ مل ١٣)، إذ

حسبوا هذه الهدايا أشبه بثمن كلب أو أجرة زانية لن تدخل بيت الرب كشرعية الله. لهذا تحذّر الدسقولية الأسقف من قبول هدايا وتقدمات الأشرار كما رفض القديس بطرس مال سيمون الساحر (أع ٨)¹.

"ففعلت امرأة يريعام هكذا، وقامت وذهبت إلى شيلوه،

ودخلت بيت أخيّا،

وكان أخيّا لا يقدر أن يبصر، لأنه قد قامت عيناه بسبب شيخوخته.

وقال الرب لأخيّا:

هوذا امرأة يريعام آتية لتسأل منك شيئاً من جهة ابنها لأنه مريض،

فقل لها كذا وكذا فإنّها عند دخولها تنتكر.

فلما سمع أخيّا حس رجلها وهي داخلة في الباب قال:

ادخلي يا امرأة يريعام، لماذا تنتكرين وأنا مرسل إليك بقول قاس؟" [٤-٦].

بسبب الشيخوخة فقد أخيّا قدرته على البصر، لكنّه كان يتمنّع ببصيرة داخلية، فعرف شخصية

امرأة يريعام المتنكرة.

أرادت أن تنتكر من النبي نفسه فتسأله عن مصير ابنها دون أن تخبره عن شخصيتها حتى لا

يتحدّث في موضوع انحراف زوجها، لكنّها سمعت كلاماً قاسياً صادراً من الرب نفسه، الأمر الذي

كانت تخشاه دون الرغبة في علاجه.

كانت لحظات مرّة حين أدركت أن خداعها قد انكشف. هكذا ستكون لحظات مرّة حين يُنزع عن

الأشرار ثوب الرياء الحامل صورة القداسة دون قوتها، وتزول عنهم الألوان الخادعة، فتتكشف

أعماقهم الفاسدة أمام الديان وجميع السمانيين وكل المؤمنين! فإن الله سيديننا حسب ما عليه قلوبنا لا

حسبما نبدو من الظاهر.

عجزت عينا أخيّا عن أن تفرز الملكة، لكن أذنيه اللتين تدرّبتا على سماع صوت الله شعرتا

بصوت رجلي الملكة وأدركتا شخصيتها، وذلك بكشف إلهي.

من يدرّب عينيه على رؤية الله وأذنيه على الاستماع إلى صوته الإلهي لن يقدر أحد ما أن

يخدعه، إذ يكشف له الرب الخفيات، ليست مطلقاً، وإنما ما فيه بنيان نفسه ونفوس الآخرين.

لقد سمح الله بالتأديب يحل على الابن الذي كان الملك يرجو أن يرثه على عرش المملكة. يمكننا القول

¹ *Constitutions of the Holy Apostles, book 4:2:7.*

بأن مرض أبيًا كان آخر عطية قَدَّمها الرب برحمته للملك لعلَّه خلال هذا التأديب الحال بأعزَّ من لديه، ابنه، يرجع إلى نفسه ويقدم توبة فينال رحمة من قبل الرب.

٢. نبوة أخيا عن دمار بيت يريعام

"أذهبى قولي ليريعام:

هكذا قال الرب إله إسرائيل من أجل إنِّي قد رفعتك من وسط الشعب،
وجعلتك رئيسًا على شعبي إسرائيل" [٧].

يدعو الله نفسه "الرب إله إسرائيل" [٧]، فإن كان يريعام قد أعطى ظهره لله، فلم يعد الله إلهه، لكنَّه لا يزال يطلب الله شعبه، وينسب نفسه إليهم لعلَّهم يرجعون عن الوثنية. إذ لم يكن بعد قد كتب لهم صك الطلاق بسبب زناهم.

"وشققت المملكة من بيت داود وأعطيتك إيَّها،

ولم تكن كعبي داود الذي حفظ وصاياي،

والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم فقط في عيني.

وقد ساء عملك أكثر من جميع الذين كانوا قبلك،

فسرت وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظني،

وقد طرحتي وراء ظهرك" [٨-٩].

يذكر الله يريعام بعطاياه الإلهية السخية، التي قابلها بالجوود والارتداد عنه. أقام الله يريعام ملكًا، وكان يمكن له أن يحفظ بيته آمنًا بأمانته للعهد مع الله، لكنَّه صنع شرورًا أكثر من كل سابقه. لقد أخطأ شاول الملك وداود وسليمان، لكن يريعام ارتكب شرورًا أعظم من الكل. لم يقتد يريعام بداود الملك الذي وإن كان قد ارتكب خطايا مرَّة، لكنَّه عرف طريق التوبة، ورجع إلى الله بكل قلبه.

جاء الصوت الإلهي يوبخ يريعام وزوجته لأن يريعام لم يقتد بداود الملك. كلاهما نالا وعدًا باستلام العرش، لكن شتان ما بين الرجلين:

❖ كان قلب داود شاكرًا حتى وسط الضيق، مترنمًا: "أبارك الرب في كل وقت، وفي كل حين تسبحته في فمي" (مز ٣٤: ١). يقول القديس أغسطينوس: [لقد صار المسيح إنسانًا لهذه الغاية: أن يصير المسيحي ملاكًا، يصرخ: "أبارك الرب"... يلزمكم أن تباركوه حين يمنحكم عطايا، وتباركوه

حين يأخذها منكم، فإنه هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ، لكنّه لن يأخذ "ذاته" ممّن يباركونه. لا يبارك الرب كل حين إلاّ الودعاء؛ هذه الوداعة التي علّمنا إيّاها ربنا في جسده ودمه، فإنه حينما بذل جسده ودمه لأجلنا وضع أمانا وداعته مثلاً]. ويقول البابا أثناسيوس الرسولي: [كما سبّح داود الوديع في زمن الضيق: قائلاً: "أبارك الرب في كل وقت"، لم يكف الطوباوي بولس عن شكر الله في كل رسائله. ففي وقت الفرج لم يتوقّف عن التسبيح، وفي وقت الشدّة كان يمجدّ الله، عالماً أن الضيق ينشئ صبراً، وفي الصبر تزكية، وفي التزكية رجاء، والرجاء لا يُخزي (رو ٥: ٣). ليتنا نحن أيضاً تابعي هؤلاء القديسين لا نكف عن الشكر في كل وقت]. ويقول القديس غريغوريوس النزيني: [شكرنا لله أهم من تنفّسنا... لكل شيء وقت كما يُعلّم سليمان، وكما أعتقد أنا أيضاً... (أما الشكر ففي كل وقت)].

❖ لم يسع داود لاستلام العرش، بل كان يشتهي خدمة شعب الله، أمّا يريعام فسعى بطرق بشريّة حتى فكر سليمان في قتله، فهرب إلى مصر.

❖ أراد يريعام أن يبنّي كرسيه لا بالتقوى بل بإقامة مركزين للعبادة حتى وأن كان في هذا مخالفة للوصيّة.

"ذلك هانذا جالب شراً على بيت يريعام،

واقطع ليريعام كل بائِلٍ بحائِطٍ محجوراً ومطلقاً في إسرائيل،

وانزع آخر بيت يريعام كما ينزع البعر حتى يفنى" [١٠].

أخفت الملكة وجهها ببرقع، فكشف الله لنبيّه ليس فقط وجهها ليتعرّف عليها، بل وما في قلبها ليقدّم لها ولزوجها رسالة إلهيّة خطيرة.

صار يريعام مثلاً خطيراً للقلب الجاحد، يراه القديس إيريناؤس مثلاً لمن يشق الكنيسة ويهدم وحدتها.

❖ الذين ينزعون وحدة الكنيسة ويمزّقونها سينالون من الله ذات العقوبة التي حلّت بيريعام¹.

القديس إيريناؤس

"من مات ليريعام في المدينة تأكله الكلاب،

ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء،

¹ Irenaeus against Heresies, 4 : 26 : 2.

لأن الرب تكلم [١١].

إذ أهان يربعام الله، ارتدَّ العار عليه وعلى بيته، فصارت جثثهم مأكلاً للكلاب والطيور الجارحة. كانت الكلاب أكثر الحيوانات التي تعيش على الجثث الرميمة في القرى بالشرق الأوسط، والنسور هي أكثر الطيور الجارحة المنتشرة في فلسطين، تعيش على الجثث. إلى وقت قريب كنَّا نجد في بعض قرى الشرق الأوسط الكلاب الضالة التي ليس لها مالك، تتسم بالضراوة، تجول لتأكل حتى الجثث الميَّنة.

الموت بالنسبة للأبرار عطية إلهية، أما بالنسبة للأشرار فمخيف. لذا قيل: "لتمت نفسي موت الأبرار، ولتكن آخرتي كأخرتهم" (عد ١٣: ٣). "أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنَّك أنت معي" (مز ٢٣: ٤). "طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن في ديارك إلى الأبد" (مز ٦٥: ٤).

❖ "ليس في موتهم راحة" (مز ٧٣: ٤)... لأننا حين نكد في عملٍ ما، وننحني انشغالاً به وميلاً إليه، فإننا نستلقي عادة ونستريح. لكن الخطاة الذين اقترفوا آثاماً شنعاء، خاصة الأشرار منهم، لا يمكن أن يستلقوا ويستريحوا. إذ قيل عنهم: "إحنِ ظهورهم دائماً" (مز ٦٩: ٢٤). لأن الذين لا يلتصقون بالمسيح، لا يرتفعون بأنفسهم إلى السماويات، من ثم لا يرتفع مع الذين موتهم شرير جداً، كما هو مكتوب "موت الأشرار شرير للغاية" (مز ٣٤: ٢١)، "لكن الإنسان الذي يموت مع المسيح، ويُدفن مع المسيح، لا يجد راحة فقط بل قيامة أيضاً" (رو ٦: ٤). وعن هذا الإنسان قيل بحق "شفيت كل ضعفاته في مرضه" (مز ٤١: ٣). خاصة إذا كان شهيداً، تتكشف ضعفاته بالألام وموته بالقيامة^١.

القديس أمبروسيو

"وأنتِ فقومي وانطلقِي إلى بيتك،

وعند دخولِ رجلِكِ المدينة يموت الولد.

ويندبه جميع إسرائيل ويدفنونه،

لأن هذا وحده من يربعام يدخل القبر،

لأنَّه وجد فيه أمر صالح نحو الرب إله إسرائيل في بيت يربعام" [١٢-١٣].

لقد أخطأ شاول أول ملك لإسرائيل لكنَّه لم يعبد الأوثان، ولا دفع شعبه إلى ذلك. وأخطأ داود الملك، لكنَّه قدَّم توبة ورجع إلى الله. وأخطأ سليمان وبنى المرتفعات لنسائه، لكنَّه لم يدفع الشعب إلى

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٣: ٧.

ذلك. أمّا يريعام فصنع العجلين الذهبيين وعاد بقلوب الشعب إلى أرض العبوديّة حيث عجل إبليس، وبذل كل جهده لكي لا يعبدوا الرب في الهيكل بأورشليم.

لقد وُجد في أبيّاً شيء صالح، لكن لم يكن قلبه كاملاً مع الله، لهذا رحمه الله بموته لكي يُدفن في كرامة وليس في عارٍ وخزي كأبيه وبقية عائلته. فالموت في أزمنة الشرّ يحسب عطيةً من الله حيث يُضمّ وجه الصديق من الشرّ.

يرى الكُتّاب اليهود أن شعب إسرائيل حزن على أبيّاً لأنّه وقف معارضاً والده في إقامة العجلين الذهبيين، وكان يساعد الراغبين في الذهاب إلى أورشليم للعبادة في الهيكل على تحقيق ذلك.

"ويقيم الرب لنفسه ملكاً على إسرائيل،

يقرض بيت يريعام هذا اليوم،

وماذا الآن أيضاً.

ويضرب الرب إسرائيل كاهتزاز القصب في الماء،

ويستأصل إسرائيل عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاها لأبائهم،

ويبددهم إلى عبر النهر،

لأنّهم عملوا سواريتهم، وأغاظوا الرب" [١٤-١٥].

طرح يريعام الله وراء ظهره، فتجاهل الحضرة الإلهية، ولم يبالي بالوصية الإلهية ولا بالمخافة الربية. لقد فضّل عمله السياسي بفكر بشري عن مملكة الله.

سبق فحدّر موسى النبي الشعب بأن الله سيقتلهم من أرض الموعد إن عصوه (تث ٢٩: ٢٧). هنا لأول مرة يتكرّر نفس التهديد. إن كان الله قد سلّمهم الأرض بيدٍ قويّة وذراعٍ رفيعة ليحتلّوا الأمم المقيمة هناك. الآن تصيرهم الخطية كالقصب ويسحبونهم إلى أرض السبي في آشور (٢ مل ١٥: ٢٩؛ ١٧: ٢٣؛ ١٨: ١١).

"ويدفع إسرائيل من أجل خطايا يريعام الذي أخطأ،

وجعل إسرائيل يخطئ" [١٦].

٣. موت أبيّاً

"فقامت امرأة يريعام وذهبت وجاءت إلى ترصة،

ولما وصلت إلى عتبة الباب مات الغلام.

فدفنه وندبه جميع إسرائيل حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده أخيا النبي" [١٧-١٨].
قدم لها علامة ملموسة لكي تتأكد هي وزوجها من صدق ما تنبأ به، وهي إنها لن تعود ترى ابنها
حيًا، فإنه عندما تلمس قدمها أرض المدينة يموت ابنها. حدثها عن أمور خاصة بالمستقبل حيث
يُندمّر بيت يريعام، وقدم لها عملاً سريعاً حتى تتأكد من صدق النبوة، لعلها ترجع هي وزوجها عمًا
فعلاه.

كان يريعام في ذلك قد نقل العاصمة من شكيم إلى ترصة، إحدى المدن الكنعانية القديمة (يش
١٢: ٢٤). تشتهر هذه المدينة بالمسحة الجمالية. وهي وسط الجبال، تبعد حوالي ٩ أميال من شكيم
(نابلس). ربّما كانت مركز إقامة الملك للاستجمام الصحي، أكثر منها عاصمة للدولة. وقد بقيت
عاصمة حتى بنى عمري السامرة (١ مل ١٦: ٢٣-٢٤). قبل السبي ظهرت هذه المدينة مرة أخرى
بكونها مدينة منحيم الذي اغتال شالوم واحتل مركزه (٢ مل ١٥: ١٤).
عادت الملكة إلى ترصة التي امتازت بجمالها (نش ١٦: ٤). لكن موت ابنها يحرمها من التمتع
بجمال الموضع ومباهجه. ترصة غالبًا هي تالوزه Talluza شمال شكيم Shachem (يش ١٢:
٢٤).

شأن ما بين دخول امرأة يريعام المدينة ودخول القديسة مريم إلى مدينة يهوذا (لو ١: ٣٩). إذ
لمست رجل امرأة يريعام المدينة مات ابنها، وخيم الحزن على القصر الملكي وكل إسرائيل. وإذ لمست
رجل القديسة مريم بيت زكريا تهلّل الجنين في بطن اليصابات، وامتألت من الروح القدس، واشترك
لسانها مع قلبها في التسبيح لله.

جاءت امرأة يريعام تحمل أخبارًا مرّة وتأديبات قاسية وجاءت مريم تحمل أخبارًا سارة للعالم كلّه!
أبناء الظلمة يبعثون روح المرارة في وسط البشرية، أمّا أبناء النور فيقدّمون السيّد المسيح مصدر الفرح،
ويعثون روح التسبيح والتهلّل، ويفتحون باب الرجاء أمام الجميع.
لنبتنا في زيارتنا للآخرين نحمل إليهم مسيحنا القدوس الذي يُبهبج أحشاءهم الداخلية، ويُلهب روحه
القدوس فيهم، فنتهلّل نفوسهم به. عوض أن نحمل معنا أفكارًا شريرة وكلمات إدانة، فنملأهم بروح
الظلمة ونُطفئ الروح في داخلهم.

٤. موت يريعام

"وأما بقية أمور يريعام كيف حارب وكيف ملك،
فإنها مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل.

والزمان الذي ملك فيه يريعام هو اثنتان وعشرون سنة،

ثم اضطجع مع آباته وملك ناداب ابنه عوضاً عنه" [١٩-٢٠].

مات يريعام بعده بمدة قصيرة (٢ أي ١٣ : ٢٠) بعد أن ضربه الرب بمرض خطير. مات بانساً حيث ملك ٢٢ عامًا وفقد ابنه الذي كان يود أن يتسلم منه العرش والتاج الملكي.

٥. شر رحبعام ويهوذا

"وأما رحبعام بن سليمان فملك في يهوذا،

وكان رحبعام ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك

وملك سبع عشرة سنة في أورشليم المدينة التي اختارها الرب لوضع اسمه فيها من جميع

أسباط إسرائيل،

واسم أمه نعمة العمونية.

وعمل يهوذا الشر في عيني الرب،

وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا به" [٢١-٢٢].

سمح الله بتمزيق المملكة من بيت داود بسبب غياوة رحبعام وعنفه، والآن يسمح بتمزيق بيت يريعام لأنه صنع شرورًا أعظم وأخطر. كان يليق به أن يقتدي بداود الملك الذي أخطأ، لكنه تمتع بالوعود الإلهية والعطايا الفائقة خلال التوبة الصادقة.

"وينوا هم أيضًا لأنفسهم مرتفعات وأنصابًا وسواري على كل تل مرتفعٍ وتحت كل شجرة خضراء"

[٢٣].

لقد أخطأ كثير من قادة الشعب سواء من القضاة أو الملوك، لكن لم يوجد من بينهم من دفع الشعب بكل قوته للعبادة الوثنية. وإن تسللت العبادة الوثنية أحيانًا لم يقم منها القضاة أو الملوك العبادة الحقّة، والعبادة الرسمية للشعب. ليس فقط إسرائيل وإنما يهوذا أيضًا بنوا مرتفعات وأيضًا (أعمدة مقدّسة) وسواري وهي تماثيل خشبية. أقيمت على كل تالٍ مرتفعٍ وتحت كل شجرة خضراء. كانوا يمارسون العبادة الوثنية جنبًا إلى جنب مع عبادة الله في الهيكل. اختاروا قمم التلال العالية لكي تجتذب أنظار الأماكن المحيطة بها. وكانوا يقيمونها تحت كل شجرة خضراء في الطريق، حتى متى جلس المسافرون للراحة يجدون العبادة الوثنية بين أيديهم.

"وكان أيضًا مآبونون في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني

إسرائيل" [٢٤].

تحقق ذلك حيث قتل بعشا كل ذكور بيت يربعام (١ مل ١٥ : ٢٨-٢٩).

٦. السطو على بنك إسرائيل

"وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم" [٢٥].

تدعوه الترجمة السبعينية *Sousakim* ودعاه يوسابايوس *Aesonchosis*. جاء في المستندات المصرية أن *Sheshonk* (٩٤٥-٩٢٤ ق.م) هو مؤسس الأسرة الثانية والعشرين. كان أخطر عدو خارجي غزا أرض إسرائيل منذ أيام شاول الملك. جاء في معبد الكرنك صور عن نصرته مصر على يهوذا. كان شيشق *Sishak* يفتخر بأنه سبب متاعب لملك يهوذا. بفحص النقوش الخاصة بشيشق في الكرنك أكدت أن الرحلة وُجّهت ضد فلسطين، وقد أوضحت العلاقة بين المملكتين في ذلك الحين. من بين ١٥ مدينة التي حصّنها رحبعام في بدء ملكه (٢ أي ١١ : ٥-١٢) ثلاث مدن فتحها شيشق وهي سوكو *Shoco* وأدورايم *Adoraim* وأيلون *Aijalon*. كذلك فتح مدينتين أخرتين من يهوذا أو بنيامين. بعد ذلك افتتح عددًا كبيرًا من المدن كانت تحت سيادة يربعام سواء كانت كنعانية أو من مدن اللاويين. ففي السنوات الأربع بعد حدوث الانشقاق كان لرحبعام سطوة كبرى ضد منافسه يربعام. قامت بعض المدن الكنعانية ومدن اللاويين بالثورة ضد يربعام، فلجأ الأخير إلى شيشق لمساندته في إخضاع هذه المدن حتى أخضعها تمامًا.

جاء نقش في أول قصر بالكرنك، حيث أكثر من ١٣٠ شخصًا تغطيهم الدروع منقادين ومربوطين بواسطة الإله آمون *Ammon* والإله *Muth* وأيديهم مربوطة وراء ظهورهم. هؤلاء الأشخاص يرمزون إلى المدن المحصنة التي فتحها الملك. أحد هؤلاء المدرّعين المقيدتين كأسرى نقش تحته "ملك يهوذا". *Yudeh-Malek*، يرى البعض إنها لا تعني ملك يهوذا بل هي اسم مدينة فلسطين غير معروفة لدينا.

"وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك،

وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان" [٢٦].

كان الشعب عادة يحتفظ بالمجوهرات وكل الأشياء الثمينة إمّا بإخفائها تحت الأرض، أو بإيداعها في الهيكل كأمانة. فكان الهيكل أشبه بخزنة بنك عام لإسرائيل يحتفظ بكثير من الأشياء الثمينة. لقد سطا شيشق على خزائن البنك وسلبها.

"فعمل الملك رحبعام عوضًا عنها أتراس نحاس،

وسمّمها ليد رؤساء السعاة الحافظين باب بيت الملك.

وكان إذا دخل الملك بيت الرب يحملها السعاة ثم يرجعونها إلى غرفة السعاة" [٢٧-٢٨].

ربّما كان عدد السعاة ٣٠٠ على حسب عدد الأتراس.

"وبقيّة أمور رحبعام وكل ما فعل أمّا هي فمكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا.

وكانت حرب بين رحبعام ويريعام كل الأيام" [٢٩-٣٠].

تحقّق ذلك حين سقطت السامرة عام ٧٢٢ ق.م على يد الأشوريين؛ وسقطت أورشليم عام

٥٨٦/٥ ق.م على يد البابليين.

"ثم اضطجع رحبعام مع آبائه ودفن مع آبائه في مدينة داود،

واسم أمّه نعمة العمونيّة،

وملك أبيام ابنه عوضًا عنه" [٣١].

ذكر اسم الأم هنا "نعمة" وهي عمونيّة، ليشير إلى تأثيرها الشخصي على ابنها الملك وعلى

حكومته. للمرة الثانية يشير لاسم الملكة الأم وذلك لأهميّة دورها. وقد ظهرت ملكتان في يهوذا لهما

دورهما الخطير (١ مل ١٥: ١٣؛ ٢ مل ١١: ١-٢٠).

من وحي ١ مل ١٤

ليتبدد بيت يربعام، ويفقد رحبعام نفوذه!

❖ ظننت امرأة يربعام أنها قادرة أن تتخفي أمام أخيا النبي،

هذا الذي لا يختفي المستقبل أمامه،

بل تنبأ لزوجها أن يكون ملكاً.

جاءت تسأل عن أبيأ ابنها المريض،

ولم تبال بالشعب الذي أصابه المرض بسبب زوجها.

طرح زوجها الرب وراءه، ودفع الشعب للشر.

هوذا يموت ابنها عند دخولها المدينة،

ويقرض الرب بيت يربعام في عارٍ وخزي.

❖ سلك رحبعام بن سليمان طريق أمه العمونية.

هوذا شيشق ملك مصر يسلب خزائن أورشليم.

يربعام ورحبعام في حرب مستمرة،

كلاهما أبغضا للرب وأحبا للشر.

❖ لماذا أظن إبنتي قادر على التكرار أمام رجال الله.

لأرجع إلى الرب بكل قلبي، فيشفي نفسي المريضة.

يدخل بي إلى مدينتي المقدسة، ولا أكون بعد في عارٍ.

لأعطي للرب الوجه لا القفا،

فأحيا وتحيا كل عائلتي.

أتمنع مع أحبائي بالرب سر حياتي.

❖ لن يقدر غريب أن يدخل إلى أورشليمي المقدسة.

لن يمس العدو خزائن نفسي.

إنها في يد مخلصي، حافظي وثرسني.

يحتل السلام أعماقي، وتتهلل نفسي بفرح السماء.

الأصحاح الخامس عشر

إصلاحات آسا

يكشف لنا هذا الأصحاح عن سلوك ملوك يهوذا، إذ لم يكونوا في البداية قد بلغوا شر ملوك إسرائيل.

يقدم لنا شخصيتين من ملوك يهوذا هما أبيام الشرير، وكانت أيام ملكه قصيرة، وآسا أيام ملكه سالحة وطويلة. كما يقدم لنا شخصيتين من ملوك إسرائيل ناداب بن يريعام وبعشا مبدد بيت يريعام، وكلاهما كانا شريرين.

- ١-٨. أبيام بن رحبعام الشرير
- ٩-١٥. آسا بن يريعام المُصلح
- ١٦-٢٢. تحالف آسا مع بنهدد ضد إسرائيل
- ٢٣-٢٤. مرض آسا وموته
- ٢٥-٢٨. ناداب بن يريعام الشرير
- ٢٩-٣٤. بعشا يبني بيت يريعام

١. أبيام بن رحبعام الشرير

يقدم لنا ملخصًا موجزًا لفترة حكم الملك أبيام بن رحبعام القصيرة. هذا الذي سار في خطايا أبيه، لكنه وجد فيه بصيص من النور. من أجل جده داود أعطاه الرب سراجًا في أورشليم أن يملك ابنه آسا. وكان رجلًا صالحًا، بدأ بالإصلاحات لكنه سقط في بعض ضعفات خطيرة.

ذكر سفر أخبار الأيام الثاني (٢ أي ١٣) نصرته الملك أبيام بن رحبعام الفاتحة على يريعام وذلك بمعونة الله. حين تحدثت عن التصاقه بالله في أخبار الأيام دعاه أبيًا حيث يرتبط اسمه بيهوه، أمّا هنا فإنه إذ يتحدث عن خطايا يدهوه أبيام. يرى البعض أن الاسم في الأصل أبيام ثم استبدله اليهود بأبيًا لكي ينسبوا صاحب الاسم ليهوه. ويرى آخرون أن اسمه الحقيقي أبيًا التي تعني "يهوه هو أبي أو رغبتني" لكن بسبب شره دعاه اليهود "أبيام" حتى لا يُنسب ليهوه، وهي تعني "أب البحر". وهذا ما حدث عندما استبدلوا اسم مدينة "بيت إيل" ببيت أون في هوشع (١ مل ٤: ١٥)، وأيضًا يهوآحاز إلى آحاز (٢ مل ١٥: ٣٨).

لقد منع الله الحرب بين المملكتين (١ مل ١٢ : ٢٤)، لكن صراعات يربعام المستمرة خاصة على الحدود اضطرت أبيام أن يدافع عن مملكته، فالتجأ إلى الله لكي يسنده. وإذ غلب يربعام اضطراً أن ينسحب، ويهدأ بفيئة أيام ملكه (٢ أي ١٣ : ٢٠).

"وفي السنة الثامنة عشر للملك يربعام بن نباط ملك أبيام على يهوذا.

ملك ثلاث سنين في أورشليم،

واسم أمه معكة ابنة أبشالوم.

وسار في جميع خطايا أبيه التي عملها قبله،

ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" [١-٣].

كان لرحبعام ٢٨ ابناً (٢ أي ١١ : ٢١)، ولم يكن أيام البكر بل الأكبر من أبناء معكة التي أحبها أكثر من جميع نساته. ملك أبيام في السنة الثامنة عشر من ملك يربعام إذ ملك رحبعام (والد أبيام) لمدة ١٧ سنة (١ مل ١٤ : ٢١). وقد كان لكل منهما ابن يدعى أبياً أو أبيام. وقد مات أبياً بن يربعام كما رأينا في الأصحاح السابق، أما أبياً بن رحبعام فعاش بعد والده وملك ليصير رعباً ليربعام. ملك أبيام في الواقع أقل من ثلاث سنوات لكن كانت عادة اليهود أن يحسبوا الجزء من السنة سنة كاملة، وأيضاً الجزء من اليوم يوماً كاملاً. مات في السنة العشرين من الملك يربعام وملك ابنه آسا. اسم أمه معكة، وهو اسم سامي معناه "ظلم". هي حفيدة أو بنت ابنة أبشالوم، وثالثة نساء رحبعام. تُسمى أيضاً ميخايا بنت أورينيل من جبعة (٢ أي ١٣ : ٢). أما أوريل فكان زوج ثامار ابنة أبشالوم (٢ صم ١٤ : ٢٧).

"ولكن لأجل داود أعطاه الرب إلهه سراجاً في أورشليم،

إذ أقام ابنه بعده وثبتت أورشليم" [٤].

سند الله أبياً فغلب يربعام، لكنّه إذ غلب سقط في الكبرياء، إذ لم يكن قلبه كاملاً، لهذا قطعه الرب من ملكه ليتسلم ابنه آسا العرش.

"أعطاه الرب إلهه سراجاً في أورشليم": كانت العادة في الشرق ألا يترك البيت في ظلام قط إلا إذا مات صاحبه أو تهدم البيت. لذلك كان بقاء السراج مضيئاً يعني دوام حياة الإنسان. "تعم! نور الأشرار ينطفئ ولا يُضيء لهيب ناره، النور يُظلم في خيمته وسراجه فوقه ينطفئ" (أي ١٨ : ٥) "تور الصديقين يفرح، وسراج الأشرار ينطفئ" (أم ١٣ : ٩).

خطايا الملك أبيام أظلمت المملكة، لكن من أجل داود أعطى الله سراجاً في أورشليم، وهو الوعد

الذي أُعطيَ لداود أن يكون بيته منبرًا حتى يأتي يسوع المسيح، ابنه حسب الجسد، الذي يضيء العالم كله^١.

في العهد القديم كان للمنارة الذهبية طقسها الخاص، من جهة سُرجها السبعة ونوع الزيت والفتائل، وكان ديمومة إنارتها أمرًا جوهريًا في حياة هذا الشعب. فقد كان ذلك رمزًا إلى حاجة الطبيعة البشرية إلى الاستنارة الإلهية حتى تُنزع عنها طبيعة الظلمة، وتحمل الشركة مع المسيح النور الحقيقي الذي ينير العالم.

إن كان السيد المسيح هو "الطريق" الذي يقود إنساننا الداخلي إلى حضن الآب، فإنّه هو أيضًا النور الذي يكشف لنا هذا السبيل الملوكي فلا ننحرف عنه.

❖ كان النور بالحق مخفيًا ومحتجبًا في ناموس موسى، لكن لما جاء يسوع، أشرق إذ رُفع البرقع وأعلنت في الحال وبالحق البركات التي قدّم ظلّها في الحرف^٢.

العلامة أوريجينوس

❖ أشعة الكلمة مستعدّة سرمديًا أن تشرق مادامت نوافذ النفس مفتوحة خلال الإيمان البسيط.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ من يرفض قبول نور كلمة الله ينبغي أن يخشى عقاب الظلمة الأبدية^٣.

الأب قيصر يوس أسقف آرل

❖ ترجّوا واحتملوا حتى يعبر غضب الله على الليل الذي هو أب الأشرار. لقد كنّا نحن أبناء الليل، كنّا أحيانًا ظلامًا (أف ٢: ٣؛ ٥: ٨)، وما هي تظهر آثاره في جسدنا إذ نحن أموات بالخطايا (رو ٨: ١٠) حتى يميل النهار وتهرب الظلال (نش ٢: ١٧)^٤.

القديس أغسطينوس

❖ قيل هذا أيضًا عن المسيح، فقد قيل أنّه أُعطيَ نورًا للأمم كما يقول إشعياء النبي: "أعطيتك كنور لكل الأمم، لكي تكون أنت خلاصي إلى أقاصي الأرض". لهذا يقول داود: "مصباح لرجلي

¹ Boyd's Bible Handbook, p. 162

² On Principiis 4:1:6 (Die griechischen christlichen Schriftsteller, 4:302.)

³ Sermon 76:3

⁴ Confessions 13:14 (15).

كلمتك، ونور لسبيلي¹.

الأب أفرات

❖ ليست خليقة، سواء كانت عاقلة أو لها قوّة فهم، تنير بذاتها، بل تستنير بالشركة مع الحق الأبدي.
القديس أغسطينوس

"لأن داود عمل ما هو مستقيم في عينيّ الرب،

ولم يحد عن شيء ممّا أوصاه به كل أيام حياته إلا في قضية أورياً الحثّي" [٥].

لقد سمح الله أن يبقى سراج بيت داود منيراً، ليس من أجل أيام ولا من أجل أبيه رحبعام إذ صنعا الشرّ، وإنّما من أجل داود أبيهما، فقد بقيت أمانته للرب واستقامة قلبه وحبّه الصادق بركة لأحفاد أحفاده.

إذ انسحق داود في داخله طالباً مجد الله، مترنماً: "لا أدخل بيتي، ولا أصد على سرير فراشي، ولا أعطي وسناً لعينيّ ولا نوماً لأجفاني إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب" (مز ١٣٢: ٥-٣). تمتّع بالوعد الإلهي: "هناك أنبت قرناً لداود، رتبت سراجاً لمسيحي" (مز ١٣٢: ١٧). هذا هو السراج الذي لا تقدر كل قوآت الظلمة أن تُطفئه؛ ألا وهو يسوع المسيح ابن داود، نور العالم. إذ تمسك داود بالوصية الإلهية كسراج تضيء له الطريق (مز ١١٩: ١٠٥)، أقام الله في بيته سراجاً لا ينطفئ.

تمتدح كلمة الله داود من أجل استقامة قلبه، ويُحسب أنّه لم يحد عن وصايا الرب. لقد أخطأ داود لكن لم يُذكر شيء من خطاياهم، إنّما فقط ذكرت خطيئته بخصوص "قضية أورياً الحثّي". هذا لا يعني إنّها لم تُغفر، إنّما أراد الله أن يؤكّد خطورتها حتى لا يسقط فيها أحد. حقاً بتوبته لم يفقد عهده مع الرب ولا خسر المواعيد الإلهية له ولنسله من بعده.

ذكر هذه الخطية يحثنا على الحذر الشديد منها لأنّها تبقى ملتصقة بنا لا من جهة خلاصنا ومجدنا الأبدي وإنّما لكي يعتبر الآخرون فلا يسقطون. ومن جانب آخر ذكرها يؤكّد مراحم الله الذي يتطلّع إلى قلب داود أنّه مستقيم وبلا لوم بالرغم من سقوطه في هذه الخطية البشعة. ذكرها يفتح باب الرجاء أمام كل خاطئ.

"وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل أيام حياته" [٦].

¹ Select Demonstration, 1:10.

يروى لنا سفر أخبار الأيام الثاني (ص ١٣) كيف قام أبيًا على جبل صمارايم الذي في جبل أفرام وطالب يربعام وكل إسرائيل بالعودة إلى الارتباط بالهيكل والكهنوت الذي لبني هرون واللاويين، عوض مقاومة الرب ومحاربة إله آبائهم. هكذا كان يبدو في حديثه أنه إنسان غيور على شعبه وعلى مجد الرب، لكن كما يظن الكثيرون أنه لم يكن مخلصًا في حديثه إنما استخدم ذلك لإثارة إسرائيل ضد يربعام ولتنشيت ملكه. وكما يذكر الكاتب هنا: "لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" [٣].

يرى البعض في القول "لم يكن قلبه كاملاً مع الرب" إشارة إلى أنه كان يعبد الأوثان جنبًا إلى جنب مع عبادته لله. وإن كان قد أعدَّ أوانٍ ثمينة قدمها للهيكل [١٥]، ربّما عوض الأواني التي حملها شيشق ملك مصر، كما بدا كخادمٍ غيورٍ على مجد الرب في حربه ضد يربعام (٢ أي ١٠: ١٢-١٣).

لقد وهبه الرب النصر على يربعام، لكنّه للأسف سار في جميع خطايا أبيه [٣]. وكما يقول إشعياء النبي: "يُرحم المنافق ولا يتعلّم العدل. في أرض الاستقامة يصنع شرًا ولا يرى جلال الرب" (إش ٢٦: ١٠).

"وبقيّة أمور أيام وكل ما عمل أمّا هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا، وكانت حرب بين أيام ويربعام" [٧].

بقيت الكراهية مستمرة بين المملكتين في أيام يربعام ورحبعام، وأيضًا في أيام أبيًا بن رحبعام حيث حدثت معركة صريحة وعلنية وخطيرة (١ أي ١٣).

"ثم اضطجع أيام مع آبائه فدفنوه في مدينة داود، وملك آسا ابنه عوضا عنه" [٨].

٢. آسا بن يربعام المصلح

"وفي السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك آسا على يهوذا.

ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم،

واسم أمّه معكة ابنة أبشالوم" [٩-١٠].

يقصد هنا الجدّة، ربّما ذُكرت دون ذكر والدة آسا لأنها كانت امرأة قويّة متسلّطة على رجلها رحبعام وابنها أيام، لاسيما في العبادة الوثنيّة. خلعتها من أن تكون ملكة [١٣]، دليل على قوّة إيمان

أسا وغيرته للرب. كان اسمها في الأصل ميخايا، وصار "معكة". حين صارت ملكة؛ إذ كانت العادة أن يُغيّر الإنسان اسمه أحياناً عندما تتغيّر ظروفه.

"وعمل آسا ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه" [١١].

لم يكن آسا نبياً كداود أبيه ولا مرتلاً، ولم تكن له النصرات المستمرة في الحروب لكنّه اقتاد به في عمل المستقيم في عيني الرب اقتدى به في أمانته للرب وإخلاصه واهتمامه بمجد الرب. بدأ إصلاحاته بالإيجابية: "ما هو مستقيم في عيني الرب"، دون تجاهل الجانب السلبي وهو تحطيم الشر وإزالة كل أثر له.

"وأزال المأبونين من الأرض،

ونزع جميع الأصنام التي عملها آباؤه" [١٢].

بدأ آسا قوياً روحياً وسياسياً. لقد ورث عن سليمان الهيكل، كما ورث عنه تسلل الوثنية إلى الشعب، وورث شروراً ورجاسات مرّة عن والده أبيّاً وجده رجبام. نزع بيوت الفساد، حيث كانت الممارسات الجسدية الشاذة (المأبونون) منتشرة كجزء من العبادة. انجذبوا إلى الرجاسات الوثنية فمزجوا العبادة بالزنا والشذوذ الجنسي سواء بين الذكور أو الإناث. حسبوا أنفسهم خداماً للفساد. كان بعض الكهنة الوثنيين يحثون الشعب، خاصة من الأوساط الدينية لممارسة الشرّ لحساب المعابد. يقصد بالمأبونين ممارسة الدعارة بين الذكور، حيث كان بعض الرجال والكهنة وخدام الهيكل في معبد عشتروت يرتدون ثياباً كالنساء لممارسة الفساد. لم يزل المأبونين تماماً لأنّه بقي منهم إلى أيام ابنه يهوشفاط (٢٢: ٤٦).

تلى ذلك تحطيم الأوثان حتى التي صنعها والده، حتى يزيل كل لعنة عن المملكة. الانحراف نحو العبادة الوثنية يدفع إلى نزع المملكة من نسل الشخص كما حدث مع يربعام (١ مل ١٤: ١٠-١٤)، بعشا (١ مل ١٦: ٢-٤) وزمري (١ مل ١٦: ١٩)، ودفعها إلى عائلة أخرى. لم يحدث هذا مع أبيّاً ولا مع كل ملوك يهوذا، ذلك بسبب أمانة داود الفريدة. ففي الفترة ما بين انقسام المملكة إلى السبي لم تتغيّر الأسرة المالكة في يهوذا، بينما تغيّرت تسع مرّات في إسرائيل في قرنين ونصف.

"حتى أن معكة أمّه خلعتها من أن تكون ملكة،

لأنّها عملت تمثالاً لسارية،

وقطع آسا تمثالها وأحرقه في وادي قدرون" [١٣].

إخلاصه للرب حقيقي وعميق، لم يجامل والده الميَّب بل حطَّم التماثيل التي أقامها. تسلَّم مع المملكة الأم الملكة معكة والدته الوثنيَّة، وكان للملكة الأم دورها الخطير في ذلك الحين. وإذ كان قلبه مستقيماً لم يقف أمامه أي عائق. خلع أمُّه الملكة لأنَّها عملت تماثلاً لساريَّة. طردها من القصر المكي لتعيش في مسكن خاص، فلا يكون لها أثرها على زوجته، ولا على العاملين في القصر ورجال الدولة. فعل كما يفعل اللاويُّون (تث ٣٣: ٩) الذين يضعون خدمة الله فوق كل اعتبار أُسري. قطع تماثيل أمُّه وأحرقه في وادي قدرون متمثلاً بموسى النبي (خر ٣٢: ٢٠) لينزع كل أثرٍ للعبادة الوثنيَّة. وكما فعل منسَّى حيث نزع العشتاروت من بيت الرب وجاء به إلى نهر قدرون وحرقه هناك. وغاية ذلك ربِّما لمنع تدينس المدينة المقدَّسة بالدخان أو الرماد الدنس للتماثيل.

جاء في الفولجاتا أن آسا خلع أمُّه من قيامها بالدور كرئيسة في الطقوس المقدَّسة المقدَّمة لبريابس Priapus وساريتها التي قدَّستها الملكة له. وجاء في الترجمة السبعينيَّة أنَّه خلعها من مركزها كحاكمة حيث أقامت لها جماعة في ساريتها. وفي الترجمة السريانيَّة أنَّه خلعها من عظمتها حيث كانت تحتل العبادة الوثنيَّة في مهابة. وفي الكلدانيَّة خلعها من مملكتها.

الكلمة المترجمة هنا "تماثيل" مشتقة من الكلمة العبريَّة التي تعني "رعياً" أو "خوفاً". وهي تنطبق على تماثيل قبيح الصورة جدًّا ومُخيف مثل الإله فتاح للمصريين.

"وأما المرتفعات فلم تنزع، إلا أن قلب آسا كان كاملاً مع الرب كل أيَّامه" [١٤].

أزال الأوثان وحطَّمها حتى التي كان البعض يتعبَّد لله خلالها. لكنَّه لم ينزع المرتفعات، أي المذابح المُقامة على قمم التلال لتقديم الذبائح لله الحيِّ. وقد استخدمها اليهود قبل بناء الهيكل، وجاءت الوصيَّة صريحة بأن تقدم الذبائح في موضع واحد وهو الهيكل (تث ١٢: ١١). ربِّما شعر آسا بأن وجودها لا يمثِّل خطورة على العبادة لله الحيِّ، ولم يدرك إنَّها شبكة تصطاد الكثيرين للعبادة الوثنيَّة. فلا يفهم من المرتفعات هنا مذابح وثنيَّة بل مذابح يُقدِّمون عليها ذبائح لله الحيِّ، وهي عبادة ممنوعة ولكنَّها ليست كالعبادة الوثنيَّة.

بقوله أن قلبه كان كاملاً مع الرب لا يعني أنَّه لم يُخطئ، لكنَّه كان مخلصاً في عبادته وخدمته للرب ومشتاقاً أن يحيا كما يليق. كان هذا الملك الشاب صاحب قلب ملتهب ومتجدِّد، حطَّم الشر الذي تسلَّمه عن والده وحده، مقرِّراً أن يصنع ما هو صالح في عيني الرب، متمثلاً بأبيه داود. نجد هنا حديثاً مختصراً عن مُلك آسا، جاء تاريخه بتوسُّع في (٢ أي ١٤، ١٥، ١٦).

مع كل الإصلاحات التي عملها والنصرة التي نالها باسم الرب سقط في الضعف:

أولاً: اتَّكَل على بنهدد ملك آرام لكي ينقذه من بعشا ملك إسرائيل [١٨-١٩]. لم يعد يتَّكَل على الرب الذي أعطاه مهابة ونصرة.

ثانياً: إذ وَبَّخه حناني الرائي على ذلك، لم يسمع له بل غضب عليه وسجنه (٢ أي ١٦ : ٧-١٠).

ثالثاً: سمح الله له بمرض في رجله ليتوب، لكنَّه في مرضه لم يطلب الرب بل الأطباء (٢ أي ١٦ : ١٢).

"وأدخل أقداس أبيه وأقداسه إلى بيت الرب من الفضة والذهب والآنية" [١٥].

الأقداس هي الغنيمة التي كان أيام أخذها في حروبه ومنها حربه مع يريعام (٢ أي ١٣ : ١٦-١٧) وقَدَّسها للرب كما فعل داود (٢ صم ٨ : ١١). آسا أيضاً قدس للرب غنيمة أعدائه في المعركة مع زارح الأثيوبي (٢ أي ١٤ : ٩-١٥) التي تَمَّت في السنة الحادية عشر من ملكه (٢ أي ١٥ : ١٠، ١٨). وكان الملوك الوثنيون يقدِّمون من غنيمة حروبهم لآلهتهم كنبوخذنصر (عز ١ : ٧). حاول آسا أن يعوِّض ما كان شيشق قد أخذه في زمان ملك رحبعام.

إن تطلَّعنا إلى ملوك يهوذا نجد تقريباً النصف ملوك صالحين والنصف الآخر أشراراً، لكن من عناية الله بشعبه نلاحظ غالباً ما يسمح للملوك الصالحين أن يملكوا مدَّة طويلة، أمَّا الأشرار فلفترة قصيرة. جاءت الوصية الإلهية أن من يُكرم أباه وأمه تطول أيام حياته على الأرض، فكم من يكرم أباه السماوي وأمه كنيسة الله المقدَّسة. هذا لا يعني أن الأشرار يموتون صغار السن والصالحين كبار السن، فإن يوماً عند الرب كآلف سنة. كثيرون شيوخ تحسب حياتهم كدقائق عبرت بلا ثمر، وآخرون مع كل نسمة يُعتبرون قد قدَّموا عملاً لا تفنيه الأزمنة.

٣. تحالف آسا مع بنهدد ضد إسرائيل

كان هناك تحالف بين أبيام والد آسا وطبرعون ملك آرام والد بنهدد. مما ساعد أبيام على التمتع بنصرة عظيمة على يريعام ونواله نصرات متواليه (٢ أي ١٣ : ١٧-٢٠). انتهى هذا التحالف عندما نجح بعشا في إقامة تحالف مع بنهدد بن طبريمون. هذا ما دفع آسا أن يُحطِّم هذا التحالف بدفع رشوة ثمينة لبنهدد. سبق أيضاً فالتجأ يريعام إلى التحالف مع شيشق ملك مصر لمساندته ضد يهوذا. كان بعشا ملك إسرائيل رجل حرب لا يعرف السلام، دخل في حروب مع آسا. صنع تحالفاً مع بنهدد ضدَّ يهوذا، واضطر آسا أن يدفع الكثير لينقض بنهدد التحالف. على أي الأحوال انقسام المملكة دَمَّر المملكتين وبدَّد إمكاناتهما البشريَّة والماديَّة؛ واستغلَّ الملوك المجاورين هذا لحسابهم.

رَبِّمَا ضَعَفَت الْقُوَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ لِآسَا وَأُنْهَكَتْ بَعْدَ حَرْبِهِ مَعَ الْكُوشِيِّينَ (٢ أي ١٤ : ٩)، فَلَجَأَ إِلَى التَّحَالِفِ مَعَ بَنَهْدَدَ مَلِكِ دِمَشْقَ (أَرَامَ) ضِدَّ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ. هَذَا الْأَمْرُ لَنْ يَبْرُرَّ تَصْرِفَهُ وَقَدْ وَبَّخَهُ حَنَانِيَا الرَّائِي عَلَى اتِّكَالِهِ عَلَى أَرَامَ (سُورِيَا) عِوَضًا عَنِ اتِّكَالِهِ عَلَى الرَّبِّ، فَسَجَنَهُ (٢ أي ١٦ : ٧-١٠).

يَرَى الْبَعْضُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْجِدُ خَطَرَ حَقِيقِي مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ لِلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى يَهُوذَا، لَكِنْ آسَا أَرَادَ تَحْطِيمَ إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ كَانَ الثَّمَنُ هُوَ سَلْبُ بَيْتِ الرَّبِّ أَنْيَتَهُ. أَخْطَأَ آسَا إِذْ أَعْرَى بَنَهْدَدَ مَلِكَ أَرَامَ (سُورِيَا) بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ لِكِي يَنْقُضَ عَهْدَهُ مَعَ إِسْرَائِيلَ. لَمْ يَعْتَمِدْ آسَا عَلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ وَمَعَ آبَائِهِ الْكَثِيرِ، وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُصَهُ مِنَ الْمَازِقِ دُونَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى ذِرَاعِ بَشَرِي. أَسَاءَ التَّصَرُّفِ إِذْ أَخَذَ جَمِيعَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ الْبَاقِيَةَ فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ الْمَلِكِ وَدَفَعَهَا لِمَلِكِ أَرَامَ.

هَكَذَا دَفَعَ انْقِسَامَ الْمَمْلَكَةِ إِلَى الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمَمْلَكَتَيْنِ فِي كَسْبِ الدُّوَلِ الْمَجَاوِرَةِ خَاصَّةً أَرَامَ وَمِصْرَ لِلتَّحَالِفِ مَعَهَا الْوَاحِدَ ضِدَّ الْآخَرِ.

"وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ آسَا وَبِعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ كُلَّ أَيَّامِهِمَا" [١٦].

فِي (٢ أي ١٤ : ١) أَنَّ الْأَرْضَ اسْتَرَاحَتْ عَشْرَ سَنِينَ فِي أَوَّلِ مَلِكِ آسَا، فَانْسَتَنَجَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَوَّلِ اخْتِلَافٌ وَمَخَاصِمَةٌ بَيْنَ آسَا وَبِعْشَا، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى الْحَرْبِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا. تَقْوَى أَسْوَارِ الْمَدِينِ (٢ أي ١٤ : ٦-٧). لَقَدْ غَلَبَ زَارِحُ الْأَثُوبِيِّ، حَيْثُ اعْتَمَدَ آسَا عَلَى اسْمِ الرَّبِّ إِلَهِهِ (٢ أي ١٤ : ٩-١٥).

"وَصَعِدَ بَعْشَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَهُوذَا،

وَبَنَى الرَّمَاةَ لِكِي لَا يَدْعُ أَحَدٌ يَخْرُجُ أَوْ يَدْخُلُ إِلَى آسَا مَلِكِ يَهُوذَا" [١٧].

كَانَتْ هُنَاكَ عِدَاوَةٌ قَائِمَةٌ وَمُسْتَمِرَّةٌ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ، لَكِنْ لَمْ تَحْدَثْ حَرْبًا عَظِيمَةً تَسْتَحِقُّ التَّسْجِيلَ إِلَّا عِنْدَمَا بَدَأَ بَعْشَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ بِنَيْ قَرْيَةِ الرَّمَاةِ عَلَى هَضْبَةٍ عَالِيَةٍ فِي نَصِيبِ سَبْطِ بَنِيَامِينَ (بِش ١٨ : ١٥ ؛ ١ ص ١ : ١٩ ؛ مَت ٢ : ١٨). وَهِيَ تَبْعُدُ حَوْلِي ٦ أَمْيَالٍ شَمَالَ أُورُشَلِيمَ عَلَى طَرِيقِ بَيْتِ إِيْلَ. مَوْضِعُهَا الْيَوْمَ "الرَّامَ".

حُلُولَ بَعْشَا فِيهَا يَمْتَلُّ تَهْدِيدًا لِيَهُوذَا (إِش ١٠ : ٢٩).

يَتَنَبَّأُ إِرْمِيَا عَنْ قَتْلِ أَطْفَالِ بَيْتِ لَحْمَ بِقَوْلِهِ: "صَوْتُ سَمْعٍ فِي الرَّمَاةِ، نُوْحٌ وَبِكَاءٌ مُرٌّ، رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلَادِهَا لِأَنَّهَا لَأَتَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ" (إِر ٣١ : ١٥).

بَنَى هَذِهِ الْقَرْيَةَ لِلْأَغْرَاضِ التَّالِيَةِ:

أ. لِكِي يَقَطَعَ الْعِلَاقَاتِ التَّجَارِيَّةَ بَيْنَ يَهُوذَا وَمَمْلَكَةِ الشَّمَالِ.

ب. لكي يمنع هجرة الراغبين في الانضمام إلى يهوذا (٢ أي ١٥: ٩)، ويمنع شعبه من العبور إلى أورشليم ليعبدوا الرب في الهيكل.

ج. كانت خطوة أولى للهجوم على مملكة الجنوب، أو على أورشليم.

"وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك،
ودفعها ليد عبيده،

وأرسلهم الملك آسا إلى بنهدد بن طبريمون بن حزبون ملك آرام الساكن في دمشق قائلاً:

إن بيني وبينك، وبين أبي وأبيك عهداً.

هوذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب، فتعال انقض عهدك مع بعشا ملك إسرائيل فيصعد

عني" [١٨-١٩].

في (٢ أي ١٦: ٧-١٠) جاء حناني الرائي إلى آسا ووبّخه لأنه استند على ملك آرام ولم يتكل على الرب، وتتبأ عن حروب ستأتي عليه.

بنهدد تعني ابن هدد أو ابن الإله الشمس. يرى البعض الدارسين أنه يوجد ثلاثة ملوك لدمشق حملوا هذا الاسم. الأرجح أن حزبون هو رزون الذي أقامه الرب خصماً لسليمان (١١: ٢٣)؛ وبنهدد الثاني هو الذي حارب آخاب (٢٢: ١-٣٦)، وبنهدد الثالث هو الذي ضايق إسرائيل في ملك يهوآحاز (٢ مل ١٣: ٣-١٣). أرسل بنهدد جيشاً في المناطق الشماليّة من إسرائيل واستولى على بعض المدن في الجليل على حدود سوريا ممّا ألزم بعشا أن ينسحب من الرامة.

مهما بلغت كميات الفضة والذهب التي في القصر وفي الهيكل تحسب كفاية بعدما استولى شيشق ملك مصر على كل الخزائن في أيام أبيه رحبعام (١ مل ١٤: ٢٦). لقد أدخل أبيام وآسا أقداسهما إلى بيت الرب، أي غنائم أعدائهما [١٥]، وكان آسا قد أخذ غنائم كثيرة من زارح الكوشي (٢ أي ١٤: ١٣).

"فسمع بنهدد للملك آسا،

وأرسل رؤساء الجيوش التي له على مدن إسرائيل،

وضرب عيون ودان وابل بيت معكة وكل كنروت مع كل أرض نفتالي" [٢٠].

قيل ملك آرام الهدية الثمينة ورأى أنه بدخوله في عهد مع يهوذا يستطيع أن يستولى على بعض مدن إسرائيل القريبة منه.

عيون Ijon: غرب وادي التيم Wady et -Teim وهي من أفضل المناطق في ميرج عيون

Mej Ayun تفصلها التلال عن التيم. وهي سهل خصب جميل يروى بالآبار، تحيطه التلال بعضها مرتفع لكن أغلبها أرض منزوعة.

آبل بيت معكة: تدعى آبل مايم (٢ أي ١٦ : ٤)، ويدعوها يوسيفوس *Abellare*¹. كل كنروت: منطقة شمالية من فلسطين ريمًا أخذت اسمها من امتدادها المنصل بالبحيرة. وهي شمال طبرية، عرفت في عصور متأخرة باسم "سهل جنيسارت"، إذ كما يدعوها يوسيفوس "بلدة جنيسارت".

"ولما سمع بعشا كف عن بناء الرامة وأقام في ترصة" [٢١].
توقّف عن بناء الرامة لأنه لم يكن ممكنًا أن يحارب عدوين في وقت واحد. إذ سمع بعشا بذلك ذهب إلى عاصمته ترصة أو إلى قصره وأغلق على نفسه، وهي قريبة من شكيم، أي نابلس.

"فاستدعى الملك آسا كل يهوذا لم يكن بريء،

فحملوا كل حجارة الرامة وأخشابها التي بناها بعشا،

وبنى بها الملك آسا جبع بنيامين والمصفاة" [٢٢].

أخذ آسا المواد التي جمعها بعشا لتحصين الرامة وبنى بها جبع والمصفاة.

يليق بنا الأ نخلط جبع *Geba* بنيامين هنا بجبع *Gibeah* التي لبنيامين أو شاول. فالمذكور هنا هي *Jeba* الحالية التي تبعد حوالي ميل في شمال شرق الرامة (يش ١٨ : ٢٤). وهي قمة كذلك من جهة وادي سونيت *Wady Suweinit* (١ صم ١٣ : ٣ ؛ ١٤ : ٥) عمقه يبلغ نحو ٨٠٠ قدمًا. رأى آسا أن تحصين جبع يعطيه دفاعًا من الشمال أكثر من الرامة.

المصفاة: هي حاليًا "بيت صموئيل" حوالي ميل من جنوب غربي الرامة (يش ١٨ : ٢٦). وهي أعلى قمة بقرب أورشليم. وهي المدينة التي اجتمع فيها بنو إسرائيل لانتخاب ملكهم الأول (١ صم ١٠ : ١٧-٢٧)، وصنع آسا فيها جبا (إر ٤١ : ٥-٩).

٤. مرض آسا وموته

"وبقيّة كل أمور آسا وكل جبروته وكل ما فعل والمدن التي بناها أمّا هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا

غير أنه في زمان شيخوخته مرض في رجليه" [٢٣].

¹ *Antiquities: bviii, ch ii, sec.4.*

في (٢ أي ١٤-١٦) ورد عنه أنه بنى مدناً حصينة، وكان عدد جيشه ثلاثمائة ألف من يهوذا ومائتين وثمانين ألفاً من بنيامين. وانتصر على زارح الكوشي الذي كان في جيشه ألف ألف. وكلمه الله بغم عزريا بن عوديد وشجّعه لينزع الرجاسات من كل أرض يهوذا وبنيامين. حين مرض في شيخوخته وهو ابن خمسين سنة لم يطلب الله الذي أدبه بالمرض، لكنّه التجأ إلى الأطباء، الذين غالباً ما كانوا من السحرة.

"ثم اضطجع آسا مع آبائه ودفن مع آبائه في مدينة داود أبيه،
وملك يهوشافاط ابنه عوضاً عنه" [٢٤].

رقد آسا مع آبائه، وملك عوضاً عنه يهوشافاط. مات الملك الصالح ليرثه ابن تقي (٨٧٣-٨٤٨) اشترك معه في الحكم لمدة ثلاث سنوات.

٥. ناداب بن يربعام الشرير

"وملك ناداب بن يربعام على إسرائيل في السنة الثانية لآسا ملك يهوذا فملك على إسرائيل سنتين" [٢٥].

ملك سنتين غير كاملتين، لأنه ملك في السنة الثانية لآسا وخلفه بعشا في السنة الثالثة.

"وعمل الشر في عيني الرب،

وسار في طريق أبيه وفي خطيئته التي جعل بها إسرائيل يخطئ" [٢٦].

إذ أراد تثبيت مملكته سار في طريق أبيه، مصمماً على عبادة العجلين الذهبيين ومنع الشعب من الذهاب إلى أورشليم، والعبادة في هيكل الرب. كان الملكان ورجالهما يخدعون أنفسهم بزعمهم أنهم يسجدون للرب بواسطة العجلين. لذلك سمح الله باغتياله سريعاً بواسطة بعشا، في السنة الثانية من حكمه. كان محاصراً جبثون، المدينة التي استولى عليها الفلسطينيون، وكان يحاول استردادها. وبينما هو وسط جيشه تأمر عليه بعشا ومن معه وقتلوه. لم يقف الجيش ضد القاتل بل أقامه خلفاً لناداب.

"وفتن عليه بعشا بن أخيّا من بيت يساكر،

وضربه بعشا في جبثون التي للفلسطينيين،

وكان ناداب وكل إسرائيل محاصرين جبثون" [٢٧].

نلاحظ كثرة الفتن في تاريخ إسرائيل بخلاف تاريخ يهوذا.

لم يُقم غيره ملكاً أو قاضياً من سبط يساكر إلا القاضي تولع (قض ١٠: ١-٢). سكن سبط

يسآكر في مرج ابن عامر، وكان كما تتبأ عنه يعقوب حمازًا جسيمًا رابضًا بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن والأرض إنَّها نزهة، فأحنى كتفه للحمل، وصار للجزية عبدًا" (تك ٤٩ : ١٤-١٥). وأثار الرب إلى أصله الدنيء بقوله لبعشا: "رفعتك من التراب" (١ : ١٦). يُستنتج من هذا القول أن الرب دعاه للملك كما دعى يربعام.

جبتون: اسم عبري معناه "جبل" أو "ارتفاع"، في أرض دان على حدود أرض الفلسطينيين أُعطيت لبني قهات اللاويين (يش ١٩ : ٤٤ ؛ ٢١ : ٢٣). وكان الفلسطينيون قد أخذوها وحاول ناداب أن يسترجعها ولم يزلوا يحاربون في زمان عمري، أي بعد مدّة نحو ٢٦ عامًا (١٦ : ٢٥). ربّما هي المعروفة اليوم بتل الميلاط، على بعد خمسة أثمان الميل جنوب نمه وشرق عقرون مباشرة.

"وأماته بعشا في السنة الثالثة لآسا ملك يهوذا وملك عوضًا عنه" [٢٨].

٦ . بعشا يبني بيت يربعام

"ولما ملك ضرب كل بيت يربعام،

لم يبق نسمة ليربعام حتى أفتاهم حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبده أخيا الشيلوني

[٢٩].

أول عمل قام به الملك الجديد هو أنه أباد بيت يربعام. كان ذلك العمل وحشيًا، سمح به الرب كدرسٍ للشعب حتى يدركوا ثمرة الانحراف عن الله مصدر الحياة. لقد تحققت نبوءة أخيا النبي، ولم تسقط كلمة الرب. لكن للأسف هذا الذي استخدمه الرب عصا تأديب لبيت يربعام سلك في نفس طريقه ولم يتعظ منه.

"لأجل خطايا يربعام التي أخطأها،

والتي جعل بها إسرائيل يخطئ الشعب،

ياغاظته التي أغاظ بها الرب إله إسرائيل.

وبقيّة أمور ناداب وكل ما عمل أمّا هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل.

وكانت حرب بين آسا وبعشا ملك إسرائيل كل أيامهما.

في السنة الثالثة لآسا ملك يهوذا ملك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل في ترصة أربعا

وعشرين سنة.

وعمل الشرّ في عيني الرب وسار في طريق يربعام

وفي خطيَّته التي جعل بها إسرائيل يخطئ" [٣٠-٣٤].

من وحي ١ مل ١٥

أنت برِّي! أنت صلاحِي!

لن ألهو متَّكلاً على برِّ آبائي!

❖ هوذا تاريخ مملكة يهوذا يهزُّ كل كياني.

كم من ملوك صالحين انجبوا أشراراً، وأشرار انجبوا صالحين!

كل ملك مسئول أمامك عن نفسه.

أبيام بن رحبعام سلك في عدم الكمال.

وأسا بن أبيام عمل المستقيم في عينيك كجدِّه داود.

خلع أمه معكة من المملكة، وأزال ساريتها.

دخل بأقداسه إلى بيت الرب، وقدم كنوزاً للخزينة.

لم يكن قلبه كاملاً كقلب جدِّه.

أخطأ إذ اتَّكل على بنهدد الأرامي ليقاتل أخاه ملك إسرائيل.

وفي شيخوخته لم يطلب الرب ليشفيه.

هب لي يا رب قلباً كاملاً كداود أبي.

هب لي يا رب ألا ألهو متَّكلاً على برِّ آبائي.

أنت برِّي! أنت هو صلاحِي!

❖ لم تتجب مملكة إسرائيل ملكاً واحداً مقدَّساً لك.

يربعام الشرير أنجب ناداب فأكمل طريق أبيه.

بعشا اغتاله وسلك في طريق شرِّه.

من يُصلح طريقي سواك؟

من يُقيم فيَّ ملكاً (إرادة) مقدَّسة غيرك؟

الأصحاح السادس عشر

ثورات في مملكة إسرائيل

يروى لنا هذا الأصحاح عن الثورات المستمرة في مملكة إسرائيل في فترة زمنية قصيرة. فكانت الاغتيالات تُرتكب لتحتل أسرة ملكية شريرة مكان غيرها تتسم أيضاً بالشر. فبعد أن أباد بعشا بيت يريعام، أباد زُمري بيت بعشا. وحاول عُمرى اغتيال زُمري.

١. نبوة ياهو ضد بيت بعشا ٨-١.
٢. اغتيال زُمري لأيلة ١٤-٩.
٣. زُمري يملك لمدة أسبوع ١٥.
٤. زُمري ينتحر في قصره حرقاً ٢٠-١٦.
٥. عُمرى يبني السامرة ٢٧-٢١.
٦. أخاب عابد البعل ٣٤-٢٨.

١. نبوة ياهو ضد بيت بعشا

أقام بعشا من بيته أسرة ملكية، فقد كان نشيطاً، رجلاً محنكاً في السياسة وجريئاً، لكنه كان عابد وثن فبدد بيته بشره. حذره الرب بواسطة ياهو بن حناني لعله يرجع عن شره فيحيا، وقد سبق فأرسل الله حناني إلى آسا ملك يهوذا.

"وكان كلام الرب إلى ياهو بن حناني على بعشا قائلاً:

من أجل أنني قد رفعتك من التراب وجعلتك رئيساً على شعبي إسرائيل،

فسرت في طريق يريعام،

وجعلت شعبي إسرائيل يخطئون ويعيظونني بخطاياهم.

هانذا أنزع نسل بعشا ونسل بيته

وأجعل بيتك كبيت يريعام بن نباط.

فمن مات لبعشا في المدينة تأكله الكلاب،

ومن مات له في الحقل تأكله طيور السماء" [١-٤].

وَيَخُ حَنَانِي آسَا الْمَلِكِ لِأَنَّهُ اسْتَدَّ عَلَى أَرَامَ فِي حَرْبِهِ مَعَ يَرِيْعَامَ (٢ أي ١٦ : ٧)، وَجَاءَ ابْنُهُ يَاهُوَ الشَّابَّ بِبِعْثِهِ اللهُ إِلَى بَعْشَا الْمَلِكِ لِيَقْدِمَ لَهُ رِسَالَةً جَرِيئَةً وَخَطِيرَةً، يَعلَنُ فِيهَا عَن دِمَارِ بَيْتِ بَعْشَا بِصُورَةٍ مَخْزِيَةٍ لِلْغَايَةِ. وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَى يَهُوشَافَاظَ لِيُؤَيِّخَهُ لِأَنَّهُ اتَّحَدَّ مَعَ أَخَابَ (٢ أي ١٩ : ٣-٢). بِيَدُو أَنَّهُ كَانَ سَاكِنًا فِي أُورُشَلِيمَ.

جَاءَتْ رِسَالَةُ يَاهُوَ لِبَعْشَا مُطَابِقَةً لِرِسَالَةِ أُخْيَا النَّبِيِّ لِلْمَلِكِ يَرِيْعَامَ الَّتِي بَعَثَهَا إِلَيْهِ بِوَأَسْطَةِ زَوْجَتِهِ عِنْدَمَا مَرَضَ ابْنُهُمَا أَيْبَا (١٤ : ١١).

قَبْلَمَا يَعلَنُ اللهُ عَن تَأْدِيبِهِ لِلشَّرِّيرِ يَكْشِفُ عَن عَمَلِهِ الْإِلَهِيِّ وَإِحْسَانَاتِهِ عَلَيْهِ، يَذْكَرُهُ كَيْفَ أَقَامَهُ مِنَ التَّرَابِ إِلَى الْعَرْشِ. بَعْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ لَهُ مَدَى الْجَرَمِ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ، وَكَأَنَّهُ يَقَابِلُ إِحْسَانَاتِ اللهِ بِالشَّرِّ الْعَظِيمِ.

هَذِهِ هِيَ حَبِيبَاتُ الْحُكْمِ بِتَأْدِيبِ الشَّرِّيرِ، الَّتِي يَقْدِمُهَا اللهُ لِأَلِيْبِرَّ تَأْدِيبِهِ الَّذِي بِيَدُو قَاسِيًا، وَإِنَّمَا لِكِي يَعْطِي لِلشَّرِّيرِ فُرْصَةً لِمَرَاجَعَةِ نَفْسِهِ وَالْعُودَةِ إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ.

بِيَدُو التَّأْدِيبِ قَاسِيًا، لَكِنِ إِذْ نَرْجِعُ إِلَى جُحُودِ بَعْشَا الْمُرِّ لِإِحْسَانَاتِ اللهِ الْفَائِقَةِ، لَيْسَ فَقَطَّ بَارْتِكَابَهُ الشَّرِّ وَإِنَّمَا بِدَفْعِهِ شَعْبَ اللهِ أَنْ يَخْطِئَ نَدْرَكَ سَرَّ تَأْدِيبِهِ. حَقًّا إِنْ خَطِيئَةُ الْقَائِدِ أَوْ الرَّاعِي تَسْتُوجِبُ تَأْدِيبًا أَمْرًا وَأَفْسَى، لِأَنَّهُ يَقُودُ إِخْوَتَهُ مَعَهُ إِلَى الشَّرِّ.

كَانَ بَعْشَا هُوَ أَدَاةُ تَأْدِيبِ لِبَيْتِ يَرِيْعَامَ الشَّرِّيرِ، لَكِنَّهُ سَلَكَ فِي نَفْسِ طَرِيقِ بَعْشَا وَلَمْ يَتَّعِظْ، فَبِعَثَ إِلَيْهِ الرَّبُّ بِمَنْ يُؤَدِّبُهُ هُوَ أَيْضًا.

سَمَحَ اللهُ بِتَأْجِيلِ تَأْدِيبِ بَعْشَا إِلَى مَا بَعْدَ مَوْتِهِ بَانَ يُنْزِعُ نَسْلَهُ مِنَ الْعَرْشِ الْمَلِكِيِّ، وَسَمَحَ بِتَأْدِيبِ نَسْلِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِأَنْ تَأْكُلَ الْكِلَابُ وَالطَّيُورُ الْجَارِحَةُ جَنْتَهُمْ، لِمَاذَا؟ لِكِي يَفْكَرُ الْأَشْرَارُ لَا فِيمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ تَأْدِيبِ وَهُمْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بَلْ فِي الْعُقُوبَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي تَحِلُّ بِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَيَخَافُونَ ذَلِكَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ الْجَسَدَ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يَلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

غَالِبًا مَا يَنْقَسَى الْقَلْبُ، فَلَا يِيَالِي بِأَيَّةِ تَأْدِيبَاتٍ تَحِلُّ بِهِ شَخْصِيًا، لَكِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ جَدًّا أَنْ يَرَى أَنْ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ شُرُورٍ تَسَبَّبَ مَرَارَةً لِأَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ. لِهَذَا كَثِيرًا مَا يَهْدِدُ اللهُ الْأَشْرَارَ بِالنَّمَارِ الْمُرَّةِ الَّتِي يَجْتَنِيهَا أَوْلَادُهُمْ. هَذَا لَا يَعْنِي أَنْ الْأَبْنَاءَ وَالْأَحْفَادَ يَعْاقِبُونَ عَلَى خَطَايَا لَمْ يَرْتَكِبُوهَا هُمْ، إِنَّمَا تَحِلُّ التَّأْدِيبَاتُ بِالنَّسْلِ الَّذِي يَكْمُلُ كَأَسِ الْآبَاءِ الشَّرِّيرِ.

"وَيَقِيَّةٌ أُمُورَ بَعْشَا وَمَا عَمَلُ وَجِبْرُوتِهِ

أَمَّا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلِ.

واضطجع بعشا مع آبائه ودفن في ترصة،
وملك أيلة ابنه عوضاً عنه.

وأيضاً عن يد ياهو بن حناني النبي،

كان كلام الرب على بعشا وعلى بيته،

وعلى كل الشر الذي عمله في عيني الرب،

بإغاظته إياه بعمل يديه وكونه كبيت يريعام ولأجل قتله إياه" [٥-٧].

لا نعرف الكثير عن ياهو النبي سوى أن ظهر فجأة ليُعلن تأديب الرب لبعشا، وبعد أربعين سنة ذهب ليهوشافاط ويسجل لنا حياة يهوشافاط. لا نعرف شيئاً عن عمله النبوي وحياته طوال عمره. له موقفان استغرقا ربماً دقائق بسيطة لكنهما دقائق تقدّر بكل سنوات عمره.

من يمارس العمل الإلهي، ويعلن الإرادة الإلهية يصبغ على عمره مسحة خاصة تقدر بسنوات لا تُحصى. وكأنّ عمر الإنسان لا يقدرّ بالسنوات التي يعيشها على الأرض، بل بالعمل الذي يقوم به بروح الرب.

وكما يقول العلامة أوريجينوس: [إننا سنفاجأ في يوم الرب العظيم أن كثير من الأطفال يظهرون كشيوخ، بينما كثير من الشيوخ يظهرون كأطفالٍ صغارٍ. ما قام به الجنين يوحنا المعمدان في بطن أمه الإصابات في دقائق تقدّر بسنوات كثيرة، وأيضاً الشهور القليلة التي خدمها ليهيئ الطريق للرب لا يمكن لإنسان أن يقدرها. بينما في أيامه قضى كثير من قادة اليهود عشرات السنوات يدرسون الكتاب المقدس ويعلمون ويقودون الشعب في العبادة، وحُسبت هذه السنوات كلا شيء].

"وفي السنة السادسة والعشرين لآسا ملك يهوذا ملك أيلة بن بعشا على إسرائيل في ترصة سنتين" [٨].

٢. اغتيال زُمري لأيلة

"ففتن عليه عبده زُمري رئيس نصف المركبات،

وهو في ترصة يشرب ويسكر في بيت أرسا الذي على البيت في ترصة" [٩].

تعبير "رئيس نصف المركبات" يعني أنّه أحد قادة الجيش كرئيس مشارك للمركبات العسكرية.

أغتيل ناداب وهو في حقل العمل، حيث كان هو وجيشه يحاصرون جبثون (١ مل ١٥: ٢٧)،

فكان حتى في اغتياله مكرماً. أمّا أيلة فكان رجل المُلذات أُغتيل في قصره وهو يشرب ويسكر!

يَقْدَمُ لَنَا الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ أَمْثَلَةً كَثِيرَةً لِيَكْشِفَ عَنِ الْهَلَاكِ الَّذِي يَقْدَمُهُ السُّكْرُ لِلْإِنْسَانِ الْمَحَبِّ لِدَاثِهِ. فِي سِكرِهِ أُغْتِيلَ أَيْلَةٌ، وَاغْتَالَ أَبْشَالُومُ أَخَاهُ أَمْنُونُ فِي سِكرِهِ (٢ صم ١٣ : ٢٨)، وَسَقَطَ لُوطُ فِي الْخَطِيئَةِ الْمَشِينَةِ مَعَ ابْنَتَيْهِ (تك ١٩ : ٣٠-٣٨)، وَسَقَطَتِ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةُ الْبَابِلِيَّةُ بِسِكرِ بِيْلِشَاصَّرَ (دا ٥).

حِينَما يَبَاغِتُ الْمَوْتَ إِنْسَانًا سَاهِرًا وَمَخْلَصًا فِي عَمَلِهِ وَحَيَاتِهِ مَعَ الرَّبِّ يَكُونُ الْمَوْتُ هِبَةً وَعَطِيَّةً مَفْرَحَةً، وَعَبُورًا بِهِ إِلَى الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ، أَمَّا مَنْ يَبَاغِتُهُ الْمَوْتُ وَهُوَ فِي سِكرٍ وَمَلْدَأَتٍ، فِي لِحْظَاتِ الْخَطِيئَةِ فَيَكُونُ الْمَوْتُ كَلْصٍ يَسْلُبُهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ (لو ٢١ : ٣٤).
قِيلَ عَنْ أَرْصَا "الَّذِي عَلَى الْبَيْتِ" أَيِ الْوَكِيلِ *steward*، وَهُوَ تَعْبِيرٌ يَكْشِفُ عَنِ مَنْصَبِ غَايَةِ فِي الْأَهْمِيَّةِ. فَكَانَ سَلِيمَانُ يَقْدَمُ هَذَا الْمَنْصَبَ لِلْأَمْراءِ. وَفِي فَارِسَ كَانَ الْوَكِيلُ عَلَى الْقَصْرِ يَقُومُ بِالْحُكْمِ فِي حَالَةِ غِيَابِ الْمَلِكِ، أَيِ أَشْبَهَ بِنَائِبِ الْمَلِكِ.

"فَدَخَلَ زُمْرِي وَضَرِبَهُ فَمَاتَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ لِأَسَا مَلِكِ يَهُودَا وَمَلِكِ عَوْضًا عَنْهُ.

وَعِنْدَ تَمَلُّكِهِ وَجُلُوسِهِ عَلَى كُرْسِيِّهِ ضَرَبَ كُلَّ بَيْتِ بَعْشَا،

لَمْ يُبْقِ لَهُ بَانًا بَحَائِظَ مَعَ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْحَابِهِ" [١٠-١١].

أَرْسَلَ اللهُ يَهُوَّ الرَّائِي إِلَى بَعْشَا، لَكِنْ بَعْشَا لَمْ يَبَالِ بِكَلِمَاتِ الرَّبِّ عَلَى فَمِهِ. مَسْكِينٌ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَتَجَاوَبُ مَعَ كَلِمَةِ الرَّبِّ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِ بِطَرِيقٍ أَوْ آخَرَ. فَلكلِّ إِنْسَانٍ عَلَى الْأَرْضِ يَبِيعُ اللهُ إِلَيْهِ يَهُوَّ الدَّاخِلِي، أَيِ نَامُوسِ الطَّبِيعَةِ، أَوْ يَهُوَّ الْخَارِجِي خِلَالَ الْأَحْدَاثِ وَالْآخِرِينَ لَعَلَّهُ يَتَمَتَّعُ بِالشَّرِكَةِ مَعَ اللهِ وَالتَّجَاوَبِ مَعَ إِرَادَتِهِ عِوَضَ الْانْحِرَافِ عَنْهُ وَالْهَرَبِ مِنْهُ.

"لَمْ يُبْقِ لَهُ بَانًا بَحَائِظَ مَعَ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْحَابِهِ" [١١]، كُلُّ أَقْرَبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَقَدْ جَاءَ التَّعْبِيرُ "أَوْلِيَاءُ" يَعْنِي كُلَّ مَنْ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَنْتَقِمَ لِمَوْتِهِ. لَقَدْ ظَنَّ زُمْرِي أَنَّه لَمْ يَعْذِرْ يَوْجِدُ مَنْ يَنْتَقِمُ لِدَمِ سَيِّدِهِ إِلَيْهِ. إِذْ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ قَرِيبٌ يَنْتَقِمُ لِدَمِهِ وَلَا صَدِيقٌ. لَكِنْ الْعَدَالَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَحَقَتْ بِهِ، فَنَسْمَعُ يَهُوَّ بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ يَرِدُّ مِثْلًا صَارَ دَارِجًا: "أَسْلَامٌ لَزُمْرِي قَاتِلِ سَيِّدِهِ؟" (٢ مل ٩ : ٣١). أَرَادَ زُمْرِي أَنْ يَمْسَحَ كُلَّ ذِكْرِ لِبَيْتِ بَعْشَا فَمَاتَ حَتَّى أَصْدِقَاءَهُمْ. جَاءَ الْمِثْلُ الْيَهُودِي فِي هَذَا الشَّأْنِ أَنَّه يُقْتَلُ حَتَّى خَامِسَ جَارٍ حَتَّى تُزَالَ كُلُّ ذِكْرٍ لِلشَّخْصِ مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

كَثِيرُونَ يَتَجَاهَلُونَ الْعَدَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ، فَيَظُنُّونَ إِنَّهُمْ بِسُلْطَانِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَرَاكِزِهِمْ يَفْعَلُونَ مَا يَرِيدُونَ وَلَيْسَ مِنْ رَقِيبٍ. لَكِنْ يَبْقَى الصَّوْتُ الْإِلَهِيُّ: "كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ" (عو ١٥).

يظنّ البعض أن الزمن كفيل أن يغطّي على الخطأ أو الشرّ، لكنّه حتمًا يشرب الإنسان من الكأس التي ملأها لإخوته، مادام لم يتب عما فعله.
 في كل يوم نتلمّس يد الله العجيبة، فقد يلقي الإنسان خبزه على وجه المياه ويظن أنّه قد فُقد، لكنّه في الوقت المناسب يرجع إليه كقول سليمان الحكيم: "ارم خبزك على وجه المياه فإنّك تجده بعد أيّام كثيرة" (جا ١: ١١).

"فأفنى زُمري كل بيت بعشا حسب كلام الرب الذي تكلم به على بعشا عن يد ياهو النبي" [١٢].
 لقد تتبّأ أخيًا عن إبادة بيت يربعام، وسمح الله لبعشا أن يكون عصا التأديب له، ومع هذا فإنّه إذ فعل ذلك بروح الوحشيّة صار مسئولاً عن تصرّفاته البشعة. لم يصدر له الرب أمرًا بإبادة بيت يربعام، ولا قام يربعام بذلك بدافع إصلاحي، لكن بروح الجريمة، لهذا صار ذلك خطيئة يُعاقب عليها.

"لأجل كل خطايا بعشا وخطايا أيلة ابنه التي أخطأ بها،

وجعلا إسرائيل يخطئ لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم.

وبقيّة أمور أيلة وكل ما فعل أمّا هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" [١٣-١٤].

٣. زُمري يملك لمدة أسبوع

"في السنة السابعة والعشرين لآسا ملك يهوذا ملك زُمري سبعة أيّام في ترصة،

وكان الشعب نازلًا على جبثون التي للفلسطينيين" [١٥].

باغتيال أيلة ظهرت الأسرة الملكيّة الثالثة لإسرائيل التي لم تستمر أكثر من أسبوع لتحتل الأسرة الرابعة العرش.

صار عرش إسرائيل مسرحًا خطيرًا لأشرار، كل منهم يظن أنّه يرتفع ولن يصيبه شرّ. يظنّ أنّه بقوّته واقتداره يحكم ويملك دون أن يتعظ من الملوك الأشرار السابقين له، وفيما هو يرتفع إذا به يُطرح أرضًا فيندمّر هو وأهل بيته. قدّم الله لهم العرش كهبة من قبله، لكنّهم بشرهم حولوا العطية الإلهية إلى علّة تدمير لهم.

يظنّ الكثيرون أن الأشرار أقوياء وأكثر دوامًا، لكنّهم كما يقول القديس أمبروسيوس: [إنّهم كالظل سرعان ما يختفون. يعبر الزمن سريعًا وتتحمّط قوى الأشرار ويزال سلطانهم]. أو كما يقول داود النبي إنّهم كحلم يستيقظ المؤمنون فلا يرون وجودًا للأشرار.

❖ من ثم، فإن أناساً من هذا القبيل يُطرحون وهم يرتفعون. فما يبالغون به ليس إحساناً، بقدر ما هو مصيبة، حينما لا يثبتون في التمتع بالهبة لمدة طويلة الأمد، يُزال العذر الناجم عن الفشل. لأنّه آية شكوى تحمل ثقلاً أعظم من تلك الشكوى الإلهية، التي تجدونها في سفر النبي ميخا "يا شعبي ماذا صنعتُ بك، أو هل أحزنتك أو هل أضجرتك؟ أجبني. ألم أصدك من أرض مصر وخلصتك من بيت العبودية؟" (مي ٦: ٣-٤ LXX). انظروا كيف ينطرح الأشرار وهم يرتفعون، وكيف تكف شكواهم ويتراكم عقابهم! وإذ تفيض عليهم الانعامات السماوية، كان ينبغي عليهم ألا يهجرُوا معطي الرجاء وطمأنينة الحياة بل بالأحرى يطيعونه. ولكن كما أن عدل الله عظيم، هكذا أيضاً انتقامه صارم. لأن الشرير دائم التمسك بشره، وبخصوصه تجدون مكتوب في نص آخر أيضاً: "قد رأيت الشرير عاتياً عالياً فوق أرز لبنان، وعبرت ونظرت، فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد" (مز ٣٧: ٣٥-٣٦).

إن سرعة فئانه تفوق الظن! فجأة ترى شريراً قوياً في هذه الحياة، وإذ تعبر به سرعان ما يختفي عن الوجود. كم يظهر الظل كأنه دائم علي الأرض مع أنه يستمر لبرهة محدودة! انقلوا خطاكم وسرعان ما يزول الظل، وإن كان ثمة اضطراب هنا، ارفعوا خطي أرواحكم إلى الأشياء العتيدة، وسوف تكتشفون أن الشرير الذي اعتقدتم أنه هنا لن يكون هناك، لأن من هو "لا شيء" غير موجود. حقاً والرب يعرف خاصته" (٢ تي ٢: ١٩)، لكنّه لا يتعرّف علي الذين هم غير موجودين؛ لأنهم لم يعرفوا ذلك الذي هو كائن (خر ٣: ١٤)¹.

❖ لهذا، فبالنسبة للأخير يقول داود أيضاً: "كفوا عن الوجود وفنوا بإثمهم، كحلم من يبتقيظ" (مز ٧٣: ١٩-٢٠). وهذا يعني: توقّف الأشرار عن الوجود، واختفوا كحلم يضمحل بمجرد استيقاظ الإنسان من النوم، لأنهم في ظلمة، وفي الظلمة يمشون" (مز ٨٢: ٥). ولا يتبقى أثر من عملهم الصالح، بل يشبهون من يري حلماً. والمرء حينما يحلم في الليل، والليل في الظلام، وبنو الظلمة محرومون من شمس البر (مل ٣: ٢٠؛ ٤: ٢)، ومن سماء الفضيلة، لأنهم ينامون دائماً ولا يسهرون. وقيل عنهم حقاً "ناموا سنتهم (نومهم) ولم يجدوا شيئاً" (مز ٧٦: ٥)، لأنهم حقاً حينما تنفصل نفوسهم عن أجسادهم، ويتحرّرون حقاً من نوم الجسد، لا يجدون شيئاً، ولا يملكون شيئاً.

¹ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٧: ٢٢.

إنَّهم يفقدون ما ظلُّوا إنَّهم يملكونه. لأنَّه حتى إن اكتنظَّ الأحمق الغبي بالثروات، فإنَّه يتركها لغرباء، ولا يهبط مجد بيته معه إلى الهاويَّة! (مز ٤٩: ١٧).^١

القديس أمبروسيو

٤. زُمري ينتحر في قصره حرقاً

"فسمع الشعب النازلون من يقول:

قد فتن زُمري وقتل أيضاً الملك.

فملك كل إسرائيل عُمرى رئيس الجيش على إسرائيل في ذلك اليوم في المحلة.

وصعد عُمرى وكل إسرائيل معه من جبثون وحاصروا ترصة.

ولما رأى زُمري أن المدينة قد أخذت،

دخل إلى قصر بيت الملك،

وأحرق على نفسه بيت الملك بالنار فمات" [١٦-١٨].

إذ اغتال زُمري أيلة أراد رجال الجيش، ربَّما بتحريض من عُمرى رئيس الجيش، أن ينتقموا منه، لذلك صعدوا بعد محاصرتهم لجبثون، وحاصروا العاصمة، فانتحر زُمري حرقاً بالنار. ولعلَّه استطاع بعض الفلسطينيين أن يحنُّوا الجيش الإسرائيلي على ذلك حتى يحدث انشقاقاً في إسرائيل. لم تكن ترصة مدينة محصَّنة، إمَّا كانت مدينة جميلة يُقام فيها القصر الملكي. لم يكن أمام الملك مفر، فالجيش الذي كان يرجو أن يكون حارساً له من الأعداء صار هو نفسه ضدَّاً له. وقد قام بحرق القصر وهو في داخله. حرق القصر لكي لا يستخدمه من يقاتله، ومن جهة أخرى خشى أن يُشهرَّ به مغتاله إن أمسك به حيًّا أو ميِّتًا، لذلك فضَّل أن يحترق جثمانه مع القصر عن أن يُشهرَّ بالجثمان في عارٍ وخزي.

لم يحرق كل القصور بل "بيت الملك" حيث العرش والمباني الخاصة بالعمل الملكي وليس "بيت الحريم".

هكذا تفعل بنا الخطيَّة حين نسكن وسط اللهو، ولا نهتم بالحصانة الإلهيَّة، تتحوَّل الطاقات التي لخدمتنا إلى عدوٍّ يحطِّم أعماقنا. نفقد حياتنا الداخليَّة، وتصير الحياة أشبه بلهيب نارٍ قاتل.

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٨: ٢٣.

لم يفكر الجيش ولا الشعب في الانتقام من بعشا حين اغتال كل بيت يريعام وقتل ناداب الملك، ربّما لأنّه كان الشعب مع الجيش في حالة ضجر من يريعام وبيته بسبب عنف الأسرة المالكة واستقلالهم لمراكزهم، فكانوا يميلون إلى الخلاص منهم.

يقول سليمان الحكيم: "لمعصية أرض تكثر رؤساءها" (أم ٢٨: ٢). لقد صارح زُمري وعُمري وتبني من أجل نوال العرش، فانتحر زُمري في قصره إذ أشعل في نفسه النار، ومات تبني بطريقة غامضة، واستلم عُمرى العرش سالكًا في طريق يريعام الشرير.

لم يبقَ زُمري على العرش سوى سبعة أيّام واضطر أن يحرق نفسه وقصره، وكان ذلك ثمرة لإصراره أن يسلك في ذات طريق يريعام وحثه في مدّة قصيرة الشعب على السلوك في الشرّ، فجاءت الثمرة للشرّ سريعة للغاية. فمع طول أناة الله العجيبة حتى على الأشرار يسمح أحيانًا أن يشرب البعض من الكأس التي ملئوها سريعًا ليكونوا عبرة لغيرهم، فلا يسيء أحد استغلال طول أناة الله. وكما يقول بولس الرسول: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنّما يقفادك إلى التوبة، ولكنّك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو ٢: ٤-٥).

"من أجل خطاياها التي أخطأ بها بعمله الشرّ في عيني الرب،

وسيره في طريق يريعام،

ومن أجل خطيئته التي عمل بجعله إسرائيل يخطئ.

وبقيّة أمور زُمري وفتنته التي فتنها أمّا هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل.

حينئذٍ انقسم شعب إسرائيل نصفين،

فنصف الشعب كان وراء تبني بن جينة لتمليكه،

ونصفه وراء عُمرى" [١٩-٢١].

انقسم الشعب إلى فريقين، واحد يناصر عُمرى الذي ثار ضدّ زُمري، والثاني يناصر تبني غالبًا ما كان هذا الفريق هو الذي يناصر زُمري، وفي ثورة داخلية ضدّ تحرك عُمرى وإثارته للجيش ضدّ زُمري. استمر هذا الانقسام ربّما إلى أربع سنوات، ولعلّه سبب سفكًا لدماء كثيرة من الجانبين. مات زُمري في معركة أهلية أو اغتاله عُمرى أو أحد من أتباعه ليفسح الطريق تمامًا له. يرى يوسيفوس¹ أن خصمه هو الذي قتله.

¹ Antiquities viii. 12,5.

رَبِّمَا يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ: وَسَطَ هَذِهِ الصُّورَةِ الْبَشَعَةُ مِنَ الْاِغْتِيَالَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ وَالانْقِسَامَاتِ لِمَاذَا لَمْ يَفْكَرَ إِسْرَائِيلُ فِي الْعُودَةِ إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ، وَالْاِتِّحَادِ مَعَ يَهُوذَا؟

كَانَ الْمُلُوكُ وَالْقَادَةُ يَثِيرُونَ فِي الْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ رُوحَ الْاِنْقِسَامِ بِدَعْوَى أَنْ مَلُوكَ يَهُوذَا مُتَسَلِّطُونَ وَيَمْلِكُونَ بِرُوحِ الْغَطْرَسَةِ، مَقْدَمِينَ رَجَبَاعًا مِثْلًا عَمَلِيًّا لِذَلِكَ. هَذَا وَإِنْ الْعَيْنَاتُ التَّقِيَّةَ الْمُحِبَّةَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ كَانَتْ قَلِيلَةً وَقَدْ تَسَلَّلَتْ وَهَرَبَتْ إِلَى يَهُوذَا. فَلَمْ يَكُنْ لَدَى الشَّعْبِ اسْتِعْدَادًا أَنْ يَتْرَكَ اللَّهْوَ وَالزَّنَا وَالرَّجَاسَاتِ الْوَثْنِيَّةَ، حَتَّى إِنْ كَانَ ثَمَرَةُ هَذَا دَمَارًا لِلْمَمْلَكَةِ وَسَفْكَ دِمَاءِ مُسْتَمَرَّةٍ وَانْقِسَامَاتٍ حَتَّى بَيْنَ الْجَيْشِ وَالشَّعْبِ.

٥. عُمرى يبنى السامرة

"وَقَوِيَ الشَّعْبُ الَّذِي وَرَاءَ عُمرى عَلَى الشَّعْبِ الَّذِي وَرَاءَ تَبْنِي بْنِ جِينَةَ،

فَمَاتَ تَبْنِي وَمَلَكَ عُمرى.

فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالثَّلَاثِينَ لِأَسَا مَلِكِ يَهُوذَا مَلِكِ عُمرى عَلَى إِسْرَائِيلِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، مَلِكٌ فِي تَرْصَةَ سِتِّ سَنِينَ.

وَاشْتَرَى جَبَلَ السَّامِرَةِ مِنْ شَامِرٍ بوزنيتين مِنَ الْفِضَّةِ،

وَبَنَى عَلَى الْجَبَلِ،

وَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا بِاسْمِ شَامِرٍ صَاحِبِ جَبْلِ السَّامِرَةِ" [٢٢-٢٤].

يَرَى الْبَعْضُ أَنَّ الْجَيْشَ كَانَ وَرَاءَ قَائِدِهِ عُمرى، بَيْنَمَا كَانَ الشَّعْبُ مُلْتَصِقًا بِتَبْنِي، غَيْرَ أَنْ النُّصْرَةَ تَحَقَّقَتْ لِلْجَيْشِ.

نَقَلَ عُمرى الْعَاصِمَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَّقَ زُمرى نَفْسَهُ مَعَ الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ وَاشْتَرَى جَبَلَ السَّامِرَةِ لِيَقِيمَهَا عَاصِمَةً لِإِسْرَائِيلِ. اشْتَرَاهَا بِثَمَنِ بَخْسٍ مِنْ شَامِرٍ، وَذَلِكَ رَبِّمَا لِأَنَّ الْمَلِكَ وَعَدَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ الْمَدِينَةَ بِاسْمِهِ شَامِيرِينَ (بِالْعِبْرِيَّةِ) وَهِيَ مِنْ شَامِرٍ. وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ يَرُونَ أَنَّ وَزْنَتَيْنِ مِنَ الْفِضَّةِ قِيمَتُهُمَا حَوَالِي ٧٠٠ جَنِيهِهَا إِسْتَرَلِينِيًّا يُحَسَبُ مَبْلَغًا كَبِيرًا بِالنِّسْبَةِ لِشُرَاءِ جَبَلِ كَهَذَا.

لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا لِمَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلِ الْمُنَشَقَّةِ وَالَّتِي أُعْطِيَتْ ظَهْرَهَا اللَّهُ أَنْ تَسْتَقِرَّ. كَانَتْ الْعَاصِمَةُ فِي أَيَّامِ رِيرِعَامِ هِيَ شَكِيمٌ ثُمَّ تَرْصَةَ، فَالسَّامِرَةُ، أَمَّا مَمْلَكَةُ يَهُوذَا فَعَاصِمَتُهَا هِيَ مَدِينَةُ اللَّهِ "أُورُشَلِيمَ". هَكَذَا النَّفْسُ الَّتِي تَعْطِي ظَهْرَهَا اللَّهُ لَنْ تَسْتَقِرَّ قَطُّ، أَمَّا الَّتِي تَرْتَبِطُ فِيهِ فَتَجِدُ رَاحَتَهَا فِي أُورُشَلِيمِ الْعَلِيَا، الْمَدِينَةِ الَّتِي صَانَعَهَا هُوَ الرَّبُّ.

نال عُمرى شهرةً ببنائه السامرة وشجاعته ونصراته ومات على سريرهِ لِيُدفن مع آبائه، لكنَّهُ بشرَهُ ترك ميراثاً من الشرور لنسله ليحطّم كل بيته ونسله. أنّه مثل يربعام وبعشا هكذا عُمرى. الكل أشرار ماتوا ودفنوا، لكن بيوتهم لم تبقى بل دمرها الشرّ الذي ارتكبه وتلقفته أيادي نسلهم. وجد على لوح أثري في خرائب نينوى نقش عن مدينة السامرة تدعى فيها "بيت عُمرى - Beth-Khumri".¹

في أيام تغلث فلاسر دُعيت *Sammirim*، وعند إعادة بنائها دعاها هيرودس سبسطيةً *Sebustiyeh*، ثم دعيت فيما بعد *Sebaste*. من الجانب السياسي تعتبر السامرة في مركزٍ أفضل من شكيم، وربما أفضل من ترصة. ومن الجانب العسكري فهي محصّنة. ومن الجانب الاقتصادي فالمدينة يحوط بها ينابيع مياه كثيرة، على خلاف شكيم وترصة حيث كانتا جافتين ومهجورتين.

"وعمل عُمرى الشرّ في عينيّ الرب،

وأساء أكثر من جميع الذين قبله" [٢٥].

هذا يذكّرنا بما كان يحدث فيما بعد في الدولة الرومانية حينما كان الجيش يسمع بأن الملك قد أُغتيل في الحال يقوم الجيش بتقديم الثوب الأرجواني للقائد العام للجيش. استلم عُمرى الملك بعد صراع طويل مع تبنى، لكنَّهُ إذ استقر في العاصمة الجديدة التي من عمله قاوم الحق وصنع الشرّ أكثر من سابقه. صار هو وابنه أخاب مثلين خطيرين للشرّ. جاء صوت الرب للشرّير: "وتحفظ فرائض عُمرى وجميع أعمال بيت أخاب، وتسلكون بمشوراتهم لكي أسلك للخراب وسكّانها للصفير، فتحملون عار شعبي" (مي ٦: ١٦). حتّى يربعام الشعب على الوثنية وأغراهم بإقامة مركزين للعبادة والعجلين الذهبين؛ أمّا عُمرى فاستخدم العنف ملزماً إيّاهم عليها.

"وسار في جميع طريق يربعام بن نباط،

وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ،

لإغاظه الرب إله إسرائيل بأباطيلهم" [٢٦].

¹ Layard: Nineveh and Balylin, p, 6 B.

يدعو العبرانيون الأوثان "أباطيل" أو "فراغًا" أو "عدماً". من يلتصق بهم يصير باطلاً معهم، كما من يلتصق بالله الحق يصير حقاً.

فمن يعبد الرب بالحق يصير شريكاً في الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٣-٤) بأتّحاده معه. ومن يعبد الباطل يُشارك الباطل طبيعته الباطلة بأتّحاده معه. فالعبادة ليست روتيناً يُمارسه الجسد، بل هي بالحق اتّحاد الإنسان بكل كيانه مع المعبود ليصير واحداً معه، يشاركه طبيعته وأمجاده أو عاره (للأوثان)، أبديته أو دماره الأبدي (كعبادة الشيطان).

لا نعجب إن رأينا في العصر الحديث وقد انتشرت عبادة الشيطان علانية في الغرب وتسلّلت إلى الشرق أن المتعبدين له صاروا يحملون الكثير من سماته، خاصة التجديف على الله ومقاومة الكلمة الإلهية، واستخدام العنف، وكل شذوذ، وكسر حتى للناموس الطبيعي. يمكننا بحق القول بأنهم صاروا سفراء إبليس الحاملين سماته، ليحقّقوا غايته من نشر الكذب الباطل والفساد وبعث روح الضلال وسفك الدماء.

"ويقيّة أمور عمري التي عمل وجبروته الذي أبدى
أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" [٢٧].

٦. أخاب عابد البعل

"واضطجع عمري مع آبائه ودفن في السامرة،
وملك أخاب ابنه عوضاً عنه" [٢٨].

ملك عمري لمدة حوالي ١٢ عاماً، أربعة أعوام في صراع مع تبني وحوالي ثمانية أعوام أو أقل منفرداً بعد موت تبني. قضى الأربعة أعوام الأولى في ترصة ثم عامين بعد موت تبني حتى بنى العاصمة الجديدة (السامرة) وانتقل إليها، حيث قضى حوالي ست سنوات فيها.

في السنة ٢٧ من ملك آسا أقامه الجيش ملكاً.

في السنة ٣١ من ملك آسا (بعد ٤ سنوات) انفرد بالحكم بعد موت تبني.

في السنة ٣٣/٣٢ من ملك آسا صارت السامرة عاصمته (بعد سنتين من الحكم).

في السنة ٢٨ من ملك آسا مات واحتل ابنه أخاب العرش.

"وأخاب بن عمري ملك على إسرائيل في السنة الثامنة والثلاثين لآسا ملك يهوذا.

وملك أخاب بن عمري على إسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة.

وعمل أخاب بن عمري الشرّ في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله" [٢٩-٣٠].

كان والده قد صنع الشرّ وأساء أكثر من جميع الذين قبله حيث أصدر منشورًا يُلزم الشعب أن يعبدوا الأوثان، الأمر الذي لم يسبق له مثيل، حيث كان الملوك يُغرون الشعب بكل وسيلة دون إصدار قوانين ملزمة. أمّا أخاب فيواجه إيزابل فاق والده في الشرّ، إذ لم يقف الأمر عند إلزامه الشعب للعبادة الوثنيّة، وإنما قتل الأنبياء وهدم مذابح الرب، وصارت الحرب علنيّة ضدّ كل ما يمس الرب (١ مل ١٨ : ٤). لم تعد عبادة العجلين عبادة رمزيّة لله الحيّ، بل صارت عبادة موجّهة للأوثان علنيّة.

"وكأنّه كان أمرًا زهيدًا سلوكه في خطايا يريعام بن نباط،

حتى اتّخذ إيزابل ابنة إثبعل ملك الصيدونيّين امرأة،

وسار وعبد البعل وسجد له" [٣١].

إثبعل *Eth-baal*، ترتبط بالـ *Ithobalus of Menandrt* الذي ملك في صور، وريّما على كل فينيقيّة بعد موت حيرام بحوالي ٥٠ عامًا. كلمة "إثبعل" تعني "معه البعل"، وكان كاهنًا على معبد عشتارت العظيم في صور. عندما بلغ السادسة والثلاثين اغتال فيليس *Pheles* أو *Philetas* ملك صور، واغتصب عرشه. بقي ملكًا لمدة ٣٢ عامًا وأسس أسرة ملكيّة دامت على الأقل ٦٢ عامًا. كرّست ابنته إيزابل كل طاقاتها لنشر عبادة البعل في إسرائيل وإزالة كل أثر لعبادة الله الحيّ، حتى صار اسمها رمزًا لكل فساد (رؤ ٢٢ : ٢٤).

بلاشك كان هذا الزواج يحمل مسحة سياسيّة. فنزوّج أخاب ابنة ملك صور كنوعٍ من معاهدة السلام بين إسرائيل وصيدون، كما سبق ففعل سليمان من قبل وتزوّج كثيرات لإقامة علاقات ودّ مع الدول المجاورة. ظنّت إيزابل كاهنة كاهن البعل أنّها تقدّم خدمة بنشر عبادة البعل بكل سلطان، وأن تقتل أنبياء الله وتحطّم المذابح، لكن لم يكن لأخاب ما يبزره بأن يطلق العنان لزوجته تفعل ما تشاء في حياة الشعب، وأن يبني هيكلًا للبعل ويثبّت عبادة العشتاروت، فينوس الصيدونيّة.

"وأقام مذبحًا للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة" [٣٢].

بنى مذبحًا للبعل في العاصمة، حتى صارت العاصمة أحد مراكز عبادة البعل الرئيسيّة، فكان الشعب يعبد البعل وزوجته عشتاروت. كانت الذبائح مستمرّة والنيران لم تُطفأ قط، يعمل الكهنة وهم حفاة، يرقصون ويُعبّلون الصنم (١ مل ١٩ : ١٨) كجزء رئيسي من العبادة.

"وعمل أخاب سواري،

وزاد أخاب في العمل لإغاظه الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله.

في أيامه بنى حينئيل البيئيلي أريحا بأبيرام بكره وضع أساسها،

ويسجوب صغيره نصب أبوابها.

"حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد يشوع بن نون" [٣٣-٣٤].

لعن يشوع بن نون من يقوم ببناء أريحا (يش ٦ : ٢٦). هذه النبوة كانت منذ حوالي خمسة قرون

قبل حدوثها.

ماذا يعني أنه بناها: بـبكره وضع أساسها، وبصغيره نصب أبوابها؟

الرأي الأول: أن بحكم إلهي إذ حلت اللعنة على الأسرة مات الابن البكر - رجاء الأسرة - عند

بدء وضع الأساسات، ومات إخوته الواحد تلو الآخر حتى مات أصغرهم عند نصب أبواب المدينة.

الرأي الثاني: أن هذا النص يُشير إلى أن بناء المدينة استغرق وقتاً طويلاً جداً. فقد بدأ وضع

الأساسات عند ميلاد الابن البكر واستمر البناء حتى نصبت الأبواب عند ميلاد أصغر طفل. بمعنى

آخر سمح الله بمعطلات كثيرة حتى يكف حينئيل عن البناء فلا تحلّ به اللعنة. لكنّه صمّم على البناء

بالرغم من العقبات، فاستغرق البناء كل هذا الوقت.

الرأي الثالث: أن حينئيل عند بنائه للمدينة كرّس أساسها بتقديم بكره ذبيحة لكي تساعد الآلهة

الوثنية على هذا العمل. وذبح أصغر ابن له عند نصب الأبواب كذبيحة شكر للآلهة التي ساعدته

على البناء. هذا الرأي الأخير أخذ به الكلدانيون.

لقد حلت اللعنة على أريحا إلى يومنا هذا، فلم تُح من الوجود، بل بقيت قرية صغيرة جداً بها

حوالي ٣٠ بيتاً صغيراً، لم يوجد أي آثار ثمينة في موقعها تكشف عن مجدها السابق.

ورد هذا الأمر كعينة من الشر الذي ساد الشعب، ورغبة الكل في العصيان وعدم المبالاة حتى

باللعنة التي أعلنها يشوع بن نون.

من وحي ١ مل ١٦

من ينزع فسادي عني غيرك؟

- ❖ تبقى ثورات مملكة إسرائيل أمام عينيّ.
انقسموا، وتركوا أورشليم مدينتك المقدّسة.
تركوا هيكلك، وأقاموا لهم عجلين ذهبيّين.
نجسوا حياتهم بالوثنيّة.
ياهو يغتال بيت بعشا،
ورؤمري يغتال أيلة.
ورؤمري ينتحر في قصره فيملك عمري.
وعُمري يقدّم ابنه أشّر ملوك إسرائيل.
- ❖ اجتذني إليك، فلا أسلك بروح الانقسام.
احفظني في مدينتك المقدّسة، كنيسة المسيح التي بلا لوم.
قدّس عبادتي، فاحفظ شرائعك بالروح والحق.
احفظ وصيّتك بأمانة فتحفظني فيها.
- ❖ هب لي ألاّ انحرف مع إسرائيل،
فأعبد الباطل لئلاّ أصير باطلاً!
لأعبدك أيها الحق الخالد،
أنّحد بك، فأكون شريكاً في الطبيعة الإلهيّة،
وشريكاً لك في المجد الأبديّ.
- ❖ من ينزع فسادي سواك؟
من يقدّسني غير روحك القدّوس؟
من يحفظني غير حضن أبيك؟

ملحق ١ ملوك ١٦

أهم عواصم العالم القديم في الكتاب المقدس

اختار الله "أورشليم" التي تعني "تور السلام" أو "رؤية السلام"، حيث تمثّل اللقاء بين الله وشعبه، وسكناه في وسطهم، ليهبهم من سلامه السماوي. دعيت مدينة الملك العظيم، وصارت عاصمة مملكة إسرائيل قبل الانقسام. أمّا مملكة الشمال المنشقة فلم تستطع أن تستقر على عاصمة واحدة، فقد اختار أول ملك لها يربعام مدينة شكيم ثم صارت ترصة العاصمة، وأخيرًا السامرة.

فيما يلي أهم عواصم العالم القديم

١. **أور الكلدانيين:** عاصمة صومر القديمة على نهر الفرات. احتلّ هذه المدينة السومريون والعيلاميون والبابليون والكلدانيون على التوالي. وُجدت قبل عصر إبراهيم أب الآباء ما يقرب من ألف عام، وهي مسقط رأسه قبل دعوته للذهاب إلى حاران ثم كنعان (تك ١١: ٢٨؛ ١٥: ٧؛ نح ٩: ٧). كان شعب أور يعبدون إله القمر. مكانها اليوم خرائب المغير في منتصف المسافة ما بين بغداد والخليج الفارسي.

٢. **شوشن أو سوسا:** عاصمة عيلام القديمة، شرق أرض ما بين النهرين. كانت أقوى من بابل، خضعت فيما بعد لفارس وصارت عاصمة الإمبراطورية الفارسية. فيها تمّت الأحداث الواردة في سفر أستير (أس ١: ٢-٥).

٣. **اكتاتانة:** عاصمة إمبراطورية مادي (عز ٦: ٢)، صارت المقرّ الصيفي لملوك فارس. الماديون هم نسل مادي بن يافث (تك ١٠: ٢)، وكانوا يتصلون بالفرس في الجنسية واللغة والثقافة والتاريخ. اتحدت مملكتا مادي وفارس في أيام كورث سنة ٥٨٨ ق.م، وسمّيت مادي وفارس (دا ٥: ٢٨؛ ٦: ٨، ١٢، ١٥)؛ وفارس ومادي (أس ١: ١٩).

٤. **نينوى:** عاصمة الإمبراطورية الآشورية؛ وهي مدينة قديمة محصّنة، كرز فيها يونان النبي وتاب شعبها (سفر يونان).

٥. **بابل:** عاصمة الإمبراطورية البابلية في أرض الكلدانيين (إر ٤١: ٥). سبّي إليها شعب يهوذا على ثلاث دفعات.

٦. أورشليم: عاصمة إسرائيل في عهد داود النبي (٢ صم ٥: ٦-٧)، فيها أقام سليمان هيكل الرب، تحمل رمزًا لأورشليم العليا السماوية (رؤ ٢١).
٧. السامرة: بناها عمري الملك السادس لمملكة الشمال وذلك في عام ٨٨٠ ق.م وجعلها العاصمة المستقرة لإسرائيل حتى تمّ السبي الآشوري لإسرائيل.
٨. دمشق: عاصمة سوريا (أرام)، وهي مركز تجاري هام، من أقدم المدن التي عرفها العالم (تك ١٥: ١٤).
٩. حبرون: غربي أورشليم، كانت عاصمة مملكة داود الملك عندما ملك على يهوذا (٢ صم ٢: ٤-١). وهي موضع استقرار إبراهيم بعد عودته من مصر (تك ١٣: ١٨).
١٠. نو: كانت تُعرف أيضًا بطيبة، وهي في صعيد مصر. كانت عاصمة مصر ومركزًا للعبادة الوثنية في وادي مصر.
١١. شكيم: أول عاصمة لمملكة الشمال المنشقة، وذلك في أيام يريعام، سبق الحديث عنها.
١٢. ترصة: صارت عاصمة لمملكة الشمال لمدة حوالي ٥٠ عامًا (١ مل ١٤: ١٧؛ ١٥: ٢١؛ ١٦: ٦) حتى بنى عمري السامرة. وهي مدينة جميلة للغاية (نش ٦: ٤).

الأصحاح السابع عشر

إعالة إيليا التشبي

بدأت مملكة إسرائيل المنشقة على يدي يريعام الذي أقام مركزين للعبادة في دان وبيت إيل، وصنع عجلين من ذهب ليعبد الشعب الله خلالها. بذل كل الجهد لمنع شعبه من الذهاب إلى أورشليم والعبادة في الهيكل. وجاءت سلسلة الملوك الأشرار متواليّة، ولم يوجد قط بينهم ملك صالح. وقد بلغت القمّة عندما ملك أخاب وتزوج إيزابل الشريرة ابنة ملك صور كاهن البعل. وضعت في قلبها إزالة كل أثر لعبادة الله الحيّ، وإقامة عبادة البعل بالقوّة الجبريّة.

في وسط هذا الجو الحالك الظلمة بعث الله نبي عجيب ليشهد له ويعمل لخلاص إخوته وهو إيليا التشبيّ. بينما أعدّ عدو الخير أخاب وإيزابل لبث روح الفساد، أعدّ الله إيليا التشبيّ ليشهد له، ويعمل لحساب ملكوته. لم يكن أحد جريئاً بين ملوك إسرائيل في ارتكاب الخطيّة مثل أخاب، ولم يوجد نبي جريء وناري مثل إيليا. لقد بدأت سيرته في هذا الأصحاح مؤيداً من الله بعجائب فائقة. جاءت سيرته مشرقة بروح البهاء والقوّة. وهو الوحيد من بين الأنبياء نال كرامة الاشتراك مع أخنوخ بانتقاله حيّاً من العالم، كما نال مع موسى النبي كرامة اللقاء مع السيّد المسيح في تجلّيه على جبل تابور.

تنبأ الأنبياء وسجّلوا نبؤاتهم بالكتابة، أمّا إيليا فتنبأ ولم يكتب بل عمل، وبقيت أعماله شهادة حيّة للحق الإلهي.

١. نبؤته عن الجفاف . ١
٢. إعالة الغريان له . ٧-٢
٣. إعالة أرملة صرّفة صيدا له . ١٦-٨
٤. إقامة ابن الأرملة . ٢٤-١٧

١. نبؤته عن الجفاف

لماذا بدأ إيليا التشبيّ عمله النبوي بنبؤته عن الجفاف والقحط الذي يحلّ لإسرائيل؟

إذ انحدر الملك وشعبه في الفساد إلى المنتهى، احتاجوا لا إلى تحذير شفوي بل عمل يهز وجودهم وحياتهم. فالنبؤة عن القحط وتحقيقتها غايتها مراجعتهم لأنفسهم ليُدركوا القحط الداخلي الذي حلّ بهم، بحرمانهم من مياه النعمة الإلهيّة. أمّا إعالة إيليا التشبيّ بالغريان ففيه تأكيد لتسخير الله

للطبيعة للعمل لحساب مؤمنيه، حتى وإن كان فيه كسر لنواميسها. فالغريبان التي تخطف، خاصّة في وقت القحط، تخدم وتعمل النبي. أمّا إعالته بواسطة أرملة صرّفة صيداً ففيه كشف عن اهتمام الله بمؤمنيه العملي حتى وإن كانوا من جنس آخر. وأخيراً بإقامة ابن الأرملة يفتح أبواب الرجاء أمامهم، فلن ييأسوا بسبب الموت الذي لحق نفوسهم بالخطيئة والفساد. الله مشتاق أن يقيم كل نفس لتتمتع بالحياة.

على خلاف كثير من الأنبياء لم يذكر هنا اسم والد النبي أو والدته أو عشيرته أو السبط الذي ينتمي إليه. كأن الكتاب المقدس يريد تأكيد أن إيليا النبي كان عطية الله المقدّمة لشعبه لأجل توبتهم، يحمل قوّة سماوية من قبل الرب غير معتمد على أيّ نسب بشري. لقد ظنّه بعض اليهود ملاكاً نازلاً من السماء، لهذا يؤكّد يعقوب الرسول أنّه إنسان حتى الآلام مثلنا (يع ٥: ١٧).

❖ إنّه يمنح الذين يصنعون إرادته ما لا يمكن أن يوهب إلا لأصدقائه^١.

القديس إكليمنضس الروماني

"وقال إيليا التشبي من مستوطني جلعاد لأخآب:

حيّ هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه،

أنه لا يكون ظلّ ولا مطر في هذه السنين إلاّ عند قولي" [١].

"إيليا" كلمة عبرية معناها "إلهي هو يهوه". كأنّه يشهد باسمه أنّه لن يعبد آخر سوى الله إلهه الذي

أرسله ليرد النفوس إليه، ويعمل به.

"التشبي" معناه "الغريب"، فبالقول "التشبي من مستوطني جلعاد" معناها "من المتغرّبين المقيمين

في جلعاد". ظلّ البعض أن "تشبي" هي نفتالي، وقد رفض كثير من الدارسين ذلك. ربّما هي في

جلعاد، وأن إيليا كان غريباً استوطن هناك.

يرى يوسيفوس^٢ أن إيليا كان مواطناً من *Thesbon* وهي منطقة في جلعاد. بالغ البعض فنادوا

بأنّه كان أممياً سكن في جلعاد ليشهد لله الحيّ.

تبقى سيرة إيليا النبي تؤكّد عبر الأجيال ألاّ نبحت عن أسرة الإنسان وأسلافه، بل عن شخصه

وحياته وأفكاره وتصرفاته.

أ. لم يتحدّث إيليا إلى الملك في الأذن بل علانية، لأن الشرّ قد بلغ إلى كل الشعب، وصارت

¹ *Recognitions of Clement, book 5:28.*

² *Antiquités, b viii, ch xiii, sec.z.*

الحاجة إلى صرخة قويّة لكي يرجع الكل إلى إلهه. لذا يقول: "حيّ هو الرب إله إسرائيل" الذي يقاومه الملك ورجاله، ونسيه الشعب وتجاهله.

ب. إنّه ليس جماد بلا حياة كالبعل والعشاروت بل "حيّ هو الرب".

ج. إنّه خادم لله الحيّ يقف دائماً أمامه لكي يخدمه.

د. إن كان الملك يظنّ أن ما يتمنّع به من خيرات وبركات هي عطايا من البعل وعشتروت إلهيّ

الخصوبة، فإنّه يليق به أن يدرك عجز الأوثان عن تقديم المطر (إر ١٤ : ٢٢).

هـ. يؤكّد إيلياّ النبي هنا إمكانية الصلاة، فإنّه يغلق أبواب السماء ثلاث سنين ونصف، ولن

تستطيع الآلهة الوثنيّة أن تفتحها، بل يسمح الله بذلك: "عند قولي".

و. لقد سبق فهّدّد الله بالجفاف كتأديب لمن يتجاهل الرب ويحيد عنه ويعصى وصيّته (تث ١١ :

١٧؛ ٢٨ : ٢٣؛ لا ٢٦ : ١٩). جاء في كثير من الكتابات اليهوديّة القديمة كالتملود أنّه حدث حوار

وتحدّي بين الملك وإيلياّ. تحدّى الملك إيلياّ بأن اللعنة التي أعلنها موسى عن الجفاف لن تتحقّق،

معتمداً على آلهته. لذلك أكّد إيلياّ إمكانية تحقيقها.

٢. إعالة الغربان له

"وكان كلام الرب له قائلاً:

انطلق من هنا واتّجه نحو المشرق،

واختبئ عند نهر كريت الذي هو مقابل الأردن" [٢-٣].

يوجد تقليد قديم بأن كريت على جانب نهر الأردن هو نبع *Phasaelis* أو *Fasael*، يقوم عند

انحدار الجبال نحو وادي الأردن فوق مدينة *Phasaelis*، يصبّ في الأردن ولعلّه هو وادي *Wady*

Kelt يبعد قليلاً عن وادي فاسيليس من جهة الجنوب. بينما يرى *يوسيفوس* أنّه على الجانب الآخر

من النهر. ويرى *Thenius* أنّه وادي رجب *Wady Rajib* أو *Ajlun*. والبعض يرى أنّه وادي الياس

Wady Alias.

بأمر إلهي كان لابد لإيلياّ النبي أن يختفي حتى تنتهي فترة التأديب. لم يكن ذلك حماية لإيلياّ من

أخآب وإيزابل فإن الله قادر أن يحفظه منهما، لكنّه بالأكثر لكي يعطي فرصة لهما ولكل الشعب أن

يفكروا في التوبة بكل جدّيّة. اختفى حتى لا يضغط الشعب عليه، بل يطلبوا رحمة الرب.

اتّجه من السامرة حيث هناك تحدّث إيلياّ النبي مع الملك وذهب نحو الشرق، نحو الأردن ليختبئ

عند نهر كريت الذي هو مقابل الأردن. لم يُعرف بعد إن كان هذا المجرى عن الجانب الشرقي أم

الغربي للأردن.

طلب الرب منه أن ينسحب من السامرة ومن وسط الشعب ليختفي ثلاث سنوات ونصف، حيث أمره بالظهور والالتقاء مع الملك. لم تكن هذه السنوات فترة خمول للنبي ليحيا بلا عمل، لكنها كانت فترة مع الله صلاة وتأمل، تهبانه قوّة متزايدة تسنده في رسالته المقبلة. في وسط الجفاف، في البريّة القاحلة قدّم له الله ماء من نبع أو مجرى كريث، وأرسل له طعاماً بواسطة الغريبان الخاطفة. إنّه لن ينسى كنيسته، ولا يتجاهل إنساناً جائعاً. ففي الرؤيا (١٢: ٦، ١٤) نرى الرب نفسه يعول الكنيسة (المرأة) التي تهرب إلى البريّة. إنّه لا يودّ أن يصرف نفساً واحدة جائعة.

كان يعوله ليأكل خبزاً طازجاً ولحمًا مرّتين كل يوم. كان أنبياء البعل والسواري يأكلون على مائدة إيزابل (١ مل ١٨: ١٩) فجاءوا بسبب الجفاف، أمّا إيلياً فكان يعوله الله الحيّ ليكرّس كل شيء لإشباع مؤمنيه. كان الله يعوله في الصباح كما في المساء، ولم يكن إيلياً النبي يقلق على الغد. أمّا كيف كان الخبز واللحم يُعدّان، فإننا نجيب مع يعقوب: "إن الرب إلهك قد يسّر لي" (تك ٢٧: ٢٠).

لماذا اختار الله الغريبان لتعوله؟

أ. قيل: "العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمّها تقوّرها غريبان الوادي" (أم ٢٠: ١٧). أمّا من يكرم الله أباه ويطيع الكنيسة أمّه فتعوله الغريبان بطعام يومي طازج. في حبه يُخرج من الأكل أكلاً، ومن الجافي حلاوة (قض ١٤: ١٤).

ب. كانت هذه الطيور نجسة (لا ١١: ١٣-١٥)، وفي نظر اليهود لا يمكن أن يأكلوا طعاماً مقدّم منها. لكن إيلياً يتعدّى الحرف ليأكل منها بكونه طعاماً مقدّمًا من الله الحيّ نفسه.

ج. الغريبان التي قدّمت خبزاً لإيلياً تعيش على الحشرات. إنّها تمثّل كثير من المتديّنين الذين يقدّمون كلمة الله، الخبز السماوي، أمّا هم فيعيشون على الحشرات.

د. لا تقدر الغريبان أن تحمل الكثير بل القليل جدًّا من الخبز واللحم. وكان إيلياً شاكرًا الله على هذه العطيّة.

هـ. تتجاهل الغريبان أحياناً صغارها، لكنها لا تقدر أن تنسى رجل الله. "إن الأشبال وصغار الغريبان جاعت، وأمّا طالبوا الرب فلا يعوزهم شيء من الخير" (مز ٣٤: ١٠).

و. تأكل الغريبان خلال العناية الإلهيّة (أي ٣٨: ١٤؛ مز ٤٧: ٩)، وها هي العناية ذاتها تستخدمها لتعول النبي. تبقى هذه الغريبان شاهدة لمن يتجاهل إخوته، فمن تمتّع بالنعمة يليق به أن

بِقَدَمِهَا لِإِخْوَتِهِ، فَتَقَدِّمُ لَهُمْ طَعَامًا رُوحِيًّا وَسَطَ الْبِرِّيَّةِ.

ز. بأمر إلهي اعتزل إيلياً عن شعب الله المنحرف لكي يتعامل مع الغريبان التي تخدمه. هكذا بالخطيئة يفقد الإنسان علاقته بالله ورجاله، بينما الحيوانات والطيور غير العاقلة تمجد الله وتخدم أولاده.

ح. الله خالق الطبيعة يستخدم حتى الحيات والجراد والأسماك وسحب السماء لخدمته (٢ أي ٧: ١٣؛ مز ٧٨: ٢٣؛ إش ١٤: ١٢؛ يون ٢: ١٠؛ عا ٩: ٣).

ط. تقديم الطعام بواسطة الغريبان يحمل ثلاث معجزات: من أين جاءت الغريبان بالطعام صباحاً ومساءً وبطريقة منتظمة؟ كيف غلبت الغريبان طبيعتها، وِعِوضَ أَنْ تَخْطِفَ، صارت تقدّم طعاماً شهياً لغيرها؟ وأخيراً كيف كانت تتجاسر وتقدّم الطعام لإنسان ولم تخف منه؟

يرى البعض أن الكلمة المترجمة غريبان *Orebim* تشير إلى العرب الساكنين في عربة *Orbo* وهم تجار رُحَلٍ ينتسبون إلى قوافل قادمة من العربية. لكن يرفض كثير من الدارسين ذلك، لأنه لم يكن هذا الموقع طريقاً لهذه القوافل. ومن جانب آخر طلب منه الرب أن يختفي، فلا يلتقي بأحد حتى لا يعرف الملك مكانه. أخيراً فإن هذه الكلمة لم تستخدم قط في الكتاب المقدس لتعني التجار.

تشير هذه الغريبان إلى المؤمنين الذين يدركون أنهم بأنفسهم خطاة وذنسين، لكن نعمة الله الغنيّة تحوّل دنسهم إلى طهارة. نعمة الله تجدد طبيعتهم فعوض الأنايئة وحب الذات، يشتهون العطاء للغير. يعرفون أن يقدموا مائدة روحية مستمرة للغير، ليست من صنع أيديهم، ولا بإمكانياتهم البشرية، إنما هي عطية إلهية لهم. أخيراً لا يخافوا ولا يخشوا تقديم كلمة الله الحيّة كطعام شهّي طازج للنفوس. يرى القديس أمبروسيو^١ أن كلمة "كريث" معناها "فهم"، و"حوريب" معناها "قلب" أو "كقلب".

"فتشرب من النهر، وقد أمرت الغريبان أن تعولك هناك" [٤].

❖ لا يوجد موضع يفتات فيه إيلياً إلا "هناك" (١ مل ١٧: ٤) في صرفة صيدا، حيث أمره الله أن يذهب لتعوله...

بالنسبة ليعقوب أمره الله أن يذهب هناك (بيت إيل) (تك ٣٥: ١).

والسيد المسيح سأل تلاميذه أن يرجعوا إلى أورشليم وقيموا هناك حتى يلبسوا قوة من الأعالي لينالوا موعد من الأب (لو ٢٤: ٤٩؛ عب ١: ٤، ١٢؛ ٢: ٤).

^١ St. Ambrose: Letter 63:77.

نحن مدعوّين إلى "هناك" حيث نسكن أو نثبت في المسيح وهو فينا (يو ١٥: ٤-٧؛ أف ١: ٣)...

في وقت الجفاف حيث يمكن للباطل الجسداني أن يجف فيه، يدخل إلى معرفة الله بالأكثر. لقد ذهب إلى نهر كريث (١ مل ١٧: ٣)، التي تعني "معرفة"، حيث يقدر أن يشرب من فيض معرفة الله.

لقد هرب من العالم بطريقة بها لم يطلب حتى الطعام لهذا الجسد، إلا ما تقدّمه له الطيور الخادمة (١ مل ١٧: ٦)، مع أن طعامه غالبًا لم يكن من الأرض (١ مل ١٧: ٥-٧). بالحقيقة سار أربعين يومًا في قوّة الطعام الذي تقبله (١ مل ١٧: ٥).

للتأكيد لم يهرب مثل هذا النبي العظيم من امرأة، بل من هذا العالم. ولم يخف الموت، بل تقدّم لمن يطلب نفسه وقال للرب: "خذ نفسي". لقد عانى من متاعب هذه الحياة، لكنّه هرب من إغراءات العالم، من عدوى السلوك الدنس والأعمال الشريرة التي للجبل الخاطئ الشرير^١.

القديس أمبروسيو

"فانطلق وعمل حسب كلام الرب،

وذهب فأقام عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن.

وكانت الغريان تأتي إليه بخبزٍ ولحم صباحًا،

وبخبزٍ ولحم مساءً وكان يشرب من النهر" [٥-٦].

❖ لم يكن لدى إيليا رجل الله خبز للطعام... لكن يبدو أنّه لم يفشل إذ لم يبحث عن الخبز... لقد طُوب بالأكثر إذ كان غنيًا بالله. من الأفضل أن يكون الإنسان غنيًا للآخرين عنه لنفسه...
إدًا لا يُعين الغنى الحياة لكي تكون مطوّبة، هذه الحقيقة يظهرها الرب بوضوح في الإنجيل قائلاً:
"طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون" (لو ٦: ٢٠-٢١). هكذا يقرّر بوضوح قدر الإمكان أن الفقر والجوع والألم التي تعتبر كشرورٍ، إنّها ليس فقط لا تعوق عن بلوغ الحياة المطوّبة بل تُعين بالفعل على نوالها^٢.

القديس أمبروسيو

¹ Flight from the world, 6:34.

² St. Ambrose: Duties of the Clergy, book 2:4:1.

"وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس،

لأنه لم يكن مطر في الأرض" [٧].

يأتي زمان تجف فيه أنهار هذا العالم، فللطبيعة مع كل إمكانياتها حدود تقف عندها. لقد جف نهر إيليا إذ لم يكن مطر إلى زمان، أمّا من يرتفع قلبه إلى السماء، مدينة الله فلا يجد مجاري مياه تجف في الصيف (أي ٦ : ١٥)، بل يجد نهراً يفرح مدينة الله لن يجف قط (مز ٤٦ : ٤)، وينبوع مياه حيّة لن يتوقف قط!

الله الذي أمر إيليا أن ينطلق إلى نهر كريت يقدّم له حلاً عندما يجف النهر. وكما يقول المرثّل: "أدم رحمتك للذين يعرفونك" (مز ٣٦ : ١٠). أنهار العالم قد تجف أمّا مراحم الله فلن تتوقف قط، ولا تفشل في أن تروي النفوس وتشبعها.

٣. إعالة أرملة صرفة صيدا له

"وكان له كلام الرب قائلاً:

قم اذهب إلى صرفة التي لصيدون،

وأقم هناك،

هوذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك" [٨-٩].

أرسل إيليا النبي إلى هذه الأرملة الأعمىة ليس فقط علامة اهتمام الله بنبيه، وإنما اهتمامه بالأممىة أن تستقبل إيليا في بيتها وبيبارك فيما لديها. يقول السيّد المسيح: "بالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كن في إسرائيل في أيام إيليا حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر لما كان جوع عظيم في الأرض كلها، ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها، إلا إلى امرأة أرملة في صرفة صيدا" (لو ٤ : ٢٥-٢٦). كان إيليا أول نبي يرسل لخدمة الأمم. أبغضه شعبه فالتجأ إلى الأمم، كما شهد بذلك الرسل (أع ١٨ : ٦). لقد حمل بذلك شهادة عن السيّد المسيح الذي جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله. جاء إلى خراف إسرائيل الضالة وإذ رفضته فتح الباب للأمم كي تقبل عمله الخلاصي ومحبتّه الفائقة.

صرفة: قرية صغيرة تقع على شاطئ البحر الأبيض بين صور وصيدا.

❖ "قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك" [٩].

كيف أمر الله إلا بإعلان ما هو صالح بنعمته في النفس؟ هكذا يتحدّث الله في كل إنسان يتمم عملاً صالحاً، ولهذا لا يتمجد أحد بذاته بل في الرب. ألم توجد أرملة يهودية واحدة تستحق أن تقدّم طعاماً للطوباوي إيليا، فأرسل إلى أرملة أعمىة تعوله؟ ترمز تلك الأرملة التي أرسل إليها النبي إلى

الكنيسة، وذلك كما ترمز الغريبان التي خدمت إيلياً إلى الأمم. هكذا جاء إيلياً إلى الأرملة لأن المسيح يأتي إلى الكنيسة^١.

القديس أغسطينوس

لماذا اختار صيدا؟

لجأ إلى البلد التي تخرّجت منها إيزابل ابنة ملك صيدا، والتي دفعت بالشعب قهراً نحو عبادة البعل. الموضوع الذي تخرّج منه الفساد وُجد فيه أرملة مؤمنة لتتمتع ببركة الله الحيّ. لقد نجّست إيزابل أرض إسرائيل بعبادة البعل ورجاساته، بينما تمتعت أرض صيدا بأرملة تتال ما لم تتمتع به أرامل إسرائيل، صارت رمزاً لكنيسة العهد الجديد القادمة من الأمم. ولا نعجب إن كان السيّد المسيح قد خدم في ساحل صيدا (مت ٢١: ١٥).

لم يرسل الله إيلياً النبي إلى أحد تجار صيدا الأغنياء أو أحد عظمائها ولا إلى ملكها لكي يعوله، بل إلى أرملة فقيرة، يأكل من يديها ويجد له مسكناً يقيم فيه. إنّها رمز لكنيسة العهد الجديد التي تفتح قلبها للسيّد المسيح، رب الأنبياء، اختارها أرملة مات رجلها الأول "عبادة الأوثان". كانت جاهلة وفقيرة وبلا كرامة لكي يسكب عليها حكمته وغناه ومجده. وكما يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "اختار الله جهّال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء" (١ كو ١: ٢٧).

"فقام وذهب إلى صرفة وجاء إلى باب المدينة،

وإذا بامرأة أرملة هناك تقش عيداناً فناداها وقال:

هاتي لي قليل ماء في إناء فأشرب" [١٠].

تقدّم إيلياً النبي إلى الأرملة وهي تجمع العيدان لتعدّ طعاماً لها ولابنها، هكذا يلتقي الرب بالنفوس الجادة الجائعة إلى الحق، تودّ أن تأكل وتشبع، فيهيئ لها السيّد المسيح نفسه طعاماً أبدياً.

"وفيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها وقال:

هاتي لي كسرة خبز في يدك.

فقالت: حيّ هو الرب إلهك أنّه ليست عندي كعكة،

ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز،

¹ Fr. Caesarius of Arles: Sermon 124:2.

وهأنذا أَقْسَسَ عودين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت" [١١-١٢].

واضح أن المجاعة لم تشمل أرض إسرائيل وحدها بل امتدَّت لتلحق بأرض صور وصيدا. الفساد الذي حل بإسرائيل امتدَّ أثره على الدول المجاورة. هكذا عندما دخل إبراهيم في عهد مع الله جعله الرب "بركة"، به وينسله تتبارك كل الأمم (خر ١٥)، وعندما هرب يونان من وجه الرب فقد كثير من البحارة ممتلكاتهم، إذ ألقوها في البحر. الإنسان الروحي يشعّ فرحًا على من حوله، والشرير يسحب كثيرين معه نحو الفساد.

لم تقل الأرملة "لحيا إلهي" بل "إلهك" هذه لمسة إيمان بإله إيليا الحي. فهل كانت هذه الأرملة متشككة في البعل والعشتاروت وتؤمن بالله الحي؟!

❖ لقد خرجت لتأتي بماء وتجمع قشّ خشب. لتتأمل ماذا يعني الماء والخشب؛ فإننا نعلم أن كليهما مفرح وضروري للكنيسة، إذ كتب: "كالشجرة المغروسة على مجاري المياه" (مز ١: ٣). يظهر في الخشبة سرّ الصليب وفي الماء سرّ المعمودية. لذلك خرجت لتجمع عوديّ خشب وقد أجابت إيليا الطوباوي عندما سألها عن طعام، قائلة: "حيّ هو الرب، ليس عندي إلا ماء كف من الدقيق وقليل من الزيت في كوز، هأنذا أقسّ عودين لأصنع طعامًا لي ولابني لنأكله ثم نموت".

ترمز هذه الأرملة إلى الكنيسة كما قلت قبلاً، ويشير ابن الأرملة إلى الإخوة. إنَّها لم تقل ثلاثة عيدان أو أربعة، كما لم تقل عودًا واحدًا، بل أرادت أن تجمع عودين. كانت تجمع عودين لأنَّها استقبلت المسيح في رمزه إيليا، أرادت أن تجمع قطعتي خشب لأنَّها أرادت أن تعرف سرّ الصليب. حقًا إن صليب ربنا ومخلصنا قد أعدَّ بقطعتي خشب. هكذا كانت الأرملة تجمع عودين، لأن الكنيسة تؤمن به، ذاك المعلق على عوديّ الخشب. لقد قالت: "هأنذا أقسّ عودين لأصنع طعامًا لي ولابني لنأكله ثم نموت". إنَّه حق أيُّها الإخوة المحبوبون، لا يستحق أحد أن يؤمن بالمسيح مصلوبًا ما لم يمتم عن الماضي ويحيا للمستقبل¹.

القديس أغسطينوس

"فقال لها إيليا: لا تخافي، ادخلي واعلمي كقولك،

ولكن اعلمي لي منها كعكة صغيرة أولاً،

واخرجني بها إليّ، ثم اعلمي لك ولابنك أخيرًا.

لأنَّه هكذا قال الرب إله إسرائيل:

¹ Fr. Caesarius: Sermon 124:3.

إن كوار الدقيق لا يفرغ،

وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي يعطي الرب مطرًا على وجه الأرض.

فذهبت وفعلت حسب قول إيليا،

وأكلت هي وهو وبيتها أيامًا" [١٣-١٥].

استجابت دون حوار معه [١٠]. لم تشتكِ الأرملة من قسوة الحياة، وما حلَّ بالبلاد من مجاعات،

فقد سلّمت حياتها بروح الرضا بين يديّ الله.

اتّسمت أيضًا بالكرم وحب العطاء، فقد أدركت من ثياب إيليا أنّه نبيّ إسرائيليّ، وليس من عبدة

البعل. كان غريب الجنس بالنسبة لها، ومع هذا لم تتردّد في أن تذهب لتُحضر له ماء ليشرب.

"كوار الدقيق لم يفرغ،

وكوز الزيت لم ينقص

حسب قول الرب الذي تكلمّ به عن يد إيليا" [١٦].

❖ جعل الجفاف براميل الأغنياء تفرغ، بينما صار كوز زيت المرأة الصغير يفيض بوفرة...

لأنّه لم يوجد أحد أعطى أكثر منها، هذه التي أطعمت النبي بقوت أولادها. وإذ لم يعطِ أحد أكثر

لم يوجد من هو أعظم منها استحقاقًا^١.

القديس أمبروسيو

❖ لم تتردّد في الطاعة، ولا فضّلت الأم أبناءها على إيليا في جوعها وفقرها. نعم لقد فعلت ما هو

في نظر الله موضع سروره فقدّمت بسرعة وحرّية وارتياح ما سئّل منها. لم يطلب منها نصيب ممّا

لديها أو ما يفيض منها، بل كل القليل الذي عندها فياكل الغير أمام أولادها الجائعين.

❖ لم تنزع الأم من أولادها ما قدّمته لإيليا، بل بالأحرى وهبت أولادها ما قدّمته بلطف وتقوى.

❖ لم تكن بعد قد عرفت المسيح، ولا سمعت وصاياه، ولا خلّصت بصليبه وآلامه لتقدّم الطعام

والشراب من أجل دمه. من هذا يظهر كم يخطئ في الكنيسة من يفضّل نفسه وأولاده عن

المسيح، ويحفظ ثروته ولا يقدّم بسخاء للمحتاجين؟!^٢

الشهيد كبريانوس

^١ St. Ambrose: Concerning Widows, 5:28.

^٢ The Treatises of Cyprian 8 on Works and Alms, 17.

- ❖ أرملة صرفة التي كانت تتوقّع موت أولادها في نفس الليلة جوعاً، عادت تطعم النبي. الذي جاء لكي يأكل عاد ليقوتها (وأولادها) بطريقة معجزية، إذ ملأ الأواني الفارغة¹.
- ❖ لتندكر أرملة صرفة التي اهتمت بالأكثر أن تُشبع جوع إيلياً عن أن تحفظ حياتها وحياء ابنها. مع أنّها اعتقدت بأنّها هي وابنها يموتان حتماً في نفس الليلة ما لم يجدا طعاماً. صمّمت أن يعيش ضعيفها. لقد فضّلت أن تضحي بحياتها عن أن تتجاهل واجب العطاء.
- وجدت في الطعام الذي في ملئ يدها بذرة منها تحصد محصولاً يقدّمه لها الرب. لقد بذرت طعامها وماذا؟ لقد نالت كوز زيت صدر منها.
- في أرض يهوذا كانت حبة (القمح) نادرة لأن حبوب القمح ماتت هناك. وأمّا في بيت الأرملة الوثنية ففاض الزيت في مجار².

القديس جيروم

- ❖ يوجد البعض يريدوا أن يضعوا حدوداً للحب! إن أردت أن تحب المسيح فابسط يدك بالحب على كل العالم، لأن أعضاء المسيح منتشرة في العالم كلّ³.

القديس أغسطينوس

يقدم لنا القديس أمبروسيوس تفسيراً رمزياً لهذه القصة فيقول، بأنّها تحمل سرّاً، هو سرّ المسيح والكنيسة.

- ❖ ليس بدون هدف فضّلت واحدة من بين أرامل كثيرات. فمن هي مثل هذه أرسل إليها نبي عظيم، هكذا صعد إلى السماء لكي يقودها، خاصة في الفترة التي فيها أغلقت السماء لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر، حيث كانت مجاعة عظيمة في كل البلاد؟
- ما هي هذه السنوات الثلاث؟ أليست ربّما هي تلك التي جاء فيها الرب إلى الأرض ولم يجد ثمراً على شجرة التين؟ لهذا كتب: "هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد" (لو ١٣ : ٧).
- إنّها بالتأكيد الأرملة التي قيل عنها: "ترثمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترثم أيتها التي لم تتمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل" (إش ٥٤ : ١). إنّها الأرملة التي قيل عنها حسناً: "لأنّك لا تستحين، فإنّك تتسين عارك، وترثمك لا تذكرينه بعد، لأنّي أنا هو الرب صانعك"

¹ St. Jerome: Letters, 22:32.

² St. Jerome: Letters, 54:16.

³ Treatise on 1 John 10:8.

(إش ٥٤: ٤). ربّما هي أرملة فقدت رجلها حقاً في آلام جسده (صلبه)، لكن في يوم الدينونة تقبله من جديد، ابن الإنسان الذي بدا كأنّه قد فُقد، يقول "لحيظة تركتك" (إش ٥٤: ٧)، لكي إذ صارت متروكة تصير أكثر مجداً بحفظها إيمانها^١...

القديس أمبروسيو

❖ إنّها الأرملة التي لأجلها حين صارت مجاعة للكلمة الإلهي على الأرض أقيم الأنبياء لحفظها في ذلك الوقت...

لذلك فإن شخص (إيليا) يبدو لنا ليس بقليل الأهميّة، هذا الذي بكلمته بلل الأرض الجافة بندى السماء، وفتح السموات المغلقة بقوة غير بشرية بالتأكيد. فمن هو القادر أن يفتح السماء إلا المسيح، الذي لأجله يقدّم طعام يومي من الخطة يتزايد لأجل الكنيسة؟ فإنّه ليس في قدرة إنسان أن يقول: "إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي يعطي الرب مطراً على وجه الأرض". فإنّه وإن كان الأنبياء قد اعتادوا أن ينطقوا هكذا، لكن الصوت بالحق هو صوت الرب. لهذا يقول النبي أولاً: "لأنّه هكذا قال الرب". إنّ الرب هو الذي يهب أسراراً سماوية مستمرة، ويعد بنعمة الفرح الروحي التي لا تتقطع، لكي يهب حماية للحياة وحنماً للإيمان، وعطايا الفضائل.

لكن ماذا يعني "إلى اليوم الذي يعطي الرب مطراً على وجه الأرض"؟ إلا أنّه هو أيضاً "ينزل مثل المطر على الجراز ومثل النقاط على الأرض" (مز ٧٢: ٦). في هذه العبارة يكشف سرّ التاريخ القديم حيث تقبل جدعون المحارب في المعركة السريّة متقبلاً عربون نصرته المقبلة، ومدركاً السرّ الروحي في رؤيا ذهنه. وهو أن المطر هو ندى الكلمة الإلهي الذي نزل أولاً على الجزة عندما كانت الأرض كلّها تعاني من الجفاف الدائم. وأيضاً بعلامة ثانية حقّه حيث تبلل كل سطح الأرض بالمطر بينما كان جفاف على الجزة (قض ٦: ٣٧ الخ).

فإن ندى المنطوق الإلهي قد ظهر أولاً في اليهودية مقدّماً رطوبة، بينما كانت كل الأرض بلا ندى الإيمان. ولكن عندما رفض قطيع يوسف مجد الله... انسكب المطر السماوي على كل الأرض. صار اليهود في جفاف يحترقون بعدم إيمانهم. عندما أمطرت السحب بمياه الرسل الصحيّة اجتمعت الكنيسة المقدّسة من كل أنحاء العالم. هذا هو المطر الذي سال من الأرض الرطبة، الآن ينزل من الجبل لينتشر في العالم كلّه كمياه مفيدة من الكتب المقدّسة السماوية.

القديس أمبروسيو

¹ St. Ambrose: Concerning Widows 3:14 etc.

اتَّسَمَتْ أيضًا بالثقة في مواعيد الله والطاعة له، فعندما قَدَّمَ لها إيلِيَّا وعدًّا إلهيًّا في ظروف غاية في القسوة صدقت كلمات الرب على فمه.

أما من جهة إيلِيَّا فقد تَدَرَّبَ أن يكون مكتفيًّا في كل شيء. عندما هدَّدَ الملك بالجفاف لم يفكِّر قط في نفسه كيف يعيش. آمن بالله القادر أن يعوله وسط القحط. بشكر نال خيرًا ولحمًا مرَّتَيْن كل يوم، والآن صار أكله كعكًا فقط دون لحم أو خضراوات. هكذا من يلتقي بالله ويمارس الحياة الإيمانيَّة لا يشعر بالعوز إلى شيء، بل يردِّد مع الرسول: "تَدَرَّبْتُ أن أكون مكتفيًّا في كل شيء".

٤. إقامة ابن الأرملة

"وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت،

واشدَّ مرضه جدًّا حتى لم تبقَ فيه نسمة" [١٧].

إذ كانت أرملة صرْفة صيدا تمثل كنيسة العهد الجديد القادمة من الأمم، فإن ابنها الذي مات يمثل كل نفس بشريَّة في العالم، عملها هو تقديم هذه النفوس الميَّنة للسيد المسيح واهب القيامة. لقد اختبرت الحياة الجديدة المقامة، فلا تطيق أن ترى إنسانًا ميتًا، لا نفس فيه.

"لم تبقَ فيه نسمة"، أي توقَّف عن التنفس ومات. علمت الأرملة أن السماء قد أغلقت عن الأرض التي تدنَّست بالخطيَّة، لذلك نسبت ما حلَّ بابنها إلى خطيَّتها.

يبدو أنَّه كان ابنها الوحيد، موضوع تعزيتها كأرملة، لا رجاء لها في إنجاب ابن آخر. لقد أكل هذا الابن من الطعام السريِّ، خلال البركة التي حلَّت على كوز الزيت وكوار الدقيق، لكن هذا لم يمنع تعرضه للمرض وأيضًا للموت. إنَّه في حاجة إلى التمتع بالطعام الأبدي. وكما يقول السيد المسيح: "أباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا، هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٤٩-٥١).

لماذا سمح الله لها بموت ابنها؟

لقد تمَّتعت هذه الأرملة بأول معجزة وردت في الكتاب المقدَّس عن مباركة الطعام بفيض. تمَّتعت أيضًا بأن تعول العظيم في الأنبياء إيلِيَّا، الأمر الذي يشتهيهِ المؤمنون حتى هذه اللحظة. بل وتترقَّب كل الكنيسة مجيئه ليسندها في حربها مع ضدَّ المسيح. عالت هذا النبي، وعالها النبي أيضًا دون مقابل. تجد طعامها هي وابنها على الدوام مجانًا. لهذا سمح الله لها بالتجربة كشوكة مرَّة في الجسد تنزع عنها حرب الكبرياء. كانت في حاجة إلى ضيقة تثبَّت حياتها في الرب فلا تنزعزع.

'فقلت لإيليا: ما لي ولك يا رجل الله؟'

هل جئت إلي لتذكير إثمي وإماتة ابني؟' [١٨]

يبدو أنه مات فجأة، حتى إنها لم تستطع أن تبلغ إيليا عن مرضه وهو في العلية، بل تحدّثت معه بعد أن مات ابنها في حضنها.

إذ تعلّمت أن السماء تغلّق بالنسبة للأرض المخطئة، خشيت أن تكون قد أخطأت في حق الله وفي حق نبيه. خافت لئلا يكون هلاك ابنها بسبب خطيئة ارتكبتها.

بنفس الروح سأل التلاميذ السيّد المسيح عن المولود أعمى: "يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟" وجاءت الإجابة: "لكي تظهر أعمال الله فيه" (يو ٩: ٣). هنا أيضًا تقدّم نفس الإجابة لهذه الأرملة الأُممية النقيّة، فتدرك ما قاله فيما بعد الرسول بولس: "أم الله لليهود فقط، أليس للأُمم أيضًا؟ بل للأُمم أيضًا" (رو ٣: ٢٩).

يبدو إنَّها ظنّت في مجيء إيليا النبي إلى بيتها وسكنائه قد جذب أنظار الله إليها، فوجد فيها إثما تستحق عليه التأديب.

❖ لكننا ندرك أن الموت ليس ثمرة عقوبة، فقد خضع حتى القديسون له، بل ومات رب القديسين يسوع المسيح الذي هو حياة المؤمنين وقيامة الأموات^١.

الدسقولية

في وسط مرارتها تدعو هذه الأُممية إيليا "رجل الله".

'قال لها: أعطيني ابنك،

وأخذه من حضنها،

وصعد به إلى العلية التي كان مقيما بها،

وأضطجعه على سريره" [١٩].

في حنو أخذ الابن من حضنها وصعد به إلى العلية حيث كان مقيما وأضطجعه على سريره.

"وصرخ إلى الرب وقال:

أيها الرب إلهي أيضًا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها" [٢٠].

بكلمات العتاب التي تحدّثت بها إيليا النبي مع الله قصد الآتي:

¹ Constitutions of the Holy Apostles, book 4: 1:7.

- أ. تأكيد أن الحياة والموت هما بسماع من الله.
ب. أنه يحمل نوعاً من الأبوة الحانية نحو الولد الميِّت.
ج. أن ما حدث لم يكن ثمرة خطيئة ارتكبتها الأم الأرملة أو ابنها.

"فتمدّد على الولد ثلاث مرات،

وصرخ إلى الرب وقال:

يا رب إلهي، لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه" [٢١].

لماذا تمدّد على الولد؟

لن نتمتع بالحياة الجديدة المقامة ما لم نتلامس مع القائم من الأموات. لا بد من تلامس روحي عملي. لهذا حتى في شفاء المرضى كان السيّد المسيح يمدّ يديه ويلمسهم فيبرأون (مت ٩: ٢٥؛ لو ١٤: ٧).

كان إيلياً النبي فريداً بين الأنبياء، فمن جهة قدّم أول معجزة لمباركة الطعام يكفي ربّما لمُدّة حوالي سنتين. ومن جانب آخر آمن بالله القادر أن يقيم من الأموات. لم يجسر داود النبي أن يطلب من الرب أن يقيم ابنه الذي من بُشْبَع، أمّا إيلياً النبي فهو أول نبي طلب بجرأة ودالة لدى الله أن ترجع نفس الولد إلى جسده.

هذا ومن جانب آخر أراد الله تأكيد حقيقة إيمانية هامة، وهي تقديسه كل ما في الإنسان وما لديه مادام سالماً معه. فاستخدم الله عصا موسى النبي في صنع المعجزات، وعظام أليشع في إقامة ميِّت، وظلّ بطرس الرسول، ومناديل الرسول بولس، وهنا يستخدم جسم إيلياً النبي. يتمدّد بجسمه عليه ويطلب من الله فيرد الميِّت إلى الحياة.

❖ مات ابن الأرملة، لأن ابن الكنيسة، أي الأمم، قد ماتوا بسبب خطاياهم ومعاصيهم الكثيرة.

وصلوات إيلياً استردّ ابن الأرملة الحياة؛ وبمجيء المسيح ابن الكنيسة، أي الشعب المسيحي، خرجوا من سجن الموت.

انحنى إيلياً في الصلاة، واستردّ ابن الأرملة الحياة. هكذا غطس المسيح في آلامه، واسترد الشعب المسيحي الحياة.

لماذا انحنى إيلياً ثلاث مرات ليقيم الغلام؟

أعتقد قد أدركتم ذلك بفهم محبّبتكم قبلما أنطق به.

بالحقيقة انحنى ثلاث مرات مظهرًا سرّ الثالوث. الثالوث كلّه ردّ لابن الأرملة أو للأُم الحياة. علاوة على هذا، فإن هذا يتحقّق في سرّ العماد، حيث يغتس الإنسان القديم في الماء ثلاث مرات لكي يتأهّل الإنسان الجديد للقيام¹.

القديس أغسطينوس

"فسمع الرب لصوت إيليا،

فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش.

فأخذ إيليا الولد ونزل به من العُلْيَةِ إلى البيت،

ودفعه لأُمّه وقال إيليا: انظري ابنك حيّ" [٢٢-٢٣].

يبدو أن الأرملة لم تكن قادرة أن تصدّق أن ابنها الذي مات قام، لم تصدّق عينيها، لهذا يقول لها إيليا النبي: "انظري، ابنك (وليس ابن آخر) حيّ".

"فقالَت المرأة لإيليا:

هذا الوقت علمت أنّك رجل الله،

وأن كلام الرب في فمك حق" [٢٤].

كشف هذا الأصحاح عن شخصيّة إيليا النبي كسابق للسيد المسيح "القيامة"، واهب الحياة الجديدة المقامة.

تعاملت الأرملة مع إيليا كرجل الله منذ اللحظات الأولى لملاقاته بها، وقدّمته عن ابنها وعن نفسها فوهبها الرب بركة سكنى النبي في علّيتها، وبارك لها في دقيقتها وزيتها. الآن إذ أقام ابنها تأكّدت أنّه رجل الله، وأن ما ينطق به من كلمات الرب هو حق. لقد أعلنت إيمانها بالحق الإلهي.

تمتّعَت الأرملة خلال هذه التجربة ببركات كثيرة:

❖ فحصت قلبها وأعماقها وامتحنَت طريقها.

❖ اكتشفت قوّة الله واهب القِيامة.

❖ شهدت لله أنّه الحق.

¹ Fr. Caesarius: Sermon 124:4.

من وحي ١ مل ١٧

من يُنقذ نفسي من المجاعة؟

من يُشبع أعماقي سواك؟

❖ وثق أخاب في البعل إله الخيرات والخصوبة.

وحرّم نفسه منك يا خالق السماء والأرض.

إليك اصرخ: حَلَّتْ المجاعة بأعماقي،

وساد القحط قلبي.

توقّف مطر الروح عن ارتواء نفسي.

❖ لترسلني مع إيليا النبي إلى كريت.

تبعث إليّ بالغبان.

لتحسبني من القلّة القليلة.

لتعولني أنت يا مشبع النفوس.

❖ في جوّ الملوك الأشرار أرسلت إيليا الناري.

أقمته ليعمل من أجل القلّة المقدّسة لحسابك.

لم تقبل الملكة الشريرة إيزابل أقل من رأسه.

أما أنت فأشبعت نفسه.

حتى جسده كنت تهتم بإطعامه.

الغبان الخاطفة أعدت له لحمًا وخبزًا.

الملك يبحث عنه فلا يجده،

والغبان تتقدّم إليه بالطعام صباحًا ومساءً.

❖ جاع الكل، فأشبعت أرملة صرقة صيدا.

شبعته هي وابنها، لأنّها قدّمت لنيبك أولاً ما لديها.

نالته بركة لم تتلها أرامل إسرائيل الكثيرات.

أقمت ابنها من الموت لكي تفرح بعمل يديك.

❖ أنت هو خبز الحياة.

ملوك الأول - الأصحاح السابع عشر

العالم ينساني، وأما أنت فتهتم بكل كياني.
نفسي وعقلي وجسدي وكل طاقاتي بين يديك.
أنت هو مُشبع كل حياتي.

ملحق الأصحاح السابع عشر

إيليا النبي

"إيليا" تعني "يهوه إلهي"، يناسب الاسم رسالته، فقد اُتسم بالشجاعة مع الغيرة من أجل الله إلهه. عاش في إسرائيل (المملكة الشماليّة) في النصف الأول من القرن التاسع ق.م. ظهر بطريقة سرّية، لا نعرف شيئاً عن أسرته. دُعي بالتشبيّ ريمًا لأنّه ولد في تشبهه في حدود نفتالي (طو ١: ٢٢) أو في منطقة الجليل، أو من أسرة تحمل هذا الاسم، لكنّه نشأ في جلعاد (١ مل ١٧: ١).

يمكن تقسيم حياة إيليا إلى خمس مراحل:

١. ظهوره أمام أخاب المرتدّ وتأديبه له بسنوات الجفاف. لقاءه مع أرملة صرّفة صيدا - على ساحل البحر الأبيض المتوسّط - قتل أنبياء البعل (١ مل ١٧-١٨).
٢. اضطراره إلى الهروب إلى جبل حوريب من وجه إيزابل. ظهور الله له - في نفس المغارة التي فيها رأى موسى مجد الله - اختيار أليشع تلميذًا له (١ مل ١٩).
٣. تنبؤّه عن خراب بيت أخاب بسبب قتل نابوت (١ مل ٢١).
٤. انتهاره أخزيا بن أخاب. احتراق قائديّ الخمسين بناٍ من السماء (٢ مل ١).
٥. صعود إيليا إلى السماء (٢ مل ٢).

ظروفه

ظهر إيليا في أيام أخاب ملك إسرائيل الذي عمل الشر في عينيّ الرب أكثر من جميع الذين قبله (١ مل ١٦: ٣٠)، والذي تزوّج إيزابل الكنعانيّة ابنة إئبعل ملك الصيدونيّين وكاهن البعل. كان أخاب ضعيف الشخصية، جرى وراء امرأته التي اضطهدت الكهنة وأنبياء الله، فقتلت منهم وهرب البعض إلى الكهوف. استطاعت الملكة بشرّها، يعاونها كهنة البعل، أن تجتذب الشعب إلى عبادة البعل بكل رجاساتها. هذا وقد اُتسمت بالعنف؛ حين انتهى رجلها كرم نابوت اليزرعيليّ خطّطت لقتل نابوت وورثته!

نظرة الكتاب المقدّس إليه

في (مل ٤: ٥-٦) وعد الرب أن يرسل إيليا النبي قبل يوم الرب العظيم. وقد تحقّق ذلك عند مجيئه الأول، إذ ورد في (لو ١: ١٧) أن يوحنا المعمدان جاء بروح إيليا وقوّته. في هذا المعنى قال

السيد المسيح إن إيلياً جاء في شخص يوحنا (مت ١١ : ١٤ ؛ ١٧ : ١٠-١٢ ؛ مر ٩ : ١٢). وقد سُئل يوحنا المعمدان إن كان هو إيلياً (يو ١ : ٢١ ، ٢٥). ظنَّ بعض اليهود خطأً أن يسوع نفسه هو إيلياً (مت ١٦ : ١٤ ؛ مر ٦ : ١٥ ؛ ٨ : ٢٨ ؛ لو ٩ : ٨ ، ١٩).

سيأتي إيلياً النبي مع أخنوخ في أيام ضد المسيح ويسندا الكنيسة ويستشهدا.

نظرة اليهود إليه

جاء في التقليد اليهودي^١ أن إيلياً لم يمت، وإنما لا يزال يجول في الأرض، وإنه سيظهر ليقدم المسيا، ويساعد في الخلاص النهائي للبشريّة.

في ختان الطفل اليهودي يُوضع كرسي يسمّى "كرسي إيلياً" يخصّص له بكونه "ملك العهد" كما جاء في (مل ١٣ : ١)، على رجاء أنّه يحمي الطفل، وهو كرسي غني في النحت والزينة بالتطريز. وفي أثناء تقديم تحية للطفل المختتن تُقرأ دعوة لإيلياً للحضور.

يعلّل البعض وجود كرسي إيلياً أثناء ختان الطفل إلى أن إيزابل الشريرة منعت ختان الأطفال في المملكة الشماليّة أو أفسدت طقسه، وإذ كان إيلياً مملوء غيرة التجأ إلى كهف وصلّى إلى الله (١ مل ١٩ : ١٠)، واشتكى إليه أن إسرائيل نسي عهد الرب، فأمر الله ألاّ يتم ختان طفلٍ إلّا في حضرة إيلياً. لهذا صار يوضع كرسي إيلياً أثناء طقسه ويُقال بصوت عالٍ: "هذا هو كرسي إيلياً". وقبل الطقس يوضع الطفل على الكرسي، كمن يبقى في حضن النبي وتحت حمايته. يبقى الكرسي ثلاثة أيّام في موضعه، لحفظ المختتن في هذه الأيّام التي يتعرّض فيها للخطر.

وفي وليمة الفصح يُسكب كأس خمر إضافي لإيلياً، وبعض العائلات تسحب كرسيّاً فارغاً إلى المائدة لإيلياً. وأثناء الطقس يُترك الباب مفتوحاً لعلّه يدخل.

جاء في إحدى تسابيح عشية الفصح:

"إيلياً النبي،

إيلياً التشبيثي،

إيلياً الجلعادي.

ليأت إلينا سريعاً،

ومعه المسيا".

¹ Joan Comay: *Who's Who -The Old Testament*, N.Y 1993, p. 93; *Jewish Encyclopedia*, vol. 5, p.128.

وجاء في الحجادة Haggadah أن إيلياً كان كاهناً^١، وقد أخذ بهذا كثير من آباء الكنيسة مثل القديس أفرهاث^٢ والقديس أبيفانيوس أسقف سيراميس^٣ والعلامة أوريجينوس^٤. رأى بعض المفسرين اليهود أن إيلياً كان ملاكاً في شكل بشري، لذا ليس له والدان ولا أنجب نسلاً^٥.

في الطقس الألماني البولندي لليهود تُقدم تسبحة فحواها القصة التالية: ظهر إيلياً النبي كخادم لرجل تقي فقير جداً، هذا الذي لم يحتفظ به كثيرًا. فقد طلب الملك بناءً ماهراً، فتقدم إيلياً للعمل ونال الفقير مبلغًا كبيرًا من المال، وقام إيلياً ببناء قصر الملك فجأة ثم اختفى^٦.

إيلياً كسابق لمجيء الرب يصنع سبع معجزات أمام الشعب، منها^٧:

١. يقدم لهم موسى والجيل الذي عبر البرية.
٢. يسبب قيام قورح وجماعته من الأرض.
٣. يظهر لهم أدوات المذبح المقدسة المفقودة: تابوت العهد، قسط المن، إناء الزيت المقدس.
٤. يظهر القضيب الذي تسلّمه من الله.
٥. يحطم الجبال كالقش.

شخصيته

يُشبه إيلياً ببريق نور يضيء فجأة على تاريخ مظلم ليعلن الحق الإلهي. إنّه شاهد حق وسط الباطل! أشبه بشرارة نار متقدة ألقاها الله فجأة لتلهب النفوس الباردة، وتقف أمام أخاب الشرير، وامراته إيزابل المتعجرفة، والشعب المنذفع نحو الوثنية. أحداث حياته غالبًا ما تحمل عنصر المفاجأة ممّا دفع بعض معلّمي اليهود إلى الظنّ أن إيلياً كان ملاكًا يظهر فجأة في شكل بشري ثم يختفي، ودُعي في الحجادة Haggadah "طائر السماء"^٨، فهو كالطائر يطير في العالم لتحقيق رسائل سماوية^٩.

¹ The Jewish Encyclopedia, vol. 5, p.122.

² Homilies, ed. Wright, p.122.

³ Adv.Haer. 55:3, passim.

⁴ PG.14:225.

⁵ Jewish Ency., vol. 5, p.127.

⁶ Jewish Ency., p. 124.

⁷ Jellinek, l.c.72.

⁸ Ps. 8:9 Hebr.

⁹ M id. Teh. ad loc., See also Ber. 4B. Targ. on Eccles.10:20.

- ❖ ظهر في التاريخ فجأة، ولا نعرف أسرته.
 - ❖ سعد في المركبة النارية فجأة.
 - ❖ وظهر مع السيّد المسيح فجأة في تجليّه.
 - ❖ كانت تحرّكاته جميعها تحمل ذات العنصر، مثل:
- لقاءه مع أخاب الملك لإيقاف المطر بعد ١/٢ سنة (١ مل ١٧ : ١ ؛ ١٨ : ١).
 - لقاءه مع أرملة صيرفة صيدا (١ مل ١٧ : ١٠).
 - لقاءه مع ملاك يطعمه (١ مل ١٩ : ٥).
 - لقاءه مع الله خلال الصوت المنخفض الخفيف (١ مل ١٩ : ١٢).
 - لقاءه مع أليشع، واختياره تلميذاً له (١ مل ١٩ : ١٩).
 - لقاءه مع أخاب بعد أن أبقى حياة بنهدد (١ مل ٢٠ : ٣٩).
 - لقاءه مع أخاب بعد قتله نابوت اليزرعيلي (١ مل ٢١ : ١٨).
 - لقاءه مع رُسل أخزيا بن أخاب الذين كانوا ذاهبين إلى بعل زوب إلى عقرن يسألون إن كان ييراً ملكهم من المرض. وكان قول الرب على لسان إيليا: "السرير الذي صعّدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت" (٢ مل ١ : ٤).
- يعتقد بعض اليهود أنّه كثيراً ما يتراى إيلياً النبي للناس عن طريق الأحلام وفي اليقظة، يتعرّف عليه الأبرار، وتشعر به حتى الحيوانات العجموات، وتعبّر الكلاب عن فرحها به بنباح مفرح^١.
- وُجدت قصص يهودية كثيرة يظهر منها إيلياً كملك حارس يسند الأتقياء بكل وسيلة وينفذهم من المصاعب، يصنع سلاماً وأيضاً يعلم (علم لعازر بن سيمون لمدة ١٣ سنة)^٢.
- كان إيلياً رجل صلاة. كان إنساناً مثلنا (يع ٥ : ١٧)، لكنّه كبار صلّاته تُقنّدر كثيراً في فعلها. كان إيلياً رجل الله المرفوض من وطنه، ترحبّ به أرملة في صيرفة صيدا (لو ٤ : ٢٥).

رسالته

١. مقاومة الارتداد ورفض العبادة الوثنية.
- إلهه صاحب سلطان على السماء (المطر - إرسال نار).

¹ Jewish Encyc., p.123.

² Ibid 124.

- على الطيور (الغريان لا تخطف طعامًا بل تعول النبي).
- على الحياة (إعلان سفك دم إيزابل، وموت أخزيا).
- على الخليقة الجامدة (مباركة كوز الزيت وكيل الدقيق).

• فشل الآلهة الوثنية، آلهة الخصوبة في العمل:

- لم تمنع الجفاف الذي حلَّ بكلمة إيليا.
- لم تحم كهنة البعل.
- لم تستطع أن تُرسل نارًا لتلتهم الذبيحة.
- ٢. مقاومة الظلم والعنف (معاينة إيزابل التي قتلت وورثت).

سماته^١

١. بلغ قمة النصر على جبل الكرمل، حيث شهدت السماء للحق، وقُتل كهنة البعل. وبلغ قمة اليأس في بئر سبع، حيث انتهى الموت.

٢. أعطى سلطانًا على السماء:

- ❖ يغلقها فلا تمطر ثلاث سنوات ونصف.
- ❖ وأن تنزل نارًا من السماء لتلتهم قائدَي خمسين وجنودهما (٢ مل ١).
- ❖ وأن تنزل نارًا من السماء تلتهم الذبيحة أمام أنبياء البعل.
- ❖ أعطى سلطانًا على المياه، حيث شقَّ الأردن بردائه (٢ مل ٢: ٨).
- ❖ وأن يقيم ابن أرملة صيرفة صيدا (١ مل ١٧).

٣. يرى البعض أنه كان نبي الرعد في أيامه، يقف أمام ملكٍ شريرٍ وشعبٍ وثني. نبي الدينونة (يرمز للعهد القديم)، بينما كان تلميذه أليشع نبي النعمة والحب والحنو. وكأنه بالرعد هيأ إيليا الطريق للنعمة.

٤. يعرف كيف يلتقي مع الله وخليقته:

- ❖ يلتقي مع الله خلال الصوت المنخفض الخفيف (١ مل ١٩)... لقاء الحب الهادئ.
- ❖ يلتقي مع ملاك سماوي يسنده إذ يقدم له طعامًا وشرابًا.

¹ Cf. Unger's Bible Dict., 1966, p.305.

❖ يلتقي مع الغريان يوميًا، وتقدّم له لحمًا وخبزًا.

❖ يلتقي مع الملك الشرير ليشهد للحق بلا خوف!

❖ يلتقي مع أرملة تعوله وتأويها!

٥. إيمانه بالله لا يعرف الحدود، يسأل من القدير في يقين مع إدراك عجيب لسلطان الله العامل خلال رجاله. لا تستطيع المخاطر ولا الأحداث أو الأشخاص أن تهزّ إيمانه وثقته بالله.

٦. غيرته من جهة الله والعبادة والقداسة هي الدافع الحقيقي وراء كل تصرفاته، وهي عصب حياته كلها. بحق كان يكرّر: "غرثُ غيرة رب الجنود".

٧. شجاعته فريدة لن تخور ليقف وحده وهو أعزل أمام الملك الشرير بكل إمكانيّاته.

٨. طاعته بسيطة يتمم الوصيّة والإرادة الإلهيّة دون تساؤلات، يتعامل معه كطفل مع أبيه.

٩. رقيق جدًّا في مشاعره، مملوء حنوًّا يتعاطف مع الأرملة التي فقدت وحيدها ويئنّ مع أناته شعبه.

١٠. مقدّس للرب، يكره الخطيّة ويقاومها، مهما كلفه الأمر.

بطبيعته يسند الآخرين وينقذهم، يظهر فجأة ليعمل ويصنع معجزات ثم يختفي. رجل عمل لحساب الرب وشعبه!

إيليا رجل البريّة

عاش إيليا في البريّة، ناسكًا في ملبسه كما في طعامه، كان لباسه ثوبًا من الشعر (مسوحًا) ومنطقة من جلد (٢ مل ١: ٨). لا يجد العالم له موضعًا في قلبه! تعلّم في البريّة الحرب الروحيّة، فتخرّج فيها جنديًا صالحًا في المعركة الإلهيّة ضدّ الوثنيّة والظلم. وتعلّم فيها حياة الصوم (صام أربعين يومًا وأربعين ليلة) حيث سافر إلى جبل حوريب (جبل سيناء).

❖ انظر إلى إيليا التشبّي كمنال، إذ نجد فيه مثلاً رائعًا للزهد. فإنّه إذ جلس تحت الشوك وأحضر له الملاك طعامًا كان كعكة من الشعير وكوز ماء. هكذا أرسل الله ما هو أفضل له. لهذا يليق بنا في رحلتنا إلى الحق أن نكون خفيفين. يقول الرب: "لا تحملوا مزودًا ولا كيسًا ولا أحذية" (لو ٤: ١٠)، بمعنى لا تمتلكوا غنى يُخزّن في مزود. لا تملأوا مخازنكم كما في كيس، بل التقوا بالمحتاجين. لا تتركوا أنفسكم بالخيل والخدم الذين يسبّبون تقيلاً عندما يسافر الأغنياء، هؤلاء

الذين بطريقة رمزية يدعوهم أحمية.

يليق بنا أن نزيل كثرة الأواني والكؤوس الفضية والذهبية وجمهرة الخدم، متقبّلين من المعلم الاعتماد على النفس والبساطة، كمساعدين لنا عادلين وجادّين. لنسر إلى الكلمة كما يليق^١...

القديس إكليمنضس الإسكندري

❖ ليس هكذا نفوس الذين صاروا عبيداً للثروة، فإن هؤلاء هم تحت ربوات المعلمين والمسخرين لهم، فلا يتجاسرون أن يرفعوا أعينهم وينطقوا بجسارة لحساب الفضيلة. لأن حب الغنى والمجد وغير ذلك يربعهم ويجعلهم مدهنين في مذلة. ليس شيء ينزع الحرية مثل الارتباك بالأمور العالمية والقلق... فمثل هذا ليس له سيّد واحد ولا اثنان أو ثلاثة بل ربوات السادة^٢.

القديس يوحنا الذهبي الفم

عاش بتولاً، كرّس كل طاقاته للشهادة لله.

❖ آية غباوة أن نضم إيلياً وأليشع إلى قائمة المتزوجين، هذا واضح دون أن أنطق بكلمة من عندي. فإنّه حيث جاء يوحنا المعمدان بروح إيلياً وقوّته، وكان يوحنا بتولاً، واضح أنّه جاء ليس فقط بروح إيلياً بل وأيضاً بعفته الجسدية^٣.

القديس جيروم

إيلياً رمز للسيد المسيح

❖ يرمز إيلياً الطوباوي إلى ربنا ومخلصنا. كما اضْطهد إيلياً بواسطة اليهود هكذا ربنا، إيلياً الحقيقي الذي دانه اليهود واحتقروه.

ترك إيلياً شعبه، وهجر المسيح المجمع.

رحل إيلياً إلى البرية، وجاء المسيح إلى العالم.

أطعم إيلياً في الصحراء بواسطة الغربان، بينما انتعش المسيح في صحراء هذا العالم بإيمان الأمم.

حقاً اهتمت تلك الغربان بالطوباوي إيلياً كأمر الرب رمزاً للأمم. لهذا قيل عن كنيسة الأمم: "أنا سوداء جميلة يا بنات أورشليم" (نش ١: ٤). لماذا الكنيسة سوداء جميلة؟ لماذا سوداء؟ بالطبيعة:

¹ St. Clement of Alexandria: Paedagogus 3:7.

² St. John Chrysostom: Hom. On St. Matthew, hom. 58:6.

³ St. Jerome: Against Jovinianus, book 1:25.

"بالآثام حبل بي وفي الخطيئة ولدتني أمي" (مز ٥٠: ٧). لماذا جميلة؟ بالنعمة. "اغسلني بزؤفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز ٥٠: ٩). يقول الرسول: "أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسجنني في ناموس الخطيئة" (راجع رو ٧: ٢٣). لماذا جميلة؟! من ينقذني من جسد هذا الموت؟ نعمة الله ببسوع المسيح ربنا" (راجع رو ٧: ٢٤). حقاً إن كنيسة الأمم تشبه غراباً حين احتقرت الرب الحيّ وقبلما تتسلّم النعمة خدمت الأوثان كأجساد ميّته^١.

❖ كما قام ربنا وصعد إلى السموات بعد ممارسته قوّة عظيمة واحتمل آلامه، هكذا أخذ إيلياً إلى السماء في مركبة نارية بعد معجزات كثيرة صنعها الله خلاله^٢.

❖ إيلياً صلّى أن يسقط مطر على الأرض، وصلّى المسيح أن تحلّ النعمة الإلهية على قلوب البشر. عندما أمر إيلياً غلامه: "اذهب وانظر سبع مرّات" (راجع مل ٢٢: ٤٣) عنى نعمة الروح القدس السباعية التي أعطيت للكنيسة.

عندما أعلن أنّه رأى سحابة صغيرة صاعدة من البحر، كان ذلك إشارة إلى جسد المسيح الذي وُلد في بحر هذا العالم. لئلاً يشك أحد قال إن السحابة لها قدّم إنسان، بالتأكيد ذاك الإنسان القائل: "من يقول الناس إنّي أنا ابن الإنسان؟! (مت ١٦: ١٣).

بعد ثلاث سنوات وستّة أشهر نزل المطر من السماء عند صلاة إيلياً، وذلك لأن مجيء ربنا ومخلصنا أزوّى مطر كلمة الله كل العالم خلال الثلاث سنوات وستّة أشهر التي عُيّنَت لكرازته. كما أنّه عند مجيء إيلياً قُتل كل كهنة الأوثان وهلكوا، هكذا عند مجيء إيلياً الحقيقي، ربنا يسوع المسيح، هلكت كل الممارسات الشريرة للوثنيين^٣.

القديس أغسطينوس

موسى وإيلياً

كثيراً ما ترتبط شخصيتا موسى وإيلياً معاً، خاصة بظهورهما دون سواهما من رجال العهد القديم عند تجلّي السيّد المسيح، وتمنّعهما دون سواهما من الأنبياء بالصوم لمدة أربعين يوماً.

¹ Fr. Caesarius of Arles: Sermon 124:1.

² Fr. Caesarius: Sermon 124:6.

³ Fr. Caesarius: Sermon 124:5.

إيليا	موسى النبي
<p>تحقق معه نفس الأمر (١ مل ٩ : ٨-١١). نزل نار الرب على الذبيحة (١٨ : ٣٨). أرسل له غريبان تطعمه (١٧ : ٨-١٦). فعل نفس الأمر (١٨ : ٣٧-٣٩). خلفه أليشع "الله خلاص". صعد بطريقة سرية (٢ مل ٢ : ١١-١٢). عند الأردن سلم القيادة لأليشع (٢ مل ٢ : ١٣-١٤). تمتع بنفس الأمر (مت ١٧ : ٣).</p>	<p>التقى مع الله في حوريب (خر ٣ : ١-٦). أعلن الله ذاته خلال النار (خر ٣ : ٢١). أطعمه المن من السماء (خر ١٦). أكد أن الرب هو الله (تث ٦ : ٤). خلفه يشوع "يهوه مخلص". جاء موته سراً (تث ٣٤). عند الأردن سلم القيادة ليشوع. ظهر مع السيد المسيح في التجلي (مت ١٧ : ٣).</p>

الأصحاح الثامن عشر

نار من السماء!

في الأصحاح السابق التزم إيليا بالهروب والعمل الخفي. عند نهر كريث عالته الغريان، وعند صِرْفَة صيدا عاش في العليّة ولم يسمع أحد عن وجوده ولا عن بركة الزيت والدقيق ولا عن إقامة ابن الأرملة. الآن حلّ الموعد ليشهد الله بنارٍ سماويةٍ علانيةٍ، فصدر له الأمر الإلهي أن يتراءى لأخآب الملك.

١. دعوة إلهية للظهور أمام أخآب ١-٢.
٢. لقاء إيليا مع عوبديا ٣-١٦.
٣. لقاء إيليا مع أخآب ١٧-١٨.
٤. لقاء إيليا مع الشعب ١٩-٢٤.
٥. لقاء إيليا مع كهنة البعل ٢٥-٢٦.
٦. لقاء مع الله الناري ٢٧-٣٨.
٧. قتل كهنة البعل ٣٩-٤٠.
٨. طلبه إيليا الخاصة بالمطر ٤١-٤٦.

١. دعوة إلهية للظهور أمام أخآب

أعطى الله أخآب فرصة للرجوع بحلول الجفاف لمدة ثلاث سنوات ونصف، ومع هذا لم يرجع إلى نفسه ولا فكر في التوبة، بل ازداد عنفاً وأتهم إيليا أنه مُكذّر إسرائيل. لم يكن أمام هذا القلب الحجري المتصلّف إلاّ المواجهة بحكم إلهي صارم، حيث يعلن الله حضرته أمام كل الشعب بنارٍ تلتهم الذبيحة، فيرجع الشعب إلى الله، ويُقتل كهنة البعل، كظلّ للهلاك الأبدى الذي يحلّ بالنفوس المرتدة عن الإيمان والمتصلّفة. لهذا أمر الرب إيليا النبي أن يتراءى أمام أخآب.

"وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا في السنة الثالثة قائلاً:

اذهب وتراء لأخآب،

فأعطي مطراً على وجه الأرض" [١].

"في السنة الثالثة": لا تعني منذ بدء انقطاع المطر، وإنما منذ لقائه مع أرملة صِرْفَة صيدا. وقد

جاء في (لو ٤: ٢٥؛ يع ٥: ١٧) أن المطر قد انقطع في أيام إيليا لمدة ثلاث سنوات ونصف. هذا معناه أن قضى سنتين في بيت الأرملة، وتراءى لأخاب في بدء السنة الثالثة. قضى إيليا النبي سنة عند نهر كريث وستين ونصف في صرّفة صيدا.

جاءت الدعوى بالظهور لكي يقدم الله لأخاب فرصة أخرى للتوبة ليس خلال الكلمات بل خلال التأديب المرّ، بهياج الشعب ضدّ عبادة البعل وقتل كهنة البعل، مع تقديم لمسة رجاء قويّة حيث يعطي الرب مطرًا على وجه الأرض.

"فذهب إيليا ليراعى لأخاب،

وكان الجوع شديدًا في السامرة" [٢].

إذ صدر لإيليا النبي الأمر ترك الموقع في الحال وذهب ليلتقي بأخاب، دون أن يناقش الله ليطمئن على سلامته من هذا الملك المرتدّ وزوجته سافكة دماء الأنبياء. ذهب فشاهد النبي بعينيه مدى المجاعة التي حلّت بإسرائيل، حيث لم ينزل مطر طوال الثلاث سنوات ونصف التي غاب فيها عن الشعب.

٢. لقاء إيليا مع عوبديا

"فدعا أخاب عوبديا الذي على البيت،

وكان عوبديا يخشى الرب جدًّا" [٣].

لاحظ إيليا ما حلّ بالشعب من مجاعة ماديّة بسبب الجفاف [٢] وهي تكشف عن مجاعة أخطر لحقت بقلوبهم ونفوسهم حيث تركوا عبادة الله وعبدوا البعل، أمّا خلال إغراء الخطيّة والرجاسات أو بخداعهم بأنّه إله المطر والخصوبة، أو خشية قتلهم مع أنبياء الله.

بينما كان الشعب في جوعٍ شديدٍ، غالبًا ما استورد الملك الغلال من مصر له وللقصر الملكي، فصار ما يشغله لا حياة شعبه بل حياة حيواناته من خيلٍ وبغالٍ. طلب من المسئول عنها عوبديا أن يشترك معه في البحث عن ماء في عيون الماء أو الأوديّة. كانت حيواناته في عينيه أهم من شعبه، يطلب ما لذّاته لا ما لاخوته المسئول عنهم.

هذا عن موقف الملك، أمّا الملكة فكان كل ما يشغلها حتى في فترة المجاعة أن تبيد أنبياء الرب

[١٣].

أما الكهنة واللاويون فهربوا (٢ أي ١١: ١٣-١٤) إلى يهوذا ليخدموا الهيكل هناك. ورثما انحرف البعض فأغوتهم إيزابل أن يخدموا البعل وينالوا أجره عظيمة.

أما أنبياء الرب فغالبًا ما كانوا يشهدون للحق على المستوى الفردي أو بين العائلات، يطلبون الرجوع إلى الله. لم يكن يوجد لهم موضع لاجتماعات عامة ولا لتقديم ذبائح، وإنما كانوا يكتفون بالعمل الخفي. شعرت بهم الملكة فسأطت سيفها عليهم لتقتلهم [١٣].

وسط هذا الجو الكئيب: طبيعة غاضبة، ملك أناني، ملكة شريرة عابدة أوثان وسافكة دماء الأنبياء، وشعب مرتدّ، وكهنة ولأويون هاريون، وأنبياء لا حول لهم ولا قوّة للعمل العلني، وُجدت قلّة قليلة جدًا حتى في القصر الملكي أمينة للرب. من بين هذه القلّة وُجد عوبديا الذي اخفي مائة نبي للرب وكان يعولهم بخبز وماء [١٣]. كان عوبديا وكيلاً للملك على بيته [٣] يخاف الرب.

لا نعجب من أن يقيم أخاب الشرير هذا التقى وكيلاً له، يثق فيه ويأتمنه على قصره ومملكته. ففي كل جيل يوجد أناس أمناء خائفو الرب يستخدمهم الله حتى في وسط الجو الحالك الظلمة. لم يجد بعض ملوك بابل من يقيمونه وكيلاً على كل الإمبراطورية مثل دانيال المسبي، ولا وجد فرعون من يأتمنه على قصره مثل يوسف، ولا أخاب وجد من هو مثل عوبديا.

بلا شك كانت نفس عوبديا تنمرّر كل يوم وهو يرى ما تفعله إيزابيل بأنبياء الرب، وما تخطّطه لجذب كل الشعب نحو العبادة الوثنيّة. لم ينسحب عوبديا من القصر، ولا هرب من مركزه كوكيل على القصر الملكي، لكنّه بقي فيه مؤمناً بأن له رسالة إلهيّة يلتزم بها.

لم يطلب الرب ممّن أن ننسحب من العالم الشرير. ففي صلاته الوداعيّة يتحدّث السيّد المسيح مع أبيه قائلاً: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" (يو ١٥ : ١٧).

❖ لا تزال توجد ضرورة أن يكونوا في العالم وإن كانوا لم يعودوا بعد منتيمين إليه. فإنّه يكرّر العبارة قائلاً: "لأنّهم ليسوا من العالم، كما إنّني أنا لست من العالم" (يو ١٧ : ١٤).¹

القديس أغسطينوس

لم يتحدّث عوبديا مع الملك والملكة عن مخافة الرب، لكنّه تحدّث معهم بأمانته وسلوكه الروحي الحيّ. لم يغيّر قلب الملك ولا فكر الملكة، لكنّه قام برسالة هامة بحفظه وإعالتة مائة نبي للرب، وأن يكون وسيطاً للقاء إيلياً مع الملك.

اسم "عوبديا" معناه "عبد يهوه" أو "عبد الرب" وبالعربيّة "عبد الله". لم يغيّر الملك اسمه لكي ينسبه للبعل عوض انتسابه ليهوه، كما غيّر ملك بابل أسماء دانيال وزملائه الثلاثة فتية. يبدو أن أخاب وهو خاضع لمشورة زوجته ويسلك في طريقها كان يشعر في داخله بالخطأ، فلم يلزم وكيله أن يشاركه في

¹ On the Gospel of St. John, tractate 108:1.

عبادة البعل، ولم يتحدّث مع إيزابيل في هذا الأمر حتى لا يعرّض وكيله للقتل. ولعلَّ الملك شعر بحاجته إلى مشيرٍ أمينٍ يسنده، إذ لم يكن مستريحاً تماماً لتصرّفات زوجته المتسلّطة عليه وعلى المملكة.

"وكان حينما قطعت إيزابيل أنبياء الرب أن عوبديا أخذ مائة نبي،
وخبأهم خمسين رجلاً في مغارة، وعالهم بخبز وماء" [٤].

لماذا قطعت إيزابيل أنبياء الرب وقتلتهم؟

أولاً: لأنّها أرادت أن تسدّ كل فم ينطق بالحق الإلهي.

ثانياً: شعرت بعجز آلهتها عن إرسال مطر للأرض، بينما حمل إيلياً نبيّ الرب سلطاناً على المطر، فأرادت أن تغطّي هذا الضعف بالسلطان والعنف، تقتل الأنبياء كصاحبة سلطان.
ثالثاً: أرادت التشهير بهم بأنهم هم سبب الجفاف، فيلزم قتلهم حتى ترضي الآلهة على الأرض وتنزل المطر.

وأخيراً فلت إيلياً من يدها فانتمت منه في هؤلاء الأنبياء.

غالباً ما كان هؤلاء الأنبياء يتنلمذون في مدرسة الأنبياء، هؤلاء دُفِنوا أحياء في مغارتين، لا يستطيعون الحديث مع أحد عن الله، فاستبقاهم الرب في المغارتين يصلُّون عن الشعب. ربّما لم يجد كثير من الشعب خبزاً يأكلونه وماءً يشربونه بسبب المجاعة، لكن الله عال خائفه هؤلاء خلال وكيل الملك نفسه عوبديا. وكما يقول المرثّل: "ما أعظم جودك الذي نخرته لخائفك وفعلته للمتكلّين عليك تجاه بني البشر" (مز ٣١: ١٩)؛ "هوذا عين الرب على خائفه الراجين رحمته" (مز ٣٣: ١٨)؛ "أعطى خائفه طعاماً يذكر إلى الأبد عهده (مز ١١١: ٥).

❖ بماذا ينتفع الخائفون؟ إلا أن الرب الحنون والرحيم يعطي "خائفه طعاماً"؟ يعطيهم طعاماً لا يفسد "الخبز النازل من السماء" (يو ٦: ٢٧، ٥١)، الذي أعطاه ليس من أجل استحقاقنا. فإن المسيح مات لأجل الفجّار (رو ٥: ٦). أنّه لا يعطي أحد طعاماً كهذا إلاّ الرب الحنّان والرحوم.^١

القديس أغسطينوس

"وقال أخاب لعوبديا:

اذهب في الأرض، إلى جميع عيون الماء وإلى جميع الأودية،

^١ On Ps. III.

لعلنا نجد عشبًا،

فنجحي الخيل والبغال، ولا نعدم البهائم كلها.

فقسما بينهما الأرض ليعبرا بها،

فذهب أخاب في طريق واحد وحده،

وذهب عوبديا في طريق آخر وحده.

وفيما كان عوبديا في الطريق إذا بإيليا قد لقيه فعرفه وخرَّ على وجهه،

وقال: أنت هو سيدي إيليا؟.

فقال له: أنا هو. اذهب وقل لسيديك هوذا إيليا" [٥-٨].

لم يحدث هذه اللقاء مصادفة بل بتدبير إلهي. الله الذي أمر إيليا أن يذهب ويتراءى لأخاب، هو الذي بعث بعوبديا إلى إيليا ليتلقى معه. وقد كشف عن عينيه فعرفه وخرَّ على وجهه أمامه. عوبديا الذي أظهر أبوة حانية لأنبياء الرب واهتم بهم، الآن بروح البنوة الخاضعة يخرَّ في تواضع أمام أبيه الروحي إيليا النبي.

دعا عوبديا "سيدي إيليا" لكن إيليا لا يطلب ألقابًا وكرامة. قال له: "قل لسيديك هوذا إيليا" [٨]. وكأنه يقول له: "لست اشتهي كرامة العالم فأحسب سيديًا، لكن يوجد من يطلب هذه الكرامة "سيديك الملك".

"فقال: ما هي خطيبي حتى أنك تدفع عبدك ليد أخاب ليميتني؟" [٩]

أراد عوبديا إعفاه من هذه المهمة، فإنها تكلفه حياته كلها [١٢]، خاصة وأنه يعلم بأن روح الرب كان يخطف إيليا لينقله من موضع إلى آخر. كان عوبديا يدرك أن قلب الملك لم يتغيَّر وأنه غير مستعد للعودة لله الحي، لهذا حسب أنه غير أهلٍ للقاء مع إيليا النبي، وأن روح الرب يحمل الأخير لكي لا يلتقي مع هذا الملك الشرير، فينقله إلى دولة أخرى بعيدة. ظنَّ عوبديا أن الملك سيقته لأنه لم يلق القبض على إيليا ويحضره إليه، خاصة وأنه يعلم مدى الجهود التي بذلها حتى مع الملوك المجاورين ليلتقي به.

"حي هو الرب إلهك،

إنه لا توجد أمة ولا مملكة لم يرسل سيدي إليها ليفتس عليك،

وكانوا يقولون أنه لا يوجد،

وكان يستحلف المملكة والأمة أنهم لم يجدوك" [١٠].

كان أخاب جادًا في البحث عن إيليا النبي ليس فقط داخل المملكة بل وفي الممالك المجاورة. كان يسأل الملوك ويستحلفهم أنهم لم يجدوه. كان كمن له سلطان على الأمم المجاورة. كان يطلبه لا ليقدّم توبة ويرجع إلى الرب، وإنما ليضغط عليه حتى يسأل عن المطر فينزل وينتهي الجفاف.

"والآن أنت تقول اذهب قل لسيدك هوذا إيليا.

ويكون إذا انطلقت من عندك أن روح الرب يحملك إلى حيث لا اعلم،

فإذا أتيت وأخبرت أخاب ولم يجدك فإنه يقتلني،

وأنا عبدك أخشى الرب منذ صباي.

ألم يخبر سيدي بما فعلت حين قتلت إيزابيل أنبياء الرب،

إذ خبأت من أنبياء الرب مائة رجل خمسين خمسين رجلاً في مغارة،

وعلتهم بخبز وماء؟.

وأنت الآن تقول اذهب قل لسيدك هوذا إيليا، فيقتلني.

فقال إيليا: حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه إتّي اليوم أترعى له.

فذهب عوبديا للقاء أخاب وأخبره،

فسار أخاب للقاء إيليا" [١١-١٦].

أرسل أخاب عوبديا لبيحث له عن ماء، والآن قد عاد إليه ليخبره بأنه قد وجد إيليا، الذي بصلاته

يحمل مفاتيح السماء فيحجب المطر أو ينزله.

جاهد أخاب كثيرًا ليجد إيليا، والآن دون أن يطلبه وجده فذهب إليه وهو في حاجة شديدة إليه.

٣. لقاء إيليا مع أخاب

"ولما رأى أخاب إيليا قال له أخاب:

أأنت هو مكدر إسرائيل؟.

فقال: لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك،

بترككم وصايا الرب، وبسيرك وراء البعليم" [١٧-١٨].

لم يمد أخاب يده على النبي ربما خشي لئلا يحدث له ما حدث مع يريعام عندما مدّ يده على

النبي فيبيست. اتهمه بأنه مكدر إسرائيل. وبقوة وشجاعة ردّ إيليا النبي الاتهام الموجّه إليه إلى الملك

وبيت أبيه [١٨]. أنه ليس كعاخان مكدر إسرائيل (يش ٧: ٢٤)، بل أخاب وبيت أبيه هم عاخان

الجديد.

حينما أعلن يشوع عن عاخان أنه مكدر إسرائيل "رجمه جميع إسرائيل بالحجارة واحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة" (يش ٧ : ٢٥). كان أخاب يود أن يعلن ذلك لكي يكون مصيره من الشعب كمصير عاخان.

❖ حقًا الصديق جريء كالأسد (أم ٢٨ : ١)، إذ وقف أمام الملك كما يقف الأسد أمام كلب دنس يدمي. مع أن الواحد كان يرتدي الأرجوان، كان الآخر يرتدي ثوبًا من جلد الغنم، أي الثوبين كان أكثر كرامة؟ فقد جلب الأرجوان مجاعة خطيرة، أما الثوب الجلدي فوهب عُنقًا من هذه الكارثة. أنه شق الأردن! جعل لأليشع روحين من إيليا.

يا لعظم فضائل القديسين! ليس فقط كلماتهم، بل وثيابهم تبدو دائمًا مكرمة من كل الخليقة.

الثوب الجلدي لهذا الرجل شقَّ الأردن!

أحذية الثلاثة فتية وطأت على النار!

كلمة أليشع غيرت المياه، فجعلتها تحمل الحديد على سطحها!

عصا موسى شقت البحر الأحمر، وأخرجت نبعًا من الصخرة.

ثياب بولس أبرأت الأمراض!

وظلَّ بطرس طرد الموت!

رفات الشهداء القديسين تطرد الشياطين. لذلك يمارسون كل شيء بسُلطان كما فعل إيليا. إذ لم ينظر التاج ولا إلى أبهة الملك الخارجية، بل نظر النفس تلتحف بخرق دنسة وقدرة في حالة أبأس من مرتكب الجريمة. رآه أسيرًا لشهواته وعبداً لها، فاحتقر سلطانه. يبدو أنه رأى ملكًا في مسرحية وليس ملكًا حقيقيًا. وما نفع الغنى الخارجي حين يكون الفقر الداخلي عظيمًا؟ وماذا يمكن للفقر الخارجي أن يضر إن كان كنز الغنى في الداخل؟ كان الطوباوي بولس أسدًا حين دخل السجن، وإذ رفع صوته اهتزت الأساسات¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤. لقاء إيليا مع الشعب

'فالآن أرسل واجمع إليّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المائة والخمسين،

¹ St. John Chrysostom: Concerning the Statues, hom. 8:3.

وأنبياء السواري أربع المائة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل" [١٩].

الكرمل: هو سلسلة من القمم المسطحة على جبل، بعضها يبلغ ارتفاعها ١٨٠٠ قدمًا عن سطح البحر. يمتد إلى ١٣ ميلاً وينتهي غربه بالبحر الأبيض المتوسط في انحدارٍ شديدٍ، بجوار حيفا *Haifa*. وكان بالجبل مذبح للرب قديمٍ و[٣٠]، ربّما يرجع إلى عصر البطارقة. في أقصى شمال غرب الجبل يوجد دير للكرمليت باسم إيليا النبي.

اختر إيليا النبي هذا الموضع لأن الكنعانيين كانوا يعتقدون بأن جبل الكرمل هو مسكن الآلهة. كأنه أراد أن يقيم المعركة بين الله والآلهة الوثنية في معقل دارهم. من جانب آخر يمكن للملكة المتعجرفة أن تشاهد المعركة وهي في قصرها في يزرعيل.

من على جبل الكرمل يمكن لمن لا يقدر على الصعود إليه أن يرى النار النازلة من السماء من بعيد، ويرى الكل السحابة القادمة من البحر، فلا يمكن لأحد أن يضلّ الشعب بإخفائه حقيقة المعركة.

يوجد على أعلى قممه خرائب "المحرقة" في الجنوب الشرقي من الكرمل وهو موضع حجري يبلغ ارتفاعه ١٦٣٥ قدمًا عن سطح البحر وبه توجد أشجار، ومسطحة منسّع لا نجد أفضل منه ليجمع الآلاف من الشعب لرؤية ما حدث ومتابعته.

كان الملك يعبد البعل (الإله الذكر) ويخدم معه أربعمائة وخمسون نبي، وكانت الملكة تعبد العشتاروت وتقيم لها سواري ويخدم معهما أربعمائة نبي. كان الأربعمائة وخمسون هم الأنبياء والكهنة الملازمون للقصر الملكي وليس كل أنبياء البعل في إسرائيل.

دُعِيَ كهنة البعل أنبياء، لأهم كانوا يدعون القدرة على التنبؤ ومعرفة المستقبل.

"فأرسل أخاب إلى جميع بني إسرائيل وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل" [٢٠].

يقصد بكل إسرائيل رؤساء الأسباط والعشائر وقادة الشعب.

لماذا وافق الملك على طلب إيليا بدون تردد؟

أولاً: كانت الضرورة ملحة، حيث بلغت المجاعة أشدها. ومن جانب آخر لم يتوقّع الملك ما قد حدث، إنّما ظنّ أنّه سيقوم إيليا بمباركة الأرض والصلاة مع إصدار الأمر بنزول المطر أمام الشعب وكهنة البعل كنوع من إظهار القوّة والسلطان.

"فتقدّم إيليا إلى جميع الشعب وقال:

حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟

إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه.

فلم يجبه الشعب بكلمة" [٢١].

كان الشعب يريد أن يعبد الاثنتين معاً: الله والبعل. فقد تلامسوا مع الله في قوّته وحُبّه وسمعوا ما صنعه مع آبائهم، ووجدوا في البعل ملذّات ورجاسات. ظنّوا أنّهم قادرون أن يمزجوا بين العبادتين، وأن يقسّموا القلب بين الإلهين.

كان الشعب يعتقد بأن للبعل سلطان على الأمطار والنار، لذا أراد إيلياً النبي تقديم علاقة ملموسة عن الحق خلال النار والماء.

جاءت الترجمة الحرفيّة: "إلى متى تثبون بين غصنين؟ وهو مثل رمزي حيث يشبهون الطائر الذي يثب من فرع شجرة إلى آخر، ولا يعرف أين يستقر.

لا يقبل الله إلا أن يستلم القلب كلّهُ: "قد قسّموا قلوبهم، الآن يعاقبون. هو يحطّم مذابحهم، يخرب أنصابهم" (هو ١٠: ٢٠)، لذا يقول يسوع بن نون: "فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون، إن كان الآلهة الذين عبدهم آبائكم الذين في عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم. وأمّا أنا وبيتي فنعبد الرب" (يش ٢٤: ١٥).

إن كان الله لا يقبل أقل من القلب كلّهُ، فمن جانبه يشتهي الله أن يعطينا ذاته، فنتمنّع بواهب العطايا نفسه، الذي فيه تتحقّق كفايتنا، وبدونه لن تشبع أعماقنا.

❖ لا تجد شيئاً يقدّمه لك أفضل من ذاته، لكن إن كنت تجد ما هو أفضل منه أطلبه بكل وسيلة^١.

❖ هل لا يوجد لدى الله مكافأة؟ لا توجد إلاّ عطية ذاته^٢!

❖ اجعلنا سعداء يا إلهي في انشغالنا بك، فلا نفقدك^٣.

القديس أغسطينوس

استخدم مجمع قرطاجنة السابع تحت رئاسة الشهيد كبريانوس هذه العبارة عند معالجته موضوع معموديّة الهرطقة. قال *Pelagianus of Luperciana*: مكتوب: "إمّا الرب هو الله أو البعل هو الله". هكذا في القضية المعروضة الآن أيضاً أمّا الكنيسة هي الكنيسة أو الهرطقة هي الكنيسة. ومن جانب آخر، إن كانت الهرطقة ليست هي الكنيسة، كيف تكون معموديّة الكنيسة بين الهرطقة.

¹ On Ps. 53:10.

² On Ps 72:32.

³ Sermon 113:6.

"ثم قال إيلياً للشعب:

أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل أربع مائة وخمسون رجلاً.
فليعطونا ثورين،

فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب.
ولكن لا يضعوا ناراً.

وأنا اقرب الثور الآخر، واجعله على الحطب،

ولكن لا أضع ناراً" [٢٢-٢٣].

جاء الإعداد الذي طلبه إيلياً النبي لتقديم الذبيحة مطابقاً لما ورد في الشريعة الموسوية (لا ١).
إذ يعلم إيلياً النبي خداع إيليس واتباعه، حرص ألا يضعوا ناراً للمذبح.

"ثم تدعون باسم آلهتكم، وأنا أدعو باسم الرب،
والإله الذي يجيب بنارٍ فهو الله.

فأجاب جميع الشعب وقالوا: الكلام حسن" [٢٤].

"الإله الذي يجيب بنارٍ فهو الله": كان البعل هو أبوللو إله الشمس، صاحب السلطان على النار.
لذا كان إيلياً يقدّم الدليل ممّا يعتقد به عبدة البعل، فيقيم الدليل من أفواههم. كان عبدة البعل ينسبون
الرعذ والبرق والمطر إلى إلههم. ومن جانب آخر فإن الله كان يؤكّد قبوله للذبيحة بإرسال نار من
السماء تلتهمها (لا ٩: ٢٤؛ قض ٦: ٢١).

في القديم تساءل إسحق: "هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة؟" (تك ٧: ٢٢) وكانت
إجابة والده: "الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني". الآن يوجد المذبح والخشب والمحرقة، ولكن أين
النار؟ الله يرسل ناراً للمحرقة!

يليق بنا أن نطلب من الله فيرسل روحه القدوس الناري، هو يقدّس مذبح قلوبنا ويقبل كل تقدمة،
ويعلن مسرّته في داخلنا.

٥. لقاء إيلياً مع كهنة البعل

"فقال إيلياً لأنبياء البعل:

اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقربوا أولاً،

لأنكم أنتم الأكثر، وادعوا باسم آلهتكم، ولكن لا تضعوا ناراً" [٢٥].

طلب منهم أن يبدأوا هم بتقديم الذبيحة من أجل كثرة عددهم.

"فأخذوا الثور الذي أعطي لهم وقربوه،

ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين:

يا بعل أجبنا.

فلم يكن صوت ولا مجيب.

وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عُمل " [٢٦].

استخدم أنبياء البعل كل وسيلة لعلَّ إلههم يتحرك، تارة كانوا ينادونه باسمه وأخرى يصرخون، وثالثة كانوا يرقصون لعلَّهم يسروونه، ورابعة كمن أصابهم الجنون يقطعون أجسامهم بالسيوف والرماح.

٦. لقاء مع الله الناري

"وعند الظهر سخر بهم إيلياً وقال: ادعوا بصوت عال،

لأنَّه إله لعلَّه مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعلَّه نائم فينتبّه" [٢٧].

لو لم يشعر إيلياً النبي بأنَّه محفوظ بالعناية الإلهية لما سخر وهو وحده بـ ٨٥٠ كاهناً للبعل يسندهم الملك والملكة ويجري وراءهم الشعب.

"فصرخوا بصوت عال،

وتقطَّعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم" [٢٨].

لا تزال بعض العبادات الوثنية بين القبائل تستخدم الرقص العنيف وتجريح الأجساد. وقد منعت الشريعة تقطيع الجسم (تث ١٤: ١). جاء عن عبادة الإلهة الهندوسية ماثا *Hindu goddess* *Matha* أنَّه كان يجتمع حوالي ١٠ آلاف إلى ١٢ ألفاً من الشعب. وفي لحظات يقف إنسان في وسطهم ويتظاهر بأن الإلهة دخلت فيه، فينزعه عنه عمامته وينسدل شعره الطويل على وجهه، ثم يبدأ يثب ويهتز وينطق بصرخات عنيفة كمن يعوي. وإذ تزداد الإثارة يضرب نفسه بسلسلة ثم يحرك السيف بفمه فيجرح نفسه، ثم يأخذ من دمه ويلطخ به جباه المشاهدين. يتزايد الحماس وينتشر بين المشاهدين فيحسب البعض أن الإلهة قد حلت فيه فيقضون الليل كلُّه يثبون ويتميلون.

"ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ.

قال إيلياً لجميع الشعب:

تقدّموا إليّ،

فتقدّم جميع الشعب إليه،

فرمّم مذبح الرب المنهدم" [٢٩-٣٠].

ربّما تهدّم هذا المذبح بأمر أخاب أو إيزابل لمنع عبادة الله الحيّ.

"ثم أخذ إيليا اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني يعقوب الذي كان كلام الرب إليه قائلاً إسرائيل يكون اسمك" [٣١].

رمّم إيليا المذبح باثني عشر حجراً بعدد الأسباط ليعلن رفضه التام لانقسام المملكة، مؤكّداً أن الله هو إله كل الأسباط، وأن مسرّته أن تُقدّم ذبيحة واحدة عن الجميع.

اختيار ١٢ حجراً لم يكن بلا معنى، فإن رقم ١٢ كما يقول القديس أغسطينوس: إيشير إلى ملكوت الله على الأرض، حيث يملك الثالث (٣) في كل جهات المسكونة، أي في المشارق والمغرب والشمال والجنوب (٤)، فمحصلّة ٣ × ٤ هي ١٢. وكأنّ رقم ١٢ يشير إلى كنيسة الله الممتدّة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها. فيما يلي أمثلة لاستخدام هذا الرقم:

❖ ضمّ شعب الله القديم ١٢ سبطاً، بكونه الكنيسة المقدّسة (تك ٣٥: ٢٢).

❖ يحمل رئيس الكهنة على صدرته ١٢ حجراً كريماً، إذ يشفع المؤمن الحقيقي في كل المؤمنين. ويثبت في ثوبه ١٢ جرساً إشارة إلى التزامه بالشهادة الحيّة أينما وجد (خر ٢٨).

❖ وضع موسى ١٢ حجراً عند سفح الجبل (خر ٢٤: ٤)، ويشوع في الأردن (يش ٤: ٣).

❖ اختار السيّد المسيح ١٢ تلميذاً.

❖ مدينة أورشليم العليا لها ١٢ باباً، ثلاثة أبواب من كل جانب (رؤ ٢١).

"وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب،

وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البزر" [٣٢].

تحوي الكيلة حوالي ثلاثة جالونات.

"ثم ربّب الحطب وقطع الثور، ووضعه على الحطب، وقال:

املأوا أربع جرّات ماء، وصبّوا على المحرّقة وعلى الحطب" [٣٣].

إلهنا إله نظام وليس إله تشويش، يودّ من أولاده أن يتبعوا النظام. ربّب إيليا الحطب ولم يضعه بلا

ترتيب.

اقتبس *Calment* نصًا لكاتب قديم نسبه للقدّيس يوحنا الذهبي الفم جاء فيه أنّه رأى تحت مذابح الوثنيين فتحات في الأرض بها مداخن تخرج منها منّصلة بفتحات في أعلى المذبح، يخفي كهنة الوثنيين النار في الفتحات التي تحت الأرض، وإذ تشعل النار الحطب الذي في المذبح يظنّ البسطاء أن نار عجيبة خرجت والتهمت الذبيحة. هذا ما دفع إيليا النبي أن يسكب مياه كثيرة تملأ القنوات حول المذبح حتى لا يعطي فرصة لأدنى شك في أن النار هي من قبل الرب.

"ثم قال: ثنّوا فثنّوا.

وقال: ثلّثوا فثلّثوا.

فجرى الماء حول المذبح، وامتلأت القناة أيضًا ماءً" [٣٤-٣٥].

أمر بإلقاء ١٢ جرة ماء على المحرقة والحطب حتى جرى الماء حول المذبح وامتلأت القنوات المحيطة به.

جاءوا بالماء من البحر الذي كان قريبًا منه، حيث كان الماء العذب شحيحًا جدًّا.

"وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدّم وقال:

أيّها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل

ليعلم اليوم أنّك أنت الله في إسرائيل.

وأني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور" [٣٦].

طلب إيليا من الله أن يتمجّد بكونه إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل لم يطلب إيليا النبي مجده الذاتي بل مجد الرب.

"استجيني يا رب استجيني.

ليعلم هذا الشعب أنّك أنت الرب الإله.

وأنت أنت حولت قلوبهم رجوعًا.

فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب،

ولحست المياه التي في القناة" [٣٧-٣٨].

استجاب الله بنارٍ أكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث طبيعيًا. لم تصدر النار من أسفل المذبح كما كان الوثنيون يخدعون الشعب بالنار المخفية تحت المذبح. سقطت من أعلى وبدأت بالمحرقة. ثم الحطب الذي أسفلها فالحجارة

والتراب وأخيراً لحست المياه التي في القناة. أنّها نار نازلة من أعلى، وليست صادرة من أسفل. سلكت النار على خلاف الطبيعة، فالنار تبدأ دوماً من أسفل ويرتفع اللهب، أمّا هنا فبدأت من فوق وامتد اللهب إلى أسفل بالتدريج.

التهمت النار الذبيحة قبل أن يلتهب الحطب بالنار، لكي يدرك الكل أنّها نار عجيبة نازلة من فوق، وأن المحرقة لم تتحقّق بالتهاب الحطب بالنار.

احترق المحرقة علامة قبول الله للذبيحة، وسروره بالتقدمة الصادرة عن قلب نقي.

احترق الحطب يشير إلى رغبة الله ألا يبقى فينا عمل يحترق بالنار. "إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً فضةً حجارةً كريمةً خشباً عشباً قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهرًا لأن اليوم سيبينه، لأنّه بنارٍ يُستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو" (١ كو ٣: ١٢-١٣).

احترق الحجارة: فإنّه يوّد أن يكون شعبه كلّ (١٢ حجرًا) ذبيحة حب له، كما يقدم نفسه ذبيحة حب لعدائهم.

احترق التراب: فإنّه يريد أن ينتزع عنا ترابنا ليقيم عوضًا عنه سمواته.

لحس المياه التي في القناة: فهو يطلب قلوبًا لا تغطّيها مياه العالم بل ملتهبة بنار الروح.

❖ لم يجلب النار من السماء بمجرد الصلاة فقط لتنزل على الخشب الجاف، بل أمر الحاضرين أن يحضروا فيضًا من الماء. وإذ سكب ثلاث مرّات من الجرّات على الخشب أشعل بصلاته النار من الماء، أي بما يخالف طبيعة العناصر، ليظهر قوّة الله بفيض فائق للطبيعة. هنا بالذبيحة العجيبة يعلن لنا إيليا بوضوح عن الطقس السرائري للعماد الذي سيتأسس بعد ذلك^١.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ الرب يسوع هو مثل نار ألهمت قلوب الذين سمعوه، وكينبوع ماء أعطاهم برودة، إذ قال بنفسه في إنجيله أنّه جاء ليرسل نارا على الأرض (لو ١٢: ٤٠) ويهب ماءً حيًا للعطشى (يو ٧: ٣٧-٣٨).

في أيام إيليا نزلت أيضًا نار عندما تحدّى أنبياء الوثنيين لينير المذبح بدون نار. وعندما لم يقدرُوا أن يفعلوا هذا سكب ماءً ثلاث مرّات على ذبيحته حتى جرت المياه حول المذبح، ثم صرخ فنزلت نارا من الرب من السماء والتهمت المحرقة^٢.

¹ St. Gregory of Nyssa: On the Baptism of Christ.

² Duties of the Clergy, book 3:106.

القديس أمبروسيو

٧. قتل كهنة البعل

"فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا:
الرب هو الله، الرب هو الله.

فقال لهم إيلياً:

امسكوا أنبياء البعل، ولا يفلت منهم رجل.

فأمسكوهم، فنزل بهم إيلياً إلى نهر قيشون وذبحهم هناك" [٣٩-٤٠].

إذ اعترف الشعب بأن الرب هو الله، طلب منهم أن يرفضوا عبادة البعل بتنفيذ الشريعة: قتل عبدة الأوثان والمثيرين لها (تث ١٣: ١-١١، ٢-٣؛ ١٣: ٣). طلب قتل كهنة البعل حتى لا يعودوا فيخضعون البسطاء.

نهر قيشون ينبع على جبل تابور ويصب في البحر الأبيض المتوسط. ربّما تمّ قتل أنبياء البعل هناك حتى متى حلّ المطر الغزير يفيض النهر ويسحب جثثهم ويلقي بها في البحر.

٨. طلبية إيلياً الخاصة بالمطر

"وقال إيلياً لأخاب: اصعد كل واشرب، لأنّه حسّ دوي مطر" [٤١].

يبدو أن أخاب كان صائماً طوال اليوم، لذا أرسله إيلياً إلى قصره ليأكل ويشرب فإن مسرة الرب تحلّ بالأرض بعدما شهد الشعب لله إلهه وذبح كهنة البعل. واضح من حديث إيلياً النبي رضا الملك على تصرف الشعب وقتلهم كهنة البعل.

لقد قضى الملك اليوم كلّه يراقب ما يحدث، لم يأكل ولم يشرب، وقد حضر منذ الصباح صائماً، ربّما لأنّه كان يطلب من الله أن يتدخل، أو لأنّه كان مرتبكاً جداً غير قادر على الأكل حتى يرى ماذا يحدث.

لم يرَ إيلياً أيّة علامة عن سقوط المطر، لكنّه بروح النبوة قال: "لأنّه حسّ دوي مطر" [٤٠]. لقد مضى وقت الجفاف!

"فصعد أخاب ليأكل ويشرب.

وأما إيلياً فصعد إلى رأس الكرمل

وخرّ إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه" [٤٢].

انسحب إيلياً النبي إلى قمة الكرمل في مكانٍ خاصٍ عالٍ جداً. في هذا الموضع يمكن للإنسان أن يختفي. وكما جاء في عاموس: "وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتش وأخذهم" (عا ٩: ٣). هناك ذهب وحده ومعه غلامه، فإنه كان يليق به بعد أن اجتمع بالشعب كله والملك والقيادات أن يختفي إلى حين ليلتقي في هدوء مع إلهه، فيقول مع حبقوق النبي: "على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي" (حب ٢: ١).

لم ينشغل إيلياً النبي بما حدث كأمر يمجدّه ويهبه نصرة إنما انطلق ليصلي كي يحقق الله وعده ويهب الأرض مطراً.

بينما طلب النبي من الملك أن يسرع ليأكل ويشرب، انطلق هو للصلاة. فإن رجال الله يطلبون الراحة للآخرين ويمارسون هم الجهاد.

سجد النبي إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه علامة انسحاق نفسه، ربّما انحنى حتى بلغت رأسه إلى ركبتيه.

"وقال لغلامه: اصعد تطلّع نحو البحر.

فصعد وتطلّع وقال: ليس شيء.

فقال: ارجع سبع مرّات" [٤٣].

من قمة جبل الكرمل يرى البحر على بعد النظر.

"وفي المرّة السابعة قال:

هوذا غيمة صغيرة قدر كفّ إنسان صاعدة من البحر.

فقال: اصعد قل لأخآب اشدد وانزل لئلاّ يمنعك المطر" [٤٤].

لبيتنا لا نحترق العطايا الإلهية التي تبدو صغيرة كغيمة قدر كفّ إنسان، فإن من يشكر على القليل يتمنّع بالكثير.

الغيمة الصغيرة التي رآها إيلياً قادمة من البحر تُشير إلى تجسّد الله الكلمة الذي صار كغيمة صغيرة تخفي مجد لاهوته، قادمة إلى عالمنا لتفيض علينا بمياه الروح القدس. أنّه يحول قفر قلبنا إلى فردوس مثمر!

"وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودّت من الغيم والريح وكان مطر عظيم.

فركب أخآب ومضى إلى يزرعيل.

وكانت يد الرب على إيلياً،

فشدَّ حقويه وركض أمام أخاب حتى تجيء إلى يزرعيل" [٤٥-٤٦].

طلب إيلياً النبي من غلامه أن يخبر الملك بأن يتشدَّد ويسرع بالنزول لئلاً يمنع المطر. انطلق الملك بمركبته، بينما شد النبي حقويه وركض فالتقى بالملك قبل بلوغه قصره. لقد بارى الخيل والمركبات وغلب. أنه لم ينطبق عليه الحديث عن الخاملين: "إن جريت مع المشاة فأتعبوك فكيف تباري الخيل؟! (إر ١٢: ٥).

لم ينطلق إليه لكي يوبَّخه أو يجرحه بكلمة، وإنما لكي يسنده ويقوِّيه في مواجهته لزوجته إيزابل التي استغلَّت ضعفه فجعلت منه إنساناً وثنياً شريراً. لقد أراد أن يؤكِّد له أنه ليس مقاوماً له بصفة شخصيَّة، ولا يحمل بغضة من جهته، بل يشناق أن يسنده في خدمة الرب. أنه أمين له ما دام في الرب.

لقد جرى قرابة ١٦ ميلاً ليبلغ مدخل يزرعيل مظهرًا استعداداه المستمر للخدمة. يزرعيل تقع عند جبل جليوع، لم ينقل أخاب العاصمة من السامرة (١ مل ٢٢: ١٠، ٣٧) لكأنه بنى له قصرًا في يزرعيل (١ مل ٢٢: ١)، ويبدو أنه كان يقيم هناك مع الملكة إيزابل كمسكنٍ شتوي لهما. وُجد حديثاً نقش آشوري تحدَّث عن أخاب بأنه "أخاب اليزرعيلي".

من وحي ١ مل ١٨

إلهي أنت يا رب،

وليس إله آخر غيرك!

❖ صوت نبيك إيلياً يرنّ في أذنيّ:

إن كان الرب هو الله فاعبدوه،

وإن كان البعل فاعبدوه،

إلى متى تعرَّجون بين الفريقين؟

❖ إلى متى أقيم في داخلي العجل والعشتاروت؟

إلى متى أرفض مملكتك لأقيم سادة عنفاء يحطّمون أعماقي؟

❖ في غباوتي أقمت في داخلي مذبحاً للبعل،

وصار لي كهنة وكاهنات يقدّمون له حياتي ذبيحة.

حوّلوا حياتي إلى العبوديّة.
صرتُ عبداً للمال والكرامة والشهوات الزمنيّة.
من يحزّرني من هذا الذلّ؟

❖ ليملأ روحك الناري السماوي كياني.
ليحوّل أعماقي إلى لهيب نار سماوي.
لن يترك في قلبي أثراً للتراب،
بل يحوّل أرضي إلى سماء.
لا يترك أثراً للحجارة، عوض الحجارة يقيم أبناء لإبراهيم.
لن يكون قلبي حجراً بعد، بل رقيقاً كابن إبراهيم.
يلحس كل ماء في قنوات قلبي.
فلا يكون للبرود الروحي موضع.

❖ هب لي روحين من إيليا النبي، كما وهبت أليشع تلميذه.
فيصير لي القلب الناري.
ليقتل في داخلي كل كاهن لبعل أو عشتاروت.
ويصير قلبي جلجثة حقّة تحمل ذبيحة الصليب الحق.
نعم لتملك بنار روحك القدّوس في أعماقي.

الأصحاح التاسع عشر

ظهور الله لإيليا

كان الله يسمح لإيليا النبي أحيانًا بالضييق من أجل بنيان نفسه، حتى لا يدفع به نجاحه المستمر ونصرته إلى الكبرياء. ففي الأصحاح السابق وهبه الله نصرته على كهنة البعل، وشهد الشعب لإلهه ورفضوا البعل. يبدو أنه حتى الملك نفسه كان راضيًا بقتل كهنة البعل. الآن في هذا الأصحاح تضيق نفس إيليا بسبب مقاومة الملكة إيزابل له. لكن الله يسنده، فيرسل له ملاكه ويتراءى له، ويفرح قلبه باختيار نبي يتلمذ على يديه ويكمل رسالته.

١. هروب إيليا إلى بئر سبع ٣-١
٢. مساندة الملاك له ٨-٤
٣. ظهور الرب له ٩-١٤
٤. مسح حزانيل وياهو ملكين ١٥-١٨
٥. تلمذة أليشع له ١٩-٢١

١. هروب إيليا إلى بئر سبع

أخبر أخاب زوجته إيزابل بما فعله إيليا، وكيف قتل كهنة البعل، فثارت جدًا وقررت قتله. اضطر أن يهرب إيليا إلى بيت سبع التي ليهودا، حيث عالاه ملاك هناك.
"وأخبر أخاب إيزابل بكل ما عمل إيليا،
وكيف أنه قتل جميع الأنبياء بالسيف" [١].

كانت إيزابل ككاهنة للبعل تعتبر نفسها حصنًا لكهنة البعل. أمّا وقد ثار الشعب كله وذبح إيليا كهنة البعل، صار موقفها حرجًا جدًا. لم يجرؤ أخاب أن يشير إلى اسم الله في حديثه مع زوجته إيزابل، فإنه لم يخبرها بما عمله الله بل "بكل ما عمل إيليا". هل أراد الملك أن يهدئ من إيزابل بسرده ما حدث ليكشف لها عن ما فعله إيليا النبي بإنزاله نارٍ من السماء وهبوط الأمطار، أم أنه شعر بعجزه عن مواجهة إيليا والشعب وترك لامرأته الشريرة أن تتصرف؟ لا يستطيع أحد أن يعطي جوابًا قاطعًا في هذا الأمر.

"فأرسلت إيزابل رسولاً إلى إيليا تقول:

هكذا تفعل الإلهة وهكذا تزيد إن لم اجعل نفسك كنفس واحدٍ منهم في نحو هذا الوقت غداً

[٢].

بعثت برسول إلى إيلياً تحدد له موعد قتله، أنه في اليوم التالي تفعل به ما فعله بكهنتها. لعلها شعرت بعجزها عن قتله بعد أن تعباً الشعور العام كله ضد البعل، وربما شعرت أن لهجة زوجها أيضاً قد تغيرت، فصار متعاطفاً مع النبي، فأرسلت إليه تهديده لكي يهرب فتخلص منه.

ربما خشت الملكة من ثورة الشعب فيطلبون إيلياً أن يكون القائد الروحي لملكة، وأن يكون المشرع لهم، وذلك بعد أن رأوا النار النازلة من السماء والمطر الذي سقط بكلمته.

فلما رأى ذلك،

قام ومضى لأجل نفسه،

وأتى إلى بئر سبع التي ليهودا، وترك غلامه هناك" [٣].

هرب إيلياً من شر إيزابل، ومن بعده اشتاق إرميا أن يهرب من شعبه إن وجد ملجأ له في البرية (إر ٩: ٢).

يرى البعض أن إيلياً النبي لم يهرب خوفاً من إيزابل وشرها، وإنما لأجل نفسه، أو لأجل حياته مع الرب، فإنه سار في البرية مسيرة يوم واشتهى الموت، فقد شعر بالحاجة إلى عون إلهي، لأن مقاومة عبادة الله كانت عنيفة للغاية.

في بئر سبع ترك غلامه إذ أراد أن يدخل في البرية وحده ليختلي مع الرب، ويتمتع بالتأمل فيه واللقاء معه والحوار معه. وقد أعطاه الرب سؤال قلبه. ترك غلامه كما ترك إبراهيم غلامه مع الحمار وانطلق مع ابنه إسحق إلى الجبل ليعبد الرب ويقدم الذبيحة. وعندما دخل السيد المسيح مع تلاميذه جنسيمانى تركهم وبقي وحده يتحدث مع الأب، ليشرب الكأس نيابة عن كل البشرية.

هرب إيلياً من مملكة الشمال إلى مملكة الجنوب حيث الملك يهوشافاط الصالح، وانطلق إلى أقصى الجنوب عند بئر سبع. أنه موقف عجيب، فإن إيلياً الذي لم يخف من مواجهة ٨٥٠ كاهناً للبعل ومعهم الملك وأيضاً كل الشعب، وثقاً في عناية الله به، الآن يخشى ثورة سيده متعجرفة. إنها لحظات ضعف يعيشها النبي الناري الجريء.

هرب إيلياً من المرأة إيزابل [٢]، التي تعني "فيض من الباطل"، هرب إلى جبل حوريب [٨].

^١ يرى القديس أمبروسوس أن كلمة "إيزابل" تعني "فيض من الباطل" كما جاء في:

Exhor. Virgin. 5:30 (Pl 16:344-5); Letters 50:10; 2:79; On Naboth 9:41-42.

٢. مساندة الملاك له

"ثم سار في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة،
وظلب الموت لنفسه،

وقال: قد كفى الآن يا رب،

خذ نفسي، لأتني لست خيراً من آبائي" [٤].

شعر أنه لا يعود يقدر أن يقدم شيئاً صالحاً بعد لشعبه، فقد قدم كل ما لديه. مرّت عليه فترة من المرارة، لأن الأمور تسير على خلاف ما يشتهي. كان يودّ عودة الملك وشعبه لله. وإذا شعر بعجزه في تحقيق ذلك حسب أنه لا قيمة لوجوده بعد، فإنه ليس أفضل من آبائه الذين فشلوا أحياناً في جذب الشعب إلى الله.

كان يتوقّع بعد نزول النار من السماء علانية وشهادة الشعب للإيمان الحق أن الأمور تسير إلى الأفضل، لكنّه وجد الملك خضع للملكة، وبالتالي سيعود الشعب إلى عبادة البعل تحت الإغراء والضغط الملكي.

سار في البرية غالباً تجاه حوريب. سلك مسيرة يوم كامل في البرية في نجب جنوب يهوذا. ذهب إلى بئر سبع التي تبعد حوالي ٩٥ ميلاً من يزرعيل على حافة صحراء التيه. لم يكن ممكناً لإيليا أن يصل إليها إلا في نهاية اليوم التالي حيث كان يسير الليل والنهار ولم يسترح في الطريق. وهي مدينة تابعة لسبط شمعون (يش ١٩: ٢) وكان جزء من سبط شمعون قد انضم إلى يهوذا.

اشتهدى إيليا النبي أن يموت، مع أنه هرب إلى بئر سبع من وجه إيزابيل الشريرة التي تطلب نفسه. كان يشتهي يموت بيد الرب لا بيد هذه السيّدة، فإن الوقوع في يديّ الله الرحيم أفضل من الوقوع في يد الإنسان الشرير.

اشتهدى أن يموت في البرية في أرض مقدّسة ولا يموت في أرض تدنّست بعبادة البعل.

جلس تحت شجرة يدعوها العرب رتمة، وهي شجرة ضخمة تحمي المسافرين من حرارة الشمس ومن العواصف.

عندما يشعر حتى الأنبياء بنوع من الفشل كانوا يشتهون الموت، الأمر الذي سقط فيه كثيرون مثل موسى النبي ويونان النبي.

❖ بالحق أجاهد هنا كما لو كنت قد نسيتني، مع إنني أعرف تماماً أنك مجرد تمّتحني، فإنك وإن كنت كمن يتركني لكنك لن تفشل في أن تهني ما وعدت به. ومع هذا لا أحتمل فأقول: "لماذا

القديس أغسطينوس

❖ إننا لا نفتتح بما نحن عليه الآن. فإنه حتى الأشياء التي نشتهيها تسبب لنا متاعب، وما نشأتق أن نناله لا نعود نشتهيها عندما نناله. لهذا ليس بدون سبب غالبًا ما بكى القديسون طول بقائهم هنا. داود انتحب (مز ١٢٠: ٥)، وإرميا رثاها (إر ١: ١٨)، وإيليا بكاهها. إن كنا نصدّق الحكماء، والذين سكنهم الروح الإلهي، فإنهم كانوا يسرعون نحو الأفضل (الانطلاق نحو الحياة الأبدية والقيامة)^٢.

القديس أمبروسيو

يرى القديس أمبروسيو أن البرية التي نهرب إليها هي التوبة أو نعمة الله حيث يجد الشريد فيها ملجأ وخلصًا.

❖ التوبة هي هروب صالح؛

نعمة الله هي هروب صالح، فيها يجد الشريد خلاصه.

البرية هي هروب صالح، هرب إليها إيليا (١ مل ١٩: ٤) وأليشع ويوحنا المعمدان (مت ٣: ١؛ لو ١٣: ٢).

هرب إيليا من المرأة إيزابل التي تعني "فيض من الباطل"، هرب إلى جبل حوريب. (١ مل ١٩: ٨) التي تعني جفافًا، حيث يجف تدفق مياه الجسديات الباطلة، حينئذ يأتي إلى معرفة الله بأكثر كمال، لأنه كان بجانب نهر كريث الذي يعني "المعرفة" هناك استطاع أن يشرب من فيض معرفة الله المتدفق (١ مل ١٧: ٥). هرب إيليا من العالم حتى أنه لم يطلب طعامًا يحتاج إليه جسده غير ما قدّمته له تلك الطيور الخادمة (١ مل ١٧: ٦)، مع أن طعامه غالبًا ما كان ليس من هذا العالم (١ مل ١٩: ٥-٧). حقًا لقد صار أربعين يومًا بالقوة التي صارت له بالوجبة التي نالها (١ مل ١٩: ٨).

بالتأكيد لم يهرب من مجرد امرأة بل من هذا العالم. لم يخف الموت، لأنه تقدّم بنفسه لذلك الذي كان يطلب نفسه وقال للرب: "خذ نفسي" (١ مل ١٩: ٤).

احتمل أتعاب هذه الحياة ليس مشتبهًا إيّاها، لكنّه كان يهرب من إغراءات العالم وسموم السلوك

¹ On Ps. 41:17.

² St. Ambrose: On Belief in the Resurrection, book 2:125.

الشَّرِيرَ والتَصْرُفَاتِ الدَّيْنِيَّةَ لِلجَبَلِ الخَاطِي غيرِ المَقْدَّسِ^١.

القَدَيْسِ أَمْبِرُوسِيُوسِ

"واضطجع ونام تحت الرتمة،

وإذا بملاك قد مسَّه وقال:

قَمْ وَكُلْ" [٥].

مع سيره المستمر بلا توقُّف من جبل الكرمل إلى بئر سبع ثم سار يومًا في البرية تجاه حوريب تعب جدًا فنام. كان محتاجًا إلى عونٍ إلهي يسند نفسه المتعبة بسبب شعوره بالفشل ويسند جسده المرهق والجائع. أرسل إليه الله ملاكًا يقدِّم له الضروريات.

كان إيليا يشتهي أن ينام ولا يقوم، فقد حطمت إيزابل اشتياقاته. قام من نومه بناء على لمسة من الملاك، ليدرك أنه موضع رعاية الرب إله الملائكة وعنايته، فلا يضطرب. كان إيليا النبي فريدًا في اهتمام الله حتى بطعامه، فحين كان في ظروف عادية أو شبه عادية في المدن أو القرى تركه يعد لنفسه الطعام كسائر اخوته، لكن تحت ظروف خاصة أرسل إليه تارة غرابًا وأخرى أرملة وثالثة ملاكًا يعدُّون له الطعام. حين كان منفردًا في كريت عائلته الغربان، وإذ كان في صيدا عائلته أرملة صرِفَةً صيدًا، والآن إذ لا توجد غريبان ولا إنسان أرسل إليه ملاكًا يعوله.

"فتطلع وإذا كعكة رضفٍ وكوز ماء عند رأسه،

فأكل وشرب،

ثم رجع فاضطجع" [٦].

وجد الطعام والماء عند رأسه، أي في متناول يده. وجد كعكة مخبوزة على الفحم، ربَّما وجد خشبًا أو فحمًا متقدًّا بالنار والكعكة عليه، وهي من الطعام المحبوب لدى العرب في هذه المنطقة. كان إيليا كناسكٍ يقضي الكثير من وقته في البراري يأكل بتقشُّف، وكان ملتزمًا أن يعد لنفسه الطعام. وعندما التزم بالهروب والاختفاء عند نهر كريت مقابل الأردن حيث طلب ألا يكون مطر إلا عند قوله أرسل الله إليه غرابًا يأتيه كل صباح ومساء بخبزٍ ولحمٍ. وإذ جفَّ نهر الأردن وبيس أرسله الرب إلى أرملة صرِفَةٍ صيدون لكي تعوله بالخبز فقط. وأخيرًا إذ بعث به إلى جبل حوريب ليتحدَّث معه وجهًا لوجه (١ مل ١٩) قدَّم له ملاك كعكة واحدة وكوز زيت ليأكل ويشرب ثم يصوم أربعين نهارًا وأربعين ليلة بطريقة تفوق الطبيعة.

¹ Flight from the world, 6:34.

❖ يروي الكتاب المقدس عن إيليا الهارب من وجه المرأة إيزابل، وقد جلس أولاً تحت رتمة وهناك سمع له وتقبل قوة وطعاماً. هذا يعني أن من يهرب من إغراءات الشهوة، ومن امرأة (شريرة)، أي من اللذة، يجد ملجأ وظلاً في شجرة العفة، حيث يتمتع بمجيء المسيح ورئيس البتوليين البشر¹.

الأب ميثوديوس

❖ لو أراد الله أمّا كان يمكنه أن يرسل لنبيه خموراً ممتازة وأطباق شهية ولحوماً مطهية؟ عندما دعى أليشع أبناء الأنبياء ليأكلوا قدم لهم أعشاباً فقط ليأكلوا، وعندما صرخ الكل بصوت واحد: "في القدر موت" (٢ مل ٤ : ٤٠) لم يثر رجل الله على الطبخ، بل أحضر الطعام، وألقى فيه ما جعل مرارة الطعام تصير عذبة بقوة روحية، وذلك كما فعل موسى الذي جعل مياه مارة عذبة. مرة أخرى عندما أرسل رجال للقبض على النبي، وضربوا بعصى جسماني وعقلي، كي يحضرهم إلى السامرة وهم لا يدرون لاحظ الطعام الذي أمر أليشع أن يقدم لهم لكي يعشهم. "صنع خبزاً وماء أمامهم فيأكلوا ويشربوا، ثم ينطلقوا إلى سيدهم" (٢ مل ٦ : ٢٢). ودانيال الذي كان يمكنه أن يأكل طعاماً فاخراً من مائدة الملك فضل القطاني².

القديس جيروم

❖ إيليا الذي كان الرب يدربه على كمال الفضيلة وجد عند رأسه كعكة وكوز ماء، عندئذ صام بقوة هذا الطعام ٤٠ يوماً وأربعين ليلة. عندما عبر آباؤنا البحر بأقدامهم (خر ١٧ : ٦) شربوا ماءً لا خمرًا. دانيال والفتيان العبرانيون كانوا يأكلون طعاماً خاصاً (دا ١ : ٨) ويشربون ماءً، الأول غلب ثورة الأسود (دا ٦ : ٢٢) والآخرين رأوا في النار المحرقة ملعباً دون أن تصاب أطرافهم بأذى أدية (دا ٣ : ٢٧).

ولماذا أتحدث عن الرجال، فإن يهوديت لم تشته مائدة هولوفرنيس الشهية فنالت بعفتها وحدها نصرة. الأمر الذي فشل فيه الرجال وخلصت مدينتها من الحصار وقتلت القائد بيديها (يهوديت ٨ : ١٦)... أستير بصومها حرّكت الملك المتكبر (أس ٤ : ١٦). وحنّة التي خدمت الله في ترمّلها لمدة ٨٤ سنة بأصوام وصلوات نهاراً وليلاً في الهيكل عرفت المسيح (لو ٢ : ٣٧). ويوحنا سيّد النسك ظهر كملاك يسير على الأرض³.

¹ Methodius: *The Banquet of the ten virgins*, 10:3.

² St. Jerome: *Letters*, 22:9.

³ St. Ambrose: *Letters*, 63:29.

القديس أمبروسيو

❖ إذ هرب (إيليا النبي) من تهديدات إيزابل، بعد وجبة طعام واحدة وشراب وجدهما عندما أيقظه الملاك بقي لمدة أربعين نهارًا وأربعين ليلةً ببطنٍ فارغة، وصار فمه جافًا، بلغ إلى جبل حوريب حيث سكن في مغارة كما في فندق. أي لقاء شهير تمّ بينه وبين الله! ما هو حالك يا إيليا هنا؟ هل كنت في صداقة مع هذا الصوت (الإلهي) أكثر من القول: "آدم أين أنت؟" (تك ٣ : ٩)؟ لأن هذه هي قوة الطعام بحدود (الصوم) تجعل الله في صداقة مع الإنسان تحت مظلة (إذ تمتع إيليا بصحبة المسيح تحت السحابة التي ظللتهم (مت ١٧ : ٤). إنها صداقة حقة! فإن كان الله الأبدي لن يجوع كما شهد في إشعياء (مز ٤٠ : ٢٨) فسيأتي وقت فيه يصير الإنسان متشبهاً بالله عندما يحيا بلا طعام^١.

العلامة ترتليان

جاء في الإنجيل البدائي المنسوب ليعقوب *Protoevangelium of James* عن يواقيم والد القديسة مريم بأنه إذ كان حزينًا لأنه لم يكن له نسل، ذهب إلى الجبل وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة قائلاً في نفسه: "لن أكل ولا أشرب حتى يتطلع الرب إلهي إليّ، وستكون الصلاة هي طعامي وشرابي".

"ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال:

قم وكل، لأن المسافة كثيرة عليك" [٧].

إذ نام ثانية عاد الملاك ولمسه وطلب منه أن يأكل لأن المسافة طويلة عليه. تبلغ المسافة بين بئر سبع وحوريب حوالي ١٥٠ ميلاً. لم يخبره الملاك إلى أين هو ذاهب، إنّما اكتفى بإعلان أن المسافة طويلة جدًا.

"فقام وأكل وشرب،

وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارًا وأربعين ليلة،

إلى جبل الله حوريب" [٨].

قاده الروح للذهاب إلى جبل حوريب، الجبل الذي عليه تسلّم موسى الشريعة. كانت خطّة الله عجيبية بالنسبة لإيليا النبي، فقد أمر الغريان أن تطعمه مرتين يوميًا بالخبز واللحم، ثم بارك في زيت

¹ Tertullian: On Fasting , 6 .

الأرملة ودقيقها ليعيش أكثر من عامين دون أن يذوق اللحم، والآن إذ يقدمه الملاك كعكة ويشرب ماء يقضي أربعين نهارًا وأربعين ليلة لا يأكل قط ولا يشرب. صام أربعين يومًا مثل موسى النبي.

❖ صام موسى (خر ٢٤: ٨) وإيليا لمدة أربعين يومًا وعاشوا على الله وحده. فإنه منذ القدم قد تقدّس المبدأ: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان" (تث ٨: ٣؛ مت ٤: ٤). هنا نرى بصورة باهتة لقوتنا في المستقبل (في السماء)¹.

العلامة ترتليان

إذ تحدّث العلامة ترتليان² عن الصوم الأربعيني لموسى وإيليا النبيين استعرض خطورة النهيم وعدم ضبط البطن فأشار إلى القول: "جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب" (١ كو ١٠: ٧؛ خر ٣٢: ٦). أيضًا "قسمن يشرون ورفس. سمنت وغلظت واكتسبت شحمًا. فرفض الإله الذي عمله وغنى عن صخرة خلاصه" (تث ٣٢: ١٥). "لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتًا جديدة وسكنت... يرتفع قلبك وتتسى الرب إلهك" (تث ٨: ١٢-١٤).

كانت المسافة تحتاج إلى حوالي أسبوع، لكن الله سمح لإيليا أن يقضي أربعين يومًا وأربعين ليلة، كما جال الشعب قديمًا أربعين سنة مع موسى النبي في البرية. الجبل الذي التقى فيه الله مع موسى دعاه: "جبل الله"، والبيت الذي يلتقي فيه مع شعبه يدعوه: "بيت الله" والمدينة التي تقام فيها هيكله تسمى: "مدينة الله".

دخل إيليا المغارة، غالبًا التي دخل فيها موسى النبي حين اشتهى أن يرى مجد الله، وقد عبر به ليرى مجده من خلف (خر ٣٣: ٢٢).

اشتهى إيليا أن يهرب بل ويموت بسبب ما ضمّرتة إيزابيل من تحطيم للإيمان، لكن الرب وهب إيليا ما لم يخطر على قلبه. أتى به إلى جبله المقدّس، وادخله إلى المغارة ليتحدّث معه في حوارٍ مفتوح. جاء به الرب إلى هذا الموضع لكي يقول مع نحميا: "أرجل مثلتي يهرب؟!" (نح ٦: ١١).

"مالك ههنا يا إيليا؟" إنّه ليس وقت خلوة بل وقت عمل، فلماذا أنت ههنا؟ الشعب ينتظرك، وأنت مسئول عن الخدمة، فلا تهرب!

٣. ظهور الرب له

"ودخل هناك المغارة وبات فيها،

¹ Tertullian: On the Resurrection of the Flesh, 61.

² Tertullian: On Fasting, 6.

وكان كلام الرب إليه يقول: ما لك ههنا يا إيلياً" [٩].

❖ بعد الإعداد بأربعين يوماً من الصوم رأى إيلياً الرب على جبل حوريب. وسمع منه الكلمات: "مالك ههنا يا إيلياً؟" هنا القول متقارب جداً من القول: "آدم، أين أنت؟" في سفر التكوين. هدف الأخير هو إثارة مخاوف من أكلَ وفقدَ، والقول الأول موجّه إلى عبدٍ صائمٍ بحنوٍ وحبٍ^١.

القديس جيروم

"فقال: قد غرت غيرة للرب إله الجنود،

لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك،

ونقضوا مذابحك،

وقتلوا أنبياءك بالسيف،

فبقيت أنا وحدي،

وهم يطلبون نفسي لياخذوها" [١٠].

أجاب على سؤال الرب بأنّه مملوء غيرة على مجد الرب، لكن قد حطّمه اليأس، إذ لم يعد بعد يرى أحداً يعبد الرب بإخلاص غيره. كل هذه السنوات من خدمته حسبها كلاً شيء، إذ لم تثمر بتوبة شخصٍ واحدٍ. لم يشكّ الملك والملكة وهدهما، بل اشتكى بني إسرائيل، واتّهمهم بالآتي:

❖ تركوا عهد الرب مع أنّهم مارسوا العلامة الظاهرة للعهد، وهي الختان.

❖ تركوا عبادة الرب وخدمته.

❖ اضطهدوا خدامه وأنبياءه.

❖ لم يهجروا مذابح الرب فحسب بل هدموها ونقضوها. هذه المذابح أقامها أناس صالحون غير قادرين على الذهاب إلى أورشليم ويرفضون التعبّد للعجلين أو للبعل. مع أن هذه المذابح تحطّم وحدة الجماعة المقدّسة، لكن التزم بها أناس صالحون حتى لا يُحرموا من تقديم الذبائح. بنوها وهم مخلصون في محبّتهم لله ورغبتهم في إعلان مجده.

أجاب على سؤال الرب لماذا جاء إلى البرية وقطن في المغارة، معللاً ذلك بالأسباب التالية:

❖ "بقيت أنا وحدي": لم يعد قادراً على الظهور لتحقيق أي هدف. فمع صراخ كل الشعب "الله هو

¹ St. Jerome: Against Jovinianus, book 2:15.

الرب" لم يقف أحد منهم معه، ولا دافع أحد عنه. نسي إيلياً أنه ليس وحده، لأن الله معه، حتى وإن وقف العالم كله ضده.

❖ لم يعد قادرًا على الظهور من أجل سلامه، إذ صارت حياته في خطر "وهم يطلبون نفسي ليأخذوها".

❖ لا يقدر مسيحي أن يقول بأنه ليس له متاعب، لماذا؟ لأنه مادمنًا في الجسد فإننا في رحلة نحو الله. مهما كانت الأمور حسنة فإننا لا نزال لسنا في بيتنا. لا يقدر الإنسان أن يحب الرحلة ومدينته في نفس الوقت. فإن من أحب وطنه تبدو رحلته شاقة ومملوءة متاعب. هنا نتعب ونحزن، هناك نجد راحة بلا نهاية وحب بلا قلق¹.

القديس أغسطينوس

فقال: اخرج وقف على الجبل أمام الرب.

وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب،

ولم يكن الرب في الريح.

وبعد الريح زلزلة،

ولم يكن الرب في الزلزلة" [١١].

الآن يتعامل الله مع إيلياً تقريباً بذات الطريقة التي تعامل بها موسى النبي، فقد وقف إيلياً في نفس الموضع الذي وقف فيه موسى عندما أعلن الله ذاته له عند تسليمه الشريعة (خر ١٩: ٦-٩). إذ عبر به الرب كان أشبه بريحٍ عظيمةٍ وشديدةٍ شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب. أعد الله الطريق بالريح العظيمة والزلازل والنار، لكن الله لم يعلن عن ذاته وسط كل هذه الظواهر. لقد هيأت لإيلياً النبي الطريق ليرى الرب في وسط الهدوء. هذه الظواهر بعينها حدثت في أيام موسى أثناء لقائه مع الله.

يريد الله أن يلتقي مع مؤمنيه خلال الجو الهادي لا العلامات العنيفة للطبيعة.

يرى الكلدانيون أن الله تراءى لإيلياً النبي يسبقه موكب من الملائكة كانوا كالريح العاصف يمزقون الجبال ويكسرون الصخور أمام الرب. لم يكن الرب في وسط هذا الموكب الملائكي المخيف. تبعه طغمة من الملائكة في صخبٍ ولم تكن عظمة الله وسط هذه الطغمة. بعد هذه الطغمة ظهرت ملائكة

¹ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 309.*

من نار ولم تكن عظمة الرب في هذه الطغمة النارية. بعد هذه الطغمة النارية سمع صوت ترثم خفيف في سكون، ولم يوجد صوت آخر يمتزج بهذا الصوت. لعل هذا كله يقدم صورة توضيحية رمزية عن دور عناية الله ونعمته.

الريح العاصف والزلازل والنيران كلها تحدث بمسرة الله لكنها ليست طبيعته. فإن الله يريد أن يتجلى بالأكثر خلال السكون الهدوء. فإن كان إيليا في غيرته صار كريح عاصف أو كزلزال يريد أن يحطم الشر، أو كنار آكلة يريد أن يحرق كل رجاسة وفساد، فإن الله يدعوه الآن أن يعمل به خلال السكون الهدوء. غيره إيليا مقدسة، ونار قلبه نحو مجد الله مباركة، لكن قد حان الوقت ليرى خلال هدوء نفسه عمل الله الخفي في الركب التي لم تتحن لبعل بعد. وأنه يقوم ليمسح ثلاثة أشخاص للعمل، ملك آرام وملك إسرائيل وتلميذه أليشع النبي، فيكون لكل منهم دوره المكمل للآخر في تأديب إسرائيل وخاصة بيت أخاب.

حسنة هي الغيرة المقدسة المتقدة في داخلنا، لكن يلزمنا ألا نسقط في اليأس حين نرى كأن العالم كله قد رفض الإيمان. يلزمنا أن نلتقي مع الرب في سكون وصمت ونسمع صوته فيرينا أعماله الفائقة الخفية في النفوس، ويدعونا للعمل الإيجابي الخفي ليشترك الآخرون معنا في خدمة الملكوت السماوي، سواء بالعمل الإيجابي أو السلبي. في هذا اللقاء الممتع بين الله وإيليا نتلامس مع لقاء الكنيسة عبر الأجيال مع إلهها.

كان اللقاء في العهد القديم خلال الريح العاصف والزلازل والنيران، خلال أعمال ملموسة في الطبيعة العادية. فالإنسان في طفولته الروحية يحتاج إلى عمل مادي فائق ليهز أعماقه الداخلية. هذا ما حدث عندما قدم الله شريعته للشعب خلال موسى النبي على جبل سيناء. أمّا في العهد الجديد الذي هو امتداد للعهد القديم وتكميل له فقد ظهر الرب نفسه، كلمة الله الحي، لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته (مت ١٢ : ١٩). قدم لنا روحه في العنصرة خلال الريح العاصف والزلزلة والألسنة النارية لتأكيد أننا ننال ما كان يشتهي رجال العهد القديم، هذا الروح هو روح الرب الذي يدخل بنا إلى الحضرة الإلهية، فيرفعنا في هدوء وسكون إلى السماء.

"وبعد الزلزلة نار،

ولم يكن الرب في النار.

وبعد النار صوت منخفض خفيف" [١٢].

يرى القديس يوستين¹ أن أفلاطون يعتقد بأن الله موجود في النار، وأنه اقتبس هذا بطريقة خاطئة من هاتين العبارتين.

يستخدم القديس إيريناؤس هاتين العبارتين لتأكيد أن الله غير المنظور لنا وجهًا لوجه، إنما نراه خلال أعماله معنا. [لم يرَ الأنبياء بالفعل وجه الله علانيةً، لأنهم رأوه خلال تدابيره وأسراره التي من خلالها يرى الإنسان الله. كما قيل لإيليا النبي: "أخرج غدًا وقف في حضرة الرب وانظر..."].

ويرى القديس أعستينوس² أننا نرى الله خلال إخوتنا. فيقول: [لا تقدر أن ترى الله، لكن من حقك أن تراه بحبِّك تقربيك. وبتطُّعك إلى مصدر ذلك الحب ترى الله قدر ما تستطيع³].

رؤية الله:

يحدثنا العلامة أوريجينوس عن إمكانية رؤية الله وكيف تتمتع بها.

❖ نُظر الله بواسطة إبراهيم أو بواسطة قديسين آخرين، وذلك خلال النعمة الإلهية. لم تكن عينا إبراهيم هما وهدما علّة الرؤية، بل الله قدم نفسه لكي يُرى بواسطة الإنسان البار، الذي تأهَّل لرؤيته.

ربما يوجد ملاك بجوارنا الآن ونحن نتكلم، لكننا لا نقدر أن نراه بسبب عدم استحقاقنا. ربما تسعى العين (الجسدية) أو الداخلية لتتال هذه الرؤيا، لكن إن لم يعلن الملاك نفسه لنا نحن الذين لنا هذه الرغبة لن نقدر أن نراه.

هذه الحقيقة لا تخص رؤية الله في هذا العصر الحاضر فحسب بل وعندما نرحل من هذا العالم. لأن الله وملائكته لن يظهروا لكل البشر بعد رحيلهم مباشرة... بل توهب هذه الرؤيا للقلب الطاهر الذي تأهَّل لرؤية الله.

الإنسان الذي تتقلَّ قلبه بالخطية ليس في نفس الموضع مع ذلك الذي قلبه طاهر، فالآخر يرى الله بينما الأول لا يراه.

أظن أن هذا حدث عندما كان المسيح هنا في الجسد على الأرض. فإنه ليس كل من نظره نظر الله. بيلاطس وهيرودس الوالي تطلَّعا إليه وفي نفس الوقت لم ينظراه (كإله).

لذلك فإن ثلاثة رجال جاءوا إلى إبراهيم في منتصف النهار بينما جاء اثنان إلى لوط في المساء

¹ Justin's Hortatory Address to the Greeks, 31 .

² Irenaeus against Heresies 4: 20:10

³ Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 78.

(تك ١٩ : ١)، إذ لم يكن لوط قادرًا أن يتقبَّل عظمة نور الظهيرة أمَّا إبراهيم فكان قادرًا على قبول كمال بهاء النور^١.

❖ رؤية الله عقلية وروحية وليست جسدية... ولهذا استخدم المخلص بحرص الكلمة اللاتفة وقال: "لا يعرف أحد الآب إلا الابن" ولم يقل "يرى". مرة أخرى يقوم للذين يهبهم رؤية الله "روح المعرفة" و"روح الحكمة"، حتى أنَّهم خلال الروح نفسه يرون الله (إش ١١ : ٢)^٢.

❖ العضو الذي به نعرف الله ليس عين الجسد بل عين العقل، إذ يرى بما هو على صورة الخالق، ويتقبَّل فضيلة معرفته بعناية الله^٣.

❖ الآن وإن كنا نبدو متأهّلين لرؤية الله بعقلنا وقلبنا، فإننا لا نراه كما هو بل كما يصير بالنسبة لنا حيث يجلب عنايته فتحملنا^٤.

العلامة أوريجينوس

بالحب يمكننا أن نتعرّف على الله:

❖ يليق بنا أن ندرك كم من أمور يجب أن تقال عن (هذا) الحب، وكم من أمور يجب أن تقال عن الله، حيث أنّه هو نفسه "الحب". فإنّه كما أنّه لا يقدر أحد أن يعرف الآب إلا الابن ومن يسر الابن أن يعلن له... بنفس الطريقة لأنّه يدعى "الحب"، فإن الروح القدس المنبثق من الآب، الذي وحده يعرف ما هو في الله، كما أن روح الإنسان يعرف ما هو في الابن (١ كو ٢ : ١١)، هنا فإن الباراقليط روح الحق المنبثق من الآب (يو ٢٦ : ١٥) هو يتجول ويبحث عن النفوس المتأهّلة والقادرة على قبول عظمة حبه، أي عظمة الله، إذ يشتهي أن يعلن ذلك لهم^٥.

العلامة أوريجينوس

"قلّمًا سمع إيليا لفَ وجهه بردائه،

وخرج ووقف في باب المغارة،

وإذا بصوت إليه يقول:

¹ In Gen. Hom 4:1.

² Comm. On Song of Songs 3.

³ Contra Celsus 7:33.

⁴ Comm. on Matt. 17:19 on 22:1.

⁵ Comm on Song of Songs, Prologue.

ما لك ههنا يا إيلياً" [١٣].

لفَّ إيلياً وجهه بردائه كمن هو خائف أن يتطلَّع على مجد الله، إذ لا تحتمل عيناه رؤية بهائه. فإن السمانيين يغطُّون وجوههم أمام الله من أجل بهاء مجده (إش ٦ : ٢). ولعلَّ إيلياً شعر بالخجل أن يتطلَّع إلى الله لأنَّه لمس قدرته وأعماله الفائقة ومع هذا خشي من فشله في الخدمة. لم يغطَّ إيلياً وجهه عندما هبَّ ريح عاصف شديد، ولا عندما حدثت زلزلة إذ ظهرت نار، لكن وسط الهدوء الشديد إذ سمع صوت منخفض خفيف لم يحتمل رقةً الله وحبُّه وحنانه، إذ خجل من معاملاته معه.

موسى النبي أيضاً أخفي وجهه ولم يجسر أن يتطلَّع نحو الله (خر ٣ : ٦). كان تغطيةً الوجه علامة الوقار والاحترام، كما يرفع الأوربي قبعته عن رأسه احتراماً لمن يلتقي به.

كرَّر الرب السؤال: مالك ههنا يا إيلياً؟" وقَدَّم إيلياً ذات الإجابة، مشتكياً إسرائيل لارتداداه عن الله وتحطيمه للإيمان. كان ردَّ الفعل الإلهي هو العمل! دعاه أن يرجع ويعمل، حيث يمسح حزائيل ملكاً على أرام، وياهو ملكاً على إسرائيل، وأليشع نبياً عوضاً عنه. وكأن الله يقول له: لماذا حلَّ بك اليأس؟ هل لأنني لم أعاقب الأشرار؟

"فقال: غرَّت غيرة للرب إله الجنود،

لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك،

ونقضوا ميثاقك،

وقتلوا أنبياءك بالسيف،

فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" [١٤].

❖ يعرف الخادم كلمة الله فقط عندما يعرف أولئك الذين تعمل كلمة الله فيهم. فيكون في منفى من العالم، هارباً من الجسد، هارباً من الأهواء، حارماً نفسه من كل بشرٍ ليبقى وحده. وكما يقول إيلياً النبي: "بقيت أنا وحدي". لكنَّه لم يكن وحده، لأن المسيح كان معه. بل المسيح نفسه بقي وحده إذ يقول: "وأنا لست وحدي، لأن الأب معي" (يو ١٦ : ٢٢).^١

¹ Flight from the World, 2:7.

القديس أمبروسيو

إن كان إيليا قد تمررت نفسه بسبب الشر الذي لصق بإسرائيل فإن الله مُرسل من يؤدّب إسرائيل من الخارج (سوريا) ومن الداخل (ياهو)، ومن يكمل رسالة النبي (أليشع النبي).

٤ . مسح حزائيل وياهو ملكين

"فقال له الرب: اذهب راجعاً في طريقك إلى بريّة دمشق .

وادخل وامسح حزائيل ملكاً على أرام" [١٥].

طلب منه أن يذهب إلى بريّة دمشق، فلا يأخذ طريقاً يسير فيه الكثير من الناس حتى لا يلتقي بإيزابل أو أحد أعوانها المقاومين له.

بريّة دمشق: ربّما شمال مدينة النبي، بين باشان ودمشق، عُرفت قديماً باسم *Iturea* أو *Gaulanitus*.

مسح حزائيل ملكاً على أرام: كأنه يقول له: إن كان الشعب لم يتعلّم من التأديب بالمجاعة والقحط خلال الثلاث سنوات ونصف، فأني أمسح حزائيل على سوريا ليؤدّب بسفك الدماء (٢ مل ٨: ١٢، ١٨) لعلهم يتركون عبادة الأوثان.

"وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل.

وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوض عنك" [١٦].

مسح ياهو ملكاً على إسرائيل (٢ مل ٩) هذا الذي قتل يورام عند كرم نابوت اليزرعيلي، وإيزابل الملكة الشريرة حيث أكلت الكلاب جثتها.

مسح أليشع نبياً يكمل رسالة أبيه إيليا. لم نسمع قبل ذلك عن مسح النبي (قارن ١ أي ١٦: ٢٢ بمزمور ١٠٥: ١٥). بلا شك استراح قلب إيليا حين دعاه الرب ليمسح أليشع نبياً عوضاً عنه. فالخادم الحيّ يفرح ويسرّ بامتداد الخدمة بعد خروجه من العالم.

أليشع بن شافاط في الواقع هو حفيد شافاط، لكنّه يبدو أنّه كان معروفاً بابن شافاط (٢ مل ٩: ٢٠؛ ٢ أي ٢٢: ٧)، ربّما لأن والده مات وهو صغير، وقام جدّه بتربيته.

آبل محولة معناه "مرج الرقص"، وهي في الجزء الشمالي من وادي الأردن.

لم يحدّد الله له موعد مسح الأشخاص الثلاثة، بل تركه يتمّ ذلك في الوقت المناسب.

"فالذي ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو،

والذي ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع" [١٧].

"الذي ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع" وذلك بسيف كلمة الرب الذي هو أحد من سيف ذي حدين (إر ١ : ١٠ ؛ ١٨ : ٧).

كان يليق بإيليا النبي صاحب القلب الناري ألا يتعجل الثمر، ولا يطلب سرعة معاقبة المرتدين، فإنه في الوقت المناسب وبأشخاص مناسبين يقتل الرب بنسمة فمه الأشرار (إش ١١ : ٤ ؛ ٢ تس ٢ : ٨ ؛ هو ٦ : ٥).

"وقد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث للبعل، وكل فم لم يقبله" [١٨].

الإجابة العملية أيضاً، مع مسح الثلاثة أشخاص السابق ذكرهم كشف له الرب عن نجاح إيليا غير المنظور، إذ أعلن له عن وجود سبعة آلاف ركبة لم تجث للبعل، ولم يقبلوا بالفم. كان تقبيل الأوثان بالفم عادة منتشرة (أي ٣١ : ٢٧ ؛ هو ١٣ : ٢). ذكر القديس إكليمنضس الإسكندري في كتابه السابع من المتفرقات *Stromata* وصفاً مطوَّلاً عن الطرق التي كانت تمارس بها القبلة للأوثان.

في حوار القديس يوستين مع اليهودي تريفو يستخدم هذه العبارة قائلاً: إكما إن الله لم ينفث غضبه من أجل هؤلاء السبعة آلاف رجل، هكذا لا يصدر حكماً ولا يحققه، إذ يعلم أنه في كل يوم يصير البعض (منكم) تلاميذ لاسم المسيح، تاركين طريق الخطأ، متقبّلين المواهب كل حسب استحقاقه، مستنيرين باسم المسيح. يتقبّل واحد روح الفهم، وآخر روح المشورة، وآخر روح القوة، وآخر روح الشفاء، وآخر روح النبوة، وآخر روح التعليم، وآخر مخافة الرب^١.

استخدم الرسول بولس هذه العبارة لتأكيد وجود بقية مقدّسة للرب وسط اليهود حين رفض اليهود السيّد المسيح وإنجيله (رو ١١ : ٤). في كل جيل توجد بقية باقية مقدّسة للرب مثل هؤلاء السبعة آلاف الذين لم يحنوا ركبة لبعل ولا قبّلوه بفمهم:

أ. يقول "أبقيت"، فهذه البقية هي من عمل يدي الله الذي يبقي لنفسه قلة مقدّسة مختارة، تكرّس كل حياتها وطاقاتها لحساب ملكوته.

ب. ليس هناك وجه مقارنة بين ٧٠٠٠ شخصاً وألوف ألوف من الشعب سقطوا في عبادة

¹ Dialogue with Trypho, 39.

الأوتان، لكن الله يعرفهم بأسمائهم ويعتز بهم، ويختتمهم بختمه المقدّس (رؤ ٤ : ٧).
ج. هذه البقيّة المؤمنة والأمانة مخفية لا يعرفها سوى الله (مز ٨٣ : ٣). الكنيسة المنظورة كالجُرن يرى الناس التبن بينما تخفي الحنطة بين التبن، وسيأتي اليوم الذي فيه يُظهر الله مؤمنيه. ليس في قدرتنا أن نميّز الآن بين الأحياء من هم بالحق مقدّسون للرب من بين المؤمنين.

❖ عندما كان سبعة آلاف شخص مقدّس فقط في إسرائيل لم يحنوا ركبة لبعل، إيليا وحده من بينهم وتلميذه أليشع كان يصنعان عجائب. لكن أحداً منهما لم يحتقر عوبيدا الذي كان يخاف الله لأنّه لم يصنع آية واحدة^١.

الدسقولية

٥. تلمذة أليشع له

'فذهب من هناك،

ووجد أليشع بن شافاط يحرث واثنًا عشر فدّان بقر قدّامه وهو مع الثاني عشر،

فمرّ إيليا به وطرح رداءه عليه" [١٩].

كانت الأرض الزراعية تقاس قديماً بعدد المحاريث التي تستخدم لحريتها. كان أليشع غنياً، لأنّه كان يملك اثني عشر محراثاً، وكان هو يحرث بالمحراث الثاني عشر في أرضه. الحرث بزوج من البقر لكل محراث عادة كانت قائمة في مصر وأشور وفلسطين، ولا تزال تستخدم إلى وقت قريب في قرى مصر، وفي غرب آسيا. فيقبوله الفوري للعمل النبوي يعلن أليشع تركه لغناه وممتلكاته. فمرّ إيليا به، تعني أنّه عبر نهر الأردن وجاء إليه. لم يشعر إيليا بالغيرة من أليشع أنّه يحتل مركزه، بل بفرح ذهب ليمسحه. ربّما كانت له معرفة سابقة به، ويعلم أين يجده، لذلك ذهب للحال لكي يلتقي به.

لم يدخل معه في حوار، ولا قدّم له برنامج أو خطة للخدمة، لكنّه إذ أعطاه الله سؤال قلبه، وتأكد أن أليشع مختار من الله دعاه للخدمة الفوريّة.

طرح الرداء عليه يحمل معنى الصداقة القويّة، فقد حسبه واحداً معه كجسدٍ واحدٍ يرتدي ذات الرداء. كما أن إلقاء الرداء على الآخر يحمل مفهوم التكريم له كما فعل موسى النبي مع يشوع بن نون (عد ٢٧ : ٢٠). إلقاء رداء النبي عليه يشير إلى استلام روح النبوة، إذ صار له ثوب النبي،

¹ Constitution of the Holy Apostles , book 8:1.

وقوّته وسلطانه.

طرح الرداء عليه يعني أيضاً تقديم الروح الأبوي له، فالأب يقوم عادة بمساعدة أطفاله في ارتداء ملابسهم، وكان إيلياً النبي يعلن أبوته الحانيّة لابنه أليشع.

إلى يومنا هذا يقوم الأسقف القبطي والكهنة القدامى بمساعدة المسام شماساً أو كاهناً في ارتداء ملابسهم الكهنوتية بعد سيامته مباشرة، ليحمل ذلك معنى قبول الحياة الكهنوتية وأبوّة الأسقف للكاهن أو الشماس.

يمارس بعض الكهنة الأقباط ذات العمل بعد عماد الطفل ومسحه بالميرون ليعلن عن أبوّته له، وعن قبول المُعمّد حديثاً الميلاد الجديد والكهنوت العام والحلة الملوكيّة.

"فترك البقر وركض وراء إيلياً وقال:

دعني أقبل أبي وأمّي وأسير وراءك.

فقال له: اذهب راجعاً، لأنّي ماذا فعلت لك" [٢٠].

انسحب أليشع من عمله اليومي (البقر)، كما انسحب حتى من تقبيل والديه ليسير وراء النبي. كان توديع الوالدين في الشرق يستغرق أحياناً أياماً وأسابيع. لهذا لم يرد إيلياً هذا التأجيل إذ قال له: "اذهب راجعاً، ماذا فعلت لك؟" كأنّه يقول له: [لم أدعك للعمل النبوي، بل الله هو الذي دعاك فلماذا تؤجّل البدء في العمل؟ لترجع إن أردت لا لتودع والديك فحسب بل وتبقى مع أصدقائك أرضك].

ولعلّه قال هذا لكي يؤكّد أن الدعوة ليست إلزاميّة، فالله لا يُكره أحداً على خدمته. ليرجع ويختار بكامل حرّيّة إرادته الطريق الذي يبتغيه.

تركه إيلياً في الحال لكي يختار أليشع طريقه دون أن يعطلّ عمل أبيه، فإنّه ليس هناك وقت للحوار.

❖ ربّما يشعر البعض بالدفء الآن وتتحرك فيهم الرغبة نحو هذه الحياة الصالحة. ولكن ما المنفعة إن كنتم وأنتم هنا فقط تكون لكم هذه النار، ولكن إذ تتركون الموضع تنطفئ النار وتخذ هذه الرغبة. فكيف لا يحدث هذا؟ إذ تلتهب فيكم هذه الرغبة انطلقوا في طريقكم إلى الملائكة يلهبوننا بالأكثر. فإن ما نقدّمه لكم ليس كافياً ليلهب النار فيكم مثلما ترون بأنفسكم الأمور. لا نقل سأحدثت مع زوجتي وأدبرّ أموري أولاً. فإن هذا التأخير هو بداية التهاون. اسمع كيف إشتهي شخص أن يودّع بيته فلم يسمح له النبي. ولماذا أقول "يودّع"؟ لقد طلب التلميذ أن يدفن أباه (مت

٢١-٢٢) ولم يسمح له المسيح حتى بهذا. أي شيء يبدو لك أكثر أهمية من دفن الأب؟ ولكنه لم يسمح حتى بهذا. لماذا يحدث هذا؟ لأن الشيطان يقترب بعنفٍ شديدٍ، مشتاقاً أن يجد مدخلاً سرّياً. وإن كان هذا الأمر هو عائق بسيط للتأجيل فإنّه يستخدمه لبتّ إهمال عظيم. لهذا ينصحننا أحدهم: "لا توجّل من يوم إلى يوم" (ابن سيراخ ٥: ٧).

❖ هكذا تتطلّب منّا الطاعة للمسيح، ألاّ نوجّل لحظة من الزمن، حتى وإن بدا الأمر غاية في الضرورة يضغط علينا بكل قوّة^١.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فرجع من ورائه وأخذ فدان بقر وذبحهما،

وسلق اللحم بأدوات البقر،

وأعطى الشعب فأكلوا،

ثم قام ومضى وراء إيليا، وكان يخدمه" [٢١].

رجع أليشع ورائه لا ليفكر في قبول الدعوة أو رفضها ولا في اختيار الوقت للبدء في العمل، بل للحال ذبح كل الثيران التي للمحاريث الخشبية واستخدم المحاريث حطباً وقدم طعاماً للشعب. لنقف هنا عند والدي أليشع الغنيين، فإنهما لم يقفا عائناً أمام ابنهما في ترك كل ما لديه ليخدم الرب. لقد ذبح أفضل الثيران وحرق المحاريث، وقدم طعاماً للشعب، ولم يحسب ذلك خسارة.

❖ لا يريد الرب منّا أن نترك كل مصالحنا دفعة واحدة بل نسلمها قليلاً قليلاً ما لم يكن أمرنا كأليشع الذي ذبح ثوره وأطعم الشعب بما لديه، حتى لا يعود ينشغل بشيءٍ ممّا لديه، بل يترك كل شيء ويكرس نفسه للتعليم النبوي^٢.

القديس أمبروسيوس

يتحدّث القديس أمبروسيوس عن العمل المشترك بين الخدام الشيوخ والشبان، لكل منهم دوره المكمل للآخر.

❖ ما أجمل الوحدة بين الشيخ والشاب. واحد يشهد والآخر يعطي راحة، واحد يقود والآخر يعطي سروراً... ماذا عن إيليا وأليشع؟ مع أن الكتاب لم يتكلّم كثيراً عن أليشع أنّه كان شاباً، ألا يمكن أن نفهم منه أنّه كان الأصغر. في أعمال الرسل أخذ برنابا مرقس معه، وبولس سيلا (أع ١٥:

¹ St. John Chrysostom: Hom. On St. Matthew, hom 78,4, 14:3.

² St. Ambrose: Duties of the clergy, book 1:30:149.

(٣٩-٤٠) وتيموثاوس (أع ١٦: ٣) وتيطس (تي ١: ٥).

نرى أيضًا تقسيم الواجبات بينهم... فالشيوخ يقودون مقدمين المشورة، والشبان يظهرون حيوية عمل. غالبًا كلهم متشابهون في الفضيلة، ولكنهم ليسوا في السنوات. يبتهجون في وحدتهم، كما كان بطرس ويوحنا. نقرأ في الإنجيل أن يوحنا كان شابًا، بشهادة كلماته نفسها، ومع هذا لم ينقص عن الشيوخ في الاستحقاقات والحكمة. يحمل سمات ناضجة وقوة وتعقلًا في ذهنه^١.

القديس أمبروسيوس

تمت هنا ثلاثة لقاءات لإيليا مع السمائيين.

اللقاء الأول مع ملاك مسه وطلب منه أن يقوم ويأكل.

اللقاء الثاني عاد الملاك فمسه وطلب منه أن يقوم ويأكل ليسيير بقوة هذه الأكلة أربعين نهارًا وأربعين ليلة، حتى يبلغ جبل سيناء (حوريب) ويدخل المغارة، ربما التي دخل فيها موسى النبي.

اللقاء الثالث مع إله الملائكة نفسه حيث تم الحوار بينهما في وسط صوت خفيف هادئ. يرى العلامة ترتليان أنه في هذا اللقاء رأى إيليا أن الله هو طول الأناة، جالسًا على العرش. يقول: [لأن طول الأناة يجلس على عرش الروح الهادئ اللطيف هذا الذي لم يوجد في وسط أصوات الريح العاصف، ولا في ألوان السحاب الغامقة، وإنما في الهدوء الشديد الواضح والبسيط، هذا الذي رآه إيليا في اللقاء الثالث... عندما ينزل روح الله يصاحبه الصبر (طول الأناة) بطريقة غير منظورة^٢].

من وحي ١ مل ١٩

لأراك على جبل حوريب!

❖ عند سفح الجبل عسكر الشعب،

فراوا الجبل يحترق والدخان يملأ السماء.

الصخور تزلزلت، والريح العاصف مملوء رهبة ورعبًا.

أما موسى فكان على الجبل يتسلم من يديك شريعتك.

كانت قلوب الشعب تهتز مضطربة جدًا،

وكان قلب موسى يهتز طربًا، إذ التقى بخالقه المحبوب.

¹ St. Ambrose: Duties of the clergy, book 2:20:100, 101.

² Tertullian: On Patience, 15.

❖ على ذات الجبل التقى بك إيلياً النبي.

حدث ريح عاصف وزلزلة ونار،
لكن وسط الصوت الهادئ الخفيف تمتع بالحوار معك.
نسي إيلياً مقاومة إيزابل له،
زال اليأس من قلبه، وأدرك القلة القليلة المقدسة لك.
لقاؤه معك ملأ قلبه رجاءً.
فتح أبواب السماء أمام عينيه.

❖ نزلت يا إلهي إلى أرضي.

وُلدت في مزود حتى أتمتع برؤياك.
لا أعود أسمع صوت ريح عاصف.
ولا أرتبك من زلزلة،
ولا أخشى نازاً،
فإن إله الطبيعة جاء إليّ لا يصيح ولا يسمع أحد صوته.
لأراك في داخلي وأتمتع برؤياك.
أدخل معك في حوار حبٍ لا ينقطع.
أنسى وادي الدموع،
ولا أخشى الأحداث.
أتمتع بك يا شهوة قلبي.

الأصحاح العشرون

نصرة أخاب على بنهد

في الأصحاح السابق رأينا إيلياً النبي وقد تمرّرت نفسه بسبب ارتداد إسرائيل عن الله واضطهادهم لأنبيائه. كان قلبه ملتهباً بالغيرة على مجد الرب. كشف له الله عن البقية الخفية المقدسة وسط الشعب وعن خطته للتأديب، خاصة ضد بيت أخاب. لكن الله في طول أناته أعطى فرصاً أخرى لأخاب لعلة يرجع إليه.

سمح الله لبنهد ملك سوريا أن يطلب من أخاب فضته وذهبه ونساءه وبنيه الحسان فوافق. عاد فطلب أن يبعث إليه إرسالية تستولي على كل ما يحسن في عيني أخاب، فالتجأ الملك إلى شيوخ الأرض الذين رفضوا ذلك. بعث إليه الرب نبياً يؤكد له أنه يهبه نصرة على بنهد. وبالفعل انتصر عليه في موقعتين، وإذ سقط بنهد بين يديه لم يطع وصية الرب بل أقام معه عهداً، فصدر الأمر بأن تطلب نفس أخاب عوضاً عن نفس بنهد، وشعب إسرائيل عوضاً عن أرام.

١. بنهد يطلب ما لأخاب ٥-١.
٢. بنهد يستغل أخاب ٦.
٣. بنهد يستعد للمعركة ٧-١٢.
٤. نصرته في الموقعة الأولى ١٣-٢١.
٥. كشف خطة بنهد ٢٢-٢٧.
٦. نصرته في الموقعة الثانية ٢٨-٣٣.
٧. معاهدة مع بنهد ٣٤.
٨. نبي يعلن عن قصاصه ٣٥-٤٣.

١. بنهد يطلب ما لأخاب

"وجمع بنهد ملك أرام كل جيشه واثنين وثلاثين ملكاً معه وخيلاً ومركبات،
صعد وحاصر السامرة وحاربها.
وأرسل رسلاً إلى أخاب ملك إسرائيل إلى المدينة.
وقال له: هكذا يقول بنهد.

لي فضتكَ وذهبك، ولي نساؤك وبنوك الحسان.

فأجاب ملك إسرائيل وقال:

حسب قولك يا سيدي الملك أنا وجميع ما لي لك" [١-٤].

بنهدد هنا ربماً هو ابن أو حفيد بنهدد الذي ساعد آسا ضدّ بعشا (١ مل ١٥ : ١٨). حاصر السامرة ومعه ٣٢ ملكاً، ليس بمعنى ملوك لدول مجاورة تحالفت معه. وإنما غالباً كانوا حكاماً لإقطاعيّات تابعة لمملكة أرام [٢٤] أو رؤساء قبائل. فقد امتدّت مملكة أرام من الفرات إلى الحدود الشماليّة لإسرائيل. جاء في النقوش الآشوريّة أن هذه الدولة تحوي عدداً ضخماً من الممالك الصغيرة جداً.

كان بعض الملوك الفينيقيين والسوريين يملك كل منهم على مدينة واحدة، له استقلاله الكامل، يشترك الكل معاً فقط في العمل العسكري للهيمنة والسيطرة أو للدفاع. وكان ملك المدينة العظمى كدمشق هو الحاكم العام الذي يجمع كل هؤلاء الملوك لأجل سلامة الدولة أو لتحقيق مكاسب عسكريّة.

أراد محاصرة مدينة السامرة، ولا يعرف سبب هذا الحصار، إن كان لأجل مطامع ماديّة أم تخفي وراءها أسباب سياسيّة. أخضع داود الملك الأراميين والزمهم بالجزية، لكن ارتداد إسرائيل عن الله جعل من أرام رعباً لها. طلب آسا ملك يهوذا من أرام أن تغزو إسرائيل (١ مل ١٥ : ١٨-٢٠). الآن تحاول أرام غزو إسرائيل من ذاتها.

كانت السامرة مبنية حديثاً ولم تكن بعد قد حصّنت كما ينبغي. أرسل بنهدد يهدّد بالحصار ما لم يخضع له أخاب، لا بدفع الجزية فحسب بل وتقديم كل ما لديه من فضّة وذهب ونساء وأبناء حسان، أي يصير له كل شيء، وتخضع إسرائيل تماماً لأرام لتصير تحت إدارتها. فإن الاستيلاء على نساء الملك إنّما كان يعني أنّه يصير هو ملك البلاد.

يبدو أن بنهدد كان يتوقّع رفض أخاب هذا الطلب، فيحاصر المدينة، ويستولي عليها تماماً. فإنّه يمكن للملك أن يسلم كنوزه لينقذ حياته، أمّا أن يسلم كل أسرته من زوجات وأبناء فهذا مستحيل.

قبل أخاب الشروط قائلاً له أنّه هو وكل ماله فهو له، لعلّه ظنّ أنّه بهذه الإجابة يستطيع أن يهدّي من غضب بنهدد ليندخّل معه في حوارٍ نافع. لقد أدلّته الخطيّة ففقد كل احترام لنفسه وثقة، فقبل في خنوع أن يسلم ممتلكات الدولة وزوجاته وأبناءه للعدوّ. حرّمته الخطيّة من الله مصدر قوّته وحمايته. إذ رفض أن يحكم الله في قلبه استطاع العدوّ أن يحكم على كل حياته وممتلكاته. بتمرّده

على الله صار عبدًا حتى لأخيه الوثني.

لقد أعدَّ أخاب الذهب والفضة للبعل (هو ٢: ٨)، فصادرها العدو لحسابه.

عرف أخاب بالخبرة عجز البعل وبطلانه لكن من أجل إرضاء زوجته، وربما لأجل شهواته عبد البعل ودفع الشعب لذلك، فحرم نفسه من الله القادر أن يسنده ويهبه روح القوة والنصرة والكرامة.

"فرجع الرسل وقالوا:

هكذا تكلم بنهدد قائلاً:

إنِّي قد أرسلت إليك قائلاً:

إن فضتكَ وذهبك ونساءك وبنيك تعطيني إياهم" [٥].

إذ بلغ أخاب إلى أقصى حدود المذلة والانسحاق، فوضع نفسه تحت قدمي بنهدد، لكن بنهدد لم يترفق به بل شجعه هذا أن يتصلّف بالأكثر في غطرسة.

لم يكن بنهدد طمّاعاً فحسب بل وكان متعجرفاً، فلم يشبعه أن ينال كل ما لدى أخاب حتى أسرته، بل طلب أن يبعث إليه بإرسالية تأخذ كل ما يشتهي أخاب.

ما هو الفرق بين الإرساليتين؟ في الإرسالية الأولى طلب كنوز الملك وأسرته، أمّا في الثانية فربما عنى أنّه يبعث بنهدد عبيده ليفتسوا عن كل ما يشتهي أخاب، لا ما يشتهي بنهدد وعبيده ليأخذوه. بمعنى آخر لا يريد أن يأخذ فقط وإنما أن يهين الملك، فيغيظه بسلب ما يشتهي حتى وإن كان بنهدد أو عبيده لا يستخدمونه. يرى البعض أنّه يعني سلب آلهته وأدوات العبادة. ويرى البعض أنّه كان يعني نهب الشعب كل ما لديهم من أمور تستحق السلب.

٢. بنهدد يستغل أخاب

"فإنِّي في نحو هذا الوقت غداً أرسل عبيدي إليك،

فيفتسّون بيتك وبيوت عبيدك وكل ما هو شهى في عينيك يضعونه في أيديهم ويأخذونه" [٦].

٣. بنهدد يستعد للمعركة

"فدعا ملك إسرائيل جميع شيوخ الأرض،

وقال: اعلموا وانظروا إن هذا يطلب الشر،

لأنّه أرسل إليّ يطلب نسائي وبنّي وفضتي وذهبي ولم أمنعها عنه" [٧].

استدعى أخاب شيوخ الأرض ليخبرهم بما حدث، فساء الأمر في أعينهم. لم يطلب مشورتهم في

المرّة الأولى إذ كان يشعر أنّها مسؤوليّة الشخصية أن يأخذ القرار في كنوز القصر ونسائه، أمّا وقد جاء الطلب الثاني ليدخل عبيد بنهدد ويسلبوا الشعب فكان يلزم الأمر استشارة الشيوخ. اعتبر الشيوخ أن هذا الطلب إهانة لا تُحتمل. وطلبوا من الملك رفض الطلب نهائيًا.

"فقال له كل الشيوخ وكل الشعب: لا تسمع له ولا تقبل.

فقال لرسل بنهدد:

قولوا لسيدي الملك: إن كل ما أرسلت فيه إلى عبدك أولاً أفعله،

وأما هذا الأمر فلا أستطيع أن أفعله،

فرجع الرسل وردوا عليه الجواب" [٨-٩].

تشجّع أخاب بقرار الشيوخ وأجاب على بنهدد بأنّه ملتزم بما قبله في الإرسالية الأولى لكنّه لن يقبل ما بعث به الملك في الإرسالية الثانية.

"فأرسل إليه بنهدد وقال:

هكذا تفعل بي الآلهة وهكذا تزيدي إن كان تراب السامرة يكفي قبضات لكل الشعب الذي

يتبعني" [١٠].

هدّد بنهدد أخاب بمنلٍ، فيه يعلن أنّه بجيشه إذ تتهدّم السامرة لن يجد كل جندي ملء كفّه ترابًا من تراب المدينة. هنا يشير إلى كثرة عدد الجنود الذين يحاربون وقدرتهم العسكرية، وفيه مع التهديد عجرفة وتشامخ. جاء هذا القول مشابهًا لما قاله *Trachinian* في *Thermoplae* بأن سهام الفرس تجعل نور الشمس ظلامًا.

"فأجاب ملك إسرائيل وقال:

قولوا: لا يفتخرن من يشد كمن يحل" [١١].

أجاب أخاب بمنلٍ كان شائعًا في الشرق يحمل مغزى يرسله الملوك لأعدائهم، وهو أنّه لا يليق بمن يرتدي الأسلحة أن يفتخر كمن ذهب المعركة وعاد منتصرًا. يلزمه أن ينتصر ويحقّق النصره وعندئذ يفتخر بنصرته. يليق ألا يفتخر الإنسان مقدّمًا بما سيحدث، لأنّه لا يعلم ماذا يقدر له هذا اليوم (أم ٢٧: ١). لينتظر حتى تتم المعركة.

"فلما سمع هذا الكلام وهو يشرب مع الملوك في الخيام قال لعبيده: اصطفوا.

فاصطفوا على المدينة" [١٢].

كان بنهدد والملوك الاثنان والثلاثون يسكرون في خيمة وسط المعسكر، فطلب من الجند أن يستعدوا للمعركة بالهجوم على السامرة.

أصدر الملك أوامره العسكرية وشفته تشريان المُسكر، وكان سكره مؤشراً لهزيمته بالرغم من إمكانياته الجبارة وثقته في نفسه وفي جيشه التي لم يكن يشوبها أدنى شك. أنه مثل بيلشاصر الذي فقد الإمبراطورية كلها هو يسكر (دا ٥).

يقول سليمان الحكيم: "الخمير مستهزئة، المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم" (أم ٢٠: ١)؛ "محب الفرح إنسان معوز محب الخمير والدهن لا يستغني" (أم ٢١: ١٧). "لا تكن بين شريبي الخمير بين المتلفين أجسادهم" (أم ٢٣: ٢٠). "لا تنتظر إلى الخمير إذا احمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساعت مرققة" (أم ٢٣: ٣١). كما قيل: "ليس للملوك يا لموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر" (أم ٣١: ٤).

يقول القديس جيروم عن خطورة السكر معلقاً على ما ورد بخصوص نوح الذي فقد سترته وتعرى حتى أمام بنيه: [لا يجوز لأحد أن يقول بأن السكر ليس بخطيئة نقرأ عن نوح أنه سكر مرة، ولكن الله يحذرنا من أن نظن فيه أنه سكير ومدمن للخمر^١]. كما يقول: [ساعة واحدة سكر فيها عرت (نوحاً) الذي ظلّ مستتراً طوال ستمائة عام بالوقار^٢]. ويقول: [بعد سكره تعرى جسده، فإن تدليل النفس يؤدي في النهاية إلى السقوط في الشهوة، فالبطن تتخم أولاً وعندئذٍ تنثور الأعضاء^٣]. ويقول القديس أمبروسيوس: [يا لسلطان الخمير، فقد جعلت ذلك الذي لم تغلبه مياه الطوفان أن يصير عارياً^٤]. أصدر أوامره بالتحرك العسكري، أما هو فلم يتحرك عن موضع السكر، ظاناً أنه في ساعات يتسلم الجيش السامرة ويديكها تماماً.

٤ . نصرته في الموقعة الأولى

"وإذا بنبي تقدم إلى أخاب ملك إسرائيل وقال:
هكذا قال الرب: هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم؟
هأنذا أدفعه ليدك اليوم، فتعلم إنّي أنا الرب" [١٣].

أرسل الله نبياً يحمل رسالة رقيقة إلى هذا الملك الشرير، وذلك للأسباب التالية:

¹ On Forgiveness of Sins and Baptism, 12.

² Epistle 69:6.

³ Epistle 22.

⁴ Concerning Virgins 1:9 (53).

- من أجل الشعب المسكين الذي انحدر في الشرّ، فيقدّم لهم الله الفرصة للتوبة وتجديد العهد معه.
- لكي يتوب الملك أو بعصيانه يكمل كأس شرّه.
- ليحطّم كبرياء بنهدد وعجرفته.
- ليؤكّد الله لنا أنّه هو الذي يبحث عنّا ويرسل لنا أنبياءه ورسله، وأخيرا جاء بنفسه إلينا. إذ لم يطلب الملك من الله عونًا، ولا صلّى إليه، ولم يبحث عن نبي لكي يسنده. بادره الله بالحب والاهتمام!

التجأ أخاب إلى شيوخ إسرائيل الذين وعدوه بالوقوف معه، أمّا النبي فجاء دون دعوى منه لا ليسنده بل ليؤكّد له النصر من قبل الرب ويرشده عن كل تحرّك وتصرف.

لا نعرف اسم النبي الذي تقدّم ليتحدّث مع أخاب الملك. يرى الحاخامات المفسّرون أن هذا النبي هو ميخا الوارد في (١ مل ٢٢: ٨). لا نسمع عن إيليا النبي ولا عن أليشع تلميذه ربّما كان إيليا في مملكة يهوذا يُعد أليشع للعمل النبوي. ولعلّه بخروجه من إسرائيل هدأت إيزابيل وخفّفت الضيق على المؤمنين، فوجد المائة نبي الذين كان يعولهم عويديا الفرصة للخروج من المغارتين ويمارسا عملهما على مستوى فردي أو عائلي.

لم يُرسل إيليا النبي لأخاب بل أرسل نبي آخر لحكمة إلهية فائقة. لعلّه أراد الله أن يعطي أخاب وإيزابيل فرصة للتعامل مع نبي آخر يبدأ معهما بما فيه نصره أخاب بعد انسحاقه الشديد أمام بنهدد. نبّه النبي الملك أخاب إلى كثرة عدد جيش بنهدد، حيث يقدرها البعض بحوالي ١٣٠ ألفاً، مؤكّداً له أن الله يهبه نصره عليه لكي يعرف أخاب أن الله هو الرب. وبالفعل تحقّق قول النبي ومع هذا لم نسمع عن أخاب أو الشعب قدّموا ذبيحة شكر أو تسيب الله واهب النصر.

"فقال أخاب: بمن؟"

فقال هكذا قال الرب: بغلمان رؤساء المقاطعات.

فقال: من يبتدئ بالحرب؟

فقال: أنت" [١٤].

سأل أخاب النبي بمن يحارب، وجاءت الإجابة برؤساء المقاطعات، فقد هرب كثيرون منهم إلى العاصمة بعد أن تغلغل جيش العدو في الجليل وفي شمال السامرة. يحارب الشباب منهم، وربّما ليس لهم خبرة عسكريّة. سأل من الذي يبدأ إسرائيل أم أرام، فجاءت الإجابة أن يبدأ إسرائيل.

"فعدّ غلمان رؤساء المقاطعات فبلغوا مائتين واثنين وثلاثين،

وعدَّ بعدهم كل الشعب كل بني إسرائيل سبعة آلاف" [١٥].

كان قوام الجيش الإسرائيلي المحارب هو ٢٣٠ شخصاً في المقدمة، غالباً ما كان هؤلاء الحرس العسكري الخاص بحراسة القصر الملكي، يخرجون وراء الملك. ومن ورائهم ٧٠٠٠ نسمة من الشعب. هذا الرقم لا يقارن بجيش أرام البالغ ١٣٠ ألفاً. يرى بعض المفسرين اليهود أن السبعة آلاف هؤلاء هم الذين لم يحنوا ركبة لبعل ولا قبلوه بأفواههم. هم حصن الشعب، يعمل الله بهم ويهب بهم النصر.

"وخرجوا عند الظهر وينهدد يشرب ويسكر في الخيام

هو والملوك الاثنان والثلاثون الذين ساعدوه.

فخرج غلمان رؤساء المقاطعات أولاً،

أرسل بنهدد فاخبروه قائلين: قد خرج رجال من السامرة.

فقال: إن كانوا قد خرجوا للسلام فأمسكوهم أحياء،

وإن كانوا قد خرجوا للقتال فأمسكوهم أحياء" [١٦-١٨].

بدأت المعركة في الظهيرة بينما كان بنهدد والملوك يسكرون معاً مستهينين بأي تحرك من جهة إسرائيل. أرسل بنهدد مجموعة من الحرس ليخبروه بما يحدث، فقالوا له بأن رجالاً قادمون من السامرة، وهم الدفعة الأولى البالغ عددها ٢٣٢ شخصاً. فبيقين سألهم أن يمسكوهم أحياء، سواء كانوا قادمين من أجل السلام أو من أجل الحرب. كان بنهدد واثقاً من نصرته، فطلب القبض على القادمين وأسرههم أيّاً كان هدفهم من الحضور.

"فخرج غلمان رؤساء المقاطعات هؤلاء من المدينة هم والجيش الذي وراءهم.

وضرب كل رجل رجله،

فهرب الأراميون وطاردهم إسرائيل،

ونجا بنهدد ملك أرام على فرس مع الفرسان.

وخرج ملك إسرائيل فضرب الخيل والمركبات،

وضرب أرام ضربة عظيمة" [١٩-٢١].

صدم الملك وكل الجيش حين قتل الرجال الإسرائيليون كل من يلتقوا به. لم يكن لدى الملك في سكره أن يفكر في مواجهة القادمين للمعركة ضده، بل هرب ليخلص حياته من الموت، ممّا أربك جيشه جداً.

٥. كشف خطة بنهدد

"فتقدّم النبي إلى ملك إسرائيل وقال له:

أذهب تشدّد واعلم وانظر ما تفعل،

لأنّه عند تمام السنة يصعد عليك ملك أرام" [٢٢].

لم يستدع الملك النبي ليقدم شكرا لله. وإنما للمرة الثانية بادر الله الملك بالحب فبعث إليه النبي ليكشف له عن خطة بنهدد الخفية، وهي أنّه بعد عام سيحاربه بنهدد من جهة السهول. طلب منه أن يستعد للمعركة طوال العام.

في المعركة الأولى لم يكن لدى الملك إمكانيّة ولا وقت للاستعداد للمعركة، والرب غلب بالقليل الذي معه. أمّا وقد بقي عام فإنّه يُطالب الملك أن يستعد ليعمل الله أيضًا بالكثير. أوضح النبي أن العدو لن يستسلم بسهولة. إن فقد معركة يخطّط لمعركة أخرى. ويليق بأولاد الله أن يكونوا دومًا مستعدّين للجهاد ضدّ العدو. إن كان الله يدعونا للنبوة له، هكذا يبذل إبليس كل جهده وبلا انقطاع ليحوّلنا إلي أبناء له. إنّنا في حربٍ دائمة، لكنّنا نجد فيها نصرتنا المستمرّة بعمل النعمة الإلهيّة:

❖ يصوّب الشيطان سهامًا ضدّي، لكن أنا معي سيف. هو معه قوس، أمّا أنا فجندي أحمل سلاحًا ثقيلًا. لتتعلّم من نهجه، أنّه حامل قوسٍ لا يجسر أن يقترّب إذ يلقى بسهامه من بعيد¹.

❖ خطّط إبليس لا أن يسحبنا من البركات التي لدينا، إنّما يحاول أن يسحبنا إلى جرف صخري أكثر اندفاعًا. لكن الله في محبّته لم يفشل في الاهتمام بالبشريّة. لقد أظهر لإبليس كيف أنّه غبي في محاولاته. لقد أظهر للإنسان عظم العناية التي يظهرها الله له، فإنّه بالموت وهب الإنسان الحياة الأبديّة. لقد سحب إبليس الإنسان من الفردوس، وقاده الله إلى السماء. فإن النفع أكثر بكثير من الخسارة².

❖ لقد فقدتم الفردوس، لكن الله وهبكم السماء، حتى يؤكّد حنؤه، وأنّه يلدغ إبليس، مظهرًا أنّه حتى إن سبك عشرات الألوف من الخطّط ضدّ الجنس البشري، فإنّها لن تفيده حيث يقودنا الله دائمًا إلى كرامة أعظم.

¹ Baptismal Instructions, 3:11.

² Baptismal Instructions, 2:7.

أنتم فقدتم الفردوس، والله فتح السماء لكم.
لقد سقطتم تحت الدينونة بالتعب إلى حين، وقد كُرمتم بالحياة أبدياً.
يأمر الله الأرض أن تثبت شوكةً وحسكاً، أمّا تربة الروح فتثبت لكم ثمراً. ألا ترون أن الريح أعظم
من الخسارة؟^١.

❖ عندما يرى أب محبّ الإنسان الذي قتل ابنه، فإنّه ليس فقط يعاقب المجرم، وإنّما يدمّر أيضاً
السلاح نفسه الذي استخدمه. هكذا عندما يجد المسيح أن الشيطان قد دبح إنساناً فإنّه ليس فقط
يعاقب الشيطان، وإنّما يدمّر السلاح نفسه.^٢

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأما عبيد ملك أرام فقالوا له:

إن آلهتهم آلهة جبال لذلك قووا علينا،

ولكن إذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم.

وافعل هذا الأمر:

اعزل الملوك، كل واحدٍ من مكانه، وضع قواداً مكانهم" [٢٣-٢٤].

كان لدى الوثنيين اعتقاد بأن لكل إله منطقة يبسط فيها نفوذه ويعلن فيها قوّته، أمّا خارجها فلا
يستطيع أن يتحرّك لهذا قال مشيرو بنهدد للملك بأن إله إسرائيل هو إله الجبال، يسند شعبه هناك،
أمّا في المناطق السهلة فلا قوّة له. أشاروا عليه أن يعيد الكرّة في السنة التالية، وأن تكون أرض
المعركة وادياً أو سهلاً وليس جبلاً. حدّدوا له الموعد بالربيع بعد انقطاع المطر حتى يمكن للجيش أن
يتحرّك بسهولة" (١ صم ١١ : ١).

ربّما أشار مشيرو بنهدد بذلك للأسباب التالية:

أولاً: يقمّ اليهود ذبائحهم على قمم الجبال والأماكن المرتفعة، لذا فالإله هو إله الجبال.

ثانياً: وسط الجبال لا يظهر بوضوح ضخامة جيش بنهدد، أمّا في السهل تكون الرؤية للأعداد

الضخمة من الجيش مرعبة ومخيفة للإسرائيليين. وقد اختار بنهدد منطقة أفيق في وادي يزريعيل.

ثالثاً: لعلّهم كانوا يدركون بعض المزامير التي كان يسبح بها داود الملك: "رفعت عيني إلى الجبال

من حيث يأتي عوني" (مز ١٢١ : ١). "أساساته في الجبال المقدّسة" (مز ٨٧ : ١ ؛ ٧٨ : ٥٤). وما

¹ Sermon in Gen. 7, PG 5: 614 C-D.

² Baptismal Instructions, 3:10.

ورد في (مز ١٥ : ١ ؛ ٢٤ : ٣) عن الجبل المقدّس.

طلبوا منه أيضاً أن يغيّر القادة، فلا يستخدم قادة ورثوا القيادة بالميلاد، بل قادة حرب مقتدرين ومتأهّلين للمعارك. هؤلاء لا يعيشون في رفاهيّة ورغد كملوك بل هم مغامرون ومصارعون.

"وأحصى لنفسك جيشاً كالجيش الذي سقط منك،

فرساً بفرس، ومركبة بمركبة،

فنحاربتهم في السهل ونفوى عليهم،

فسمع لقولهم وفعل كذلك.

وعند تمام السنة عدّ بنهدد الأراميين

وصعد إلى أفيق ليحارب إسرائيل" [٢٥-٢٦].

في ربيع السنة الجديدة تقدّم بنهدد بجيشه إلى قرب أفيق، ليست أفيق المدينة التي في أرض أشير (يش ١٩ : ٢٠ ؛ ١٣ : ٤)، ولا تلك التي على جبال يهوذا (يش ١٥ : ٥٣). إنّما هي مدينة في سهل يزرعيل (١ صم ٢٩ : ١). غالباً هي "فيق" وهي قرية ضخمة تقع على الطريق الحالي من دمشق إلى نابلس وأورشليم. تعبيره **صعد** إلى "أفيق" مناسب، لأن فيق مستواها أعلى قليلاً من دمشق.

"وأحصى بنو إسرائيل، وتزوّدوا وساروا للقائهم،

فنزل بنو إسرائيل مقابلهم نظير قطيعين صغيرين من المعزى،

وأما الأراميون فملأوا الأرض" [٢٧].

اجتمع الإسرائيليون على منحدرات الجبال التي بالقرب من سهل يزرعيل، فكانوا أشبه بقطيعين بانسين من الماعز متى قورنوا بالأعداد الرهيبة التي للأراميين حيث ملأوا الأرض. لم يقل "قطيعاً غنم"، لأنّه لا توجد قطعان ماعز كبيرة تجتمع معاً، وكأنّ التشبيه يكشف عن قلّة عدد جيش إسرائيل بالنسبة لضخامة العدو.

٦. نصرته في الموقعة الثانية

"فتقدّم رجل الله وكلم ملك إسرائيل وقال:

هكذا قال الرب:

من أجل أن الأراميين قالوا إن الرب إنّما هو إله جبال وليس هو إله أودية،

أدفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك،

فتعلمون إنِّي أنا الرب" [٢٨].

أرسل الله نبيًا غالبًا غير النبي الذي ظهر منذ عام، يعلن عن نصرته هذا الجيش الصغير نسبيًا. لقد جدّف الأراميون على الله ظانين أنّه يحدّ بمكانٍ ما، فأراد الله أن يظهر لهم قوّته أنّه حال في كل موضع.

"فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيّام،

وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب،

فضرب بنو إسرائيل من الأراميين مائة ألف رجل في يومٍ واحدٍ.

وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة،

وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين،

وهرب بنهدد ودخل المدينة من مخدعٍ إلى مخدعٍ" [٢٩-٣٠].

بقي الجيشان سبعة أيّام دون اشتباك ربّما لكي يدبّر كل جيش خطّته على الطبيعة، أو ليرسل كل منهما جواسيس لاكتشاف إمكانيّات الجيش الآخر.

بدأت المعركة وكانت المفاجأة أن قتل الإسرائيليّون مائة ألفٍ من الجند، وهرب الباقي إلى مدينة أفيق المحصّنة، لكن زلزالاً ربّما حدث فسقطت أسوار المدينة ومات ٢٧ ألفاً. وصارت أفيق مدينة بلا حصون.

انطلق بنهدد إلى المدينة يهرب من حجرة إلى حجرة.

سقطت أفيق في يد الإسرائيليّين، ولم يكن لبنهدد أي مجال للهروب. أشار عليه عبيده أن يلبس معهم المسوح. ويضعوا حبالاً حول أعناقهم كمن يسلمونها لأخاب إن أراد فليشنقهم بها. أو يقودهم بها مربوطين كأسرى حرب. خضوع كامل للملك، مع إظهار توبة عما سبق.

"فقال له عبيده:

أنّا قد سمعنا أن ملوك بيت إسرائيل هم ملوك حلّيمون،

فلنضع مسوحاً على أحقاننا وحبالاً على رؤوسنا،

ونخرج إلى ملك إسرائيل، لعلّه يحيي نفسك.

فشدّوا مسوحاً على أحقائهم، وحبالاً على رؤوسهم،

وأتوا إلى ملك إسرائيل وقالوا:

يقول عبدك بنهدد لتحيي نفسي.

فقال: أهو حي بعد؟ هو أخي" [٣١-٣٢].

كل ما اشتهاه بنهدد أن يعيش تحت أيّة شروط. يبدو أنّه كان يشتهي أن يعيش ولو كعبيدٍ أسيرٍ خارج بلده كل أيام حياته. في تجديفه على الله كان متسامحًا يذل الملك ورجاله وشعبه، ولم يكتفِ بأن يستولي على فضّة وذهب الدولة ونساء الملك وبنيه. الآن يشتهي أن يحيا ولو فقيرًا في مذلّةٍ وعارٍ. بعد أن كان يقسم ويهدّد، الآن ينسحق ويتوسّل راجيًا أن يبقيه عدوّه حيًّا. وكما جاء في أيوب (٤٠: ١١-١٣) أن الله يتمجّد عندما يتطلّع إلى المتسامخين وينزلهم ويدفنهم معًا في التراب.

جاء موقف أخاب عجيبيًا، أولاً عصى الوصيّة الإلهيّة التي وجّهها إليه رجل الله وهي ألا يبقى بنهدد حيًّا، فهو مجدّف متسامخ وعنيد ومملوء طمعًا. فهل انخدع أخاب بما فعله بنهدد وعبده الذين تقدّموا إليه في مذلّة؟ أم أنّه أراد أن يكسب ودّ الملك لكي يسنده ضدّ آشور الذي بدأ نجمها يلمع في ميدان السياسة؟ أو لعلّ أخاب وجد ما يشبع نفسه أنّه بعد المذلّة الشديدة والخوف صار الأمر بين يديه فيظهر نوعًا من الشهامة والكرم؟ على كل الأحوال تجاهل أخاب الوصيّة المقدّمة إليه من قبل الله ليسلك بفكره البشري المجرد.

ما هو موقف أخاب؟

لم يعاقبه بكلمة واحدة على تجديفه على الله، ولم يشر إليه بأن النصره التي نالها هي لمجد الرب، والدمار الذي لحق ببنهدد كان بسبب تجديفه على الرب، إذ لم يشغله الرب في أمرٍ ما، ولم يشر إليه قط.

كان يليق بأخاب أن يتعظ بمتلٍ سابقٍ أمامه وهو شاول الملك الذي ترك أجاج حيًّا (١ صم ١٥: ٩) مخالفًا قول الرب له.

وكان يلزمه أن يلتقي برجل الله الذي أنبأه بالنصرة وأكّد له أنّها من قبل الله. يسأله فيما يفعله، ويطلب مشورة الله.

أقام عهدًا مع بنهدد ولم يقر عهدًا مع الله. أقامه ليس عن كرمٍ وشهامه، بل عن تعويضٍ لضعفه وفي غباوةٍ وعدم معرفة. لم يطلب أخاب تعويضًا عن الخسائر التي لحقت به منذ بدأ بنهدد يهدّد ويحاصر السامرة ويحارب، لكن بنهدد أغراه بأنّه سيسلمه المدن التي استولى والده عليها من عمري والد أخاب، وأن يسمح لليهود بإقامة حيّ خاص بهم في دمشق يعيشون فيه ويمارسون تجارتهم وعبادتهم وقضاءهم.

لقد حمل أخاب مظهرًا براقًا من العفو واللطف والرحمة والسخاء، لكن الله يجازي لا بالمظهر بل

بالقلب والنية الداخلية والنقاوة الصادقة.

"فتفاعل الرجال وأسرعوا ولجّوا هل هو منه،
وقالوا أخوك بنهدد.

فقال: ادخلوا خذوه، فخرج إليه بنهدد، فأصعده إلى المركبة" [٣٣].

٧. معاهدة مع بنهدد

"وقال له: إنني أرد المدن التي أخذها أبي من أبيك،

وتجعل لنفسك أسواقاً في دمشق كما جعل أبي في السامرة.

فقال: وأنا أطلقك بهذا العهد فقطع له عهداً وأطلقه" [٣٤].

انشغل أخاب بالمكاسب المعنوية والمادية، ولم ينشغل بأن يقتني الله نفسه، سرّ النصر والغنى.

❖ ليكون الرب إلهك هو رجاءك. لا تطلب منه شيئاً آخر، بل ليكون هو نفسه رجاءك.

يوجد أناس يترجّون في الله غنى أو كرامات زائلة ومؤقتة. في اختصار يترجّون أن ينالوا من الله أموراً غير الله نفسه.

اطلبه وحده، واحتقر كل ما سواه، وليكن طريقك نحوه. لتتسى الأمور الأخرى وتذكره، اترك الأمور الأخرى إلى الوراثة واقترّب إليه. ليكون هو رجاءك، هذا الذي يقودك إلى مصيرك^١.

❖ اترك كل رغباتك. ذلك الذي صنع السماء والأرض أكثر جمالاً من الكل. ذلك الذي خلق كل

الأشياء أفضل من الكل، سيكون بالنسبة لك كل ما تحبه. تعلم أن تحب الخالق في خليقته، في

العمل الذي صنعه هو. لا تسمح لما فعله أن يمسك بك فتفقد ذلك الذي هو نفسه قد خلقك^٢.

القديس أغسطينوس

٨. نبي يعلن عن قصاصه

"وإن رجلاً من بني الأنبياء قال لصاحبه عن أمر الرب: اضربني.

فأبى الرجل أن يضربه" [٣٥].

يبدو أنه بعد قتل أنبياء البعل وهروب إيليا هدأت إيزابيل جدّاً وبدأ الأنبياء يظهرون. وكان التدريب

¹ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 296.

² Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year*, Springfield, Illinois, 1989, p. 296.

الرئيسي في مدرسة الأنبياء الطاعة الكاملة. طلب نبي من صاحبه أن يضربه كأمر الرب فأبى، ويسبب عصيانه لكلمة الله حتى وإن لم يفهم ما وراءها تتباً له بأن أسداً يقابله ويفترسه. فإنه كأحد أبناء الأنبياء كان يلزمه الطاعة الكاملة. يرى البعض أن هذا النبي هو ميخا (١ مل ٢٠: ٨) كان لا بد لصديقه أن يدرك أن ما يأمر به الرب في فترة النبوة من تصرّفات تحمل معنى رمزياً، لذا يلزم طاعتها حتى يدرك فيما بعد ما وراء هذا التصرف من معنى. كان المعنى وراء هذا الأمر الإلهي هو أن الملك أحاب يستحق أن يُضرب. كان لا بد أن يُجرح النبي لكي يبدو كأنه جندي جريح في المعركة يلجأ إلى الملك يطلب حكمه، فإنه أمين في عمله وجرح من أجل الملك والشعب لحماية بلده لكنّه أخطأ إذ لم يحفظ إنساناً سلم بين يديه بل فقده.

حكم الملك بالعدل ولم يدرك أن مرتكب هذا الخطأ هو الملك نفسه. من فمه صدر الحكم أن نفسه تُطلب عوضاً عن نفس بنهدد، وشعبه عوضاً عن شعب آرام.

"فقال له: من أجل أنك لم تسمع لقول الرب،

فحينما تذهب من عندي يقتلك أسد.

ولما ذهب من عنده لقيه أسد وقتله.

ثم صادف رجلاً آخر فقال: اضربني.

فضربه الرجل ضربةً فجرحه.

فذهب النبي وانتظر الملك على الطريق، وتكرّر بعصاةٍ على عينيه.

ولما عبر الملك نادى الملك، وقال:

خرج عبدك إلى وسط القتال، وإذا برجل مال وأتى إلى برجلٍ وقال:

احفظ هذا الرجل وإن فقد تكون نفسك بدل نفسه، أو تدفع وزنة من الفضة.

وفيما عبدك مشتغل هنا وهناك إذا هو مفقود.

فقال له ملك إسرائيل: هكذا حكمك أنت قضيت.

فبادر ورفع العصاة عن عينيه، فعرّفه ملك إسرائيل أنّه من الأنبياء.

فقال له هكذا قال الرب:

لأنّك أفلتت من يدك رجلاً قد حرمته، تكون نفسك بدل نفسه، وشعبك بدل شعبه.

فمضى ملك إسرائيل إلى بيته مكتئباً مغموماً، وجاء إلى السامرة" [٣٦-٤٣].

ربّما يتساءل البعض: هل يطلب الله منّا قتل أسرى الحرب؟ مستحيل! كان بنهدد هنا، في العهد

القديم، يمثل عدو الخير المضلل والمجذّف. عندما تُقدّم لنا الفرصة لنزاع كل أثر له في حياتنا أو في حياة أولادنا لا نفتح له الباب من جديد. قتل بنهدد يشير إلى ضرورة التخلّص من التصرفات الشريرة. مضى ملك إسرائيل إلى بيته مكتئبًا مغمومًا وجاء إلى السامرة. عاد بعد النصر مغمومًا دون أن يفكر في التوبة. لم يسمع لصوت داود الملك: "فالآن أيها الملوك تعقلوا، اعبدوا الرب بخوفٍ واهتفوا برعدة" (مز ٢: ١٠-١١).

❖ ليس لسبب آخر يصمّم الكتاب المقدّس على حقيقة أن وصايا الله محزنة إلا لأن النفس التي تجدها محزنة تفهم أنّها لم تتقبّل بعد مصادر النعمة التي تجعل وصايا الرب كما أمرنا بأنّها لطيفة ومبهجة، فتصلّي بشوقٍ عميقٍ بإخلاصٍ من أجل عطية سرعة الاستجابة في حفظها.^١

القديس أغسطينوس

ليس عند الله محاباة:

❖ "إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب" (مز ٧٣: ١)... فهل الله ليس صالحًا للجميع إذن؟ حقًا هو صالح لكل، لأنّه مخلص جميع البشر، خاصة المؤمنين. لهذا أتى الرب يسوع ليخلص ما قد هلك (لو ١٩: ١٠). جاء حقًا ليحمل خطية العالم (يو ١: ٢٩)، وليشفي جراحتنا، لكن لا يرغب الجميع في العلاج، وكثيرون يتجنّبونه! لئلاّ يُحقن القرع بالعقاقير، ويفقد سطوته. لهذا السبب يُشفي الذين يريدون الشفاء ولا يرفضونه. من يرغبون في العلاج يستعيدون صحتهم، أمّا الذين يقاومون الطبيب، ولا يطلبونه فلا يتمتعون بصلاحه، لأنّهم لا يختبرونه! ومن نال الشفاء يستعيد صحته، لهذا فالطبيب صالح بالنسبة للذين أعاد إليهم عافيتهم. من ثم، الله صالح لأولئك الذين غفر خطاياهم، لكن إن كان لإنسان خطية لا علاج لها في روحه، فكيف يقول إن الطبيب صالح، بينما يتحاشاه؟ ولهذا كما قلت قبلاً، شرح الرسول بحق أن الله "الذي يريد أن الجميع يخلصون" (١ تي ٢: ٤)، هو صالح لكل الناس. أمّا نعمة صلاح الله الخاصة فهي مكفولة بالأكثر لجميع المؤمنين الذين ينالون عونًا من إرادته الصالحة ونعمته. لكن حين يقول المرثم أيضًا: "إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب" فإنّه ينقل مشاعر الذين لا يعرفون كيف يتمتعون بما يخص الله، عدا أنّه صالح نحو كل شيء وهو في الكل.^٢

^١ On Man's Perfection in Righteousness 10:21.

^٢ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٢: ٣.

من وحي ١ مل ٢٠

هب لي نصره على ذاتي،
مع نصرتي على بنهدد!

❖ انتصر أخاب الشرير على بنهدد المجدف على اسمك.
لكنه حطم نفسه إذ لم ينتصر على ذاته.

❖ أدلت الخطية أخاب ناشر الوثنية.
فقد كرامته وإمكانياته.

حطمه تهديد بنهدد ملك آرام،
وكان مستعداً أن يقدم له كنوزه ونساءه وأولاده.
في محبتك قدّمت له فرصاً جديدة ليختبر قوتك.
وهبته نصره على بنهدد في معركة على الجبال.
عدت فقدّمت له نصره جديدة في السهول.
صار المتعجرف ذليلاً لك.
الذي أراد أن يغتصب مالك وأسرتك بين يديك.
ماذا قدّمت للإله واهبك النصره؟

❖ عوض الشكر له كسرت وصيته.
عوض تجديد العهد معه أقمت عهداً مع الملك الوثني.
وهبك نصره على أقسى عدو لك،
لكنك بإرادتك لم تطلب النصره على أعماقك.

❖ هب لي يا رب نصره على ذاتي.
فإنه لن يستطيع أحد ما ولا قوة ما أن تؤذيني.
أنا بكامل حرّيتي أحطم نفسي.

الأصحاح الحادي والعشرون

قتل وورث!

جاء هذا الأصحاح في الترجمة السبعينية قبل الأصحاح السابق وكأن ما حدث بخصوص الاستيلاء على كرم نابوت اليزرعيلي سبق الحرب التي قامت بين أخاب وبنهدد واتبع يوسفوس المؤرخ نفس الترتيب الوارد في الترجمة السبعينية.

كان أخاب مشغولاً بقصوره وحدائقه، فاشتبهى أن يقتني كرم نابوت اليزرعيلي الملاصق لقصره الشتوي في يزرعيل. كان مستعداً أن يدفع الثمن لنابوت أو يقدم له كرمًا آخر عوضاً عنه. رفض نابوت أن يبيع ميراث آبائه، فخططت إيزابل الشريرة لقتله. اتهمته كاهنة البعل بأنه مجدّف على اسم الله وعلى الملك، كأن قاتلة الأنبياء مهتمة باسم الله. قتلت وورثت، وإذ جاء إيليا النبي يويخ أخاب نراه لأول مرة يلبس مسوحاً ويصوم ويسير في تواضع. الله في رحمته الفاتحة يقول لإيليا النبي: "هل رأيت كيف اتضع أخاب أمامي؟! فمن أجل أنه اتضع أمامي لا أجلب الشر على بيته" [٢٨].

١. أخاب يطلب كرم نابوت ٤-١.
٢. إيزابل تقتل نابوت ٥-١٦.
٣. إيليا يلتقي بأخاب ١٧-٢٦.
٤. اتضاع أخاب ٢٧-٢٩.

١. أخاب يطلب كرم نابوت

ربّما كان نابوت يفتخر بأن كرمه ملاصق للقصر الملكي الشتوي، ولم يدرك أنه يقدم حياته كلّها من أجل هذه الجيرة. كانت نصيحة كثير من آباء الكنيسة: اهرب من الرؤساء فتخلص.

أما عن أخاب فالآن يكسر الوصية العاشرة ويشتهي ما لأخيه. كان يمكنه أن يستأجر الكرم مدى حياته، وكان يمكنه أن ينسّق الكرم وينزل فيه كما يشاء، لكنّه لم يكن يطلب إلا أن يمتلكه، وإذ ضاق به الأمر مرض!

كان نابوت إسرائيليًا يخاف الله، يعتز بميراث آبائه، حتى بالكرم الذي ورثه. لم يكن في قلب نابوت أن يهين الملك أو يخالف أوامره، لكنّه كان يشعر بالالتزام بتنفيذ الشريعة الإلهية التي تمنع بيع الشخص ميراثه لآخر نهائيًا، خاصة إن كان من سبط آخر. وإن باعه لسبب أو آخر يسترد الأرض

في السنة السابعة أو في البوبيل (لا ٢٥: ٢٣-٢٨؛ عد ٣٦: ٧). رفضه للبيع لم ينبع عن تعلقه بالكرم، ولا عن عنادٍ مع الملك، وإنما قائم على طاعته للوصية الإلهية. "وحدث بعد هذه الأمور أنه كان لنابوت اليزرعيلي كرم في يزرعيل بجانب قصر أخاب ملك السامرة.

فكلم أخاب نابوت قائلاً:

أعطني كرمك فيكون لي بستان بقول،

لأنه قريب بجانب بيتي،

فأعطيك عوضه كرمًا أحسن منه،

أو إذا حسن في عينك أعطيتك ثمنه فضة.

فقال نابوت لأخاب:

حاشا لي من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائي" [١-٣].

ما كان يشغل قلب أخاب الملك هو مسرته، حاسباً أنه بسلطانه أو ماله يحقق كل شيء حتى وإن كان مخالفاً للشرعية. أما ما يشغل قلب نابوت فهو الوصية الإلهية. لم يجد مجالاً للتفكير ما دام الأمر فيه كسر للوصية.

بلا شك كان نابوت أحد السبعة آلاف الذين لم يحنوا ركبة لبعل ولا قبلوه بشفاهم. أطاع الله أكثر من الناس. كان يرى في التنازل عن نصيبه في أرض الموعد من أجل الملك فيه إشارة إلى تهاونه في الميراث الأبدي لأجل أرضاء إنسان، مهما بلغ مركز هذا الإنسان.

يقول القديس أمبروس^١ أن نابوت لم يمتهن من أجل تمسكه بكرمه، فإنه كان يعلم أن الملك سيعوضه بكرم أفضل، لكنه تمسك بميراث آبائه.

❖ دافع نابوت عن كرومه بدمه، فإن كان لم يسلم كرمه هل نسلم نحن كنيسة المسيح؟ إن كان نابوت لم يسلم ميراث آبائه فهل أسلم أنا ميراث المسيح؟... كأسقف يلزمني أن أجيب: ليعمل الإمبراطور كإمبراطور. ليأخذ حياتي ولا يفقدني إيماني!^٢

القديس أمبروس

اتفق أخاب مع زوجته الشريرة، وقد جاء الاتفاق في الشر:

¹ St. Ambrose: Duties of the Clergy, Book 3:9:63

² Sermon against Auxentius, 17,18.

❖ في حالة أخاب كان الاتفاق أكثر خطورة من أي حرب. الاتفاق ليس صالحاً في كل الأحوال، فإنّه حتى اللصوص يتفقون معاً¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فدخل أخاب بيته مكتئباً مغموماً من أجل الكلام الذي كلمه به نابوت اليزرعيلي قائلاً:
لا أعطيك ميراث آبائي.

واضطجع على سريره، وحول وجهه ولم يأكل خبزاً" [٤].

كان تصرّف الملك طفولياً. عوض التفكير الجاد في الموقف أصيب بحالة من الاكتئاب والغم، ممّا دفع بجسده إلى المرض، فألقى به على السرير، يعاني من آلام نفسية وأمراض جسدية. دفعه كبرياؤه وطمعه وشهوته للمذات أن تُصاب نفسه كما أيضاً جسده بالأمراض .

في الأصحاح السابق رأينا أخاب يعود إلى قصره مغموماً وكئيّباً، إذ كشف له النبي عن خطئه. والآن نراه مغموماً وكئيّباً لأن نابوت يريد أن يطيع الله أكثر منه.

كان أخاب في قصره الملكي، بين يديه مباحج أرض كنعان، وفي بيته خزائن مملوءة بكل ما هو ثمين، وفي يده سلطان، ويجلس على العرش في كرامة، ومع هذا فكانت روحه مريضة ونفسه تتن من التذمّر والضيق وجسده مريضاً. إن سألته أحد يبزر ذلك بأن نابوت رفض أن يعطيه كرمه! المشكلة الحقيقية هي في أعماق قلب أخاب، لا في قرار نابوت. الكآبة هي ثمرة إعطاء الظهر لله ينبوع الفرح. عوض أن يشعر الإنسان بالشبع والكفاية فيشكر متهللاً، يظنّ أنّه في مأزق يعجز عن الخروج منه، فيعاقب نفسه بنفسه بالكآبة والغم. فالرسول بولس كان في سجن داخلي مقيد اليدين والرجلين بمقطرة، وجسمه ينزف دمًا، كان محروماً من الحرية لكي يكمل رسالته بين الشعب، ومع هذا كان متهللاً ومسبّحاً، لا تقدر الكآبة أن تبتلعه، ولا الغم أن يجد له موضعاً فيه.

ألقى بجسمه على السرير، وأعطى وجهه للحائط ربّما لأنّه لا يريد أن يرى أحد وجهه كئيّباً، أو لكي لا يعطي فرصة لأحد أن يسأل عن سبب كآبته ومرضه. وامتنع عن الأكل.

لقد أحب الملك الكرم، وتجاهل خالق الكرم.

❖ تسأل: لماذا يلزمني ألا أحب العالم ما دام الله هو الذي خلقه؟ أيّها الاخوة، الإنسان الذي يحب أي شيء ليس من أجل الله فإن محبته لله قليلة جداً.

¹ St. John Chrysostom: Hom. On St. Matthew, hom 35:1.

إنَّه ليس يجب ألاَّ تحب الأمور المخلوقة، وإنَّما أن تحبَّها لأجل ذاتها فهذا طمع وليس حبًّا^١.

❖ لك الخيار: أمَّا أن تحب الأمور الزمنيَّة وتعبر معها، أو لا تحبَّها وتبقى مع الله إلى الأبد^٢.

❖ نهر الزمن يجرف، لكن يوجد ما يشبه شجرة مزروعة على المياه، هي ربَّنًا يسوع المسيح. لقد صار إنسانًا، لكي يزرع نفسه بجوار نهر الزمن.

إن شعرت في نفسك أنَّك تتجرف إلى أسفل نحو التيار، أمسك الشجرة. إن أمسك بك حب العالم أمسك بالمسيح. فإنَّه من أجلك دخل في الزمن لكن لم يكف عن أن يبقى أبدًا^٣.

القديس أغسطينوس

٢ . إيزابل تقتل نابوت

"فدخلت إليه إيزابل امرأته وقالت له:

لماذا روحك مكتئبة ولا تأكل خبزًا؟

فقال لها: لأنِّي كلَّمت نابوت اليزريعي،

وقلت له أعطيني كرمك بفضَّة وإذا شئت أعطيتك كرمًا عوضه،

فقال: لا أعطيك كرمي.

فقال له إيزابل: أنت الآن تحكم على إسرائيل،

قم كل خبزًا وليطب قلبك،

أنا أعطيك كرم نابوت اليزريعي" [٥-٧].

سألت إيزابل زوجها عن سبب كآبته وامتناعه عن الطعام. فأخبرها بما حدث بينه وبين نابوت اليزريعي، دون أن يشير إلى سبب رفضه البيع، وهو "الوصيَّة الإلهيَّة"، ربَّما لأنَّه كان يخشى أن يشير إلى الله في حديثه معها.

تحت مظهر تقديم تعزية وراحة لزوجها الحزين غدَّت كبرياءه وألهبت الجمر المتقد في داخله. لقد حسبت في تصرُّفه هذا وفي كآبته وامتناعه عن الطعام إهانة لمركزه كملك صاحب سلطان، يأمر وينهي، فإن الأمر أصغر بكثير من أن يفكر فيه الملك. الدخول في حوار مع أحد العامة مثل نابوت،

¹ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, Spiritual Readings throughout the Year, Springfield, Illinois, 1989, p. 125.*

² Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, p. 125.*

³ Robert Llewelyn, *The Joy of the Saints, p. 125.*

في نظرها، فيه مهانة له ولعرشه وتاجه الملوكي، إنَّه لا يليق به أن يحاور ويبيع ويشترى، إنَّما يأمر فيطاع. هكذا أعطت للملك درسًا في التسامح والعجرفة واستغلال السلطة. أخبرته أنَّها وهي الملكة ستقدِّم له الكرم بلا تعب وبلا مقابل.

كأنَّها تقول له: من هو الملك أنت أم نابوت؟ إن كان نابوت يرفض طلبك، إذن فهو الملك الذي له سلطان أن يرفض وأنت لست بملكٍ إذ تخضع لرفضه.

"ثم كتبت رسائل باسم أخاب وختمتها بخاتمه، وأرسلت الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين في مدينته الساكنين مع نابوت. وكتبت في الرسائل تقول:

نادوا بصوم، وأجلسوا نابوت في رأس الشعب.
وأجلسوا رجلين من بني بليعال تجاهه ليشهدا قائلين: قد جدفت على الله وعلى الملك،
ثم أخرجوه وارجموه، فيموت" [٨-١٠].

بعد أن قدمت درسًا للملك عن مفهوم الملك والسلطة، أرادت أن تقدم درسًا لنابوت عن مفهوم الخضوع والطاعة للملك حتى وإن كان على حساب الوصيَّة الإلهيَّة. فإنَّها لن تقبل أقل من سفك دمه ثمناً لتكريمه الوصيَّة الإلهيَّة أكثر من الأمر الملكي.

بعثت الملكة برسائل إلى الشيوخ والرؤساء مختومًا باسم الملك أخاب. ختم الرسالة يشير إلى أن ما ورد بها ملكي، وأمر خطير للغاية يمس كيان الدولة وأمنها. عرف الفراعنة الختم على الرسائل منذ حوالي ٢٠٠٠ ق.م. وتوجد أختام لسنحاريب والملك سيرجون. وذكرت الختم في أيام أستير الملكة (أس ٣: ١٢). كان اليهود يضعون عجينة من الفخار على الرسالة ويختمونها (أي ٣٨: ٤١).

يظهر من عدد [٨] أن الرسالة كتبت من القصر الذي في السامرة إلى الشيوخ الذين في يزرعيل على بعد حوالي ٧ أميال. وكان هؤلاء أدوات تحرَّكها الملكة كيفما شاءت.

يبدو أنَّه لم تكن هذه هي المرة الأولى التي فيها استعارت إيزابيل ختم الملك لتكتب حسبما تشاء. لعلَّها استخدمته حين كتبت رسائل تأمر فيها بقتل الأنبياء. كتبت رسالتها إليهم تطلب فيها الشهادة الزور ضد نابوت والحكم عليه بالموت، دون أن تقدم السبب لفعل هذا. لم ترسل شهود زور من قبلها، بل طلبت من القضاة أن يبحثوا هم عن شهود زور، من أبناء بليعال، ثم يصدروا الحكم وهم عارفون أنَّه يقوم على شهادة كاذبة. هذا ما كان يمكن أن يتم لولا معرفتها التامة أنَّهم أناس فاقدون الضمير، بلا أمانة ولا كرامة. كتبت بأسلوب يفهم منه تأكُّدها التام من طاعتهم لها على حساب الحق. وكأنَّها

بالحياة إلى تبت السموم خلالهم.

غطت الخطئة بثوب ديني، فالإتهام الأول هو تجديفه على الله ثم على الملك. اتهمته بما ترتكبه هي في صورة بشعة، أي التجديف على الله ومقاومته وقتل أنبيائه. وطلبت أن تتم المحاكمة بتبدير محكم كمن يلتزم بالعدالة.

كان جزاء التجديف على الله هو الرجم (لا ٢٤: ١٦؛ يو ١٠: ٣٣). وبعد الرجم كانت العادة أن يقام عمود من الحجارة على القبر كشهادة عن طريقة موته ويسجل عليه الجريمة التي ارتكبها. التجديف على الملك ليس جريمة ثانية يحاكم عليها نابوت، وإنما هو امتداد للجريمة الأولى. فإن تجديفه هنا ليس على شخص الملك بل عليه كوكيل الله.

طلبت إيزابل الشريرة أن ينادي القضاة بصوم، كأن الأمر خطير للغاية ويتطلب تضرعًا وتذللًا أمام الله. لم يكن هذا الصوم من قبل الله للتوبة والندامة والرجوع إليه، وإنما من قبل كاهنة وثن شريرة لكي تغلف شرها بغلاف روحي مخادع.

حقق الشيوخ بدقة شديدة ما ورد في الرسالة، أمًا خوفًا من إيزابل، أو لنوال مكاسب مادية منها أو لبغضهم تقوى نابوت. قتل نابوت علنًا، وقتل معه أولاده، حتى لا يطالبوا بالكرم كميّراتٍ لهم، ولا يدافعوا عن والدهم الذي رجم ظلمًا. كان الأبناء يتحملون العقوبة مع آبائهم (يش ٧: ٢٤-٢٥؛ ٢ مل ١٤: ٦) وكما قال ياهو عند قتله يهورام: "ألم أر دم نابوت ودماء بنيهِ يقول الرب؟" (٢ مل ٩: ٢٦). طلبت تنفيذ الشريعة في شكلينها بكل دقة، فطلبت استئجار رجلين شاهدين، لأنه لا يجوز الحكم بالموت على الإنسان على فم شاهد واحد (تث ١٧: ٦؛ ١٩: ٥؛ عد ٣٥: ٣٠؛ مت ٢٦: ٦٠). اختاروا رجلين من أبناء بليعال لا يترددان أن يكذبا ويقسما باطلاً.

تطالب الدسقولية بالاهتمام بشخصية الشاهد في المحاكمات الكنسية. فقد يحدث أن شاهدين أو أكثر يشهدون زورًا، كما حدث بالنسبة للشيخين الشاهدين ضد سوسنة في بابل (سوسنة ٢٨)، أبناء المعصية الذين شهدوا ضد نابوت في السامرة (١ مل ٢١)، وجموع اليهود الذين شهدوا ضد ربنا في أورشليم (مت ٢٦) وضد أول شهيد له إسطفانوس (أع ٦: ٧). جاء في الدسقولية: [ليكن الشهود ودعاء، بلا غضب، متحررين من الشر، أمناء، متدينين، فإن شهادة مثل هؤلاء الأشخاص حازمة بسبب شخصياتهم، وصادقة بسبب طريقة حياتهم].¹

الإتهام هو أنه مجدّف وثائر، يهاجم الله بكلمات التجديف، ويهاجم وكيله على الأرض، محتقرًا

¹ *Constitutions of the Holy Apostles, book 2:6: 49.*

كرامة العرش والتاج. يرى البعض أنه يقدم بتهمة عبادة الأوثان وعقوبتها الرجم (تث ١٢: ٦؛ ١٧: ٢-٧). وكأنها نسبت ما فعله هي لنابوت. غير أن كثير من الدارسين رفضوا التفسير الأخير. كثيرون يظنون أن كلمة *boark* تعني المعنيتين "بارك"، و"لعن"، نفس حسب النص الواردة فيه. ولعل وراء هذا أن البعض لا يريد أن ينطق بكلمة "لعن". هذا ما نلاحظه في سفر أيوب حيث قالت امرأته له "بارك الرب ومت"، ولم تترجم كلماتها حرفياً "لعن الرب ومت" (أي ١: ٥، ١١؛ ٢: ٥). يرى البعض أن كلمة "بارك" تستخدم عندما يلتقي شخص بآخر فيحييه بالبركة، وأيضاً عندما يرحل عنه، لذا تحمل معنى البركة بالمفهوم الحسن كما تعني مفهوم "لتأمر بالانصراف" أو "لتمجد" أو "تطرد" أو "تلعن". وكأن من يجدف أو يلعن الله إنما كمن يطرده ويطلب أن ينصرف عنه.

"ففعل رجال مدينته الشيوخ والأشراف الساكنون في مدينته كما أرسلت إليهم إيزابيل، كما هو مكتوب في الرسائل التي أرسلتها إليهم" [١١].

يوجد دائماً أناس يبيعون ضمائرهم من أجل أرضاء الرؤساء والعظماء حتى ينالوا مكافأة.

"فنادوا بصوم وأجلسوا نابوت في رأس الشعب.

وأتى رجلان من بني بليعال وجلسا تجاهه،

وشهد رجلا بليعال على نابوت أمام الشعب قائلين:

قد جدف نابوت على الله وعلى الملك.

فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات" [١٢-١٣].

تمت خطة إيزابيل بدقة وهي في قصرها لم تر شيئاً، بينما الله ضابط الكل والمحامي عن المظلومين كان يراقب كل الأحداث. إنه يسمح أحياناً ولكن إلى حين أن يكون لإبليس سلطاناً فيبث شره ظاناً أنه قادر أن يسيطر. يدهش سليمان لما يحدث فيقول: "يوجد باطل يجرى على الأرض أن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الأشرار، ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين، فقلت أن هذا أيضاً باطل" (جا ٨: ١٤).

كمؤمنين نشعر أن دموعنا تمتزج بدموع المظلومين وتتهدات قلوبنا مع تتهدات قلوبهم، قائلين مع الحكيم: "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تُجرى تحت الشمس، فهودا دموع المظلومين ولا معز لهم، ومن يد ظالمهم قهر، أمّا هم فلا معز لهم" (جا ٤: ١).

خطت إيزابيل وأحكمت الخطة، وقام المنافقون بتنفيذها في هذا العالم. فالعدالة لن تتحقق تماماً إلا في يوم الرب العظيم حيث لا يترك الحكم في أيدي بشرية، بل هو ديان الأرض كلها، فاحص

القلوب والكلي، صانع العدل والرحمة.

"وأرسلوا إلى إيزابل يقولون:

قد رُجم نابوت ومات" [١٤].

أرسل الشيوخ يبشرون إيزابل بأن خطتها قد تمت بكل دقة، فقد مات نابوت وأولاده. أرسلوها من يزرعيل إلى السامرة. فيما بعد جاءت رسالة من ياهو إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ يقول لهم فيها: "إن كنتم لي وسمعتم لقولي، فخذوا رؤوس الرجال بني سيدكم (أخاب) وتعالوا إليّ في نحو هذا الوقت غدا إلى يزرعيل" (٢ مل ١٠: ٦). هكذا قتل الشيوخ أولاد أخاب السبعين ووضعوا رؤوسهم في سلال وأرسلوها إلى يزرعيل. بالكيل الذي كالت بهم إيزابل كيل لها به، ومن ذات الكأس التي ملأها شربت.

"ولما سمعت إيزابل أن نابوت قد رُجم ومات قالت إيزابل لأخاب:

قم رث كرم نابوت اليزرعيلي الذي أبي أن يعطيك إياه بفضة،

لأن نابوت ليس حياً بل هو ميت" [١٥].

في شيء من المرح انطلقت إيزابل تخبر أخاب بأن نابوت ليس بموجود بعد، بل هو ميت، وتساءله أن يقوم ويملك الكرم. لم يكن من حق الملك أن يرث كرم نابوت. لكن هذا كان حسب التقليد كانت ممتلكات الخائنين للملك متى قتلوا يرثها الملك (راجع ٢ صم ١٦: ٤).

"ولما سمع أخاب أن نابوت قد مات قام أخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثه" [١٦].

كان من المتوقع أن يرسل الملك أحد رجاله ليستلم الكرم، لكن إذ كان متهلاً بما حدث نزل بنفسه إلى الكرم لكي يرثه.

٣. إيلياً يلتقي بأخاب

"فكان كلام الرب إلى إيلياً التشبي قائلاً:

قم انزل للقاء أخاب ملك إسرائيل الذي في السامرة،

هوذا هو في كرم نابوت الذي نزل إليه ليرثه" [١٧-١٨].

بموت نابوت وأولاده ظن أخاب وإيزابل بأن هذه المسرحية قد انتهت وتحقق حلم أخاب بأبسط الطرق. استراح قلب أخاب وتهلّل بما ملك، ولكن عيني الرب تتطلعان إلى المظلومين. يقول حبقوق النبي: "عيناك أظهر من أن تنظرا الشرّ، ولا تستطيع النظر إلى الجور، فلم تنظر إلى الناهبين وتصمت حين يبلى الشرير من هو أبرّ منه، وتجعل الناس كسمك البحر، كدبابات لا سلطان لها"

(حب ١: ١٣-١٤).

إله الحق أرسل إيلياً النبي إلى المشترك في جريمة القتل لكي يرث. حدث هذا في اليوم التالي للجريمة (٢ مل ٩: ٢٦)، فلم يتمتع بالكرم أكثر من ساعات قليلة، قبل أن يضع خطته لتجميل الكرم كان القضاء الإلهي قدر صدر ضده.

عندما أراد الله أن يقدم للملك رسالة للتشجيع بالنصرة على بنهدد أرسل إليه واحدا من الأنبياء في كل مرة. أما الآن فإن احتاج الأمر إلى موقف فيه جرأة وقوة للحديث بصراحة عما سيحل بالملك وأسرتة فالأمر محتاج إلى إرسال أب الأنبياء، إيلياً، يقدم له الحكم الإلهي الصادر ضده كقاتل وظالم.

"وكلمه قاتلاً: هكذا قال الرب:

هل قتلت وورثت أيضاً؟

ثم كلمه قاتلاً: هكذا قال الرب في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً" [١٩].

لقد ورث الكرم بسفك دماء بريئة ولم يدرك أنه "ويل للباني مدينة بالدماء، وللمؤسس قرية بالإثم" (حب ٢: ١٢).

هل لحست الكلاب دم أخاب في نفس الموضع الذي فيه لحست دماء نابوت اليزرعيلي؟ تحقق هذا مع إيزابل، أولاً لأنه كما سلم أخاب الأمر بين يديها وأعطاهما خاتمه لتحقيق خطتها، فصار سفك دمها في هذا الموقع إنما هو سفك دم أخاب، وما فعلته الكلاب بجثمانها كأنما تم مع أخاب نفسه. ولحست الكلاب دم أخاب عند بركة السامرة حيث غسلت مركبته وسلاحه هناك بعد أن نال جرماً قاتلاً في رامّة جلعاد، ويرى البعض أنه في هذا الموقع رجم نابوت (٢ مل ٢٢: ٣٨). أما ابنه يورام فقد قُتل بالسهم في حقل نابوت اليزرعيلي، وحتما لحست الكلاب دمه، وربما نهشت جثمانه (٢ مل ٩: ٢٥-٢٦). كما لحست الكلاب دم إيزابل ونهشت جثمانها في ذات الحقل.

"فقال أخاب لإيلياً: هل وجدنتي يا عدوي؟

فقال: قد وجدتك، لأنك قد بعثت نفسك لعمل الشرّ في عينيّ الرب" [٢٠].

لاحظ أخاب على علامات وجه إيلياً أنه في حالة غضب واثرة، وأدرك أن الله بعثه ليقدم رسالة مرّة. لهذا حسبه عدوه: "هل وجدنتي يا عدوي؟" لقد ظنّ الملك أنه توجد عداوة شخصية بينه وبين النبي، لكن إيلياً النبي أوضح له أنه هو عدو نفسه، إذ باعها للشرّ في عينيّ الرب. فالإنسان الشرير عدو نفسه، يبيعه فيصير عبداً للخطية وكما يقول الرسول: "وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية" (رو

٧: ١٤)، لأن الخطيئة وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني" (رو ٧: ١١).
كان يليق به أن يدرك خطأه ويتضع عوضاً عن أن يواجه النبي بثورة ويتهمه بالعداوة. مع أنه في آخر لقاء معه بعد قتل كهنة البعل كانا صديقين (١ مل ١٨: ٤٦). لكن الخطيئة التي ارتكبها أثارت فيه الشعور بأن الله نفسه صار عدواً له، وبالتالي يكون نبيّه.
اعتبر الملك أن من ينطق بالحق يصير عدواً له. وكما كتب القديس بولس إلى أهل غلاطية:
"أفقد صرت إذاً عدواً لكم لأنني أصدق لكم؟! (غل ٤: ١٦).

جعلت الخطيئة من الملك إنساناً جبناً، كمن يهرب من مواجهة الحق، لذا في رعبٍ قال له: "هل وجدنتي يا عدوي؟" كانت رؤيته لإيليا كرؤية بيلشاصر لليد الخفية التي كتبت أمامه على الحائط، تعلن الحكم الإلهي الصادر ضده، فاضطرب واصطككت ركبته وهما ترتعشان رعباً.
أجابه: "قد وجدتك"، فإنك لن تقدر أن تهرب من عيني الله ولا من يده. لقد أرسلني إليك.

"هانذا أجلب عليك شرّاً،

وأبيد نسلك،

وأقطع لأخاب كل بانلٍ بحائطٍ ومحجوزٍ ومطلقٍ في إسرائيل.

وأجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيا،

لأجل الإغاظة التي أغظتني ولجعلك إسرائيل يخطئ" [٢١-٢٢].

اللعنة التي سقطت تحتها أخاب تشبه تلك التي سقطت تحتها يربعام وبعشا (١ مل ١٤: ١٠-١١؛ ١٦: ٣-٤).

"وتكلم الرب عن إيزابل أيضاً قائلاً:

إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل" [٢٣].

في المدن القديمة كان يخصص موضع خارج السور تُلقى فيه البواقي وجثث الحيوانات والطيور الميتة. في هذا الموضع تحوم الطيور الجارحة وتعيش الكلاب المتوحشة حيث تجد طعامها.

"من مات لأخاب في المدينة تأكله الكلاب،

ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء.

ولم يكن كأخاب الذي باع نفسه لعمل الشرّ في عيني الرب،

الذي أغوته إيزابل امرأته" [٢٤-٢٥].

صار أخاب مثلاً رديئاً وفريداً لمن يبيع نفسه لعمل الشرّ في عينيّ الرب، مسلماً حياته في يد زوجته الوثنيّة التي لم يتسلّمها من الرب بل من الشيطان. لقد أحكمت هذه الشريرة السيطرة على رجلها كما على المملكة.

يرى القديس أمبروسيو أن من نظر إلى امرأة ليشتيتها يرتكب ما فعله أخاب وإيزابل اللذين قتلاً وورثاً ما ليس من حقهما. [إنّك تتطلّع إلى ممتلكات الأيتام وتسحبهم من أرض آبائهم¹].

❖ عندما تتوق نفوسنا إلى الله الحيّ (مز ٨٣: ٣) تكون الشهوة (المقدّسة) طعامنا. ولكن عندما يشتتهي أحدنا زوجة الغير تصير الشهوة طعام وحوش مفترسة، وذلك كشهوة أخاب مثلاً، وكتصرف إيزابل بخصوص كرم نابوت اليزرعيلي².

العلامة أوريغينوس

"ورجس جداً بذهابه وراء الأصنام،

حسب كل ما فعل الأموريون الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل" [٢٦].

٤. اتضاع أخاب

"ولما سمع أخاب هذا الكلام شقّ ثيابه،

وجعل مسحاً على جسده،

وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت" [٢٧].

إذ سمع بالحكم الإلهي على فم إيليا النبي قدّم توبة؛ مزقّ ثيابه، ولبس المسوح وصام، وكان يسير حافي القدمين في صمت. ارتدى ثوب الصوم المقدّس.

❖ "لذلك سيطر عليهم كبرياؤهم، تغطّوا بإثمهم وشرهم" (مز ٧٣: ٦). فالإثم يوقّر غطاءً رديئاً، وإن أراد أحد أن يكسونا به، يجب أن نخلعه، وإلّا أتى معنا إلى القضاء. وإن حاول أحد أن يخلع عنّا رداءنا الروحي الذي تسلّمناه، اخلعوا أنتم ثوب الإثم والبسوا غطاء الإيمان والصبر الذي بهما غطّى داود نفسه في الصوم، لئلاً يفقد ثوب الفضيلة. والصوم نفسه غطاء، فحقاً ما لم يغطّ الصوم المقدّس يوسف لعرّته الزانية الشهوانيّة (تك ٣٩: ١٢). لو كان آدم قد اختار أن يغطّي نفسه بذلك الصوم ما تعرّي! لكن لأنّه تدوّق من شجرة معرفة الخير والشرّ، معانداً الحرّم

¹ Jacob and the Happy Life, 1:3:10.

² Homilies on Genesis, 1.

السماوي، ومتعدِّياً للصوم الذي فرض عليه بتناوله طعاماً "الانصياع للشهوة الحسيَّة"، فقد عرف أنَّه عريان! (تك ٣: ٦-١١). لو صام لحفظ ثوب الإيمان وما رأى نفسه عارياً. فلننأى نحن عن تعظية نواتنا بالإثم والسكر، لنلاً يُقال عن أحدنا "لبس اللعنة كثوب!" (مز ١٠٩: ١٨). فقد كسى آدم نفسه بكساء رديء، وراح يتلمَّس أعظية من أوراق الشجر، لهذا نال حكم لعنة^١.
القديس أمبروسيو

"فكان كلام الرب إلى إيليا التشبّي قائلاً:

هل رأيت كيف اتَّضع أخاب أمامي؟

فمن أجل أنه قد اتَّضع أمامي لا أجلب الشرَّ في أيامه،

بل في أيام ابنه أجلب الشرَّ على بيته" [٢٨-٢٩].

عجيبة هي مراحم الله الفانقة، وصلاحه، فإنَّه يشتهي خلاص الكل. يترقَّب دائماً توبة كل إنسان لكي يفيض عليه من خيراته.

❖ هل قرأنا عن أحد بين الملوك أشرَّ من أخاب، إذ يقول عنه الكتاب: "ولم يكن كأخاب الذي باع نفسه لعمل الشرِّ في عينيَّ الرب"؟... يا للندامة السعيدة التي تجتذب إليها عينيَّ الرب، والتي باعناها بالخطأ غيَّرت الحكم الصادر عن غضب الله!^٢

❖ عندما اجتمع الشعب في المصفاة أعلن صموئيل صوماً فتقوَّوا وبهذا غلبوا العدو (١ صم ٧: ٧). هجوم الآشوريين تحطَّم بقوة، وقوة سنحاريب تهشَّمت بدموع الملك حزقيا ومسوحه وانَّضاعه بالصوم. وأيضاً مدينة نينوى أثارَت بالصوم حنوَّ الرب ونزعت تهديدات غضبه... أخاب أكثر الملوك شرّاً بالصوم وارتداء المسوح نجح في الهروب من حكم الله أجل دمار بيته إلى أجيال لاحقة^٣.

❖ خطيئة أخاب وخطيئة إيزابيل واحدة، لكن إذ تاب أخاب تأجَّلت عقوبته لكي تحلَّ على أولاده (الأشرار)، أمَّا إيزابيل فإذ أصرَّت على شرِّها لاقت مصيرها (المؤلم) هنا وهناك^٤.

❖ كرم يزرعيل "زرع الله" يتطلَّب انتقاماً منك، إذ حوَّلت حديقة للمدَّات وبذرة للشهوات. يرسل لك الله

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث، ٤: ١٠.

^٢ St. Jerome Letters, 77:4.

^٣ St. Jerome: Against Jovinianus, book 2:15.

^٤ St. Jerome: Letters, 122:3.

إيلياً ليخبرك عن الآلام والموت. لبتك تحني نفسك وترتدي مسوحاً إلى حين لعلّ الله يقول لك ما قاله لأخاب: "هل رأيت كيف اتضع أخاب أمامي؟! فمن أجل أنه قد اتضع أمامي لا أجلب الشرّ في أيامه".¹

❖ فحص الرب أخاب عندما قتل نابوت وأخذ كرمه، وجُرمه بأن يُسفك دمه. أرسل إيلياً النبي إليه يقول: "هل قتلت وورثت أيضاً؟! [١٩]. للحال ضربه ضميره وعدّبه، فأحني رأسه وسار وعيناه مسبولتان إلى أسفل. هذا هو الملك الشرير الملتحف بالأرجوان. يقول الكتاب المقدس بعد ذلك أنه ذهب مرتدياً المسوح تحت ثوبه الملوكي، وإذ رآه الله هكذا قال: "من أجل أنه قد اتضع لأجلي، لا أجلب الشرّ في أيامه" [٢٩]. تتحقّق قوّة المسوح والصوم وكيف تغسل دموع التواضع الدم! هذا هو الطريق اللائق لترتدي المسوح، والطريق المناسب للصوم، الأمر قد لا يلاحظه أحد.^٢

القديس جيروم

❖ إن أردت أن تطير صلواتك مرتفعة إلى الله، هب لها جناحين: الصوم والصدقة.^٣

القديس أغسطينوس

من وحي ١ مل ٢١

قتل وورث!

❖ ضاق القصر بأخاب الشرير.

كره حياته فارتمى على سريره ينام.

أتجه نحو الحائط هارباً من الحديث مع أي إنسان.

تنقّلت نفسه بالمرارة وجسده بالمرض.

مسكين أخاب، فإنّه لم يقدر أن يقتني كرم نابوت.

❖ تطلّعت إليه إيزابل الشريرة فتعجّبت قائلة:

ترى هل زوجي ملك أم طفل عاجز؟

لماذا أنت كئيب؟

هب لي خاتمك، وأنا أهيك سؤل قلبك.

¹ St. Jerome: Letters, 147:10.

² St. Jerome: Hom 51 on Ps 140 (141).

³ Robert Llewelyn, The Joy of the Saints, p. 37.

في أيام قليلة، صرخت:

خذ خاتمك، نابوت وأولاده قتلى.

قم رث الكرم مجاناً، لماذا أنت خائر؟

❖ سحبت إيزابل قلب أخاب كأسير ذليل.

فتتبنى تدمير كل ما للرب، وإقامة عبادة الأوثان.

جعلت منه هادماً للمذابح، وقاتلاً للأنبياء.

جعلته قاتلاً لمواطن بسيط أمين لكي يرث كرمه.

لقد قتل وورث!

❖ وهبتني قلبي قسراً بديعاً يحمل ملكوتك السماوي.

لن يتسلل إليه قلق يحطم أعماقي.

لن تشتهي نفسي كرمًا لآخر.

بالحق تحوّل أعماقي إلى جنّتك العجيبة.

تدعو ملائكتك إليها فيصير في داخلي عرس لا ينقطع.

لماذا أقتل لأرث ما ليس لي؟

مسيحي بحبّه سلّم نفسه للقتل.

مسيحي قُتل لكي أرث،

حملني بصليبه إلى شركة مجده.

❖ أخاب الشرير قتل وورث.

أمّا أنا فأشتهي أن أصلب مع مخلصي،

فأرث معه في مجد.

الأصحاح الثاني والعشرون

قتل أخاب في راموت جلعاد

في نهاية الأصحاح السابق تمَّع أخاب الشرير بوعد إلهي بعدم جلب الشرِّ في أيَّامه لأنَّه اتَّضع أمام الرب. لكنَّه لم يبقَ طويلاً. ففي هذا الأصحاح التقى ملكا إسرائيل ويهوذا ليحاربا ملك أرام. انتهت حياة أخاب بضربة قاتلة بيد أرامية، وقد صمَّ ملك أرام ألاَّ يقتل أحدًا سوى ملك إسرائيل.

١. أخاب يوّد استرداد راموت جلعاد ٣-١.
٢. تحالفه مع يهوشافاط لمحاربة أرام ٤.
٣. تضليل الأنبياء الكذبة ٥-٦.
٤. ميخا النبي ينبئ بالهزيمة ٧-١٧.
٥. روح الكذب يضلُّ أخاب ١٨-٢٣.
٦. ضرب ميخا النبي وسجنه ٢٤-٢٨.
٧. الاشتباك العسكري ٢٩-٣٠.
٨. مقتل أخاب ٣١-٤٠.
٩. شخصيّة يهوشافاط ٤١-٥٠.
١٠. أخزيا يخلف والده أخاب ٥١-٥٣.

١. أخاب يوّد استرداد راموت جلعاد

تمَّع أخاب بجوِّ من الهدوء قرابة ثلاثة سنوات من أجل تواضعه أمام الرب، لكن في أعماقه كان يحمل نوعاً من العداوة أو الشعور بمعادة أنبياء الرب له. وإذ حلَّ موعد قتله بيد أرامية وضع أخاب في قلبه أن يسترد راموت جلعاد. طلب من يهوشافاط ملك يهوذا الذي جاء لزيارته أن يحارب معه. لدى اليهود تقليد بأن الله بعث يهوشافاط إلى أخاب ليقم في الظاهر عهداً ومحالفة، لكنَّه في الداخل يوّد تأديبه؛ هذا التقليد ليس له أساس يعتمد عليه.

"وأقاموا ثلاثة سنين بدون حرب بين أرام وإسرائيل.

وفي السنة الثالثة نزل يهوشافاط ملك يهوذا إلى ملك إسرائيل.

فقال ملك إسرائيل لعبيده:

أتعلمون أن راموت جلعاد لنا ونحن ساكتون عن أخذها من يد ملك أرام؟" [١-٣]

لأسباب سياسية تجاهل يهوشافاط الخلاقات الدينية التي تفصل المملكتين وأراد إقامة تحالف مع أخاب بن عمري ملك إسرائيل. سبق فطلب يهوشافاط عثليا ابنة أخاب زوجة لابنه يهورام (٢ أي ١٨: ١٨؛ ٢ مل ٨: ١٨).

جاء تعبير "نزل" يكشف عن نزول يهوشافاط الصالح روحياً بإقامة تحالف مع أخاب الشرير، فنال خسائر بسبب هذا التحالف. لقد أساء أخاب استغلال هذه الصداقة. غالباً ما كان من بين شروط المعاهدة بين أخاب وبينهدد (١ مل ٣٠: ٣٤) أن يرد بنهدد راموت جلعاد لإسرائيل. لكن أخاب تراخى في البداية في المطالبة بها ولم ينفذ بنهدد هذا الشرط. ولعل هذا التأجيل تمّ بسبب حملة أشور العظمى على المنطقة شغلت ملك إسرائيل عن المطالبة بحقوقه. يروي لنا شلمنصر الثاني أنه في حملته الأولى على جنوب سوريا واجهته قوّات مشتركة من بنهدد وأخاب وملوك بني حثّ وغيرهم. اشتركوا في المعركة ووجد صعوبة وإن كان قد لحقهم شيء من الخسائر والهزيمة.

٢. تحالفه مع يهوشافاط لمحاربة أرام

"وقال ليهوشافاط: أتذهب معي للحرب إلى راموت جلعاد؟"

فقال يهوشافاط لملك إسرائيل: مثلي مثلك، شعبي كشعبك، وخيلي كخيلك" [٤].

وحدة المملكتين أمر مفرح، لكن كان يلزم أن تكون على أساس وحدة الإيمان والحياة المقدّسة. فقد أخطأ يهوشافاط حين قال: "مثلي مثلك، شعبي كشعبك، وخيلي كخيلك". كان يليق به أولاً أن يطلب قدسيّة حياة الملك وشعبه قبل الاتّحاد معه في الحروب. لقد دفع يهوشافاط الكثير بسبب هذه الصداقة القائمة بلا أساس.

كان أخاب يدرك قوى أرام العسكريّة، ولم يكن يتوقّع أيّ عون إلهي، لهذا طلب عون يهوشافاط الإنسان النقي، لكنّه لم يكن حكيماً في هذا التصرّف.

❖ لا تضطربوا لحقيقة أن (داود النبي) حسب السلام شراً. فإنّكم تجدون حقاً في الإنجيل أيضاً سلاماً يرفضه المسيح، كما يقول هو نفسه "سلامي أترك لكم، سلامي أنا أعطيتكم، ليس كما يعطي العالم أعطيتكم أنا" (يو ١٤: ٢٧). لأنّه يوجد سلام لا يضع حجر عثرة، و سلاماً يضع... لهذا أيضاً يقول النبي "سلام سلام، وليس سلام" (حز ١٣: ١٠). فلنهرب إذن من سلام الأشرار، لأنّهم يتآمرون ضدّ البريء ويجتمعون على مضايقة البار (حك ٢: ١٢)، ويقهرون الأرملة

ويسحقون تواضعها!^١

القديس أمبروسيوس

٣. تضليل الأنبياء الكذبة

"ثم قال يهوشافاط لملك إسرائيل:

اسأل اليوم عن كلام الرب" [٥].

يهوشافاط كرجل تقي لم يهتم بالإمكانات العسكرية لحليفه بل طلب أولاً بركة الرب وسؤاله عن طريق أنبيائه. لم يخجل من أن يطلب أن يسمع كلمة الرب قبل التحرك العسكري.

"فجمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربع مائة رجل، وقال لهم:

أذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع؟

فقالوا اصعد، فیدفعها السيد ليد الملك" [٦].

جمع أخاب الأنبياء الذين كانوا حوالي ٤٠٠ نبياً، غالباً ما كانوا من أنبياء العشتاروت الذين تسندهم الملكة إيزابل. هذا واضح من عدم راحة يهوشافاط لهم، والتناقض بين ما تحدّثوا به وما تنبأ به ميخا النبي الحقيقي لله.

يرى البعض أنّهم لم يكونوا أنبياء للبعل ولا للعشتاروت ولا هم أنبياء صادقون للرب، إذ شعر يهوشافاط بعدم راحة لهم، مع أنّهم تحدّثوا كما من فم واحد. ذكروا اسم السيد الرب ربّاً مرضاة ليهوشافاط. فكثيراً ما يتحدّث الأنبياء الكذبة كمن يحملون كلمة الرب (إر ٢٣ : ٣٠). ولكي يرضوا أخاب الملك ادعوا أنّه سينال نصرة على ملك آرام. لعلّهم كانوا أنبياء العجل الذهبي الذي أقامه يريعام.

الوحدة ليست دائماً علامة التقوى، فقد تحدّث الأربعمائة نبي كاذب كما بفم واحد، لهم قلب واحد، وفكر واحد لكن لم يكن لهم روح التقوى.

٤. ميخا النبي ينبئ بالهزيمة

"فقال يهوشافاط: أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه؟" [٧]

أدرك يهوشافاط أن نبي واحد من قبل الرب أفضل من مشورة أربعمائة نبي كاذب.

^١ صلاة داود: الكتاب الثالث ٣ : ٦.

"فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط:

إنه يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب به،
ولكني أبغضه لأنه لا يتنبأ عليّ خيرًا بل شرًا،
وهو ميخا بن يملة.

فقال يهوشافاط: لا يقل الملك هكذا" [٨].

كان لدى أخاب نبي واحد صادق، ولكنه كان يبغضه ولا يريد أن يلتقي معه أو يستشيريه. لم يخجل أخاب من أن يصرح بهذا ليهوشافاط. لم يلق باللوم على نفسه، بل على النبي لأنه لا يتنبأ عليه بخير، بل دائمًا بالشر. كان يليق به أن ينتفع بصراحته ويصحح من أخطائه، ويرجع عن شره، فيتنبأ له بالخير لا بالشر.

"فدعا ملك إسرائيل خصيًا وقال:

أسرع إليّ بميخا بن يملة" [٩].

"خصي" يبدو أن الخصيان دخلوا لأول مرة في إسرائيل بواسطة داود النبي (أي ٢٨: ١). غالبًا ما كان الخصي غريب الجنس، إذ لم تسمح الشريعة للإسرائيلي أن ينحط فيصير خصيًا. من أجل الصداقة استدعى أخاب ميخا النبي غالبًا ما كان قد سجنه، وكما يقول يوسيفوس المؤرخ لأنه وبخه على دخوله في معاهدة مع بنهدد، أي قضى حوالي ثلاثة سنوات مسجونًا لكن لم يفارقه روح النبوة.

ترك أخاب قرابة ٤٠٠ نبيًا منافقين في كمال حرّيتهم وسجن رجل الله الوحيد. لقد أحبّ النفاق فلم ينقصه وجود عدد كبير من المنافقين حوله، يتنبأون له بما يشتهيهِ هو لأجل مسرّته. فمن السهل جدًا أن يجد القادة كمّ من المنافقين حولهم يمجدونهم بكلمات معسولة ويشبعوا كبرياءهم، ولكن ما أقلّ الأمناء، فغالبًا ما لا يجدوا مكانًا وسط القيادات، وإن وُجدوا يُضطهدون.

ميخا النبي هنا هو ابن يمله وهو بخلاف ميخا النبي الذي سجّل سفر ميخا والذي جاء بعده بحوالي قرنًا من الزمان.

"وكان ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا جالسين كل واحد على كرسيه،

لابسين ثيابهما في ساحة،

عند مدخل باب السامرة،

وجميع الأنبياء يتنبأون أمامهما" [١٠].

كان للملوك عروش متنقلة، تحمل إلى حيث يجلسون. فوضع العرشان في الساحة التي كانت ضخمة تتسع لحضور ٤٠٠ نبياً ولعدد كبير من الجمهور، وأن يُقام فيها سوق (٢ مل ٢٣: ٨).

"وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرني حديد وقال:

هكذا قال الرب بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا" [١١].

قبل حضور ميخا النبي ظهر أحد الشخصيات القيادية بين الأنبياء الكذبة، وقُد ما يفعله الأنبياء الحقيقيون، يدعي صدقيا بن كنعنة. صنع لنفسه قرنين من حديد ونسب إلى الرب قولاً: "بهذا تنطح الأراميين حتى يفنوا". يشير بهذين القرنين الحديديين عجز أرام عن مقاومة الملكين بجيوشهما. كانت هذه القرون زينة عسكرية استخدمها الأراميون وأحياناً الإسرائيليون في الجيش، علامة تمتعهم بقوة لا يمكن مقاومتها. تشير القرون إلى البدء بالهجوم وتأكيد النصر على العدو (تث ٣٣: ١٧؛ مز ٤٤: ٤٥؛ دا ٨: ٤).

ادعى الأنبياء الأرعمان بأنهم نالوا رسالة من السيد (أدوناوي)، أما صدقيا فيدعي أنه يقدم رسالة من الرب (يهوه).

"وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين:

اصعد إلى راموت جلعاد، وأفلح، فیدفعها الرب ليد الملك.

وأما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا فكلمه قائلاً:

هوذا كلام جميع الأنبياء بغم واحد خير للملك،

فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير" [١٢-١٣].

لماذا قدم الرسول هذه المشورة لميخا النبي؟

❖ ربما لأنه ظن أنه كسائر الأنبياء الكذبة يتفقون معاً لكي تكون الإجابة موحدة فيصدق الملك ما ينطقون به.

❖ ولعله أراد أن يتظاهر بالحب له، فيخبره بما حدث، فيجد الفرصة لإرضاء الملك، ويؤمن من السجن.

❖ كان هناك اعتقاد سائد أن النبي ليس فقط ينطق بما يتكلم به الإله، بل هو شخص له سلطان على الله ليتم ما يريد النبي (عد ٢٤: ١٠؛ إش ٣٠: ١٠).

"فقال ميخا: حي هو الرب أن ما يقوله لي الرب به أتكلم" [١٤].

رفض ميخا النبي هذه المشورة مهما كلفه ذلك من ثمن. فإنه يبقى أميناً لرسالته كنبى ينطق بما يعلنه له الرب.

"ولما أتى إلى الملك قال له الملك:

يا ميخا أنصعد إلى راموت جلعاد للقتال أم نمتنع؟

فقال له: اصعد وأفليح، فيدفعها الرب ليد الملك" [١٥].

واضح أنه قدم الإجابة بأسلوب فيه سخرية، كأنه يقول اصعد وانجح مادمت تظنّ هذا، وتطلب مني أن أقول هذا. نطق بما قاله الأنبياء الكذبة في تهكم. لم يقل: "هكذا قال الرب"، بل "اصعد وأفليح، فيدفعها الرب ليد الملك (كما تتخيّل)". هكذا فهم الملك أنه يسخر حتى استحلفه أن يقول له الحق باسم الرب. يبدو أن ميخا استخدم هذه الوسيلة أكثر من مرة كما يظهر من الآية ١٦، وكأنه يقول له أن الوقت مقصر والظروف حرجة للغاية. لا يوجد وقت للسخرية، بل لتتطرق بالحق.

"فقال له الملك:

كم مرة استحلفتك أن لا تقول لي إلا الحق باسم الرب؟.

فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتتين على الجبال كخرافٍ لا راعي لها،

فقال الرب: ليس لهؤلاء أصحاب، فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام" [١٦-١٧].

أول صورة صادقة قدمها له هي رؤيته للشعب الإسرائيلي كخراف على التلال مبعثرة بلا راعٍ. هوذا الملك يقتل فنشئت الرعية (خر ٣٤: ٥؛ زك ١٣: ٧). المعنى واضح، أنه لا مجال للحرب مع أرام! تشبيهه الملك والشعب بالراعي والرعية كان مشهوراً بين الإسرائيليين كما في صلاة موسى النبي (عد ٢٧: ١٧).

لم ير الشعب يقتل ويذبح، وإنما رأى الملك قد مات والشعب مشتت، وهذا ما قد حدث، فإن كل طلبية ملك أرام هي قتل أخاب وحده [٣١].

٥. روح الكذب يضلّ أخاب

"فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط:

أما قلت لك أنه لا يتنبأ علي خيراً بل شراً" [١٨].

ظنّ أخاب أن ما نطق به ميخا النبي ليس من قبل الرب، بل من قبل قلبه المملوء حقداً عليه. حاول أن يقنع يهوشافاط بأن ما تنبأ به الأربعمائة نبى وصدقيا بن كنعنة هو حق. وأن ما نطق به

ميخا نابع عن عداة شخصي بينه وبين الملك. من يحمل في قلبه بغضة وحقداً، يرى حتى في قلوب الأنبياء بغضة وحقداً، يعكسون ما في داخلهم على الآخرين.

"وقال: فاسمع إذاً كلام الرب،

قد رأيت الرب جالساً على كرسيه،

وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره.

فقال الرب: من يغوي أخاب، فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟

فقال هذا هكذا وقال ذلك هكذا.

ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه.

وقال له الرب: بماذا؟

فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه.

فقال: أنك تغويه وتقتدر، فأخرج وأفعل هكذا.

والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء،

والرب تكلم عليك بشرّاً" [١٩-٢٣].

في هذه الرؤيا يؤكد ميخا النبي أنه وإن كان واقفاً أمام ملكين يحوط بهما ٤٠٠ نبياً كذاباً وجمهور من الشعب، فإنه يتمتع بالوقوف أمام الرب نفسه، ملك الملوك، الجالس على عرشه السماوي، يحيط به جند السماء عن يمينه ويساره. صاحب سلطان على ملوك الأرض. أنه يسمح بروح الأعداء أن يضلّ الملك بسبب شرّه.

- لا يخاف من ملوك أرضيين لأنه في حضرة ملك الملوك السماوي.
 - يرى الجند السمائيين عن اليمين يرسلهم الرب للرحمة، وجنود عن اليسار يرسلهم للتأديب. كأنه يقول لهم لقد انتهى دور الرحمة أمام إصرارك على الشرّ، وجاء وقت التأديب.
 - لله سلطان أن يقيم ممالك ويزيلها. يهب روح الحق والحكمة ويسمح أيضاً لروح التضليل أن يعمل في أبناء المعصية.
 - لدى الله طرق كثيرة لتحقيق إرادته المقدّسة، والسماح للشرّ أن يغوي الأشرار.
 - أن الذين حوله من أنبياء إنما يحملون روح الغواية والتضليل.
- هكذا قدّم ميخا النبي لأخاب تحذيراً خطيراً، واضحاً ومفصلاً. لم ينشغل ميخا بالدفاع عن نفسه، وتأكيد أنه لا يحمل كراهية لشخصية للملك. إنما كشف بروح النبوة عن منظر سماوي، وهو أن الرب

قد سمح بإغواء أخاب خلال روح الكذب، لأنّه ترك الحق وطلب الكذب، فيشرب من كأس التي ملأها.

الله في حبه يقدم روح الحق لطالبيه، أمّا الذين يصرون على المقاومة فيعطيهام فرصاً كثيرة للتعرف على الحق، وأخيراً يسمح لعدو الخير أن يغويهم ماداموا قد سلّموا حياتهم وقلوبهم بين يديه.

٦. ضرب ميخا النبي وسجنه

"فتقدم صدقيا بن كنعنة، وضرب ميخا على الفك وقال:

من أين عبر روح الرب منّي ليكلّمك؟" [٢٤]

لم يجسر أخاب الملك أن يضرب ميخا النبي، لكن صدقيا كرئيس للأنبيا الكذبة فعل هكذا كصاحب سلطان. اقترب صدقيا من ميخا بغيظ وضربه على وجهه ربّما بكف يده أو بحذائه. فعل هذا في حضرة الملكين دون استئذان منهما. وقد سرّ أخاب بذلك، أمّا يهوشافاط فلم يتكلّم حاسباً هذا ليس في سلطانه، لأنّه ضيف. أمّا ميخا فلم ينتقم لنفسه، وإنّما أعلن له بأن الزمن سيكشف ما يفعله ويفضحه. لم يحتمل صدقيا كلمة الحق، فاطم ميخا على خده، أمّا ميخا فما كان يشغله هو إعلان كلمة الله والشهادة لها.

"من أين عبر روح الرب منّي ليكلّمك؟" يعني بهذا من أين لك أن تدعي بأن روح الرب قد عبر إليك؟ هل تركني وعبر إليك؟

"فقال ميخا: إنك ستري في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختبئ" [٢٥].

تنبأ له ميخا بأنّه سينطلق من حجرة إلى حجرة ليختبئ من وجه إيزابل الملكة وأخزيا ابن الملك والشيوخ ورجال الدولة حينما يسقط أخاب في الحرب، ويكتشف الكل كذب صدقيا ورجاله، فيندم الكل أنّهم لم يسمعوا لصوت الرب.

"فقال ملك إسرائيل:

خذ ميخا وردّه إلى آمون رئيس المدينة، وإلى يواش ابن الملك.

وقل هكذا قال الملك:

ضعوا هذا في السجن، وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق، حتى آتي بسلام" [٢٦-٢٧].

لم يأمر أخاب بإعادته إلى السجن فحسب، بل وأن يطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى يرجع من الحرب منتصراً. حسب أخاب أن نصرته أكيدة لا جدال فيها. لقد نسي ما قاله لبنهدد حين افتخر

عليه حاسبًا أن النصره بين يديه: "لا يفتخرن من يشد كمن يحل" (١ مل ٢٠: ١١).

"فقال ميخا: إن رجعت بسلام فلم يتكلم الرب بي.

وقال: اسمعوا أيها الشعب أجمعون" [٢٨].

٧. الاشتباك العسكري

"فصعد ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد" [٢٩].

من العجيب أن يهوشافاط التقى يصعد إلى راموت جلعاد مع أخاب ليحارب بعد سماعه تحذيرات ميخا النبي. يعلل البعض ذلك بأنه من أثر الصداقات الشريفة والضغط يضطر الإنسان أن يسير في الموكب الشرير. ويرى آخرون أن يهوشافاط أدرك من كلمات ميخا أن أخاب وحده دونه ودون الشعب هو المستهدف، فذهب إلى المعركة وهو مطمئن بأن أخاب سيقتل، أمّا هو فيعود سالمًا. لذلك عندما مال الأراميون لقتله صرخ بأنه ليس أخاب، فرجعوا عنه.

"فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط:

إنّي أنتكر وأدخل الحرب،

وأما أنت فاليس ثيابك.

فتنكر ملك إسرائيل ودخل الحرب" [٣٠].

٨. مقتل أخاب

"وأمر ملك أرام رؤساء المركبات التي له الاثنتين والثلاثين وقال:

لا تحاربوا صغيرًا ولا كبيرًا إلا ملك إسرائيل وحده.

فلما رأى رؤساء المركبات يهوشافاط قالوا:

إنّه ملك إسرائيل.

فمالوا عليه ليقاتلوه، فصرخ يهوشافاط" [٣١-٣٢].

هرب يهوشافاط بعد أن نال جزاءً مرًا لتهاونه واشتراكه مع أخاب فيما حدّره منه ميخا النبي. عند

عودته إلى أورشليم أنصت إلى توبيخ قاسٍ من ياهو النبي (٢ أي ١٩: ٢).

"فلما رأى رؤساء المركبات أنّه ليس ملك إسرائيل رجعوا عنه.

وأن رجلاً نزع في قوسه غير متعمّد،

وضرب ملك إسرائيل بين أوصال الدرع.

فقال لمدير مركبته: رَدِّ يدك وأخرجني من الجيش، لأني قد جرحت" [٣٣-٣٤].

تخفَّى أخاب وسط الجيش ليحارب، لكنَّه لا يقدر أن يخنفي عن الله. ضربه جندي بقوسه عن غير عمد، فأصابه جرح قاتل أدى بحياته. لقد ضرب الملك المتخفَّى ليس بمهارة ملك آرام ولا بقدرات جيشه، وإنما بسماح إلهي عجيب. ضرب الرجل المطلوب وبطريقة تُحَقِّقُ نبوءة إيليا النبي له وفي الموضع المناسب. لقد سمح الله لأخاب ألا يموت فوراً حتى يتحقَّق بنفسه في اللحظات الأخيرة أن ما تنبأ به ميخا هو حق.

كانت أوصال الدرع في مصر تصنع من الكتَّان، وأيضاً في إسرائيل. فيما بعد صارت من المعدن (رؤ ٩: ٩). جاء في الفولجائن أنها "بين الرئتين والمعدة"، أي في القلب.

"واشدت القتال في ذلك اليوم،

وأوقف الملك في مركبته مقابل آرام، ومات عند المساء،

وجرى دم الجرح إلى حوض المركبة.

وعبرت الرنة في الجند عند غروب الشمس قائلاً:

كل رجل إلى مدينته، وكل رجل إلى أرضه" [٣٥-٣٦].

عند الغروب إذ مات أخاب لم يعد يطعم الشعب في استرداد راموت جلعاد، فصار نداء أن يرجع الإسرائيليون كل إلى بيته، وعاد الأراميون إلى منازلهم، ولم تستمر المعركة أكثر من نهارٍ واحدٍ.

"فمات الملك وأدخل السامرة،

فدفنوا الملك في السامرة.

وغسلت المركبة في بركة السامرة،

فلحست الكلاب دمه،

وغسلوا سلاحه حسب كلام الرب الذي تكلم به" [٣٧-٣٨].

جاء في الترجمة السبعينية أن الخنازير والكلاب لحست دمه والداعرات استحمن في البركة التي تسرَّب الدم إليها. يرى البعض أنه من علامات الخزي والاستهانة أنهم إذ غسلوا المركبة والسلاح من الدم فلحسته الكلاب، وتسَلَّلَ بعض الدم إلى البركة بينما كانت النساء الداعرات يستحمن في البركة كمن هنَّ كنَّ في لهوٍ لا يباليين بالحدث. يقول يوسفوس المؤرِّخ أن بركة السامرة كانت موضع استحمام السامريَّات العاهرات.

"وبقيّة أمور أخآب وكل ما فعل

وبييت العاج الذي بناه

وكل المدن التي بناها،

أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" [٣٩].

بيت العاج: قصر ملكي بناه أخآب في السامرة، غشّاه بالعاج. وقد تحدّث عاموس النبي ضد هذا الترف الزائد (١ مل ٣: ١٥). كان العاج يُستخدم بكثرة في العهد القديم في الأثاثات كما في الشبّابيك والأبواب الخشبيّة.

"فاضطجع أخآب مع آبائه،

وملك أخزيا ابنه عوضًا عنه" [٤٠].

٩. شخصيّة يهوشافاط

"وملك يهوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لأخآب ملك إسرائيل.

وكان يهوشافاط ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك،

وملك خمسًا وعشرين سنة في أورشليم،

واسم أمه عزوبة بنت شلحي.

وسار في طريق آسا أبيه لم يحد عنها،

إذ عمل المستقيم في عيني الرب،

إلّا أن المرتفعات لم تنتزع، بل كان الشعب لا يزال يذبح ويوقد على المرتفعات" [٤١-٤٣].

سار في طريق أبيه آسا الصالح، وإن كان آسا قد تغرّب قلبه عن الله في أيّامه الأخيرة. كان يهوشافاط من أفضل ملوك يهوذا في التقوى كما في الغنى. عمل المستقيم في عيني الرب [٤٣]، حفظ وصايا الرب وسلك في طريق أبيه الصالح دون انحراف. اشترك في الحكم مع أبيه، مع هذا فمن أخطائه أنّه ترك المرتفعات. هدم تلك المرتفعات التي كانت تستخدم للأوثان، وترك تلك التي كانت تستخدم قبل بناء الهيكل، وكان يلزم إزالتها لأنّه لم يعد يجوز تقديم ذبائح عليها، خاصة وأن أورشليم قريبة.

"وصالح يهوشافاط ملك إسرائيل" [٤٤].

أقام صلحًا مع إسرائيل حيث تزوّج ابنه يهورام بابنة أخآب وإيزابل، أي بعثليا (٢ أي ١٨: ١).

والعجيب أن السيّد المسيح مخلص الخطاة جاء من نسلها، إذ جاء في سلسلة أنسابه يورام (مت ١: ٨-٩) حفيد ابنتها عثليا.

"وبقيّة أمور يهوشافاط وجبروته الذي أظهره وكيف حارب،
أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا" [٤٥].
كان قديراً في الحروب.

"وبقيّة المأبوتين الذين بقوا في أيام آسا أبيه أبادهم من الأرض" [٤٦].
نزع الفساد الأخلاقي، فمنع الشذوذ الجنسي بين الرجال (المأبوتين) الذي كان أحد ملامح عبادة البعل.

"ولم يكن في أدوم ملك ملك وكيل.
وعمل يهوشافاط سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير لأجل الذهب فلم تذهب،
لأن السفن تكسرت في عصيون جابر.
حينئذ قال أخزيا بن أخاب ليهوشافاط:
ليذهب عبيدي مع عبيدك في السفن.
فلم يشأ يهوشافاط" [٤٧-٤٩].

هذه العبارة لتوضيح أن يهوشافاط كان قادراً على إعادة التجارة مع أوفير. تحالف مع أخزيا ملك إسرائيل لإعادة الأسطول البحري التجاري، وإذ انكسرت السفن في ميناء عصيون جابر لم يقبل يهوشافاط أن يكمل العمل في إصلاح السفن مرة أخرى.

"واضطجع يهوشافاط مع آبائه،
ودفن مع آبائه في مدينة داود أبيه،
فملك يهورام ابنه عوضاً عنه" [٥٠].

١٠. أخزيا يخلف والده أخاب

"أخزيا بن أخاب ملك على إسرائيل في السامرة في السنة السابعة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا،
ملك على إسرائيل سنتين" [٥١].

مع قصر مدة حكم أخزيا إلا أنها كانت غاية في الشر. لم يحتفظ فقط بالوثنية التي أدخلها يربعام، وإنما بعبادة البعل التي أدخلتها إيزابل. لقد سمع عن الخراب الذي حل ببيت يربعام ورأى والده قد دمّره

الأنبياء الكذبة ومع ذلك لم يتَّعظ.

"وعمل الشرّ في عيني الرب،

وسار في طريق أبيه وطريق أمه،

وطريق يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ.

وعبد البعل وسجد له،

وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل ما فعل أبوه" [٥٢-٥٣].

من وحي ١ مل ٢٢

لأهرب من صداقة أخاب

❖ أعطى يهوشافاط الصالح ابنه لابنة أخاب.

انحدر ليقيم تحالفاً مع الملك الشرير.

يا له من إنسان غير حكيم!

هل من شركة للنور مع الظلمة؟

❖ يا له من ملك مسكين!

حقاً لم يخذع البار بالأنبياء الكذبة،

بل طلب مشورة النبي الحقيقي.

لكن خلال الصداقة الشريرة انحنى لمشورة الكذبة.

رأى بعينه رجل الله يُهان ولم يتحرك.

دخل إلى الحرب وكاد أن يُقتل.

هذا هو ثمر الصداقة الشريرة.

هب لي يا رب أن أهرب من مجلس الأشرار؟

❖ اتفق الأنبياء الكذبة الأربعمئة.

تكلموا كما بغم بروح الوحدة.

لكنها وحدة في الشر لا في الحق.

تكلم ميخا النبي مخالفاً الكل، لكن ثابت في الحق.

كان يكفيهِ أن يكون الرب في صفه.

ليضرب وليسجن، لكنه متهمل بالرب العامل فيه.

يموت أخاب الشرير ويتمجد الله في ميخا النبي.

هب لي يا رب أن أهتم بالوحدة مع إخوتي فيك.

لأرتبط بك حتى إن فارقتني الكل.

❖ ماذا فعلت الخطيئة بأخاب الشرير؟

استطاع أن يكسب يهوشافاط البار في صفه.

لكِنَّه لم يستطع أن يجذب ميخا لحسابه.
جمع حوله أربعمئة نبي،
لكن روح الغواية سيطر عليهم وعليه.

❖ تهلّل حين ضرب صدقيا الكاذب ميخا النبي دفاعًا عنه.
لكن لم يستطع أحد أن يحميه من سهم العدو؟
تخفّى في المعركة كي لا توجّه السهام ضده.
لكِنَّه ضُرب بسهم لم يقصده ضاربه.
من يقدر أن يفلت من يد العدالة الإلهية؟

❖ الملك الجبار قتل نابوت وورث.
الكلاب التي لحست دم نابوت انتظرت لتلحس دم صدقيا.
في مياه البركة التي تستحم فيها الزانيات تسلّل دم الملك.
الذي فتح بيوت الزواني والمأبونين لحساب عبادة البعل،
صارت الزانيات يهزأن به، حين تسلّل دمه إلى البركة.
كن تستأنفن من دمه المتسرّب إلى البركة.
يسخرن به ولا تتحرّك قلوبهن نحوه.
الجبار سافك دماء الأنبياء صار سخرية الزانيات.
يا له من عار وإهانة!

❖ هب لي يا رب أن أهرب من كل صداقة شريرة.
هب لي أن أهرب من الخطيئة،
فلا يقدر روح الغواية أن يقترب إليّ.
هب لي روح الحق، فأتمتع بالراحة الحقة.
انزع عني كل عنف ونجاسة.
فلا تهلك نفسي ولا أصير في عار.

المحتويات

- ٩ مقدمة في سفري ملوك الأول والثاني
- موضوع السفرين، أحداث تاريخية هامة، سفرا الملوك، العمل النبوي في عصر الملوك، نظام ملكي ثيوقراطي، تزايد دور الأنبياء، الميثاق الداودي *Davidic Covenant*، الناموس، المشاكل الرئيسية، النساء في سفري الملوك، الأسفار التاريخية في عصر الملوك.
- ١٧ إسرائيل والنظام الملكي: القلب لا النظام، ملوك إسرائيل، سفران مقدمان لك!
- ٢٢ مقدمة في سفر ملوك الأول
- غاية السفر، الكاتب، تاريخ ومكان الكتابة، مفتاح السفر، المسيح في سفر الملوك الأول، مملكة سليمان ومملكة المسيح، الكنيسة في سفر ملوك الأول، هيكل الرب، الموضوعات الرئيسية، الأشخاص الرئيسيون، المدن الرئيسية، أقسام السفر: القسم الأول: المملكة المتحدة ١-١١. القسم الثاني: المملكة المنقسمة.
- ٣١ ملحق خاص عن انقسام المملكة
- المملكة المتحدة، المملكة المنقسمة، سر الانقسام، المملكة المنقسمة وسلسلة الخطايا، إقامة مملكة الشمال، من يكون الحاكم؟ البنية الدينية، الوضع الاقتصادي والاجتماعي، السياسة الخارجية، مملكة الشمال ٩٣٣-٧٢١ ق.م، مملكة الجنوب ٩٣٣-٦٠٦ ق.م، العلاقة بين المملكتين، من وحي سفر الملوك الأول: أقمني ملكًا حكيمًا وتقيًا يا ملك الملوك.
- ٤١ الباب الأول

المملكة المتحدة

(ص ١ - ص ١١)

- ٢-١ ❖ استقرار مملكة سليمان
- ٤-٣ ❖ حكمة سليمان وغناه
- ٩-٥ ❖ أعمال سليمان ونشاطه
- ١٠ ❖ عصر سليمان الذهبي
- ١١ ❖ انحدار سليمان وموته
- ٤٢ الأوصاحان ١-٢
- استقرار مملكة سليمان
- ٤٣ الأوصاح الأول: إقامة سليمان ملكًا

شيخوخة داود، أدونيا يخطّط لاستلام الحكم، ناثان النبي وبشّبع، ببشّبع تدخل إلى داود، دخول ناثان إلى داود، إقامة سليمان ملكًا، أدونيا يسجد أمام سليمان.

الأصاح الثاني: وصية داود الملك لابنه ٦٤

وصايا روحية، وصية خاصة بيوب، وصية تخص بني برزلاي، وصية تخص شمعي، ثبوت ملك سليمان، أدونيا يحطّم نفسه، استبعاد أبيئار، قتل يوب، معاقبة شمعي.

الأصاحات ٣-٤ ٨٣

حكمة سليمان وغناه

الأصاح الثالث: اختيار سليمان للحكمة ٨٤

زواجه من أميرة مصرية، ظهور الرب لسليمان، اختيار سليمان للحكمة، حكمة سليمان.

الأصاح الرابع: سلطان سليمان وغناه وحكمته ٩٩

مجلس وزراء سليمان، التدبير المادي للدولة، شهرة سليمان الفائقة.

الأصاحات ٥-٩ ١١٤

أعمال سليمان ونشاطه

الأصاح الخامس: الإعداد لبناء الهيكل ١١٥

تهنئة من ملك صور، حوار مع حيرام، معاهدة مع حيرام، سير العمل.

الأصاح السادس: بناء الهيكل ١٢٦

بدء البناء، أبعاده وملامحه، * أبعاده، * الرواق، * النوافذ، * الغرفات، الوعد الإلهي، الحوائط والأرضية، المحراب، الكاروبان، الأبواب، الدار الداخلية، مدة البناء.

الأصاح السابع: أعمال سليمان الإنشائية ١٤٤

إنشاءات لاستخدامه العائلي، أساسات الهيكل: أ. العمودان، ب. البحر المسبوك، ج. العشرة قواعد، د. العشر مراحض، هـ. المراحض والرفوش والمناضح، و. تقديم عطايا أبيه.

الأصاح الثامن: تدشين الهيكل ١٦٠

دعوة القيادات والشعب، دور الكهنة، مجد الرب في بيته، تدشين الهيكل: أ. تذكر وعود الله، ب. التسبيح لله، ج. الصلاة والطلبية، د. الإعلان عن الحب لكل بشر، هـ. طلب النصر، و. مباركة الشعب، ز. دعوة لطاعة الوصية، ح. تقديم ذبائح حب، ط. عيد وفرح.

الأصاحح التاسع: سمو مملكة سليمان ١٨١
رؤيا سليمان الثانية، هبات متبادلة بين سليمان وحيرام، أعماله ومنشأته، ابنة فرعون في مدينة داود، تقديم ذبائح سنويّة، أسطوله البحري.

أصاحح ١٠ ١٩٥

عصر سليمان الذهبي

الأصاحح العاشر: ملكة سبأ تُعجب بحكمة سليمان ١٩٦
زيارة ملكة سبأ، غنى سليمان.

أصاحح ١١ ٢٠٩

انحدار سليمان وموته

الأصاحح الحادي عشر: نساء سليمان وارتداده ٢١٢
التصاقه بالوثنيّات، انحراف قلبه وراءهن، انحرافه نحو الوثنيّة، إنذار الرب له، الرب يثير أعداء لتأديبه، أخياً النبي وانقسام المملكة، سليمان يطلب قتل يريعام، موت سليمان.

الباب الثاني ٢٣١

المملكة المنقسمة

(ص ١٢ - ص ٢٢)

الأصاحح الثاني عشر: تمزيق المملكة ٢٣٢
تجليس رجبام ملكاً، عودة يريعام، رفض مشورة الحكماء، ثورة عشرة أسباط، محاولة رجبام إخضاعهم، يريعام يحمل شكل التدين.

الأصاحح الثالث عشر: إصابة يد يريعام بالفالج ٢٤٧
إصابة يد يريعام بالفالج، ندم يريعام، امتناع رجل الله عن الأكل، افتراس رجل الله، دفن رجل الله، إصرار يريعام على الشرّ.

الأصاحح الرابع عشر: موت أبيا بن يريعام ٢٦١
مرض أبيا بن يريعام، نبوة أخياً عن دمار بيت يريعام، موت أبيا، موت يريعام، شر رجبام ويهوذا، السطو على بنك يهوذا.

الأصاحح الخامس عشر: إصلاحات آسا ٢٧٣

أبيام بن رجبام الشرير، آسا بن يربعام المُصلح، تحالف آسا مع بنهدد ضد إسرائيل، مرض آسا وموته، ناداب بن يربعام الشرير، بعشا يببدي بيت يربعام.

الأصحاح السادس عشر: ثورات في مملكة إسرائيل ٢٨٧
نبوة ياهو ضد بيت بعشا، اغتيال زمري لأيلة، زمري يملك لمدة أسبوع، زمري ينتحر في قصره حرقاً، عمري يبني السامرة، أخاب عابد البعل.

الأصحاح السابع عشر: إغالة إيليا التشبيبي ٣٠٣
نبوته عن الجفاف، إغالة الغربان له، إغالة أرملة صيرفة صيدا له، إقامة ابن الأرملة.

ملحق ١ ملوك ١٧: إيليا النبي ٣٢١
ظروفه، نظرة اليهود إليه، في الكتاب المقدس، في التقليد اليهودي، إحدى تسابيح عشية الفصح، شخصيته، رسالته، سماته، إيليا رجل البرية.

الأصحاح الثامن عشر: نار من السماء! ٣٣٠
دعوة إلهية للظهور أمام أخاب، لقاء إيليا مع عويديا، لقاء إيليا مع أخاب، لقاء إيليا مع الشعب، لقاء إيليا مع كهنة البعل، لقاء مع الله الناري، قتل كهنة البعل، طلبه إيليا الخاصة بالمطر.

الأصحاح التاسع عشر: ظهور الله لإيليا ٣٤٨
هروب إيليا إلى بئر سبع، مساندة الملاك له، ظهور الرب له، مسح حزائيل وياهو ملكين، تلمذة أليشع له.

الأصحاح العشرون: نصره أخاب على بنهدد ٣٦٩
بنهدد يطلب ما لأخاب، بنهدد يستغل أخاب، بنهدد يستعد للمعركة، نصرته في الموقعة الأولى، كشف خطة بنهدد، نصرته في الموقعة الثانية، معاهدة مع بنهدد، نبي يعلن عن قصاصه.

الأصحاح الحادي والعشرون: قتل وورث! ٣٨٥
أخاب يطلب كرم نابوت، إيزابل تقتل نابوت، إيليا يلتقي بأخاب، اتضاع أخاب.

الأصحاح الثاني والعشرون: قتل أخاب في راموت جلعاد ٣٩٩
أخاب يود استرداد راموت جلعاد، تحالف مع يهوشافاط لمحاربة آرام، تضليل الأنبياء الكذبة، ميخا النبي ينبئ بالهزيمة، روح الكذب يضل أخاب، ضرب ميخا النبي وسجنه، الاشتباك العسكري، مقتل أخاب، شخصية يهوشافاط، أخزيا يخلف والده أخاب.

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد		العهد القديم	
٢٤) رسالة يهوذا	١) إنجيل متى	٢٤) حزقيال	١) التكوين
٢٥) رؤيا يوحنا اللاهوتي	٢) إنجيل مرقس	٢٥) وائصال	٢) الخروج
	٣) إنجيل لوقا	٢٦) هوشع	٣) اللاويين
	٤) إنجيل يوحنا (جزء ١)	٢٧) يوشع	٤) العدد
	٥) أعمال الرسل (جزء ١)	٢٨) عاموس	٥) التثنية
	٦) رسالة رومية	٢٩) عبريا	٦) يشوع
	٧) كورنثوس الأولى	٣٠) يونا	٧) القضاة
	٨) كورنثوس الثانية	٣١) ميخا	٨) راعوث
	٩) غلاطية	٣٢) ناموس	٩) صموئيل الأول
	١٠) أفسس	٣٣) حبقوق	١٠) صموئيل الثاني
	١١) الرسالة إلى فيلبي	٣٤) صفنيا	١١) ملوك أول
	١٢) الرسالة إلى كولوسي	٣٥) حجي	١٢) عزرا
	١٣) تسالونيكي الأولى	٣٦) زكريا	١٣) نحميا
	١٤) تسالونيكي الثانية	٣٧) ملاخي	١٤) أستير
	١٥) تيموثاوس الأولى		١٥) أيوب (٤ أجزاء)
	١٦) تيموثاوس الثانية		١٦) الزمير
	١٧) الرسالة إلى تيطس		١٧) الأمثال (٣ أجزاء)
	١٨) الرسالة إلى فليمون		١٨) الجامعة
	١٩) الرسالة إلى العبرانيين		١٩) نشير الأناشير
	٢٠) رسالة يعقوب		٢٠) حكمة سليمان
	٢١) رسالة بطرس الأولى		٢١) إشعياء
	٢٢) رسالة بطرس الثانية		٢٢) إرميا (جزء ١)
	٢٣) رسائل يوحنا الثلاثة		٢٣) ملاخي إرميا

يُطلب من

- ❖ مكتبة مارمرقس بالأنبارويس / العباسية / القاهرة - ت: ٢٤٨٨٢٤٥٤
- ❖ كنيسة مارجرس - سبورتج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٥٩١٩٨٨٨ / ٠٣
- ❖ كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس / سيدي بشر / الإسكندرية